(سلسلة نقض الأصول العشرة لنظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية)

الصَّوَاعِقُ الصَّلَاحِيَّة
فِي الإِجْهَازِ عَلَى النَّظَرِيَّةِ التَّيْمِيَّة

تَأْلِيْف

الدُّكْتُوْر وَلِيْد بنْ صَلَاحِ الدِّيْن الزِّيْر

تَقديم الأُسْتَاذُ الكَبِيْر
مُهَنَّا حَمَد المُهَنَّا حَفِظَهُ الله

تقريظ الأستاذ الدكتور
علي مقدادي حفظه الله

(المُجَلَّدُ الخَامِسُ)

الأصول السبعة المتبقية التي تم نقضها هنا هي الدعاوى التالية:

(1) توحيد الربوبية أمر فطري، وأما توحيد الألوهية فهو كسبي.

(2) توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحد بخلاف توحيد الألوهية.

(3) الرسل إنما جاءت بتوحيد الألوهية لا بتوحيد الربوبية.

(4) توحيد الربوبية هو الحجة على المشركين في إثبات توحيد الألوهية.

(5) التعويل في الدارين على توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية.

(6) استقراء القرآن يدل على أن التوحيد قسمان: ربوبية وألوهية.

(7) ليس ابن تيمية وحده هو من قسّم التوحيد إلى ربوبية وألوهية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

(تقديم مولانا وأستاذنا الكبير الشيخ الفاضل مهنا حمد المهنا حفظه الله)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، ربِّ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقده من لساني يفقهوا قولي.

وبعد، فما زال يتحفنا ويفيدنا وينير دروبنا بالأنوار الإيمانية والبراهين الشرعية، مولانا وشيخنا وأستاذنا الكريم وليد ابن الصلاح حفظه الله ورعاه، وسدد على طريق الخير والحق مبتداه ومنتهاه في هذه السلسلة العلمية القائمة على الآيات والأحاديث المصطفوية لهدم النظرية التيمية والإجهاز عليها، هذه النظرية المبنية على تقسيم التوحيد الى ثلاثة أقسام هي: 1. توحيد الألوهية 2. توحيد الربوبية 3. توحيد الأسماء والصفات.

وقد صدر لشيخنا الحبيب أربعة مجلدات في نقض هذا التقسيم الثلاثي الذي لم يذكره القرآن الكريم بهذا التصنيف، ولم يرد في السنة النبوية ولا في كلام الصحابة الكرام ﷺ، ولم يرد في مقررات السلف الصالح في العقيدة، وهذا هو المجلد الخامس أتى فيه شيخنا بما يجهز ويقضي على بعض الأفكار الأساسية التي قامت عليها نظرية ابن تيمية في التوحيد الثلاثي، فأتى شيخنا ابن الصلاح بأدلة وبراهين تدكّ هذه النظرية دكا دكا، وتهيل عليها التراب فتجعلها قاعا صفصفا تذروه الرياح .

وأظن ـ والله اعلم ـ أن المشكلة الرئيسية في نظرية ابن تيمية أنه لم يبن نظريته على ركن ركين، ولا أساس ثابت متين، فاكتفى ببعض النصوص من الكتاب والسنة، وبنى عليها نظريته دون أن يستقرئ ويتتبع النصوص كاملا، ولم يسبر غورها سبرا دقيقا محققا، ولذلك وقع في هذه الكوارث والمصائب، حيث تحولت هذه النظرية الى عقيدة عند بعض الجماعات، فاتخذوها متكأً وقاعدة لتكفير المسلمين، ثم استباحة دمائهم وأموالهم، وهذا يعاني منه المسلمون منذ ثلاثة قرون، والله المستعان.

وأخيرا دونكم هذا الكتاب الماتع الذي هو راحة للقلب ومتعه للعقل وسعة للصدر، جعل الله فيه الخير العميم والفضل الكبير لأمه سيدنا مُحَمَّد ﷺ البشير النذير.

وكتبه مهنا حمد المهنا الحنفي الاشعري أبو مُحَمَّد في صباح الاثنين 2024/11/11 الموافق لـ 9 جمادى الاولى 1446 هـ/ ضاحية صباح الناصر/ دولة الكويت.

اقتباس من تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور علي مقدادي حفظه الله

(ومن المعلوم أنَّ الرَّدَّ على أصحاب البدع قد يتعيَّن على مَنْ مَلكَ سبيل الرَّدِّ عليهم... ولذلك ساورتني الرَّغبة للردِّ على الوهَّابيَّة في هذه المسألة منذ زمن بعيد حتَّى هيَّأ الله تعالى لي بفضله ومنِّه أن أكتب كتابي: "إِرْشَادُ المرِيْدِ إِلَى الرَّدِّ السَّدِيْدِ عَلَى مَنْ ثَلَّثُوا التَّوْحِيْد" لأكون من ضمن العلماء الرَّادِّين على هذه البدعة المشينة... وكان من **أبرزهم الأخ الفاضل الأستاذ الدُّكتور وَلِيْد بنْ صَلَاحِ الدِّيْن الزِّيْر** الذي قرأت له منذ زمن حيث تعرَّفت على كُتُبه عبر وسائل التَّواصل المختلفة، وأحببت من يومها **أن أتعرَّف عليه**، فالعلم رَحِمٌ بين أهله... ومن يومها تواصلنا بأرواحنا على أمل تواصل الأجساد بإذن الله... وفي آخر تواصل بيننا قدَّم لي **الجزء الخامس من كتابه "الصَّوَاعِقُ الصَّلَاحِيَّة فِي الإِجْهَازِ عَلَى النَّظَرِيَّةِ التَّيْمِيَّة"**، وهو جزء واقع ضمن (**سلسلة نقض الأصول العشرة لنظريَّة تقسيم التَّوحيد عند ابن تيمية**)، حيث **طلب منِّي مراجعة الكتاب، وأكرمني بطلب كتابة تقديم** له... فأجبت طلبه ... **فكتبت هذه الورقة** ...

نسأل الله تعالى أن **يبارك في قلمه وجهده وصحَّته ليبقى القلم** سيالاً يجلّي الحقائق، ويزيل الشُّكوك والعوائق، ويلجم كلَّ متهوِّر مائق... والحمد لله ربِّ العالمين

وكتبه: الأستاذ الدُّكتور علي عايد لافي مقدادي الحاتمي الأشعري. 2025/3/24م).

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومَن بِعهده وفى. وبعدُ فهذا هو الكتاب أو المجلد الخامس والأخير من سلسلة نقض أصول نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية رحمه الله، وهو بعنوان (الصواعق الصلاحية في الإجهاز على النظرية التيمية) أقدّمه لإخواني القرّاء الكرام، وبذلك أكون أوفيت بعهدي بإتمام المجلدات الخمسة لهذه السلسلة، ولا بأس بأن أذكر هنا الكتب أو المجلدات الأربعة التي سبقته، وهي:

الكتاب الأول : "تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله".

الكتاب الثاني: "ولئن سألتهم"، واسمه الكامل (الكافية الشافية لنقض استدلال ابن تيمية بآيات "ولئن سألتهم" الثمانية)

الكتاب الثالث: "البراهين الشرعية في إبطال بدعة توحيد المشركين في الربوبية".

الكتاب الرابع: "مناقب المشركين ومثالبهم وحقيقة شركهم في الألوهية".

موضوع هذا الكتاب

ذكرنا سابقا أن نظرية تقسيم التوحيد تقوم على أصول عشرة ، نقضنا منها في الكتب الأربعة السابقة الأصول الثلاثة الأولى:

1) أن توحيد الربوبية مباين لتوحيد الألوهية، للتباين بين كلمتي الرب والإله، وهذا الأصل نقضناه في الكتاب الأول وهو "تنوير الرب الإله.."
2) أن المشركين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية، وهذا الأصل نقضناه في الكتابين: الثاني "ولئن سألتهم"، والثالث"البراهين الشرعية.."، أي أن نقض هذا الأصل وحده استغرق كتابين!
3) أن خلاف الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم كان بسبب توحيد الألوهية لا بسبب توحيد الربوبية ولا بسبب غيره، وقد نقضنا هذا الأصل في الكتاب الرابع "مناقب المشركين في الجاهلية ومثالبهم وحقيقة شركهم في الألوهية".

بقيت سبعة أصول لهذه النظرية نقضناها في هذا المجلد الخامس، وهي:

1) توحيد الربوبية أمر فطري، أما توحيد الألوهية فهو كسبي.
2) توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحد، بخلاف توحيد الألوهية.
3) الرسل إنما جاءت بتوحيد الألوهية، لا بتوحيد الربوبية.
4) توحيد الربوبية هو الحجة على المشركين في إثبات توحيد الألوهية.
5) التعويل في الدارين على توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية.
6) استقراء القرآن يدل على أن التوحيد قسمان: ربوبية وألوهية.
7) ليس ابن تيمية وحده من قسّم التوحيد إلى ربوبية، وألوهية.

خطة الكتاب

هذا الكتاب جعلته في بابين فقط :

الباب الأول: الفروق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية، وفيه خمسة فصول؛ كل فصل مخصص لأحد الفروق مع نقضه، وهي:

1) دعوى أن توحيد الربوبية أمر فطري، وأما توحيد الألوهية فهو كسبي.
2) دعوى أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحد، بخلاف توحيد الألوهية.
3) دعوى أن الرسل إنما جاءت بتوحيد الألوهية، لا بتوحيد الربوبية.
4) دعوى توحيد الربوبية هو الحجّة على المشركين في إثبات توحيد الألوهية.
5) دعوى أن التعويل في الدارين على توحيد الألوهية، لا توحيد الربوبية.

الباب الثاني: مصدر ابن تيمية الذي استقى منه تقسيم التوحيد، وفيه فصلان:

الأول: دعوى أن استقراء القرآن يدلّ على أن التوحيد قسمان: ربوبية وألوهية.

الفصل الثاني: دعوى عدم تفرد ابن تيمية بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية.

منهج الكتاب

هو المنهج نفسه الذي اتبعته في الكتب الأربعة السابقة، وهو المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد بسطت ذلك في مقدمات كتبي الأربعة، فلا داعي لإعادته هنا. وبالله التوفيق

شكر وتقدير

أشكر من قدّم لهذا الكتاب وهو الأستاذ الفاضل مولانا **مهنا حمد المهنا** حفظه الله، وأخي الأستاذ الدكتور **علي مقدادي** وفقه الله، **كما** أشكر كل من شارك في تصحيح هذا **الكتاب الخامس** الذي صُحّح خمس مرات على الأقل، ولا يتسع المقام أن أذكرهم فرداً فرداً لكثرتهم، وكلهم إخوة فضلاء من أكاديمين وعلماء وطلاب علم، ولكن أخص منهم بالذكر من صحّح الكتابَ بتمامه وكماله، وهم أخي الأستاذ **عماد الدين دحدوح**، وأخي الدكتور **تميم الفاخوري**، حفظهما الله، وكلاهما قاما بتدقيقه لغويا بشكل كامل، ومنهم أخي الشيخ **عصام الشيباني** حفظه الله، فجزاهم الله خيرا وبارك فيهم، ووفقهم لما يحبه ويرضاه، ونفع بعلمهم في الدارين .

كما أشكر كل من قام بالتبرع والإنفاق على تكاليف إعداد هذا الكتاب خلال الأشهر الماضية، وأخصّ بالذكر **أشقائي الحاج مصطفى والحاج ماجد الزير** وفقهما الله، ومنهم جماعة الأستاذ **مهنا حمد المهنا** وعلى رأسهم **أبو مبارك وإخوانه في الكويت** سددهم الله، ومنهم الأخ الفاضل السيد **حمد مسعود من دولة قطر** وفقه الله.

فأشكرهم هم وكلَّ من شارك معهم من أهل الخير والجود والفضل، وأسأل الله أن يعوّضهم جميعا أضعافا مضاعفة وقصورا وأنهارا في الفردوس الأعلى كما يليق بمنّه وكرمه، ولا ننسى مولانا **أبا يوسف مشعل المطيري** الذي أنفق بسخاء ولاسيما على طباعة كتابي الثاني، وهو كتاب "ولئن سألتهم"، ثم توفي رحمه الله وجعله في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الباب الأول: الفروق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: دعوى أن توحيد الربوبية أمر فطري، وأما توحيد الألوهية فهو كسبي.

الفصل الثاني: دعوى أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحد، بخلاف توحيد الألوهية .

الفصل الثالث: دعوى أن الرسل إنما جاءت بتوحيد الألوهية لا بتوحيد الربوبية .

الفصل الرابع: دعوى توحيد الربوبية هو الحجة على المشركين في إثبات توحيد الألوهية .

الفصل الخامس: دعوى أن التعويل في الدارين على توحيد الألوهية، لا توحيد الربوبية.

وإليكم بسط ذلك، والله ولي التوفيق والسداد...

الفصل الأول: دعوى أن توحيد الربوبية أمر فطري، وأما توحيد الألوهية فهو كسبيّ

وفي ذلك يقول ابن تيمية نقلا عن بعضهم[1]: **معرفة الربوبية وهي خاصة للمكلّفين من بني آدم وهي تعمّ مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورية..وليس للكافر فيها اختيار** إذ لو كان له فيها اختيار لجحدها كما جحد معرفة التوحيد و**لو كانت كسبيّة لوقع له بها إيمان وثواب، بلى هي ضرورية** يرجع إليها في شدائده..[2]..**إلى أن يقول ابن تيمية:** وقول صاحب الشرع: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله] لم يقل: حتى يقولوا: **أن لهم ربا** إذ هم عارفون بذلك، وإنما أمرتهم الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية والوحدانية فأبوا..فالسفراء لهم مدخل في معرفة التوحيد دون معرفة الوحدانية والربوبية إذ لكل معرفة مقام، فليس للعقل والكسب والوسائط والنظر والاستدلال في هذه المعرفة حكم لكونها عامةً موجودة ممّن يصحّ منه النظر والاستدلال وممّن لا يصح منه[3]..**إلى أن يقول:** فهذه المعرفة ضرورة للعارف موجودة فيه كوجود ضرورة المقعد وقعوده موجودة فيه فهو سبحانه المعروف الذي لا ينكره شيء، والمعلوم الذي لا يجهله شيء، فمن كانت معه معرفتان فهو كافر، **وبالمعرفة الثالثة يصح الإيمان وهو الفصل الثالث: وهي معرفة التوحيد التي دعت الرسل إليها وبعثوا بها وكُلّفنا قبولها،** وهي قوله: {وإلهكم إله واحد}، وهو قوله: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}، وأخبرنا أنه ما كان معذبا قبل بعثتهم **فكانوا يعرفون أن لهم ربا وإلها،** ولكنهم ينكرون توحيد الإله وبعث رسله وشرائع دينه وبه وقع منهم الكفر[4]. اهـ

---

1 وأول نقله قولُه في درء تعارض العقل والنقل (8/ 494): وقال الشيخ أبو مُحَمَّد بن عبد البصري في كتابه في أصول السنة والتوحيد : (فصل في الخلق على الفطرة قال : وخلق الله الخلق على الفطرة..)

2 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 508)

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 509)

4 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 511)

وحاصل هذا النص أن معرفة توحيد الربوبية أمر فطريّ ضروري غير كسبي "وهي تعمّ مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورية"، ولذلك لم تأت الرسل لهذا أصلا! وإنما جاءت الرسل لكي يصل الناس معرفتهم بتوحيد الربوبية المفطورون عليه بتوحيد الألوهية الذي جاءتهم به الرسل وأمرتهم بتحصيله أو بكسبه والإيمان به، وهذا ما عناه ابن تيمية بقوله السابق "وإنما أمرتهم **الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية** والوحدانية فأبوا"!

فقوله "أن يصلوا معرفةَ التوحيد" هنا يقصد بها توحيد الألوهية، وكلمة "بمعرفة الربوبية والوحدانية" يُقصد بها توحيد الربوبية، وكذا قوله "**وبالمعرفة الثالثة يصحّ الإيمان وهو الفصل الثالث: وهي معرفة التوحيد التي دعت الرسل إليها وبعثوا بها وكُلّفنا قبولها**" يقصد **بالمعرفة الثالثة: توحيد الألوهية**، فهو الذي دعت ـ عنده ـ إليه الرسل كما دلّ على ذلك استدلاله بآية "وإلهكم إله واحد"، وقوله "**وكُلّفنا قبولها**" أي نحن مأمورون بتحصيل توحيد الألوهية الذي جاءتنا به الرسل واكتسابه، بخلاف توحيد الربوبية فهذا لم نكلّف به لأننا مفطورون عليه والناس بأجمعهم بمن فيهم الكفرة مضطرون إليه ولا خيار لهم في رفضه أصلا كما دل عليه قوله "**وليس للكافر فيها اختيار**"!

ويقول دمشقية: والأنبياء ما جعلوا أول دعوتهم إلى الإيمان أن الكون مخلوق وأن الله خالقه، فإن هذا شيء فطر الله الناس على معرفته..إلى أن يقول: وإذا جاز أن يكون عند العبد شيء من إيمان ولكن لا ينفعه، فكذلك جاز أن يكون عنده بعض التوحيد (الربوبية الفطريّ) لا يكمل به التوحيد ولا ينفع إلا باتصاله بتوحيد (الألوهية الكسبيّ)[1].[2].

وخلاصة ما تقدم أن توحيد الربوبية أمر فطري ضروري، وأما توحيد الألوهية فهو كسبيّ، وهذا يدلّ على الفرق بين قسمي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية. وهذا غير

---

1 ما بين قوسين في الموضعين من كلام دمشقية.

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 128)

مسلّم، لأنه سبق أن ذكرنا أن ابن تيمية وأتباعه مضطربون في هذه المسألة، وهي هل الإنسان مفطور على توحيد الربوبية فحسب، أو مفطور على التوحيد بقسميه: الربوبية، الألوهية، أو أنه مفطور على أقسامه الثلاثة؛ أي أنه مفطور أيضا على توحيد الأسماء والصفات فضلا عن توحيد الربوبية والألوهية؟

فتارةً يقولون عن توحيد الربوبية إن "القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات"[1]، فهذا "النوع من التوحيد جُبلت عليه فِطَرُ العقلاء"2. ولذلك فقد كان على المتكلمين أن يبذلوا "جهودهم في تحقيق هذا النوع من التوحيد ويقوموا بدراسته دراسة فاحصة خالصة. أما توحيد الربوبية فهو أمر فطري لا يحتاج إلى الدراسة بل دراسته شبه تحصيل الحاصل، لأن عامة أهل الملل والنحل اعترفوا به"[3] "ومن هنا وجب تذكير الناس بتوحيد الألوهية لئلا يظنوا أن لهم الفضل في توحيدهم الفطري للربوبية. وليعلموا أنهم مطالبون بمقتضى توحيد الربوبية الفطري أن يوحّدوه توحيد الألوهية"[4].اهـ وهذا حاصله أن توحيد الربوبية فطري، وأما توحيد الألوهية فكسبيّ.

وتارة يقولون إن الإنسان مفطور على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معا، ونصوصهم كثيرة في ذلك، منها ما يلي:

1) يقول ابن تيمية: وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية – وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية – فهو أيضا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية[5].اهـ

---

1 شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية (ص: 28)

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 488)، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 22)

3 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 220)

4 وفي موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 147)

5 مجموع الفتاوى (2/ 37)

2) قال ابن تيمية: فالنفس بفطرتها إذا تُركت كانت مُقرّة لله بالإلهية مُحِبة له تَعبده لا تشرك به شيئا. ولكن يفسدها ما يزيّن لها شياطين الإنس والجن[1].

3) وقال ابن القيم: **إن الروح مركوز في أصل فطرتها وخلقتها شهادة أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله، وإن الإنسان لو استقصى التفتيش **لوجد ذلك مركوزا في نفس روحه وذاته وفطرته**[2].اهـ

4) وقال أيضا:..ولولا أنه **مستقر في العقول والفطر حسن عبادته وشكره وقبح عبادة غيره** وترك شكره لما احتجّ عليهم بذلك أصلا[3].اهـ

5) قال **ابن كثير**: "إنّ الله ربهم ومليكهم، وإنه لا إله إلا هو، كما إنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه"[4]، وقال أيضا: "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وإنه لا إله غيره"[5].اهـ

6) وقال الحفيد: يقرّر تعالى أنه **الإله الواحد الذي لا شريك له، ولا معبود سواه مما يشترك في معرفته المؤمن والكافر، *لأن القلوب مفطورة على ذلك***، فمتى جاء الاضطرار رجعت القلوب إلى الفطرة، وزال ما ينازعها، **فالتجأت إليه وأنابت إليه وحده لا شريك له**[6].

7) وقال عبد القادر عطا: **فالفطرة تدل على توحيد الربوبية..ثم قال: إن الفطرة تدل على توحيد الألوهية.**[7].اهـ

---

[1] مجموع الفتاوى (14/ 296)، وأثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (1/ 155)

2 بدائع الفوائد لابن القيم (4/ 1592)

3 مفتاح دار السعادة (2/ 8)

4 صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: 446)، وانظر تفسير ابن كثير (6/ 433)

5 تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 313).

[6] تيسير العزيز الحميد (ص: 198)

7 المفيد في مهمات التوحيد (ص: 51)، الدكتور عبد القادر بن مُحَمَّد عطا صوفي، دار الأعلام، ط1/ 1423هـ.

8) وقال عبد الرحيم السلمي: "المراد أن الفطرة هي أمور عامة **كمعرفة وجود الله والإقرار بالربوبية والشعور بالألوهية**"[1].

9) قال د. المحمود: "الفطرة دالة على أن كل مولود يولد على فطرة الإسلام، وهي الحنيفية المقتضية لعبادة الله وحده لا شريك له، والحب والخضوع له تعالى"2.

وتارةً يقولون إن المكلف مفطور أيضا على الأقسام الثلاثة للتوحيد؛ ربوبية وألوهية وصفات فقد "**دلت عليها وشهدت بها العقول *والفِطَر***"[3].

وهكذا نرى أن ابن تيمية وأتباعه مضطربون في توحيد الألوهية؛ هل هو فطري كتوحيد الربوبية أم هو كسبيّ، وبالتالي فإن كان كلا قسمي التوحيد أمرا فطريا فلا فرق بينهما من هذه الناحية على الأقل. **وإن كان توحيد الربوبية هو الفطري فحسب، وتوحيد الألوهية كسبيّ فهذا سينسف توحيد الألوهية من جذوره**، إذ ما دام ليس فطريا فمعنى ذلك أنه ليس من الإسلام أصلا، لأنه وبحسب تفسير ابن تيمية لحديث "كل مولود يولد على الفطرة" أن الفطرة هنا هي دين الإسلام[4]، وهذا التفسير أكد عليه ابن تيمية ونصره بشكل مطوّل وأبطل ما سواه من التفسيرات كما سنرى(5)، فإذا كان الإسلام بأسره هو الفطرة السليمة التي يُفطر عليها الإنسان فكيف لا يكون توحيد الألوهية من الفطرة مع أن ابن تيمية نفسه يقول عن المتكلمين: "**وأخرجوا من الإسلام والتوحيد** أمورا عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله..**وهو توحيد العبادة**"(6)؟! ويقول أيضا: أما قوله صلى الله

---

1 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص132

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (1/ 257)، نقلا عن درء التعارض (8/458-459) .

3 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 29)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 869)، وانظر مجموع الفتاوى (4/ 245)، درء التعارض (8/371-410).

(5) انظر: ص (47)

(6) الفتاوى الكبرى (6 / 566)

عليه وسلم {كل مولود يولد على الفطرة..} فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام..وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة. فإن **حقيقة "الإسلام "أن يستسلم لله؛ لا لغيره وهو معنى لا إله إلا الله**[1].اهـ

ثم لا يخلو أن يكون توحيد الألوهية من الإسلام ـ كما قرر ابن تيمية نفسه في النصّين السابقين ـ فيجب أن يكون توحيد الألوهية فطريا ما دام أن الإنسان يُفطر على دين الإسلام، وهذا يتعارض مع القول بأن توحيد الألوهية كسبي، وإن كان توحيد الألوهية كسبيا ليس فطريا فهو ليس من الإسلام أصلا، لأن الإسلام دين الفطرة، وهذا أيضا خلاف مذهب ابن تيمية الذي يجعل توحيد الألوهية هو معنى الإسلام حيث قال كما سبق (**حقيقة "الإسلام" أن يستسلم لله؛ لا لغيره وهو معنى لا إله إلا الله**)، وقال أيضا: "**القرآن كله يثبت توحيد الإلهية**..وقد تواتر عنه ﷺ **أنه أول ما دعا الخلق إلى شهادة أن لا إله إلا الله**"[2].

وعليه فسواءٌ قلتم: إنّ توحيد الألوهية فطري أو كسبي، فثمة إشكال في كليهما، لأنه إن قلتم "إنه فطري" فقد استوى مع توحيد الربوبية من هذه الناحية، وبالتالي فالمفروض ألا تدعو الرسلُ إلى توحيد الألوهية ولا يُكلَّف به الإنسان أصلا لأنه سيكون تحصيل حاصل، تماما كما قلتم مثل ذلك في توحيد الربوبية مِن أن الرسل لم يدعوا إليه؛ لنفس السبب وهو أنه أمر فطري!! وإن قلتم "إنه كسبي"، فليس من الإسلام أصلا؛ لأن الإسلام دين الفطرة، فما ليس فطريا ليس من الإسلام كما سبق بيانه.

(1) مجموع الفتاوى (4/ 245)، وانظر أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (1/ 146)

2 مجموع الفتاوى (20/ 456)

الفصل الثاني: دعوى أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحد بخلاف توحيد الألوهية.

فبحسب نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد إن "توحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفترق الطرق بين المؤمنين والمشركين"1. فالشرك في الربوبية "لم يكن محل المنازعة بين الرسل عليهم السلام ومخالفيهم"[2]، و"لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به "[(3)]، فهو "أمر فطري في البشر جميعاً، إذ كل إنسان يقرّ بوجود الله تعالى – منذ عهد آدم عليه السلام"4، ولذلك "لم ينكره أحد من بني آدم"5، بل "مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورية..وليس للكافر فيها اختيار"[6] أصلا، بل"يقرّ به المسلم والكافر"7، "فجميع الخلائق يقرّون بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، والنزاع والخصومة بين الأنبياء والرسل في هذا التوحيد، وهو

---

1 تجريد التوحيد المفيد، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، طه مُحَمَّد الزيني، ط/ الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1989م. واستشهد بهذا النص عنه كثيرون: انظر موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 130)، الدلائل والإشارات على كشف الشبهات لصالح الأسمري (ص: 29)،أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: 218)، منهج الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا في العقيدة (ص: 250).

2 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص250

(3) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص27، ت تحقيق التركي والأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة، وقد نقل نصّه أبو بكر مُحَمَّد زكريا في الشرك في القديم والحديث ص379. وانظر أيضا: رسالة في أسس العقيدة (ص: 16)، مُحَمَّد بن عودة السعوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ط1/ 1425هـ.

4 البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: 114)، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية للباحث أحمد بن عطية الغامدي، ط2002/2م.

5 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

6 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 508)

7 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 337).

توحيد الألوهية والعبادة"[1]، "حتى النصارى المثلّثة ما زالوا يقولون: نحن نؤمن بالرب الواحد"[2].

وقد بات "من المعروف عند السلف والخلف أن جميع الإنس والجن مقرّون بالخالق معترفون به، مقرّون بعبوديته طوعاً وكرها..فعُلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم ضروري فيهم "(3). وذلك لأن "أدلته فطرية بدهية، وأن جميع بني آدم مفطورون على الإقرار به"[4]. إذ "ليس في المعلومات أظهر من كون الله خالقا، ولهذا أقرّت به جميع الأمم، مؤمنهم وكافرهم، ولظهور ذلك، وكون العلم به بديهيا فطريا، احتجّ الله به على من أشرك به في عبادته"[5].

والحاصل "أن الخلق مُجمعون **لم ينقل عن أحد منهم في أي زمن ومن أي نحلة خلاف على الإفراد في الربوبية!** وفي كمال الذات والصفات، **ولم يقع فيهم اختلاف** إلا في إفراد الرب بأفعالهم هم، فمنهم من أفرد الله بذلك فلم يعبد غيره، **ومنهم من انحرف فصرف عبادته لغير الله**"[6].اهـ

إذن ليس فقط مشركو العرب موحّدين في الربوبية كما هي أصل دعوى ابن تيمية كما سبق أن بسطنا ذلك[7]، بل الدعوى أعرض من ذلك بكثير كما ترى هنا. **هذا حاصل**

---

1 شرح الطحاوية للراجحي (ص: 9، ت.ش)

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 149)

(3) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 479) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 939)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 975)

5 مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: 346)

6 بحث محكّم بعنوان "التمانع الدال على التوحيد في كتاب الله ونقد مسالك المتكلمين" ص2، د. مُحَمَّد أبو سيف الجهني.

7 انظر كتابنا "ولئن سألتهم" ص (145)

الدليل الخامس لابن تيمية وأتباعه على تقسيم التوحيد، وهو أن **وجود الله وتوحيده في الربوبية لم ينكره أحد من بني آدم** ولم تختلف البشرية فيه، وإنما الذي وقع فيه الخلاف وأنكره كثير من الأمم هو توحيد الألوهية وهو الإشراك في عبادة الله، وبالتالي يثبت الفرق بين كلا التوحيدين.

والواقع أن هذا غير صحيح لأنّ ثمة من أشرك في الربوبية كما أشرك في الألوهية، بل ثمة من أنكر وجود الله، والأدلة التي ذكرها ابن تيمية وأتباعه على أن توحيد الربوبية لم ينكره أحدٌ من بني آدم هي أدلة غير مسلّمة، وسنبيّن ذلك في مبحثين:

المبحث الأول: دعوى ابن تيمية أن أحدا لم ينكر توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: الأدلة على وجود من أشرك في الربوبية.

وفيما يلي بسطهما بتوفيق الله.

المبحث الأول: دعوى ابن تيمية أن أحدا لم ينكر توحيد الربوبية

نعرض في هذا المبحث دعوى ابن تيمية وأتباعه أنه لم ينكر أحد توحيد الربوبية، ثم نفنّدها بالأدلة بحول الله، كما نبيّن اضطرابه في هذه الدعوى، ونبسط ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اضطراب ابن تيمية وأتباعه حول إقرار الناس كافة بتوحيد الربوبية

في الواقع إن ابن تيمية وأتباعه مضطربون في هذه المسألة وهي إجماع الناس من كل الأمم على وجود الله وعلى توحيده الربوبية؛ حيث إن ابن تيمية وأتباعه لهم عدة آراء مختلفة متباعدة، فتارةً يزعمون أن الناس أجمعين ، والخلائق كافة، والإنس والجن، والكافرين فضلا عن المؤمنين: أقروا بوجود الله بل أقروا بتوحيد الربوبية ولم يشذّ أحد من ذلك، وقد سبقت نصوصهم توّاً في ذلك.

وتارةً أخرى يقرّون بأن هناك من أشرك في الربوبية بل وُجد من أنكر اللهَ أصلا، أما أنه ثمة من أشرك في الربوبية، فعلى الرغم من "أن أكثر الناس لم ينازعوا في هذا الشرك إلا أن

طوائف منهم وقعت فيه كقول بعض المشركين: إن ثم خالقا خلق بعض العالم "[1] و"القبورية مشركون في توحيد الربوبية فضلًا عن توحيد الألوهية"[2]، وبعض المجوس قالوا بوجود قديم غير الله عزَّ وجلَّ هو خالق الشرِّ، أدَّاهم إلى ذلك تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن الشرِّ..حتى التزم بعضهم أنه قديم"[3]، كما أن "كثيرا من أهل الشرك والضلال قد يضيف وجود بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث إلى غير الله "[4] مثل "الذين يجعلون العباد خالقين لأفعالهم، وموجدين لها"[5]. فهم "مشركون بذلك"[6]. بل "ذهب بعض المشركين إلى أن ثمّ خالقا خلق العالم، كما يقوله الثنوية في الظلمة، وكما يقوله القدرية في أفعال الحيوان، وكما يقوله الفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك، أو حركات النفوس أو الأجسام الطبيعية، فإن هؤلاء يثبتون أمورا محدثة بدون إحداث الله إياها، فهم مشركون في بعض الربوبية. وكثير من مشركي الأمم قد يظن في آلهته شيئا من نفع أو ضر، بدون أن يخلق الله ذلك"[7]، وكذلك "غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا وتدبيرا"[8]، وكذلك "الثنوية والمجوس"[9]، فدين المجوس يقول "بأن هناك خالقاً للخير وخالقاً للشر"[10]. وقد أشار القرآن إلى هؤلاء المشركين في الربوبية فقال {أَأَرْبَابٌ

1 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص249 .

2 جهود علماء الحنفية (1/ 280)

3 آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (2/ 312)

4 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 347)

5 شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (2/ 429)

6 شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (2/ 429)

7 الشرك في القديم والحديث ص380.

8 جهود علماء الحنفية (2/ 1182):

9 جهود علماء الحنفية (1/ 117)، و(1/ 206، 217).

10 موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 80)

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} إلى غير ذلك من الآيات التي تكلمت عن هذا الشرك ونسبته لمشركي "أهل الكتاب وقوم إبراهيم وقوم يوسف عليهما السلام"[1]، و"يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله، ويتبرأ كل مدّعٍ من دعواه الباطلة فلا يبقى من يدّعي لنفسه معه شركا في ربوبيته أو إلهيته ولا من يدعي ذلك لغيره بخلاف الدنيا؛ فإنه وإن لم يكن رب ولا إله إلا هو فقد اتُّخذ غيره ربا وإلها وادّعى ذلك مدّعون"[2].اهـ

ويقول ابن تيمية: فإن هؤلاء ونحوهم يثبتون أمورا محدثة **بدون إحداث الله** تعالى إياها؛ فهم مشركون في بعض الربوبية، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئا من هذا، وأنها تنفعه وتضره، **بدون أن يخلق الله** ذلك، فلما كان هذا **الشرك في الربوبية موجودا** في الناس، بيّن القرآن بطلانه[3].وكذلك النصارى فقد "ألّهوا المسيحَ عليه السلام وجعلوه شريكًا لله، وعبدوه من دونه؛ بل وصفوه بأخصّ صفات الألوهية والربوبية من الخلق والرزق والإحياء، والإماتة"[4]، وهو عندهم "**رب الأنبياء وخالقهم** وباعثهم ومرسلهم وناصرهم، ومؤيدهم ورب الملائكة". ويقولون في صلواتهم: "أنت أيها **المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا** وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا"[5]، ويقولون أيضا: "**المسيح إلهنا الذي خلق** السماوات والأرض وما بينهن، والذي أمدّنا بدمه المقدّس ومن عذاب جهنم وقانا"[6].

ولكن يرى ابن تيمية أن كل هؤلاء ـ أي من الثنوية والمجوس والنصارى وغلاة المشركين ـ لم ينازعوا في أصل توحيد الربوبية "**وإنما نازعوا في بعض تفاصيله** كنزاع المجوس والثنوية

1 صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: 453)

2 مجموع الفتاوى (1/ 119)

3 شرح الأصبهانية لابن تيمية (ص: 134)، ت مُحَمَّد بن عودة السعوي، دار المنهاج – الرياض، ط1/ 1430هـ.

4 وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم (ص: 251)

5 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (2/ 492)

6 وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: 251)، رسالة دكتوراة لمحمد باكريم، دار الراية، ط1/ 1994م.

والطبيعية والقدرية، وأمثالهم من ضلال المتفلسفة والمعتزلة ومن يدخل فيهم، **وأما توحيد الإلهية فهو الشرك العام الغالب**"[1]، فهؤلاء على ما "يلزمهم من نوع **تعطيل في الربوبية**" فإنه لم يزعم أحدٌ منهم ولا من غيرهم أن "الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم شاركوا الله في **خلق السموات والأرض**. بل ولا زعم أحد من الناس **أن العالم له صانعان متكافئان** في الصفات والأفعال، بل **ولا أثبت أحد من بني آدم إلها مساويا لله** في جميع صفاته"[2]. بدليل أن أرباب المقالات الذين جمعوا "مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات لم ينقلوا عن أحد **إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات**؛ بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية الذين يقولون بالأصلين النور والظلمة، **وبأن النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر**، ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين: أحدهما: أنها محدَثة فتكون من جملة المخلوقات له، والثاني: **أنها قديمة** لكنها لم تفعل إلا الشر فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور"[3].اهـ و"إن فُرض أن قائلًا يقول، أو يخطر له: إن الفلك ليس بقديم واجب بنفسه، ولا معلول علة قديمة، **بل يقول: حدث بنفسه**، بعد أن لم يكن، **وهذا لا نعلم به قائلًا**، وقد ذكر أرباب المقالات أنهم لم يعلموا به قائلًا، **لكن هو مما يخطر بالقلب** ويوسوس به الشيطان"[4].

قال راقمه ـ عفا الله عنه وعن والديه ـ: كل هذا الاستدراك من ابن تيمية غيرُ مسلّم، فقوله إنّ أحدا لم يزعم أن "الأنبياء والأحبار والرهبان **والمسيح ابن مريم شاركوا الله في خلق** السموات والأرض "غير صحيح، إذ النصارى ـ على الأقل ـ يزعمون ذلك بشهادة ابن تيمية

---

[1] مجموع الفتاوى (2/ 37) و(7/ 75)

2 مجموع الفتاوى (3/ 96)، وانظر جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيمان ص112

3 مجموع الفتاوى (3/ 96)

4 بيان تلبيس الجهمية (1/ 482)

نفسه وأتباعه كما سنرى[1]، وغير مسلّم أيضا قوله "ولا زعم أحد من الناس أن العالم له **صانعان متكافئان** في الصفات والأفعال"، ولا قوله بأن أحدا من أرباب المقالات "لم ينقلوا عن أحد إثبات **شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات** ولا مماثل له في جميع الصفات.."، وقوله بأن الثنوية يقولون إن الظلمة "**لم تفعل إلا الشر، فكانت ناقصة** في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور".

فهذا كله ينقضه قول تلميذه ابن القيم: ومِن تلاعبه ـ أي الشيطان ـ وكيده تلاعبه بالثنوية وهم طائفة قالوا: **الصانع اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويّين حسّاسين مدركَين سميعين بصيرين**..إلى أن يقول: فدار مذهبهم على أصلين من أبطل الباطل أحدهما أن **شر الموجودات وأخبثها وأردأها كفؤٌ لخير الموجودات وضدّ له ومناوئ له يعارضه ويضادّه ويناقضه دائما** ولا يستطيع دفعه[2].اهـ

ثم تبيّن لي أن ابن القيم أخذ هذا الكلام من ابن الجوزي دون أن يشير إليه! حيث يقول الأخير في تلبيس إبليس تحت عنوان "ذكر تلبيسه عَلَى الثنوية": وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة **وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين** وهما مختلفان فِي النفس والصورة متضادان فِي الفعل والتدبير»[3].

بل تبين لي أن ابن تيمية نفسه أقرّ بأن هذا أحد قولي المجوس! حيث قال «هؤلاء كالمجوس القائلين بأن العالم له أصلان: **النور والظلمة، وهما قديمان**، فإن هذا أحد قوليهم، **والآخر أن الظلمة محدثة**»[4].

---

[1] انظر: ص (126 و131)

2 إغاثة اللهفان (2/ 245)

3 «تلبيس إبليس» (ص42)، لابن الجوزي، دار الفكر في بيروت، ط1/ 2001م.

4 «درء تعارض العقل والنقل» (9/ 257)

وأمّا أنّ ثمة من أنكر الله، فقد قال ابن تيمية نفسه "كان **يجحد الصانع** بعضُ الناس"[1]، مثل "شواذّ الفرق من الفلاسفة الدهرية والإسماعيلية ونحوهم أو من نافق فيه من المظهرين للتمسك بالملل"[2]. فحقيقة "قول هؤلاء القول بالدهر **وإنكار الخالق بالكلّية** وقولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر"[3].

"أي **ما ثَمّ خالق** ولا مميت فالحياة والموت عندهم عبارة عن تركب الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وتحلُّلها، فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر، فكذّبهم الله تبارك وتعالى بقوله (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) أي نسبتهم الحياة والموت للطبع والدهر قول بغير علم مبني على الظن والتخمين، لأن من كان طلبه وجدان الحق يكفيه النظر إلى حدوث الحياة في الأجسام الجمادية دليلا على أن **هناك موجدا للحياة** ومنعما بها وهو الله تبارك وتعالى"[4].

"وعلى كلٍ فالملائكة موكّلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: (فالمدبرات أمرا)، وقال: (فالمقسمات أمرا)، ويزعم المكذبون للرسل **المنكرون للخالق** أن النجوم هي التي تقوم بذلك كله، وكَذَبوا، فالذي يدبر ذلك كله الملائكة بأمر الله تعالى"[5].

والدهريّة "**قوم عطّلوا** المصنوعات عن **صانعها**"[6]، فمنهم من قال: "إن الأشياء ليس لها أول البتة..وقالوا: إن العالم دائم لم يزل ولا يزال، لا يتغير، ولا يضمحل"[1]، وإن الله **لم**

---

1 مجموع الفتاوى (7/ 631)

[2] مجموع الفتاوى (7/ 638)

3الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: 641)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: 151)

4 ابن حزم وموقفه من الإلهيات ص140

5 عالم الملائكة الأبرار، د. الأشقر، (ص: 81).

6 إغاثة اللهفان (2/ 255)

"**يخلق السماوات والأرض** في ستة أيام، بل لم تزل السماوات والأرض معه، وجودها مقارن لوجوده، لم يحدثها بعد عدمها ولا له قدرة على إفنائها بعد وجودها"[2]. فما هي إلا "أرحام تدفع، وأرض تبلع"[3]. و"يقولون: **ليس لنا رب يتصرف فينا**، وإنما هذا الوجود إنما هو نتيجة الطبيعة والصدفة! **ليس له رب أوجده وخلقه**، وإنما يتفاعل هذا الوجود بنفسه"[4]، و"من الدهرية طائفة يقال لهم الدورية، **وهم منكرون للخالق** أيضا، ويعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه"[5]. هذا فضلا عن أن "الماديين الملحدين حديثا"6، و"الشيوعيين في عصرنا"[7]، "**يجحدون وجودَ** الله سبحانه وتعالى، ويزعمون أن العالم يسير، وأن المادة خلقت نفسها، **وكذلك الثنوية** من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين، أحدهما للخير وهو النور والثاني للشر وهو الظلمة، **وأهل التثليث من النصارى** الذين يجعلون الآلهة ثلاثة الآب والابن والروح القدس"[8].

هذا على الرغم من أن وجود الله مفطور عليه "ولكن وُجد **من انحرفت فِطرهم فقالوا بأن العالم لم يزل** وهم الدهرية، وقد ردّ القرآن الكريم على هؤلاء بما يضطر العقول إلى

---

1 إغاثة اللهفان (2/ 255)

2 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (1/ 221)

3 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (1/ 221)

[4] إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (2/ 442)

[5] معارج القبول (2/ 776) شرح منظومة الإيمان (ص: 154، ت.ش)

6 ابن حزم وموقفه من الإلهيات ص139

7 المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: 31)، كاملة الكواري، دار ابن حزم، ط1/ 2002م.

8 ابن جرير ودفاعه عن عقيدة السلف ص315

الاعتراف بالحق والرجوع إلى الصواب"[1]، وهكذا "فإننا نجد أنماطا متنوعة من البشر تنوعت مواقفهم من الإيمان بوجود الله ووحدانيته. فمن هؤلاء من **أنكر وجود الله كلية** وقالوا: ليس هناك إله معبود **ولا رب خالق**, كالدهريين..وكالطبيعيين القائلين بأن الطبيعة هي الخالق أو أن الأشياء وجدت هكذا بطبعها، وهم أقرب الطوائف إلى الدهريين"[2].

وهكذا نرى اضطراب ابن تيمية وأتباعه في مسألة إجماع الناس من كل الأمم على وجود الله ووحدانيته في الربوبية وأنه الخالق وحده، **فتارةً يدّعون إجماع الخلق كافة** على ذلك، **وتارةً يقرّون بالخلاف في ذلك**، وأنّ من الناس من أشرك في توحيد الربوبية، بل أقرّوا بأن من الناس من أنكر وجود الله أصلا، وهذا يعني أن الخلاف حدث في توحيد الربوبية كما حدث في توحيد الألوهية سواء بسواء، ولا فرق بين قسمي التوحيد هذين في هذه النقطة كما ترى.

بقي أن نجيب عن قول ابن تيمية بأن أحدا لم يقل بأن العالم حادث "**ولكن حدَث بنفسه**، بعد أن لم يكن، **وهذا لا نعلم به قائلًا**، وقد ذكر أرباب المقالات، أنهم لم يعلموا به قائلًا"[3].اهـ **فهذا غير مسلّم** أيضا إذ ثمة طائفة من المنكرين لوجود الله "**جوّزوا حدوثَ الحادث، لا عن سبب أصلا**، قالوا: فعلى هذا التقدير، لا يبعد أن يقال: الأجسام الفلكية حادثة، إلا أنها **حدثت لا لمؤثر أصلا**، ثم تحركت على وجه خاص، **لا لمؤثر أصلا**. ثم إن حركاتها صارت أسبابا، لحدوث الحوادث، في هذا العالم العنصري"[4]. وسيأتي بسطه[5].

---

1 ابن حزم وموقفه من الإلهيات ص139

2 الوحي والإنسان، قراءة معرفية، د.الجليند، دار قباء (ص: 31).

3 بيان تلبيس الجهمية (1/ 482)

4 المطالب العالية من العلم الإلهي (4/ 364)

5 انظر: ص (87)

المطلب الثاني: أن استدلالات ابن تيمية وأتباعه على إجماع البشرية على وجود الله: غير مسلّمة

استدل ابن تيمية وأتباعه على أنه لا أحد من البشر أنكر وجودَ الله ولا توحيده في الربوبية، استدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول، وإليك بسط ذلك في المراصد الآتية:

المرصد الأول: أدلة ابن تيمية من القرآن على إقرار البشرية كلها بوجود الله

استدل على ذلك بعدة آيات:

الآية الأولى: ألست بربكم

قال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: 172، 173].

فقد دلت الآية على أن "أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم ضروري فيهم"[1]. وذلك أن قولهم "بلى معناه: **أنت ربنا وهذا إقرار بربوبيته لهم وهذا الإقرار** هو شهادة على أنفسهم"[2]،"**بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم**"[3]. وهكذا فقد أفادت "**الآية أن بني آدم بأجمعهم أقروا بالله ربا** بعد أن سألهم عن ذلك وهذا حين كانوا في أصلاب آبائهم وفي عالم الذرّ كما جاءت آثار بذلك"4.

والجواب: أن هذه الآية لا تنهض دليلا على دعوى ابن تيمية، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أن آية الأعراف هذه قد اختلف في تفسيرها اختلافا كبيرا، **يقول القرطبي: وهذه آية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها**، فنذكر ما ذكروه من ذلك

---

1 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 482)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 939)

[2] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 486) وانظر أيضا (8/ 508)

3 جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (1/ 11)

4 انظر: فطرية معرفة الله ص16،د. أحمد معاذ علوان حقي، بحث منشور في المجلة الأحمدية، العدد الرابع، 1420هـ.

حسب ما وقفنا عليه[1].اهـ **وقال السمعاني** من قبله: **في الآية نوع إشكال، وشرحها وتفسيرها** في الأخبار[2].اهـ وفيما يلي تلخيص ذلك:

1) اختُلف في الذين أخذ عليهم الميثاق هل هم الأرواح، أم الأرواح والأجساد، قولان[3].
2) وعلى الأول أي أنه أخرج الأرواح فقط وأشهدهم على أنفسهم: هل حدث ذلك في الجنة أو في الأرض بعد هبوط آدم إليها؟ قولان أيضا[4]، ثم على الثاني أي أنه في الأرض اختُلف أين في الأرض؟ في الهند أم مكة أم في غيرها، أقوال[5].
3) وعلى الثاني أي أنه أخرج الأرواح والأجساد وأشهدهم على أنفسهم، هل حدث هذا في وقت واحد، أو في أوقات؟! قولان: "أحدهما: أنه أخرجهم كالذر وألهمهم هذا فقالوه، قاله الكلبي ومقاتل..**والثاني**: أنه أخرج الذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر"[6]. **والثاني هو ما ذهب إليه السعدي من السلفية** فقال في تفسيره: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن[7].
4) "وفي {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} قولان: **أحدهما: هو أنه دلّهم على أنفسهم بما شهدوه من قدرته,** قاله بعض

---

1 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 375)

[2] تفسير السمعاني (2/ 229)

3 النكت والعيون للماوردي (2/ 277)، الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 375)

4 النكت والعيون (2/ 277).

5 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 378)

6 النكت والعيون (2/ 279) بتصرف يسير

7 تفسير السعدي (ص: 308)، مؤسسة الرسالة.

المتكلمين. **والثاني:** هو إشهادهم على أنفسهم بما اعترفوا من ربوبيته ووحدانيته"، كذا قال الماوردي[1]، والأول ذهب إليه البيضاوي[2] والزمخشري كما سيأتي، ونقله الرازي عن "أصحاب النظر وأرباب المعقولات"3، ومنهم القفّال حيث قال "**دلّهم بخلقه على توحيده،** لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا..فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم"[4]، قال القرطبي "**وقيل:** إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وإنه **جَعل فيها من المعرفة ما علمتْ به ما خاطبها**.قلت: وفي الحديث عن النبي ﷺ غير هذين القولين"[5].اهـ وأشار القرطبي هنا إلى ما دلت عليه بعض الأحاديث من أنهم أقروا به وهم في عالم الذر كما سيأتي، بيد أن السعدي من السلفية ذهب إلى أنه "**قرّرهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم**"[6]، وبدلالة عجيب خلقه "**وآياته الأفقية والنفسية** "[7]، فهذا عنده

---

1 النكت والعيون (2/ 279)

[2] حيث قال في تفسيره (3/ 41): " وأشهدهم على أنفسهم.." **ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم** ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل..اهـ ونحوه قال البيضاوي في تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (1/ 105).

[3] فقال في مفاتيح الغيب (15/ 53): القول الثاني: في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات: إنه تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك الإخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات، وجعلها علقة، ثم مضغة، ثم جعلهم بشرا سويا، وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما رَكّب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه، وغرائب صنعه. فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان، ولذلك نظائر منها قوله تعالى: فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين.اهـ

[4] الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 375)

[5] الجامع لأحكام القرآن (9/ 375)

[6] تفسير السعدي (ص: 308)

[7] تفسير السعدي (ص: 308)

"هو الصواب في تفسير هذه الآيات"[1]، فكأن السعدي جمع بين قولي الماوردي، فذهب إلى أن المراد الاعتراف بالربوبية باللسان كما هو القول الأول، ولكن الإقرار بالربوبية يكون عند الولادة في الدنيا ـ كما سيأتي في الفقرة التالية ـ بما أودعه في فطرهم وبما دلت عليه مصنوعاته تعالى، لا من جهة ما دلت عليه تلك الأحاديث أن هذا الإقرار حدث في عالم الذر، فهذه القول ردّه السعدي كما سيأتي.

5) واختُلف لمن قال ذلك على قولين: "**أحدهما**: أنه قال ذلك للآباء من بني آدم حين أخرج من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم) ليعلمهم أنه خلق ذرياتهم بعد أن لم يكونوا كان هو الخالق لهم لأنهم كانوا ذرية مثلهم لمن تقدمهم، كما صار هؤلاء ذرية لهم فاعترفوا بذلك حين ظهرت لهم الحجة , قاله ابن بحر. **والقول الثاني**: إنه قال ذلك للذرية حين أخذهم من ظهور آبائهم , وهذا قول الأكثرين"[2]. **وهذا الذي قاله ابن بحر ذهب** إليه آخرون، **قال التوربشتي**: وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد من الآية توليد بعضهم من بعض، على مر الزمان، ولو أريد استخراج الذرية من صلب آدم دفعةً واحدة، لكان من حق القول أن يقول: وإذ أخذ ربك من ظهر آدم ذريته[3].اهـ **ونحوه قول البيضاوي**: والمراد من الإخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان[4]. **واختاره السعدي من السلفية، فقال في الآية**: أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن[5].

---

[1] تفسير السعدي (ص: 308)

2 النكت والعيون (2/ 279)

[3] حاشية الطيبي على الكشاف (6/ 652)

[4] تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي، ط/ الكويت (1/ 106).

[5] تفسير السعدي (ص: 308)

6) وعلى الثاني وهو أنه قال للذرية، "قولان: أحدهما: إنه قال لهم: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} **على لسان الأنبياء بعد أن كملت عقولهم**. والثاني: أنه جعل لهم عقولاً علموا بها ذلك فشهدوا به على أنفسهم"[1]. وقال القرطبي: **واختلف في هذه الآية، هل هي خاصة أو عامة؟** فقيل: الآية خاصة، لأنه تعالى قال: ‘‘من بني آدم من ظهورهم ’’فخرج من هذا من كان من ولد آدم لصلبه.وقال جل وعز: (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل) **فخرج منها كل من لم يكن له آباء مشركون. وقيل: هي مخصوصة فيمن أخذ عليه العهد على ألسنة الأنبياء**. وقيل: بل هي عامة لجميع الناس، لأن كل أحد يعلم أنه كان طفلا فغُذِّي ورُبّي، وأن له مدبرا وخالقا، فهذا معنى "وأشهدهم على أنفسهم "[2]. "وقال بعض المفسرين عن علماء السلف: إن الكل قالوا: بلى، لكن المؤمنين قالوا: بلى طوعا، وقال الكافرون كرها، وهذا معنى قوله – تعالى –: {وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها}"[3].

7) اختُلف في فاعل "شهدنا" على أربعة أقوال: **الأول**: الملائكة وهو قول الضحاك والكلبي. وفي حديث مرفوع عند الطبري "..فقال لهم ألست بربكم؟ قالوا بلى، **قالت الملائكة**: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين "[4]. **والثاني**: بنو آدم، قال القرطبي: "قال ابن عباس وأبي بن كعب: قوله "شهدنا"هو من قول بني آدم، والمعنى: شهدنا أنك ربنا وإلهنا، وقال ابن عباس: أشهد بعضهم على بعض، فالمعنى على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على

---

1 النكت والعيون (2/ 279)

2 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 379)

3 تفسير السمعاني (2/ 230)

4 جامع البيان ط هجر (10/ 552)، وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ط/هجر (6/ 658) أن هذا الحديث أخرجه أيضا ابن منده في كتاب الرد على الجهمية. وانظر أيضا فتح القدير للشوكاني (2/ 300).

بعض"[1]. **والثالث**: الله وملائكته، وهو قول السدي[2]، روى الطبري بسنده عن السدي قال: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته إذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى[3].اهـ **والرابع**: أن المقصود هو الله، وهو الذي ذهب إليه السمرقندي[4] والسمين الحلبي[5]، ومال إليه أبو حيان حيث صدّره فقال: أي قال الله شهدنا عليكم أو قال الله والملائكة قاله السدّي، أو قالت الملائكة أو شهد بعضهم على بعض أقوال[6].

8) وجاءت أحاديث مرفوعة وموقوفة فسّرت الآية على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميّز بين أهل الجنة وأهل النار، ومن ذلك حديث الموطأ أن النبي سئل عن آية الأنعام هذه فقال: «إن الله تبارك وتعالى خلق آدم. **ثم مسح ظهره بيمينه. فاستخرج منه ذرية. فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون**.ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية. فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون»[7]. وروى الطبري بسنده عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ‘‘لما خلق الله آدم، أخذ ذريته من ظهره مثل الذرّ، فقبض قبضتين، **فقال لأصحاب اليمين: ادخلوا الجنة بسلام، وقال للآخرين: ادخلوا النار**

---

1 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 382)

2 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 381)، وانظر: ترجيحات أبي حيان في التفسير من أول سورة الأعراف إلى آخرها 457/1، أطروحة دكتوراة للباحثة فريدة الغامدي بجامعة أم القرى لعام 1428هـ.

3 جامع البيان ط هجر (10/ 563)

4 بحر العلوم 576/1

5 الدر المصون 513/5

6 تفسير البحر المحيط (4/ 420)، وترجيحات أبي حيان في تفسيره (سورة الأعراف)، 457/1.

7 موطأ مالك ت الأعظمي (5/ 1322)

ولا أبالي "[1]، ثم ذكر الطبري روايات أخرى كثيرة مشابهة عن ابن عباس، وثمة أحاديث[2] وآثار[3] أخرى عن غيره في هذا المعنى.

وعلى هذا التفسير الأخير فآية الميثاق وحديث الموطأ الذي فسّرها كلاهما يتكلمان عن مسألة أخرى، وهي القدَر، ولذا أورد مالك هذا الحديث في باب القدر، قال ابن تيمية: "وهذا الحديث ونحوه فيه فصلان: أحدهما: **القدَر السابق، وهو أن الله سبحانه علم أهل الجنة** من أهل النار **من قبل أن يعملوا الأعمال** وهذا حق يجب الإيمان به"[4] وأطال في ذلك، فالحديث "**يقتضي أنه سبق الكتاب بما يعمل وبما يصير إليه، وأنه قد سبق الكتاب بأن يعمل في أول عمره عملا صالحا،** ثم في آخره عملا سيئا، ثم يموت عليه وينقلب إليه وقد سبق الكتاب بأن يعمل في أول عمره عملا سيئا وفي آخره عملا صالحا، ثم يموت عليه فيصير إليه"[5]. ولذلك قال القرطبي في آية الأنعام كما سبق، "وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذين القولين"، ثم ساق حديث الموطأ هذا.

فهذه ثمانية اختلافات في تفسير الآية، بعضها قد لا يؤثر كالأول والثاني، وبعضها يؤثر على استدلال ابن تيمية به كالاختلاف الرابع، وهو أن المراد بأشهدهم "**دلّهم على أنفسهم بما شهدوه من قدرته** "، وأنه "**جَعل فيها من المعرفة ما علمتْ به ما خاطبها**"،

---

1 جامع البيان ط هجر (10/ 549)

2 انظرها في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (1/ 113)، الحديث رقم: 48، 49، 50. وانظر: مسند أحمد ط الرسالة (29/ 206)

3 جاء في الصواعق المرسلة لابن القيم (ص: 147): وقال عبدالله بن عمرو ولما خلق الله آدم نفضه نفض المزود فخرج منه مثل الذر فقبض قبضتين فقال لما في اليمين في الجنة ولما في الأخرى في النار.. وقال سلمان الفارسي إن الله تعالى خمر طينة آدم أربعين ليلة أو أربعين يوما ثم ضرب بيده فيها فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بيده الأخرى ثم خلط بينهما.

[4] مجموع الفتاوى (8/ 66)

5 المنتقى – شرح الموطأ (4/ 278)

أي أن قضية الإشهاد وما أجابوا به كلاهما مجاز، **وكذا الاختلاف السادس** أن المقصود بـ {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} أنه قال لهم ذلك على لسان الأنبياء بعد أن كملت عقولهم، أو أنه جعل لهم عقولاً علموا بها ذلك فشهدوا به على أنفسهم، أو أنه خاصّ بولَد آدم من صلبه أو بمن أخذ عليهم العهد على لسان الأنبياء، أو هي عامة لجميع الناس، لكن معنى الآية أن الإنسان يعلم أنه كان طفلا فغُذّي ورُبّي، وأن له مدبرا وخالقا. و**كذا الاختلاف الثامن،** فالآية تتكلم عن مسألة أخرى وهي مسألة القدر كما سبق.

فلدينا على الأقل ثلاثة خلافات مؤثرة على استدلال ابن تيمية بالآية، وغاية ما يمكن أن يقال أن ما استنبطه ابن تيمية من الآية هو أحد أوجه عديدة قيلت في تفسير الآية، بل لا يصح استدلال ابن تيمية بالآية على الوجه الذي اختاره هو نفسه لما سيأتي!

قد يقال: يُسلّم أن الآية مختلف في تفسيرها كما سبق، **ولكن المعنى الذي ذكره ابن تيمية هو المرجح لأمرين: الأول:** أن هذا حمل للآية على الحقيقة "خلافا للمعتزلة، حيث حملوا الآية والحديث على المعنى المجازي"[1]، لأن الأصل الحقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا إن تعذرت الحقيقة[2]، وبالتالي فلا يصار إلى حمل هذه الآية على معنى مجازي وهو: أنه دلّهم على أنفسهم بما شهدوه من قدرته. وهو ما ذهب إليه **الزمخشري** فقال: "قالوا: بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيّته ووحدانيّته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم.."، ولذا ردّ عليه ابن المنير بأن "الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره

---

1 منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص147، وانظر: ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1/ 129، مساعد مطرفي، رسالة ماجستير في جامعة القرى، لعام 2002م.

2 انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 96/13 دار إحياء التراث العربي؛ ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 60/2 عيسى الحلبي، وانظر : البحر المحيط للزركشي 181/2 ؛ وتيسير التحرير لأمير بادشاه 74/2 ، وإرشاد الفحول للشوكاني 291/1 ، عمدة القاري للعيني و111/6 ، و157/23 ، 158 ؛ تهذيب الفروق والقواعد السنية لمحمد المكي المالكي 91/3 دار الكتب العلمية ، المحيط البرهاني لبرهان الدين مازه 724/2 دار إحياء التراث العربي.

على ما هو عليه، فلذلك أقرّه الأكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالا"[1]، وكذلك ردّ الرازي على المعتزلة في تأويلهم للآية، فقال بأنهم "أطبقوا على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه، واحتجّوا على فساد هذا القول بوجوه"[2]، ثم سردها وفندها[3]، وكذا فعل غيره[4]، وهي في مجملها وجوه عقلية قائمة على أصولهم في التحسين والتقبيح العقليين، ووجوب الصلاح والأصلح، ونحو ذلك.

الأمر الثاني: أن هذا التفسير للآية الذي ذكره ابن تيمية مأثور عن النبي وأصحابه، ولذا قال **ملّا علي القاري** في بعض أحاديث الباب: وفي هذا الحديث دليل بيّن على أن إخراج الذرية كان حقيقيا[5].اهـ و**قال الشوكاني** في تفسيره لآية الأنعام حيث قال: "والمعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذرّ، **وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره، لثبوته مرفوعا إلى النبي صلى** الله عليه وسلم، وموقوفا على غيره من الصحابة **ولا ملجأ للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل**"[6].اهـ

و"الواجب على المفسّر المحقق ألا يفسر كلام الله المجيد برأيه، إذا وجد من جانب السلف الصالح نقلاً معتمداً، فكيف بالنصّ القاطع من جناب حضرة الرسالة صلوات الله

---

1 انظر حاشية ابن المنير الكشاف/ دار الكتاب العربي (2/ 176)، وانظر حاشية الطيبي على الكشاف (6/ 653)

2 التفسير الكبير للرازي (15/ 50)

3 التفسير الكبير للرازي (15/ 50)

4 وقد بسط ذلك السيوطي في حاشيته على البيضاوي (3/ 449)، وانظر أيضا مفاتيح الغيب (15/ 55)، حاشية الطيبي على الكشاف (6/ 651)

5 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 192)

6 فتح القدير للشوكاني (2/ 299)، وكذا في فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (5/ 70)

على صاحبها"[1] فقد "**صحّت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه فسّر هذه الآية** بهذا الوجه والطعن في تفسير رسول الله غير ممكن..**فثبت إخراج الذرية من ظهور** بني آدم بالقرآن، وثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، وعلى هذا التقدير: فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب المصير إليهما معا **صونا للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان**"[2]، ولاسيما أنه قد قيل "ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك"[3]، فضلا عن أنه "قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والكلبي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه أبصر آدم في ذريته قوما لهم نور..[4]اهـ

والجواب: كلاهما غير مسلّم: أما الأول . وهو أنْ حمل الآية على الحقيقة أولى من حمله على المجاز .: فالجواب أنه مجاز ولكنه مقترن بما يدلّ عليه ويصرفه عن الحقيقة، قال البيضاوي: "وأشهدهم على أنفسهم..ونصب لهم دلائل ربوبيّته، وركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ألست بربكم قالوا بلى، فنزل تمكينهم من العلم بها، وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل، ويدلّ عليه قوله: أن تقولوا يوم القيامة أي كراهة أن تقولوا: "إنا كنّا عن هذا غافلين" لم نُنَبَّه عليه بدليل[5].اهـ قال القونوي: وجه الدلالة ما أشار إليه بقوله "لم ننبّه عليه بدليل"وما نبّه عليه بدليل ربوبيته تعالى والكراهة عن قولهم هذا يوم القيامة، وانتفاء المعذرة لهم إنما يناسب نصب الدلائل وتمكينهم

---

1 (حاشية الطيبي على الكشاف) (6/ 656)

2 التفسير الكبير للرازي (15/ 55)

3 فتح البيان في مقاصد القرآن (5/ 71) لصديق حسن خان، نقلا من خان عن صالح المقبلي في الأبحاث المسددة .

[4] التفسير الكبير للرازي (15/ 50)

[5] تفسير البيضاوي 3/ 41.

من العلم بها، وتمكنهم بها بإحداث القوى والعقل السليم لا بمجرد قوله "ألست بربكم "وإجابتهم بقولهم "بلى"[1].اهـ

بل هذا السعدي ـ من السلفية ـ يقول في تفسيره بعد أن صوّب أن المراد هو الإقرار بالربوبية حين يولدون بحكم فطرتهم، وبما دلهم عليه عجيبُ صنعه تعالى كما سبق: **"وقد** قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتجّ عليهم بما أقرّوا به في ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك. فإن هذا العهد والميثاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم كالذرّ، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتجّ الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟"

ثم إن كان هذا المعنى مجازيا فالمعاني الأخرى التي حملت الآية عليها ليس مجازية. على أن الطيبي قال: **وهذا الذي ذهبوا إليه في تأويل حديث عمر ﷺ تأويل حسن مستقيم، لولا مخالفته حديث ابن عباس،** وهو ما رواه عن النبي ﷺ أنه قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان.."وهذا الحديث مخرج في كتاب أبي عبد الرحمن النسائي. فهذا الحديث لا يحتمل من التأويل ما يحتمله حديث عمر ﷺ، لظهور المراد منه. ولا أراهم يقابلون هذه الحجة إلا بقولهم: إن حديث ابن عباس من جملة الآحاد فلا يلزمنا إن تركنا أن نترك به ظاهر الكتاب"2 **قال وليد:** بيد أن حديث ابن عباس الذي امتنع الطيبي بسببه من تأويل الآية: فيه مقال كما سنرى.

أما **الثاني:** وهو "أن هذا التفسير للآية الذي ذكره ابن تيمية مأثور عن النبي وأصحابه" فَيَرِدُّ عليه أمران:

---

[1] حاشية العصام القونوي على تفسير البيضاوي 8/ 544، دار الكتب العلمية.

2 حاشية الطيبي على الكشاف (6/ 653)

الأمر الأول: أن كثيرا من الأقوال الأخرى أيضا مأثورة، ولاسيما القول الثامن، فقد دلّ عليه حديث الموطأ السابق، بل حمل الآية على المجاز كما في القول الرابع منقولٌ عن الحسن البصري من السلف كما ذكر ذلك ملّا علي القاري[1].

الأمر الثاني: أن **الأحاديث والآثار المذكورة في تفسير الآية فيها مقال بما في ذلك المعنى الذي اختاره ابن تيمية والشوكاني**، فإن أشهر حديث في هذا المعنى هو ما أخرجه أحمد وغيره عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرّ، **ثم كلّمهم قبلا» قال: ألست بربكم قالوا بلى**..[2]. قال الشوكاني: وإسناده لا مطعن فيه. وقد أخرجه ابن أبي حاتم موقوفا على ابن عباس[3].اهـ

قلت: بل فيه مطعنان **الأول**: أنه اختُلف في رفعه ووقفه، وقد أشار الشوكاني إلى ذلك بنفسه بقوله: ‘‘وقد أخرجه ابن أبي حاتم موقوفا على ابن عباس"، وذكر الحافظ ابن كثير أن الأكثر والأثبت وقفه على ابن عباس[4]. **الثاني**:أنه فيه كلثوم بن جبر، وهو وإن كان من رجال

---

[1] ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1/ 124.

2 انظر مسند أحمد ط الرسالة (4/ 267)، وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (202) ، والنسائي في "الكبرى" (11191) ، والطبري 110/9-111، وابن أبي حاتم في "تفسيره"، والحاكم 544/2، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص 326-327

3 فتح القدير للشوكاني (2/ 300)

4 فقال ابن كثير في تفسيره 436/6، ط/قرطبة: وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت.اهـ وانظر: ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1/ 123، والله أعلم.

مسلم، ووثّقه أحمد وابن معين، وذكره ابن حبان في "الثقات"، لكن قال **النسائي** بعد أن أخرج الحديث: **وكلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ**[1].

وعلى التسليم بصحّته فقد عارضته أحاديث أخرى كحديث الموطأ السابق''إن الله تبارك وتعالى خلق آدم. ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية. فقال: خلقت هؤلاء للجنة..''وغيره، وبالمناسبة فحديث الموطأ هذا أيضا فيه مقال[2]، وبعضهم صحّحه لوروده من طرق كثيرة كما قال ابن عبد البر[3].

وثمة حديث آخر استدلّوا[4] به لحمل الآية على الحقيقة، وهو ما رواه الترمذي[5] عن أبي هريرة مرفوعا "لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال:

---

1 السنن الكبرى للنسائي/ الرسالة (10/ 102)، وانظر مسند أحمد ط الرسالة (4/ 267)

2 وقد أخرجه الترمذي (3075)، ثم قال:"حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً". وأما الحاكم فقال: "صحيح على شرطهما"! وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: فيه إرسال". ولذا ضعفه الألباني، ونقل كل هذا وبيّن ما فيه من علل أخرى، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (7/ 71). وقال ابن عبد البر في " التمهيد " 6 / 3: هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد، لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب.. إلى أن يقول: وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعاً غيرمعروفين بحمل العلم ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها.اهـ وبيّن الدارقطني في " العلل " 2 / 222 ما فيه من وصل وإرسال ونحو ذلك، وأشار إلى طرف من ذلك ابن تيمية في دقائق التفسير (2/ 168)، وقد توسع في الكلام على الحديث مشهور آل سلمان في حاشيته على إعلام الموقعين (5/ 220). والله أعلم

3 " التمهيد " 6 / 6، وانظر الحاشية السابقة.

4 شرح الطحاوية لابن أبي العز ت الأرناؤوط/ الرسالة (1/ 306)، معارج القبول (1/ 85).

5 سنن الترمذي (5/ 267) وقال حسن صحيح.

أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك[1].."**قلنا** مع التسليم بصحة الحديث فإنه "لا تعلق له بالآية، ولم يذكر فيه حديث الميثاق والإشهاد، وإنما ذكر فيه أن الله تعالى مثل لآدم ذريته، وعرضهم عليه. وهذا غير ذلك"[2].

نعم ثمة حديث آخر أشار إليه الشوكاني بقوله: وأخذ العهد عليهم كما في حديث أنس مرفوعا في الصحيحين وغيرهما[3]. ولفظ الحديث: (إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد **سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك)**[4]. **قال الحافظ**: "وأنت في صلب آدم "فإن فيه إشارة إلى قوله تعالى: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم..} الآية[5].اهـ "يريد به قوله تعالى: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى}، **وهذا يدلّ على أن القول محمول على الحقيقة، لا كما قيل: إنه ينصب الأدلة"**[6].اهـ

قلنا: نعم، هذا حديث صحيح لا غبار عليه، ولكن **أولا**: ليس فيه كيف أخذ عليهم العهد، أو بالأحرى لا تفسير فيه لآية الميثاق وإنما يقتبس منها فحسب، وغاية ما فيه قوله "**وأنت في صلب آدم** "في حين أن الآية "من بني آدم من ظهورهم" والصلب والظهر

---

1 وتتمّته "فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال : أي ربِّ من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال ستين سنة قال : أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته".

2 حاشية الطيبي على الكشاف (6/ 652)

3 فتح القدير للشوكاني (2/ 301)

4 صحيح البخاري بتحقيق د.البغا (3/ 1213)، ولفظ صحيح مسلم (4/ 2160): فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك – أحسبه قال: ولا أدخلك النار – فأبيت إلا الشرك".

5 فتح الباري لابن حجر (6/ 369) وانظر: ، إرشاد الساري (5/ 325)

6 الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (6/ 235)

مترادفان، قال القرطبي في قوله تعالى: { يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ **الصُّلْبِ** وَالتَّرَائِبِ}: (يخرج) أي هذا الماء **(من بين الصلب) أي الظهر**[1].

ثانيا: أن الحديث حجّة على ابن تيمية، إذ قوله ''**أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك** ''لا يخلو أن المقصود بالشرك فيه إما أن يكون هو الشرك في توحيد الربوبية أو الشرك في توحيد الألوهية، فإن كان الأول فيفيد أن الشرك في توحيد الربوبية وقع بين البشر لقوله "فأبيت إلا الشرك'' أي: امتنعت إلا الشرك أتيت به[2].اهـ وهذا خلاف نظرية تقسيم التوحيد أن توحيد الربوبية "قد أقرّ به المشركون، ولم ينكره أحد من بني آدم"3، وإن كان المقصود به الثاني أي توحيد الألوهية فتكون الآية تتحدث عن توحيد الألوهية، وهذا خلاف استدلال ابن تيمية بالآية إذ هو يستدل بها على أن الناس مفطورون على الإقرار بتوحيد الربوبية، حيث قال كما سبق "فقولهم: بلى معناه: **أنت ربنا وهذا إقرار بربوبيته لهم"، وقال: ''الآية أن بني آدم بأجمعهم أقرّوا بالله ربا** بعد أن سألهم عن ذلك".

الوجه الثاني: على التسليم بأن هذا المعنى الذي ذكره ابن تيمية هو المتعين والمأثور فقط، وهو أن كل إنسان أقرّ في عالم الذر بأن الله ربّه، فلا دلالة فيه على المدّعى، وذلك لما يلي:

أولا: لأنه ليس في الآية توحيد، وإنما فيها الشهادة بالربوبية فحسب.

ثانيا: على التسليم بأنهم أقرّوا بتوحيد الربوبية فليس في الآية أن هذا الإقرار سيقترن مع الإنسان طول عمره، وأنه لن يفارق هذا الإيمان؛ بل الآية تقرر عكس ذلك، حيث أفادت أن هذا الميثاق أُخِذ عليهم من باب إقامة الحجة عليهم فيما إذا أنكروا وجوده أو أشركوا به

---

1 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (22/ 206)

2 عمدة القاري (15/ 294)

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

في الربوبية، فيقول لهم يوم القيامة: كيف أنكرتم وجودي أو كيف أشركتم بي وكنتم قد شهدتم بربوبيتي وبوحدانيتي؟ وهذا قرّره الشوكاني نفسه، حيث قال: "أن تقولوا..''كراهة أن يقولوا أو لئلا يقولوا، أي: فعلنا ذلك الأخذ والإشهاد كراهة أن يقولوا يوم **القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أي: عن كون الله ربنا وحده لا شريك له"**[1]، أو "كراهة أن تعتذروا بالغفلة، أو تنسبوا الشرك إلى آبائكم دونكم، و(أو) [2] لمنع الخلو دون الجمع، فقد يعتذرون بمجموع الأمرين"[3]، **وبيّن ذلك السعدي** بأوضح من هذا فقال: {أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} أي: **قرّرهم بإثبات ربوبيته،** بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم. قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم. فكل أحد فهو مفطور على ذلك، **ولكن الفطرة قد تُغيّر وتُبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة**[4].

ثالثا: أنه جاءت بعض الآثار التي تفسر آية الأعراف تفيد أنّ الله جعلهم يقرّون بتوحيد الربوبية وبتوحيد الألوهية كليهما؛ منها ما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب موقوفا عليه، وفيه: وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم؟..**اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئا،** وإني سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: **شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك،** فأقرّوا

---

1 فتح القدير للشوكاني (2/ 300)

2 أي التي في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) **أَوْ** تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: 172، 173].

3 فتح القدير للشوكاني (2/ 300)

[4] تفسير السعدي (ص: 308)

بذلك[1]. **وروى الطبري** بسنده عن ابن عباس موقوفا «أن الله مسح صلب آدم، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وأخذ منهم الميثاق **أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا**، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأول..»[2]، **وقد استدلّ بكلا الأثرين السهسواني** فقال بأن المقصود بالآية: "**ألست بربكم وإلهكم؟** يدلّ عليه أثر ابن عباس: إن الله مسح صلب آدم..وأثر أبي بن كعب..فسردهما ثم قال: "ذكر هذين الأثرين **الحافظ ابن كثير** في تفسيره، وقال أيضاً ـ أي ابن كثير ـ فيه: يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم **شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه**"[3].

فإن اعتبرتم أن آية الأعراف وما معها من آثار دلّت على أن الناس أجمعين أقروا بتوحيد الربوبية في عالم الذرّ، فإنها دلّت أيضا على أنهم أقروا بتوحيد الألوهية بناء على هذه الآثار، **أي أن الناس أجمعين أقروا في عالم الذر بالتوحيد في الربوبية والألوهية! ويولدون مفطورين على ذلك!! وغاية ما في الأمر أن فطرهم تنحرف بعد ذلك**؛ إمّا بفعل الأبوين أو غيرهما، فينقض بعضُهم هذا العهدَ فيشرك بالله إما في الألوهية أو في الربوبية أو في كليهما كما سبق بيانه، هذا إن سلّمنا بالفرق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية، وهذا النقض نصّ عليه

---

1 قال محققو مسند أحمد ط الرسالة (35/ 156):أثر ضعيف، مُحَمَّد بن يعقوب الربالي –بالراء– روى عنه عبد الله بن أحمد وأبو زرعة الرازي، ولم يؤثر توثيقه عن أحد، وقال الهيثمي عنه في "المجمع" 25/7: مستور. وأخرجه الضياء في "المختارة" (1158) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد. وأخرجه مطولا الطبري 115/9، والحاكم 323/2-324، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (991) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص368 من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، به. إلا رواية البيهقي فمختصرة بقصة مريم، ورواية الطبري لم يذكر فيها القصة. وأبو جعفر الرازي ضعيف.

2 جامع البيان ط هجر (10/ 551)

3 صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: 446)، وانظر تفسير ابن كثير (6/ 433)

في الحديث السابق "**سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك** "، ونصّ عليه أثر ابن عباس وفيه"، ومن أدرك الميثاق الآخر **فلم يفِ به لم ينفعه الميثاق الأول** "وكذا نصّ عليه المفسّرون في تفسيرهم لآية الأعراف السابقة، فقال الرازي وكذا السمعاني: ثم قال لهم: ألست بربكم قالوا: بلى..وقال تعالى **فيمن نقض العهد الأول: وما وجدنا لأكثرهم من عهد**[1].

والحاصل أن آية الأعراف محتملة لمعان كثيرة سوى المعنى الذي اختاره ابن تيمية ومن وافقه! حتى على المعنى الذي اختاره فإنه لا يصح له الاستدلال بها؛ إذ الآية تتكلم عن إقرارهم بربهم في ذلك الميثاق الأول، وليس فيها أنهم يستمرون على هذا الإقرار؛ بل فيها وفي بعض الآثار أن بعضهم ينقضون ما أقروا به في ذلك الميثاق، ولاسيما أنهم أقرّوا أيضا ـ حسب بعض الآثار ـ في ذلك الميثاق بأنه لا إله إلا الله وبأن لا يعبدوا سواه، وهذا الميثاق قد نقضه كثير من الناس قطعا، فدلّ على أنّ ما أقروا به في ذلك الميثاق ليس بالضرورة أن يلازمهم في حياتهم الدنيا.

---

1 التفسير الكبير للرازي (15/ 50)، تفسير السمعاني (2/ 230)

الآية الثانية: أفي الله شك

قال تعالى { قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم: 10]، قال ابن تيمية: وكذلك قول الرسل {أفي الله شك} هو نفي أي ليس في الله شك. وهو استفهام تقرير يتضمن تقرير الأمم على ما هم مقرون به من أنه ليس في الله شك فهذا استفهام تقرير[1].

والجواب ما قاله **ابن كثير**: **"أفي الله شك"وهذا يحتمل شيئين: أحدهما: أفي وجوده شك فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به** فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة **ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه "فاطر السماوات والأرض" الذي خلقهما وابتدعهما** على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه; **والمعنى الثاني في قولهم "أفي الله شك "أي أفي إلهيّته وتفرّده بوجوب العبادة** له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له فإن غالب الأمم كانت مقرّة بالصانع ولكن تعبد معه غيره[2].

فالآية فيها قولان؛ حاصل الأول: أنه لا شك في وجود الله وتوحيده في الربوبية، وهو ما اختاره ابن تيمية فقال: "وهذا استفهام إنكار بمعنى النفي، والإنكار على من لم يقرّ بهذا النفي، والمعنى: ما في الله شك، **وأنتم تعلمون أنه ليس في الله شك، ولكن تجحدون انتفاء الشك جحودا** تستحقّون أن ينكر عليكم هذا الجحد؛ **فدلّ ذلك على أنه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين، وهذا يبيّن أنهم مفطورون على الإقرار**"[(3)]، وحاصل الثاني: أنه

---

1 مجموع الفتاوى (16/ 339)، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 939)

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (8/ 183)

[(3)] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 441)

لا ريب في إلهيته ووجوب عبادته وحده، والثاني هو ما ذهب إليه الطبري فقال: "أفي الله أنه المستحقّ عليكم أيها الناس الألوهة والعبادة دون جميع خلقه، شك؟"[1].

وليس في الآية أن الناس لن يشركوا في الربوبية كما أنه ليس فيها أنهم لن يشركوا في الألوهية، ولو كانت الآية قد دلّت ـ بحسب القول الأول الذي اختاره ابن تيمية ـ على إجماع الخلق على وجود الله وتوحيده في الربوبية فإن نفس الآية دلت ـ بحسب القول الثاني الذي ذهب إليه الطبري ـ أن توحيد الألوهية محل إجماع بين البشر، وأنه لا أحد أشرك في العبادة، وهذا خلاف مذهب نظرية تقسيم التوحيد.

وإنما المقصود بالآية أن الله لا شك في ربوبيته ولا في ألوهيته من حيث المبدأ، وإلا فالإنسان قد يعتريه الشك بل الإنكار لأحد الأمرين أو حتى لكليهما، فيشك في ربوبية الله أو في ألوهيته، أو يشك في كليهما، بل قد ينكر أحدهما أو كليهما وينكر اللهَ من أصله كما سيأتي(2)، فيحتاج إلى ما يزيل ذلك الشك والإنكار بالتعليم ونحوه، وهذا أشار إليه ابن تيمية نفسه كما سيأتي حين قال:..وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثير منهم في حصول ذلك إلى سبب معين للفطرة: كالتعليم والتخصيص، فإن الله قد بعث الرسل وأنزل الكتب ودعوا الناس إلى موجب الفطرة: من معرفة الله وتوحيده فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة، وإلا استجابت لله ورسله لما فيها من المقتضى لذلك..فحصول موجب الفطرة سواء توقف على سبب وذلك السبب موجود من خارج أو لم يتوقف على التقديرين يحصل المقصود، ولكن قد يتفق لبعضها فوات الشرط أو وجود مانع فلا يحصل مقصود الفطرة (3). وسيأتي كلامه بتمامه4.

---

1 جامع البيان ط هجر (13/ 609)

(2) انظر: ص (21 و88)

(3) درء تعارض العقل والنقل (8 / 461)

[4] انظر: ص (60)

استدلّ ابن تيمية وأتباعه على أن الإقرار بالله أمر فطري بعدة أحاديث من السنة، نوردها فيما يلي مع المناقشة:

الحديث الأول: (كل مولود يولد على الفطرة)

استدلّ بما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله} [الروم: 30].

وجه الدلالة أن ابن تيمية يرجّح أن المقصود بالفطرة هنا "فطرة الإسلام، وذكر أن الأدلة العقلية تدل على صدق ما أخبر به النبي ﷺ من أن كل مولود يولد على الفطرة..وذلك يقتضي أن هذه المعرفة من لوازم نشأتهم، وأنه لم ينفكّ عنها أحد منهم"[1] ليخلص ابن تيمية إلى القول بأن "في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والايمان به"2. وهكذا يرى ابن تيمية من خلال هذا الحديث وغيره **أن توحيد الربوبية "أدلته فطرية بدهية، وأن جميع بني آدم مفطورون على الإقرار به"**[3]، "فجميع الخلائق يقرّون بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، والنزاع والخصومة بين الأنبياء والرسل في هذا التوحيد، وهو توحيد الألوهية والعبادة"4.

والجواب من وجهين: الوجه الأول: أن "الفطرة المذكورة في هذا الحديث **اختلف العلماء فيها، واضطربوا في معناها وذهبوا في ذلك مذاهب متباينة** "كما قال ابن عبد البر

---

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 868)

2 درء التعارض (8/458-459)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (1/ 257) .

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 975) وانظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص109.

4 شرح الطحاوية للراجحي (ص: 9، ت.ش)

ثم بسط "ما جاء فيه من الآثار واختلاف الأقوال والاعتلال عن السلف والخلف"[1] **بل** "اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة"2 **نذكر منها ما يلي:**

1) قول حمّاد بن سلمة "المراد أن ذلك حيث أخذ الله عليهم العهد، حيث قال ألست بربكم قالوا بلى، ونقله ابن عبد البر عن الأوزاعي وعن سحنون ونقله أبو يعلى ابن الفراء عن إحدى الروايتين عن أحمد، وهو ما حكاه الميموني عنه وذكره ابن بطة"[3]، فيأتي هنا كل ما قيل في آية الميثاق "ألست بربكم"من أقوال سبقت.
2) و"منها قول ابن المبارك إن المراد أنه يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة فمن علم الله أنه يصير مسلما ولد على الإسلام، ومن علم الله أنه يصير كافرا ولد على الكفر، فكأنه أول الفطرة بالعلم "4. وهو رواية عن أحمد؛ فقد نقل "مُحَمَّد بن يحيى الكحال أنه سأله فقال: هي التي فطر الناس عليها شقي أو سعيد"[5]. "قال المروزي: وقد كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه، قال ابن عبد البر: **ما رسمه مالك في موطئه،** وذكره في أبواب القدر فيه من الآثار ما يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا"[6]

---

1 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (18/ 66)

2 فتح الباري (3/ 248)

[3] فتح الباري لابن حجر (3/ 249)

4 فتح الباري لابن حجر (3/ 249)، التمهيد (18/ 78) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 386)، غريب الحديث للقاسم بن سلام (2/ 22)، الغريبين في القرآن والحديث للهروي (5/ 1460)، النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 300).

5 شفاء العليل لابن القيم، دار الفكر (ص: 284).

6 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 389)

3) "ومنها أن المراد بالفطرة الخلقة أي يولد سالما لا يعرف كفرا ولا إيمانا، ثم يعتقد إذا بلغ التكليف، ورجّحه ابن عبد البر"[1]، وانتصر له وأطال في ذلك، وكان مما قال: "**ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفراً أو إيماناً**، لأن الله أخرجهم في حالٍ لا يفقهون معها شيئاً، قال الله تعالى: (والله أخرجكم من **بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**)، **فمن لا يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان، أو معرفة أو إنكار**"2، **وإليه ذهب ابن عطية** حيث قال في تفسيره: واختلف الناس في «الفطرة"ها هنا، فذكر مكي وغيره في ذلك جميع ما يمكن أن تصرف هذه اللفظة عليه، وفي بعض ذلك قلق، **والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة** في نفس الطفل التي هي معدة مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به[3].اهـ

4) ومنها ما حكاه "أبو عبيد أنه سأل مُحَمَّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة عن ذلك فقال كان **هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض وقبل الأمر بالجهاد**، قال أبو عبيد: كأنّه عنى أنه لو كان يولد على الإسلام فمات قبل أن يهوده أبواه مثلا لم يرثاه، **والواقع في الحكم أنهما يرثانه فدلّ على تغير الحكم**"[4].

5) **ومنها أن المراد بالفطرة الإسلام، وهو ما اختاره ابن تيمية** وانتصر له بما حاصله بثلاثة أمور، أُوردها مع الجواب عليها بشكل مختصر:

---

1 فتح الباري (3/ 250)

2 التمهيد 59/18. وقال في التمهيد أيضا (18/ 68): .. **الفطرة الخلقة** والفاطر الخالق بقول الله عز وجل: الحمد لله فاطر السماوات والأرض يعني خالقهن .. وإنما يولد المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعا وبنية **ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة، ثم يعتقدون الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا .. قال أبو عمر: هذا القول *أصح ما قيل في معنى الفطرة* التي يولد الناس عليها**.اهـ

[3]المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 336)

4 فتح الباري لابن حجر (3/ 248)

الأمر الأول: أن نصوص الفطرة تدلّ بسياقها على أنها أمر ممدوح، وتفسيرُ الفطرة بالخلقة وبخلو المولود من إيمان أو كفر، وأن المولود يُخلق قابلا لكليهما، فذلك لا يقتضي مدحا لها إذ "كلّ ما كان قابلا للممدوح والمذموم على السواء لم يستحق مدحا ولا ذما، والله تعالى يقول: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}، فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها فكيف لا يكون فيها مدح ولا ذم ؟"[1]

والجواب عن ذلك من وجوه: **أولا**: أننا نختار بأن الفطرة ليست هي فقط الخِلقة الأولى الخالية من أي معرفة أو إيمان أو كفر، وكونها قابلة لأي منهما إذا لُقنته، وإنما هي بالإضافة إلى ذلك كله: الميل إلى الحق وحبه والرضا به والتعلق به والاطمئنان له واستحسانه، وهذا الميل والحب والرضا معنى زائد على مجرد القبول، ولعل هذا ما أراده العلماء . وستأتي نصوصهم . هنا بالقبول مثل قول القرطبي في المفهم "المعنى أن الله خلق **قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق**"، ففَصَد بالقبول . والله أعلم .: الميل والرضا والاطمئنان، وإلا فالفطرة الأولى تقبل كل من الحق أو الباطل بدليل قوله في الحديث نفسه "فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه" أي أنه يقبل الأديان الباطلة من أبويه إن كانا عليها، بيد أن قبوله لها لا يتعدى في أول الأمر إلى حبها والميل لها والتعلق بها واستحسانها والارتياح لها نفسيا وعقليا، نعم ربما يحدث هذا الميل والتعلق بها فيما بعد لأسباب كثيرة منها الاعتياد عليها لطول ملازمتها وتزيينها له من قبل شياطين الإنس والجن ونحو ذلك.

والمقصود أن الفطرة هي مجموع أمرين: **الأول** خلوّ عقل المولود وقلبه من كفر أو إيمان، وهو ما يسمى بالصفحة البيضاء التي يخلق عليها المولود، ولا تحمل أي معلومة كما قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ **مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا** } [النحل: 78]، ولكن عقل هذا المولود قابل لتحمل أي معلومة تُلقن إليه سواء كانت صحيحة أو خاطئة. **الثاني**: ميل تلك الفطرة إلى الحق والتعلق به والارتياح له.

---

1 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 445)

والفطرة بمجموع هذين الأمرين معنى يستأهل المدح كما هو ظاهر، لذا قال البيضاوي في تفسير آية الروم: "فطرة الله التي فطر الناس عليها ''خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو ملة الإسلام، فإنهم لو خُلّوا وما خلقوا ما عليه أدى بهم إليها[1].اهـ ونحوه قول ابن القيم'' ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك[2]''، وبالتالي فلا يُسلّم ما ذكره ابن تيمية أن الفطرة لو كانت هي مجرد قابلية الخلقة الأولى للإيمان والكفر لم تستحق المدح.

ثانيا: على اختيار أن الفطرة هي مجرد الخلقة الخالية من أي معرفة أو إيمان أو كفر، فإن الفطرة حتى بهذا المعنى تستأهل المدح، وذلك إذا ما قورنت بالفطرة التي انحرفت إلى الكفر والشرك، فالمدح لها هو مدح نسبي، وذلك لو أن لدينا مثلا رجلين من النصارى؛ أحدهما يطعن في نبينا مُحَمَّد ويسبّه ويعاديه، والآخر لا يطعن فيه؛ بل لم يسمع به قط في عمره، فهذا الثاني يستأهل المدح لا لجهله بنبينا، وإنما لكونه لم يقع في سبّ نبينا ولا بالطعن فيه ولا بمعاداته، بخلاف الأول، فالمدح هنا نسبي، وكذا الأمر بين رجل يكفر بالله وبين آخر لا يعرفه أصلا.

ثالثا: أنه على التسليم بأن تفسير الفطرة بمجرد الخلقة لا مدح فيها، فإن هذا حاصل في حديث "كل مولود يولد على الفطرة..''إذ لا مدح هنا أصلا، لأن الحديث يتكلم عن أن الإنسان يولد على أصل الخلقة خاليا من أي فكر أو مذهب أو دين، وإنما يكتسب ذلك بتعليم أبويه، وهذا لا مدح فيه.

وأما آية الروم "فأقم وجهك للدين..''فنحن لا نتكلم عليها هنا، وإنما كلامنا عن حديث كل مولود يولد على الفطرة، على أن هذه الآية مختلف في تفسيرها وتفسير الفطرة

---

1 تفسير البيضاوي (4/ 206)، حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (3/ 548)

2 فتح الباري لابن حجر (3/ 249)

على أقوال[1]؛ فقد قيل: إن معناها هنا الدين فيكون معنى الآية: ((''**اتبعوا دين الله الذي** خلق الناس له..وسُمّيت الفطرة دينا لأن الناس **يخلقون له**، قال عزوجل: ''وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ''ويقال: "**عليها** "**بمعنى لها**، كقوله تعالى: ''وإن أسأتم فلها"))[2]. ونحوه قول ابن الجوزي في هذه الآية: ''فطرة الله''**أي اتبع فطرةَ الله**3. وحاصل هذا أن الفطرة حقيقتها الخلقة، وأطلقت على الدين مجازا لأن الناس خُلقوا له، فحديث "كل مولود..''يختلف عن آية الروم فموردهما مختلف كما ترى.

وممّا يؤيد ذلك أن الفطرة في حديث قد تنحرف بفعل الوالدين كما نصّ الحديث نفسه فقال "فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه"، وأما آية الروم فالفطرة فيه لا تتغير لقوله "لا تبديل لخلق الله'' قال الطبري: **لا تغيير لدين الله**: أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل[4]. ثم نقل عن عكرمة ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم أن المقصود بخلق الله هنا: **دين الله**[5]. قال ابن عاشور: "لا تبديل لخلق الله فيه، **أي في هذا الدين**"[6] أي: "أنه الدين الحنيف الذي **ليس فيه تبديل لخلق الله**"[7]. أو أن المعنى "لا صحة ولا استقامة **لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى** وقبول وسوسة الشيطان، وقيل لا يقدر أحد على أن يغير".

---

1 جامع البيان ط هجر (18/ 493)، تفسير السمعاني (4/ 210)

2 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 421)

3 تذكرة الأريب تفسير الغريب لابن الجوزي (ص: 72) وسيأتي كلامه بتمامه.

4 جامع البيان ط هجر (18/ 494)

5 جامع البيان ط هجر (18/ 494)، وانظر تفسير ابن أبي زمنين (3/ 364)

6 التحرير والتنوير (21/ 93)

7 التحرير والتنوير (21/ 93)

وقد تنبّه بعض العلماء لهذا الفرق في المقصود من الفطرة في الآية والحديث السابقين، **قال القرطبي:** قال إسحاق بن راهويه الحنظلي: تمّ الكلام عند قوله: ''فأقم وجهك للدين حنيفا ''ثم قال: "فطرة الله''أي **فطر الله الخلق فطرة إمّا بجنة أو نار**، وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (كل مولود يولد على الفطرة) ولهذا قال: ''لا تبديل لخلق الله''قال شيخنا أبو العباس: **من قال هي سابقة السعادة والشقاوة فهذا إنما يليق بالفطرة المذكورة في القرآن**، لأن الله تعالى قال: "لا تبديل لخلق الله''**وأما في الحديث فلا، لأنه قد أخبر في بقية الحديث بأنها تبدل وتغير**[1].

الأمر الثاني: واحتُجّ لهذا القول أيضا بالحديث نفسه "كل مولود..''وجه الدلالة أنه كان ''**ينبغي أن يقال: فأبواه يسلّمانه** ويهودانه وينصرانه ويمجسانه، فلما ذكر أن أبويه يكفّرانه وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام علم أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل غير حكم الكفر"[2]، وبعبارة أخرى:''لم يقل يمسلمانه أي يجعلانه مسلمًا لأنه مسلم بالأصالة"3، بيد أن هذا الاستدلال يرده رواية مسلم للحديث عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «كل إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، **فإن كانا مسلمين فمسلم** »[4].

ورُدّ بأن "رواية مسلم مؤكدة لباقي الروايات لا تخالفها..قال: ((يهودانه – ينصرانه – يمجسانه)) ولم يقل ((يسلّمانه))، بل ((وإن كانا مسلمين فمسلم)) أي على الأصل، فهي مقرّرة للفطرة موافقة للروايات الأخرى التي فيها ((كل مولود يولد على هذه الملة))"[5].

---

1 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 425)

2 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 444)

3 القواعد المذاعة في مذهب أهل السنة والجماعة (ص: 77)، لمؤلفه وليد بن راشد السعيدان.

4 صحيح مسلم (4/ 2048)

5 الرد الشامل للموجان ص127.

والحاصل أنه قال يهوّدانه أو ينصّرانه «ولم يقل أو يمسلمانه وكذلك الرواية التي في صحيح مسلم القاطعة في الاحتجاج (على هذه الملّة) وغيرها من الأحاديث»1

والجواب: أن هذا مصادرة على المطلوب، إذ ما المقصود بالفطرة في قولك "فهي مقررة للفطرة"؟ إذا كنت تقصد بالفطرة هنا الإسلام، فهذا هو محل النزاع أصلا..!! وأمّا رواية "على هذه الملة "فهي من تصرف بعض الرواة كما بيّن ذلك الإمام مسلم في صحيحه[2]، أي أن بعض رواة حديث الباب ظنّوا أن الفطرة فيه هي ملّة الإسلام فرَووه هكذا من باب الرواية بالمعنى. وعلى التسليم بأن هذا هو لفظ الحديث وأن المقصود بها "الإشارة إلى فطرة معينة وملة معينة "[3] وهي فطرة الإسلام، فالمقصود بذلك أن المولود "يولد على الاستعداد لقبول الملة الإسلامية"[4]، إذ إن "فطرة الإسلام صوابها كالموضوع في العقل، وإنما يدفع العقل عن إدراكه آفة وتغيير من قبل الأبوين وغيرهما"5، وليس المقصود بها أن المولود يولد عالما بالإسلام فهذا مخالف للحس، لذلك يقول ابن عبد البر: يستحيل أن تكون الفطرة المذكورة في قول النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة الإسلام، لأن الإسلام والإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وهذا معدوم من الطفل لا يجهل بذلك ذو عقل6.اهـ

---

1 «العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي» (ص36)

2 جاء في صحيح مسلم (4/ 2048): حدثنا **زهير بن حرب**..«ما من مولود **إلا يولد على الفطرة**، ..»، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب، قالا: حدثنا أبو معاوية .. **في حديث ابن نمير**: «**ما من مولود يولد إلا وهو على الملة**» وفي رواية أبي بكر، **عن أبي معاوية**: «**إلا على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه**» وفي رواية أبي كريب، **عن أبي معاوية**: «**ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة**، حتى يعبر عنه لسانه».

3 إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/ 147)

4 الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (24/ 561)

5 إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/ 147)

6 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (18/ 77)

ناهيك عن أن هذا مخالف للقرآن القائل {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}، وهذا أقر به ابن تيمية وابن القيم، حيث قال الأول: **ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا**[1]. وقال أيضا: ومعلوم أن قوله: كل مولود يولد على الفطرة، ليس المراد به أنه حين **ولدته أمه يكون عارفا بالله موحدا** له بحيث يعقل ذلك.."2، وقال الثاني: وممّا ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل إنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة أو خلق حنيفا؛ فليس المراد به أنه حين **خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده،** فإنه الله يقول: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا}[3].

فدلّت هذه الآية على أنه "يستحيل في المعقول **أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفرا أو إيمانا،** لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معها شيئا..فمن لا يعلم شيئا استحال منه كفر أو إيمان، أو معرفة أو إنكار"[4]. ويؤكد هذا سياق الآية وهي بتمامها: {وَاللَّهُ **أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا** وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} "والمعنى: جعل لكم هذه الأشياء **لتحصلوا بها العلم الذي كان مسلوبا عنكم** عند إخراجكم من بطون أمهاتكم، وتعملوا بموجب ذلك العلم من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه(5). فقد "أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئا **ولا تعلمون، فرزقكم عقولا تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر، وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون**..والقلوب

---

1 مجموع الفتاوى (4/ 247)

(2) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 461)

3 شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم (ص: 289)، دار المعرفة، بيروت، 1978م.

4 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 426)

(5)فتح القدير للشوكاني (3/ 219)، وانظر ترجيحات أبي حيان في التفسير من سورة الرعد إلى النحل(4/ 798)، رسالة دكتوراة للباحثة هيفاء بوقس.

التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها..فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك، دون الآلهة والأنداد..**وإنما أعطاهم العلم والعقل بعدما أخرجهم من بطون أمهاتهم**"[1]

وهذا ليس بحاجة للاستدلال أصلا لأنه مشاهد محسوس، فكلنا يشاهد أن الأطفال حينما يولدون لا يعرفون شيئا قط، وإنما **يتعلمون كل شيء من الوالدين والوسط المحيط** بهم بما في ذلك العقائد الدينية؛ حيث **يأخذها الولد من أبويه** ويصطبغ بنفس صبغة تلك العقائد، بمعنى إن كان الوالدان على الإسلام كان مسلما، وإن كانا من أهل الكتاب كان كذلك، وإن كانا وثنيين كان كذلك، وهذا كله بنصّ حديث الفطرة كما سبق.

وهذا يعني أنه إن كان الوالدان منكرين لوجود الله أو لا دينيين أصلا أي لا يؤمنون بدين ولا بإله ولا بالغيبيات، ولا يؤمنون إلا بالحسيات فسيكون الولد مثلهما منكرا لوجود الله! وهذا مشاهد محسوس فالملحد يربّي ابنه على الإلحاد ليخرج ملحدا مثله!! اللهم إلا إن هيّأ الله له بعد ذلك من يقنعه بوجود الله، أو أن ينظر هو بنفسه في هذا الكون وفي نفسه أيضا، ويتفكر ويبحث إلى أن يصل إلى أن له خالقا وللكون صانعا، هذا إن سلك الطرق العقلية السليمة، وانتفت الموانع وأنصف وأذعن لما يصل إليه عقله، وهذا إن حصل فسيكون بعد وقت طويل ربما يمتد أياما وأشهر بل سنوات عديدة أو عشرات السنوات.

ولذلك كان من الآداب النبوية تعليم الصبيان التوحيد والإيمان، فعن جندب بن عبد الله ﷺ قال: ((كنا مع النبي ﷺ، ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، فازددنا به إيمانا)) [2]. أي "**تعلموا الإيمان** ووقر في قلوبهم، وخالطت بشاشته قلوبهم "ثم

---

[1] جامع البيان، للإمام الطبري (14/ 315)

[2] أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان برقم 61، والبيهقي في سننه الكبرى (3/ 120 رقم 5075)، والطبراني في الكبير (2/ 165 رقم 1678)، وقال الكناني في مصباح الزجاجة (1/ 12 رقم 22): هذا إسناد

تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً''يعني جاء القرآن على قلوب مؤمنة، وردَ القرآنُ على قلوب مؤمنة فازدادوا به إيماناً "[1].

هذا ولابن عبد الوهاب رسالة اسمها "**تعليم الصبيان التوحيد**''يقول في أولها: فهذه رسالة نافعة. **فيما يجب على الإنسان أن يعلم الصبيان قبل تعلمهم القرآن حتى يصير إنساناً كاملاً على فطرة الإسلام وموحداً جيداً** على طريقة الإيمان، ورتّبْته على طريقة سؤال وجواب. ثم يقول مبتدأ بالسؤال الأول:

س1: إذا قيل لك: من ربك؟ ج: فقل: ربي الله.

س2: وما معنى الرب؟ ج: فقل: المالك المعبود والمعين..الله..ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

س3: فإذا قيل لك: بما عرفت ربك؟ ج: فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته، ومن آياته: الليل والنهار، والشمس والقمر2.اهـ قال وليد . صرف الله عنه كل سوء .: فتأمّل كيف ينصّ ابن عبد الوهاب على وجوب تعليم الصبيان وتلقينهم من ربهم، وأن بهذا التلقين يصبح الصبي على الفطرة الإسلام أي أن كون الصبي يولد على الفطرة لا يعني أن يولد عارفا بربه وإلا لكان تلقينه "إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله''تحصيل حاصل، تماما كما قال ابن تيمية وأتباعه قالوا بأن الرسل لم تأت لتخبر الناس أن الله هو ربهم بحجة أن هذا تحصيل حاصل.

صحيح رجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (1/ 37 – 38 رقم 52). وانظر الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة (ص: 201)، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.

[1] شرح مقدمة سنن ابن ماجه، دروس مفرغة للشيخ عبد الكريم الخضير (9/ 13، ت.ش)

2تعليم الصبيان التوحيد ص7، للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، قسم التحقيق بدار الحرمين بالقاهرة.

الأمر الثالث ـ الذي نَصر به ابنُ تيمية اختيارَه بأن الفطرة هي الإسلام ـ: هو أن "الآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه وهو أنهم ولدوا على الفطرة ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة"[1].اهـ

والجواب عن ذلك: أن دعواه بأن هذا القول هو القول الوحيد للسلف في تفسير الفطرة: يردّه الأقوال الأربعة السابقة في الفطرة، فإنها أيضا مرويّة عن السلف، لذا قال الحافظ إن "أشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام"[2]، وسَرد الأقوالَ الأربعة الأخرى عن السلف وقد سبقت. **وثمة أقوال أخرى** كثيرة في معنى الفطرة سردها الشراح والمفسرون وغيرهم لا حاجة لسردها هنا[3]، وإنما اقتصرت على الأقوال المشهورة عن السلف في الفطرة.

وهكذا نرى أن هذه الأمور الثلاثة التي أيّد بها ابن تيمية أن الفطرة هي الإسلام ورفَض أن تكون الفطرة بمعنى الخلقة ونحوها هي أمور غير مسلّمة، بل إن ابن تيمية نفسه حينما يحتجّ بالفطرة مرارا وتكرارا على مسائل في العقيدة بما في ذلك وجود الله يقصد بالفطرة الخِلقة وليس الإسلام ـ كما يصرّ على ذلك في تفسير حديث الفطرة وغيره ـ بدليل أنه يعطفها على الكتاب والسنة في سياق استدلاله، وفيما يلي طائفة من نصوصه في ذلك:

النص الأول: قال **ابن تيمية:** ويقول المنازعون نحن نعلم بالنظر العقلي والاستدلال كما **علمنا بالفطرة الضرورية** امتناع وجود ما أثبته المنازع من أنه لا داخل العالم ولا خارجه،

---

1 درء تعارض العقل والنقل (8/ 410)

2 فتح الباري (3/ 248)

3 ولعل ابن عبد البر أوسع من بسطها في التمهيد، وقد اعتمد عليه كل من جاء بعده من الشراح والمفسرون والعلماء بمن فيهم ابن تيمية. انظر: التمهيد 59/18 ، فتح الباري (3/ 248)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 366)، الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 422)، عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان، لسليمان الغصن (ص: 427)، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان حسن (ص: 187).

ونعلم انتفاء ذلك وثبوت هذه بالكتاب والسنة والإجماع وبالنقل المتواتر عن الأنبياء المتقدمين **وباتفاق أهل الفطر السليمة** من جميع العقلاء، فصاروا يقولون إن كل واحد من ثبوت ما يقوله ونفي ما يقوله الجاحد المخالف **يعلم بالفطرة والضرورة** والبديهة والذوق والوجد، ويُعلم **بالفطرة** والأدلة العقلية، يُعلم بالأدلة الشرعية الكتاب والسنة والإجماع ويعلم بالنقل المتواتر عن الأنبياء، ويعلم باتفاق **العقلاء ذوي الفطر السليمة**[1].اهـ **فتأمّل كم مرة** يعطف ابنُ تيمية الفطرةَ على الكتاب والسنة في هذا النصّ وحده!! وهذا ظاهر في أنه يقصد بها **أمرا مغايرا وهو الخِلقة.**

النصّ الثاني: قوله: "إن هذه المعاني التي ينفونها هي ثابتة في نفس الأمر معلومة بالكتاب[2] والسُّنة **وبالفطرة** والعقل وبالقياس"[3].اهـ ولو استبدلنا الإسلام بالفطرة هنا، فستصبح العبارة: "معلومة بالكتاب والسنة **وبالإسلام** والعقل وبالقياس"!! وهذا يؤكد أنه يريد **بالفطرة الخلقة لا الإسلام**، وإلا لكان الإسلام مغايرا للكتاب والسنة، وهذا باطل لأن **الإسلام ليس سوى ما جاء في الكتاب والسنة.**

النصّ الثالث: قوله: وأن كل موجود فإما أن يكون مباينا لغيره منفصلا عنه، **فيكون في الجهة العدمية**، وإما أن يكون محايثا له داخلا فيه، فيكون في الجهة الوجودية، ووجود موجود **لا في جهة وجودية ولا جهة عدمية، ممتنع عندهم في صريح العقل**. ثم إن قول هؤلاء موافق لما عليه بنو آدم من الفطرة موافق لما جاء به الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها[4].اهـ **ولو بدّلنا ما تحته خط** كما سبق ستصير العبارة كالتالي: "ثم إن قول هؤلاء

---

[1] بيان تلبيس الجهمية (1/ 317)

[2] ورد في المطبوع "بالكتابة" كذا بتاء التأنيث في المطبوع، والصواب: بالكتاب، كما هو ظاهر. والله أعلم

[3] بيان تلبيس الجهمية (2/ 284)

[4] الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 356)

موافق لما عليه بنو آدم من الإسلام موافق لما جاء به الكتاب والسنة، ''وهذا لا يصح كما سبق، وإنما الفطرة هنا الخلقة!!

النصّ الرابع: قوله: وإنما المقصود التنبيه على أن آخر ما ينتهي إليه أصل هؤلاء، الذي نفوا به ما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، بل ولما ثبت بالفطرة العقلية التي اشترك فيها جميع أهل الفطر التي لم تفسد فطرتهم بما تلقنوه من الأقوال الفاسدة[1].اهـ

النصّ الخامس: قوله "الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذّاق النُظار"[2].اهـ فالمعنى هنا أن **الاعتراف بالخالق هو في أصل خلقة الإنسان** لا بمعنى أنه مما جاء به الإسلام! إذ ابن تيمية أصلا ينكر أن يكون الرسل دعوا إلى الإقرار بالخالق كما سبق بيانه.

النصّ السادس: قوله: وعلى هذا الأصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التي فطر الناس عليها[3].اهـ فالفطرة هنا بمعنى الخلقة قطعا إذ لو كانت بمعنى الإسلام لكان المعنى "استقرت الشريعة الموافقة للإسلام الذي فُطر الناس عليه"!

فهذه بعض نصوص ابن تيمية[4]، وكلها يستخدم فيها الفطرة، ويستدل بها على أنها بمعنى الخلقة لا بمعنى الإسلام لأنه يعطفها على الكتاب والسنة والشريعة، أي أن ابن تيمية هو نفسه يستخدم الفطرة بمعنى الخِلقة، ويستدل بها بهذا المعنى على وجود الله وعلى غير ذلك من مسائل العقيدة، فلمَ إذًا يأبى ابنُ تيمية تفسيرَ الفطرةِ في نصوص الكتاب والسنة بـ

---

[1] منهاج السنة النبوية (2/ 141)

[2] مجموع الفتاوى (16/ 328)

[3] الفتاوى الكبرى (1/ 122)، «مجموع الفتاوى» (18/ 203)

[4] وانظر أيضا مجموع الفتاوى (17/ 157)

"الخِلقة"، بل يُصرّ على أنها بمعنى الإسلام، وتحديدا بمعنى أن الطفل يُخلق وهو عارف بالله معتقد بوجوده ووحدانيته في الربوبية؟!

ثم إنه حتى لو كان المراد بالفطرة هو الإسلام كما هو المشهور عن السلف، وكما رجحه ابن تيمية، فالمراد "أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام هو الدين الحق"[1].اهـ

ونحوه قول الطيبي: "المراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد"[2]، "فمن يسلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره، ذكر هذه المعاني أبو سليمان الخطابي في كتابه"[3].

ونحوه قول ابن الأثير: والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة **والطبع المتهيئ لقبول الدين**، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، **وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد**، ثم تمثل بأولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة[4].اهـ

---

1 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6/ 676)

2 فتح الباري لابن حجر (3/ 249)

3 اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (15/ 409)

4 النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 457)

وكذلك قول الزمخشري في الفائق: والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة; وهو فطرة الله وكونه متهيئا مستهدفا لقبول الحنيفية طوعا لا إكراها، وطبعا لا تكلفا، لو خلّته شياطين الجن والإنس وما يختاره لم يختر إلا إياها[1].

وقد نقل ابنُ حجر كلامَ الطيبي والقرطبي وهما "لا ينافيان القولَ الأول الذي ذكره، وقال بأنه أشهر الأقوال، وهو تفسير الفطرة بفطرة الإسلام. وذلك أن السلف الذين فسروا الفطرة بالإسلام، لم يقصدوا أنه يولد"[2]، "على معرفة تامة بشريعة الإسلام، فإن ذلك يستحيل على العقل الاستقلال به، فذلك لا يعلم إلا من جهة الرسل"[3]، "**و**إنما قصدوا أن الفطرة تستلزم معرفة الله وتوحيده، وتستوجب ذلك من غير سبب خارجي، وهذا هو نفس المعنى الذي أشار إليه الطيبي والقرطبي في كلامهما السابق. وقد نقل الحافظ عن الإمام ابن القيم ما يبين هذا.."[4]، وهو قوله "ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل إنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة أو خلق حنيفا، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا}، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لقربه ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض"[5].

---

1 الفائق في غريب الحديث و الأثر (3/ 127)

2 منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري ص264

3 بين ابن تيمية وابن رشد في الإلهيات (ص: 144)، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى لعام 1409، للباحث منيف عايش العتيبي.

4 منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري ص264

5 شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم (ص: 289)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978م. وانظر: فتح الباري لابن حجر (3/ 249)، وآراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية للشايع ص126.

وقول ابن القيم هذا أصله لابن تيمية حيث يقول: إذا ثبت أن نفس الفطرة مقتضية لمعرفته ومحبته حصل المقصود بذلك، وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثير منهم في حصول ذلك إلى سبب معين للفطرة: كالتعليم والتخصيص، فإن الله قد بعث الرسل، وأنزل الكتب، ودعوا الناس إلى موجب الفطرة: من معرفة الله وتوحيده؛ فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة، وإلا استجابت لله ورسله لما فيها من المقتضى لذلك، ومعلوم أن قوله: كل مولود يولد على الفطرة؛ ليس المراد به أنه حين ولدته أمه يكون عارفا بالله موحدا له بحيث يعقل ذلك، فإن الله يقول: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا" ونحن نعلم بالاضطرار أن الطفل ليس عنده معرفة بهذا الأمر ولكن ولادته على الفطرة تقتضي أن الفطرة تقتضي ذلك وتستوجبه بحسبها فكلما حصل فيه قوة العلم والإرادة حصل من معرفتها بربها ومحبتها له ما يناسب ذلك، كما أنه وُلد على أنه يحب جلب المنافع ودفع المضار بحسبه، وحينئذ فحصول موجب الفطرة سواء توقف على سبب، وذلك السبب موجود من خارج أو لم يتوقف على التقديرين يحصل المقصود، ولكن قد يتفق لبعضها فوات الشرط أو وجود مانع فلا يحصل مقصود الفطرة (1).اهـ

وتأمل قوله: "وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثير منهم في حصول ذلك إلى سبب معين للفطرة: كالتعليم والتخصيص، فإن الله قد بعث الرسل وأنزل الكتب ودعوا الناس إلى موجب الفطرة: من معرفة الله وتوحيده، فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة وإلا استجابت لله ورسله لما فيها من المقتضى لذلك.."وقوله: "ولكن قد يتفق لبعضها فوات الشرط أو وجود مانع فلا يحصل مقصود الفطرة "فإنه واضح جدا في أن معرفة الله عن طريق الفطرة يتوقف ـ عند كثير من الناس كما قال ـ على توفر شروط وانتفاء موانع، وإلا فيحتاج المكلف إلى اكتساب تلك المعرفة بالتعلّم عن طريق الرسل وأتباعهم أو طريق النظر في أدلة وجوده تعالى كما نصّ عليه ابن تيمية في مواضع أخرى كقوله: إن الإقرار

(1)درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8 / 461).

بالخالق وكماله يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها[1].اهـ

بل إن ابن تيمية قد ذهب إلى "أبعد من هذا حيث قرر أن الذين قالوا: إن الاعتراف بوجود الله ضروري عند كل أحد وفي كل حال، قد أخطؤوا في هذا الحكم"[2]. ولذلك هو يقول ''وهذا كما أن الذين أوجبوا النظر وقالوا: لا يحصل العلم إلا به مطلقا، أخطؤوا، والذين قالوا: لا حاجة إليه بحال بل المعرفة دائما ضرورية لكل أحد في كل حال، أخطؤوا، بل المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطر السليمة فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر والإنسان قد يستغني عنه في حال ويحتاج إليه في حال"[3].

وهكذا نرى أن الكلّ متفق على أن الإنسان يولد ولا يعلم شيئا أصلا كما قال تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} [النحل: 78]، فهذا لا يخالف أو لا ينبغي أن يخالف فيه أحد، وإن خالف فيه أحد فقوله مردود بنصّ هذه الآية الصريحة، نعم قال السمعاني "معنى الفطرة هو أن كل إنسان **يولد على أنه متى سئل: من خلقك؟ فيقول: الله خلقني، هو المعرفة التي تقع في أصل الخلقة"**[4].اهـ فظاهر هذا أن هذا الإقرار يكون مع ولادة الإنسان، ولكن هذا الظاهر غير مراد للسمعاني قطعا؛ **أولا**: لأنه مخالف للحس أصلا حيث إن الطفل لا يستطيع أن ينطق عند ولادته بشيء إلا على سبيل الخرق للعادة كما في نبي الله عيسى عليه السلام، وهذه معجزة كما هو معلوم، **ثانيا لأن السمعاني**

---

1 مجموع الفتاوى (6/ 73)

2 بين ابن تيمية وابن رشد في الإلهيات (ص: 142)

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/ 303)

4 تفسير السمعاني (4/ 210)

نفسه يقول في تفسير قوله تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا} يعني: **لا تعلمون شيئا مما علمتم الآن**[1].

وأمّا ما نقله السمعاني عن أبي عبيد **الهروي؛ أنه قال في الفطرة: "وهو معرفة الغريزة والطبيعة،** وإلى هذا وقعت الإشارة في قوله: {ولئن سألتهم من خلقكم ليقولون الله} وبهذا القدر لا يحصل الإيمان المأمور به، فالناس خُلقوا على هذه الفطرة، وأمّا حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر فالناس من ذلك على قسمين على ما ورد به الكتاب والسنة. قال الزجاج والنحاس: وهذا قول أهل السنة. **وهذا القول اختيار ابن قتيبة أيضا**[2]**.اهـ**

فهذا النقل عن الهروي من أن الفطرة هي "معرفة الغريزة والطبيعة" لم أجده في كتابه "الغريبين"، بل يقول فيه: معنى قوله: (فأقم وجهك) أي: اتبع الدين القيم الذي فطر خلقه عليه، وقيل: الفطرة الخلقة التي يخلق المولود عليها في رحم أمه. وفي الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة) **قال ابن المبارك: أي: على ابتداء الخلقة في علم الله مؤمنا أو كافرا** قال أبو الهيثم: يعني على الخلقة التي فطر عليها في الرحم **من سعادة وشقاوة، فأبواه يهودانه في حكم الدنيا**[3]**.اهـ وأمّا ما نقله السمعاني** عن ابن قتيبة فسيأتي بيان أنّ ابن قتيبة يحمل حديث الفطرة على آية الميثاق الذي حدثت في عالم الذرّ، وهذا شيء آخر كما سنرى[4].

وهكذا نرى أن آية {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا} لم تدع لأحد قولا، فصار الأمر المجمع عليه أنه لا أحد يولد ومعه معلومة واحدة، وإنما كل المعلومات والمعارف كسبية، وعلى رأس ذلك المعرفة والعلم بالله لأن الله قال {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}

---

1 تفسير السمعاني (3/ 191)

[2] تفسير السمعاني (4/ 210)

3 الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي فوجدته يقول (5/ 1460)

4 انظر: ص (66 و548)

[مُحَمَّد: 19]، فهذا متفق عليه سواء عند من فسّر الفطرة بالإسلام كجمهور السلف، أو من فسّرها بغير ذلك كابن عبد البر وغيره، وإنما الخلاف فيما وراء ذلك، وما يهمنا هنا هو أن الذين فسّروا الفطرة بالإسلام قصدوا بذلك أن الإنسان مهيّأ منذ الولادة لقبول دين الإسلام وعدم الصدّ عنه إذا خُلّي عن المعارض كما قال القرطبي والطيبي، ويرى ابن القيم وشيخه أن المقصود ما هو زائد على ذلك من أن "**فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته**" كما سبق، والخطب في ذلك يسير كما ترى.

والحاصل أن حديث "كل مولود يولد على الفطرة" إن فسرنا الفطرة فيه بالإسلام فهذا لا يعني أن الإنسان يولد على معرفة بدين الإسلام لا على معرفة بالخالق ولا على توحيده لا في الربوبية ولا في الألوهية، بل يولد لا يعلم شيئا قط كما هو صريح القرآن، غاية ما هناك أن فطرته أي خِلقته الأولى مهيّأة أو مقتضية لمعرفة الله وتوحيده ومعرفة الإسلام برمّته، وقبوله لما رُكب في العقول والقلوب من حُسنه ومحبته كما سبق بيانه.

وليس في هذا كله أن الإنسان يولد مفطورا على توحيد الربوبية كما ادعى ذلك ابن تيمية وأتباعه وقد سبقت نصوصهم! وذلك لأمرين: **الأول**: لأن هذا يخالف ما اختاره ابن تيمية وأتباعه من تفسير الفطرة في حديث "كل مولود يولد على الفطرة" بالإسلام، **والإسلام غير منحصر** في توحيد الربوبية الذي هو **الإيمان بالله وأنه الخالق والمدبر وحده،** بل هو شامل لكل ما هو من دين الإسلام الذي جاء به **المصطفى ﷺ من عقائد وشرائع، وبالتالي فحصره للإسلام في توحيد الربوبية مجرد تحكم لا أكثر**.

بل إن **ابن تيمية بذلك وقع في أشد مما أنكره على المتكلمين!** لقوله بأنهم "**أخرجوا من الإسلام والتوحيد أمورا عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله..وهو توحيد العبادة**"[1] فها هو ابن تيمية نفسه أخرج من الإسلام توحيد العبادة بل أخرج كل الشرائع

(1) الفتاوى الكبرى (6 / 566).

والعقائد وقصره على توحيد الربوبية، وذلك في حديث (كل مولود يولد على الفطرة)، **حيث فسّر ابن تيمية الفطرة بالإسلام ثم قصره هنا على توحيد الربوبية كما سبق بيانه**[1]**!!!**

الأمر الثاني: أن هذا يخالف أيضا ما ذكره ابن تيمية وكثير من أتباعه من أن الإنسان يولد مفطورا أيضا على توحيد الألوهية، وقد سبقت نصوصهم في ذلك[2]. **فلهذين الأمرين لا يصحّ** ما قاله بعض السلفية كعبد الرحيم السلمي من أن الفطرة "**ليست هي الإسلام بكلّ أحكامه وآدابه وعقائده** على التفصيل، فإن الله يقول: والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، ولكن المراد أن الفطرة **هي أمور عامة كمعرفة وجود الله والإقرار بالربوبية والشعور بالألوهية**، وهي تنمو في ضمير الإنسان ونفسه شيئا فشيئا بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض"[3]؛ فهذا غير صحيح للأمرين السابقين، ولأن هذا التفسير للفطرة فضلا عن أنه تحكم كما سبق فإنه يجعل الإنسان يولد ومعه بعض المعلومات، والمعارف مهما قلّت وهي "**معرفة وجود الله والإقرار بالربوبية والشعور بالألوهية**"، وهذا يخالف عموم الآية التي أوردها السلميّ نفسه والتي جعلته يمتنع من تفسير الإسلام على عمومه بكل ما يحتويه من عقائد وشرائع، فالآية نفسها بعمومها تمنع من الزعم بأن الإنسان يولد ومعه ولو معلومة واحدة!

ثم ههنا شيء لا ينقضي منه العجب، فأنتم تارةً تقولون بأن النبي ـ وكذا سائر الأنبياء ـ جاء ببيان كل شيء من الشرائع والعقائد للخلق سوى بيان أن الله ربهم بحجة أن "هذا شيء فطر الله الناس على معرفته"[4]، بناءً على حديث الفطرة التي فسرتموها بالإسلام ثم قصَرتموه على معرفة الله وتوحيده في الربوبية..! أي أنكم تارةً تحصرون الإسلام ـ الذي جاء به النبي ـ

---

1 انظر: ص (15 و44)

2 انظر: ص (11 و98 و227)

3 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص132

4 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 128)

في توحيد الربوبية بحسب تفسيركم لحديث الفطرة، وتارةً تجعلون الإسلام فيه كل شيء سوى توحيد الربوبية بحجّة أن هذا التوحيد مفطور عليه كل شخص فلا حاجة أن يأتي به الإسلام..!

فهل الإسلام هو كل شيء سوى توحيد الربوبية، أو أن الإسلام هو فقط توحيد الربوبية؟! هذان أمران متضادان قطعا فيجب أن تختاروا أحدهما، أو على الأقل يجب أن تقرروا هل الإسلام جاء بتوحيد الربوبية أو لم يأت به؟ فإن كان قد أتى به فقد بَطل قولكم بأن الرسول لم يَدع الناسَ إلى توحيد الربوبية، وإن كان الإسلام لم يأت بتوحيد الربوبية ولا يتضمنه فهذا يعني أن فطرة الإسلام التي يفطر عليها كل مولود ليس فيها توحيد الربوبية، لأن الإسلام لا يتضمن توحيد الربوبية، وبالتالي يسقط قولكم إن توحيد الربوبية مفطور عليه، **فعلى كلا الحالين سقط مذهبكم.**

تهافت كلام دمشقية واضطرابه في تفسيره لحديث خلقت عبادي حنفاء

انظر إلى دمشقية وهو يقول: **فتوحيد الربوبية كان يعتقده المشركون، ولذلك لم يدعهم إليه الرسل لعِلْمهم أن الله فطرهم عليه..**"**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين" فالحنيفية هي الإسلام**، ولذلك **لم يدْعُ الأنبياءُ قومَهم إلى اعتقاد أن الله هو الخالق** الرازق، فالقرآن أفاد بأنهم يؤمنون بذلك. وإنما كانت أول دعوتهم إلى توحيد الألوهية.اهـ

فتأمّل كيف استدلّ على أن الناس مفطورون على توحيد الربوبية بلفظة في الحديث السابق وهي "**حنفاء"أي الحنيفيّة حيث فسّرها بالإسلام ثم قصَر الإسلام على توحيد الربوبية**، ثم في السطر الثاني زعم أن الرسل لم تدع الناس إلى الإيمان بالخالق وبتوحيد الربوبية! **أي أنه قصر الإسلام على توحيد الربوبية في السطر الأول، وفي السطر الثاني نقض غزله فاستثنى توحيد الربوبية من الإسلام !!**

فصار حاصل كلامه أن المشركين بل الناس أجمعين مفطورون على توحيد الربوبية بدليل حديث "خلقت عبادي حنفاء"أي على الإسلام وهو توحيد الربوبية، ولكن رسولنا الذي

جاء بالإسلام لم يأت فيه بالإيمان بتوحيد الربوبية لأن هذا فُطر عليه الناس بدليل هذا الحديث..!! وكما ترى هذا كلام متهافت ينقض أوله آخره.

فإن قيل: قد ذَكر بعض أصحاب الغريب أن الفطرة في قوله تعالى{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: 30]: "أي خلقة الله التي خلق الناس عليها **وهو أن يعلموا أن لهم ربّا خلقهم"**[1]، **وقال ابن قتيبة:** أمّا قوله كل مولود يولد على الفطرة **فإنه يريد أنه يولد على الإقرار بالله،** وهو الميثاق الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم أمثال الدرّ، وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى، **فالناس جميعا وإن اختلفوا في أديانهم ونحلهم عالمون بأن الله عز وجل خالقهم**[2].

قلنا: قصدوا بذلك أن الإنسان مهيأ لمعرفة خالقه فيما لو نظر أدنى نظر، وعلم أن لكل حادث محدثا، ونحو ذلك من أدلة وجود الله الكثيرة، ولم يريدوا أن الإنسان يُخلق ومعه العلم بوجود الله؛ فهذا ينفيه القرآن كما أقرّ به ابن تيمية بحسب ما سبق، وما يدل على ذلك أن بعض أصحاب الغريب أنفسهم صرّحوا بذلك، **قال الراغب** في آية الروم: فإشارة منه تعالى إلى ما فطر، أي: أبدع **وركز في النّاس من معرفته تعالى،** وفطرة الله: **هي ما ركز فيه من قوّته على معرفة الإيمان،** وهو المشار إليه بقوله: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله"[3].اهـ فقوله: ''**هي ما ركز فيه من قوّته على معرفة الإيمان** ''صريح فيما قلناه، **وقال ابن الجوزي** ''فطرة الله''، **أي اتبع فطرة الله،** والفطرة الخليقة التي خلق عليها الخلق وهي الإقرار بالله

---

[1] التبيان في تفسير غريب القرآن للسمين الحلبي (ص: 260)، وكذا وقع في غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب(ص: 371)، مُحَمَّد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى : 330هـ)، ط1/ دار قتيبة.

1 غريب الحديث لابن قتيبة (1/ 350)

2 غريب الحديث لابن قتيبة(1/ 350)

3 المفردات في غريب القرآن (ص: 640)

والمعرفة له[1].اهـ فجعل ابن الجوزي معنى الآية هو الأمر بالإقرار بالله ومعرفته، وهذا عكس نظرية ابن تيمية من أن الله لم يأمر الناس بالإقرار به وبخالقيته بحجة أن هذا تحصيل حاصل كما سبق بيانه. وأما كلام ابن قتيبة فقد قصد به حمل الحديث على آية الميثاق، وسيأتي بسط الكلام حول كلام ابن قتيبة هذا[2].

الوجه الثاني: أنّ الحديث نصّ على أن هذه الفطرة للمولود تتغير بفعل الأبوين، لأنّ نصّ الحديث "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، ***فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه***.."فقد "**ذكر الرسول أن الأبوين أحد تلك العوامل التي تفسد الفطرة التي فطر الله الخلق عليها وتعمل على انحرافها**"[3]، فعلى التسليم بأن الفطرة هي الإسلام هنا فإن الحديث ينصّ على هذه الفطرة للمولود تتغير من الإسلام إلى الأديان الأخرى، فيصبح المولود يهوديّا أو نصرانيّا أو مجوسيّا، وفي ذلك **يقول الباجي:** "قوله «فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه» يريد **أن أبويه هما اللذان يصرفانه عن الفطرة وما خلق عليه من الإيمان إلى دين اليهودية والنصرانية**"[4]. ويقول **السهيلي:** وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله، فكل مولود يولد على تلك الفطرة، وعلى ذلك الميثاق، **فلولا أن أبويه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، حتى يسود قلبه بالشرك**[5].اهـ وقال **القاضي عياض:** "وفطرة الإسلام صوابها كالموضوع في العقل، **وإنما يدفع العقل عن إدراكه آفة *وتغيير من***

---

1 تذكرة الأريب تفسير الغريب لابن الجوزي (ص: 72)

2 انظر: ص (538)

[3] أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (1/ 154)

[4] المنتقى شرح الموطأ (2/ 33)

5 الروض الأنف ت الوكيل (2/ 275)

قبل الأبوين وغيرهما"[1]. أي أن هذه الفطرة لا تبقى في المكلف كما هي حتى يموت، بل تتغير بفعل الوالدين كما نصّ الحديث على ذلك.

وهذا أقرّ به ابن تيمية نفسه فقال: "فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرّة لله بالإلهية محبّة له تعبده لا تشرك به شيئا. **ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس والجن** بما يوحي بعضهم إلى بعض من الباطل"[2]. **ويقول** أيضا: "فإن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه فيعلم أنه **يولد سليما ثم يتغير**"[3].

وهكذا فالفطرة التي يُخلق عليها الإنسان مقرةً بالله: تَفسُد و''تنحرف وتتغير كما فطرت نتيجة للمؤثرات الخارجية "[4]، وبسبب"عوامل كثيرة، وقد ذكر الرسول أن الأبوين أحد تلك العوامل التي تفسد الفطرة"[5]، ومن هذه الأسباب أيضا "ما يبثّه الملحدون في النفوس من تشكيكات وشبهات وأباطيل، أو بسبب انصراف الإنسان إلى ملاذّه وشهواته، واستكباره عن اتباع الحق، أو بسبب ما يزرعه المربّون في أذهان الناشئة من تعاليم فاسدة تغير صفاء الفطرة وتكدرها، وغير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الفطرة، حينئذ تكون معرفة الله نظرية في حاجة إلى النظر والاستدلال لكي ترجع تلك الفطرة إلى وضعها الصحيح، وتقرّ بوجود الله تعالى"[6].

---

1 إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/ 147)

2 مجموع الفتاوى (14/ 296)

3 درء تعارض العقل والنقل (8/ 410)

4 مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: 268)

5 أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (1/ 154)

6 بين ابن تيمية وابن رشد في الإلهيات (ص: 141)

وهذا أكّده **ابن تيمية** بقوله السابق: "فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة، وإلا استجابت لله ورسله لما فيها من المقتضى لذلك"(1). وبقوله: "وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع: هي فطرة الله التي فطر الناس عليها[2]"، وبقوله: "الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذّاقُ النّظّار"[3]، حيث ذهبوا إلى "أن أصل المعرفة قد يقع ضروريا فطريا، وقد يحتاج فيه إلى النظر والاستدلال"[4]، وذلك عند "من فسدت فطرته فاحتاج إلى دواء بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضرورية"[5]، "وهنا يأتي دور النظر في الأدلة لعلاج تلك الفطرة المريضة، وإصلاح فسادها وتقويم اعوجاجها"[6]، "وتهذيبها بالدلائل الضرورية"[7]، أي "قد تحتاج إلى معارف ضرورية تجلّي الفطرة وتزيل عنها الغشاوة"[8]، والحاصل أن "القلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقا به ودينا له لكن يعرض لها ما يفسدها..إمّا من الشبهات التي تصدّها عن التصديق بالحق، وإمّا من الشهوات التي تصدها عن اتباعه"[9].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (8 / 461)

2 مجموع الفتاوى (4/ 247)

3 مجموع الفتاوى (16/ 328)

4 جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (1/ 14)

5 جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (1/ 14)

6 أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (1/ 154)

7 موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الإمام فخر الدين الرازي في الإلهيات 2/ 165

8 موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الإمام فخر الدين الرازي في الإلهيات 2/ 165

9 مجموع الفتاوى (7/ 528)

فإذن ثمة أسباب تمنع الفطرة وتفسدها لئلا تُقرّ بموجبها وهو معرفة الله والإقرار بربوبيته وخالقيته، كما تمنعه من الإقرار بألوهيته ووحدانيته، إذ الإنسان مفطور على توحيدي الربوبية والألوهية كما قرر ذلك ابن تيمية، وحينئذ يكون الإنسان بحاجة إلى النظر وإلى الاستدلال لتعود الفطرة سليمة كما كانت عليه قبل أن تنحرف.

فسواءٌ فسّرنا الفطرة في الحديث بالإسلام كله أو بعضه، أو بتوحيد الربوبية أو بتوحيد الألوهية أو بكل ذلك؛ فإن هذه الفطرة التي نتكلم عنها هي حصرا الفطرة السليمة النقية التي لم يطرأ عليها تغيّر أو انحراف بفعل الأبوين بنصّ الحديث نفسه، وعليه فلا يستقيم القول بأن الأمم جميعا بمن فيهم المشركون متفقون على الإقرار بوجود الله وعلى توحيده في الربوبية بحجة أنهم مفطورون على ذلك استنادا إلى حديث الفطرة؛ لأن هذا يتجاهل تتمة حديث الفطرة نفسه وهو قوله "فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.."، وفي رواية "فأبواه يهودانه وينصّرانه ويشرّكانه"[1]، ففيه نصّ على أن الفطرة تتغير وتنحرف عمّا كانت عليها حين يولد المولود، وذلك بتأثير الوالدين إن كانا غير مسلمين، فيجعلان ابنهما يهوديّا أو نصرانيّا أو مجوسيّا أو مشركا، أو غير ذلك بحسب دينهما، وما يهمنا هنا هو أن المشرك ليس على الفطرة السليمة، فكيف يُستدل بفطرته على إقراره بتوحيد الربوبية؟ مع أن فطرته منحرفة قد تغيرت بفعل أبويه المشركين كما هو نص رواية مسلم "ويشرّكانه"، "أي يجعلانه مشركًا إن كانا مشركين بعبادة غيره تعالى كالمجوس التي تعبد النار ومشركي العرب الذين يعبدون الأحجار والأشجار"[2]، فكيف يقال إن مشركي العرب مقرّون بالله وبتوحيده في الربوبية، "فإنهم كانوا مُقِرّين بهذا بباعث الفطرة[3]"، مع أن فطرتهم قد انحرفت بنصّ رواية مسلم "ويشركانه"؟! وما دامت فطرتهم انحرفت وفسدت فمعنى ذلك أنهم لم يبقوا على أصل الفطرة السليمة التي تقتضي

---

1 صحيح مسلم (4/ 2048)

2 الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (24/ 559)

3 موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 120)

الإقرار بالله وتوحيده، أي أنهم لولا شركهم الذي أخذوه تقليدا عن آبائهم لكانوا على أصل فطرتهم وهو الإقرار بالله، وبتوحيده في الربوبية والألوهية معا، لأن الفطرة تقتضي كليها عند ابن تيمية وأتباعه كما بيّنا مرارا.

وبالتالي فإن من المغالطة استدلال ابن تيمية وأتباعه بحديث الفطرة للقول بأن المشركين وسائر البشر مقرّون بالله وبتوحيده في الربوبية، لأن الحديث نفسه يردّ ذلك ويبين أن هذه الفطرة يغيرها الأبوان غير المسلمين، فضلا عن أن ابن تيمية بيّن أن الفطرة تنحرف وتتغير بعوامل أخرى فقال: فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقا به ودينا له، لكن يعرض لها ما يفسدها..إمّا من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإمّا من الشهوات التي تصدّها عن اتباعه[1].اهـ وفي هذه الحالة أي عندما تنحرف الفطرة بفعل الوالدين، وبفعل أيّ عامل آخر قد تقع الفطرة في الشرك في الربوبية وفي الألوهية، بل قد تنكر اللهَ أصلا، وحينها تحتاج الفطرة لما يردّها إلى جادتها "كالتعليم والتخصيص"(2)، "وهنا يأتي دور النظر في الأدلة لعلاج تلك الفطرة المريضة، وإصلاح فسادها وتقويم اعوجاجها"[3]، "وتهذيبها بالدلائل الضرورية"[4] على وجود الله وتوحيده في الربوبية والألوهية كما وضّحناه في محلّه[5].

والحاصل أن القول بأن المشركين موحّدون في الربوبية بحجّة أن "الفِطَر تقتضيه"[6] وفقا لحديث الفطرة: قول غير صحيح، لأن الفطرة التي تقضي ذلك هي الفطرة السليمة كما أقر

---

1 مجموع الفتاوى (7/ 528)

(2) درء تعارض العقل والنقل (8 / 461)

[3] أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة (1/ 154)

[4] موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الامام فخر الدين الرازي في الإلهيات 2/ 165

[5] انظر: ص () وتهذيبها بالدلائل الضرورية

6 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (1/ 52)

بذلك ابن تيمية نفسه1، والمشركون انحرفت فطرتهم بنصّ حديث الفطرة نفسه، ولم يبقوا على أصل الفطرة السليمة التي تقتضي الإقرار بوجود الله وتوحيده. والله الموفق

---

1 انظر: ص () **عند تغير الفطرة**

الحديث الثاني: "إني خلقت عبادي **حنفاء** فاجتالتهم الشياطين.."

هذا هو الحديث الثاني الذي استدلّ به السلفية على أن الناس كافةً موحدون في الربوبية، وهو ما أخرجه مسلم عن عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال: "ألا إن ربي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلّ مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا[1].اهـ "فأخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن معرفة الرب ومحبته وتوحيده"[2]، وهذا الحديث من جملة الأدلة التي تفيد أن "توحيد الربوبية كان يعتقده المشركون، ولذلك لم يدعهم إليه الرسل لعِلْمهم أن الله فطرهم عليه..ولذلك لم يدْعُ الأنبياءُ قومَهم إلى اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق، فالقرآن أفاد بأنهم يؤمنون بذلك. وإنما كانت أول دعوتهم إلى توحيد الألوهية"[3]، ودلّ الحديث أيضا على أن "الربوبية حق والإنسان مفطور على الحق، فهو مفطور على الربوبية"[4]. ودلّ على أن "الإقرار بالخالق سبحانه وتعالى، والاعتراف بوجود موجود واجب الوجود قديم أزلي كما أنه مركوز في الفطرة مستقر في القلوب فبراهينه وأدلته متعددة جدا"[5].

والجواب: أولا: أن هذا الحديث احتج به ابن عبد البر على ما اختاره من أن "المراد بالفطرة الخلقة أي يولد سالما لا يعرف كفرا ولا إيمانا"[6]، حيث قال بعد أن حكى هذا القول: هذا القول أصحّ ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها والله أعلم، وذلك أن الفطرة السلامة والاستقامة بدليل حديث عياض..إني خلقت عبادي حنفاء يعني على

---

[1] صحيح مسلم (4/ 2197)

2 مجموع الفتاوى (16/ 345)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 154)

4 الرد الشامل (127)

5 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/ 72)

6 فتح الباري (3/ 250)

استقامة وسلامة والحنيف في كلام العرب المستقيم السالم.اهـ وقد نقل ذلك عنه ابن تيمية نفسه[1].

ونحوه قول القرطبي الذي سبق: المعنى أن **الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق**..وقد دل على هذا المعنى بقية الحديث حيث قال كما تنتج البهيمة **يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئا من العيب،** لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلا فخرج عن الأصل، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح[2].اهـ

ثانيا: أن ظاهر الحديث يدل على أن الإنسان مفطور على ما يسميه ابن تيمية توحيد الألوهية، وهذا أقرّ به ابن تيمية نفسه فهو ذكر كثيرا في كتبه حديث عياض "**خلقت عبادي حنفاء** فاجتالتهم الشياطين"واستنبط منه مرة أنه "لا يتضمن مجرد الإقرار بالصانع فقط بل **إقرارا يتبعه عبودية لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له، وهذا هو الحنيفية**"[3]. ومرةً أن "أصل **الدين الذي فَطر اللهُ عليه عباده..عبادة الله وحده لا شريك له..**"[4]. ومرةً أن "**النفس بفطرتها إذا تركت كانت محبة لله تعبده لا تشرك به شيئا،** ولكن يفسدها من يزيّن لها من شياطين الإنس والجن"[5]، وكذا قوله في موضع آخر: "**النفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرّة لله بالإلهية محبّة له تعبده لا تشرك به شيئا،** ولكن يفسدها ما يزيّن لها شياطين الإنس والجن"[6].

---

1 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 443)

2 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6/ 676)

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/ 137)

4 درء تعارض العقل والنقل (8/ 455)

5 مجموع الفتاوى (8/ 205)

6 مجموع الفتاوى (14/ 296)

وفضلا عن ذلك فإن الحديث نفسه دلّ ظاهره على أن المقصود به أنه تعالى خلقهم موحدين لا يعبدون سواه لأن نص الحديث "إني خلقت عبادي **حنفاء** فاجتالتهم الشياطين..وأَمَرتْهم أن يشركوا بي.."، فكلمة "حنفاء''أي عبادته وحده كما قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} [البينة: 5]، وقال {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ} [الحج: 31]، وقوله تعالى: {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ **إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: 95]، "ويقال إنما سمي **إبراهيم حنيفا لأنه كان حنف عما كان يعبد أبوه وقومه من الآلهة إلى عبادة الله، أي عدل** عن ذلك ومال"[1]، و"الحنيفية هي الاستقامة بإخلاص الدين لله، وذلك يتضمن حبه تعالى والذلّ له لا يشرك به شيئا لا في الحب ولا في الذل، فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذلّ، **وذلك لا يستحقه إلا الله وحده،** وكذلك الخشية والتقوى لله وحده **والتوكل على الله وحده**"[2].اهـ

وبالتالي فالحديث يدلّ على أن **الإنسان مفطور على ما تسمونه توحيد الألوهية،** فكيف عكستم أيها السلفيون في موضع آخر فجعلتم الحديث نفسه من جملة الأدلة التي تفيد أن **"توحيد الربوبية كان يعتقده المشركون"**[3]؟! وإنما الحديث دليل على أن هذا التوحيد، أي ما يسمى بتوحيد الألوهية ممّا فُطر عليه الإنسان تماما كفطرته على توحيد الربوبية، فـ "الفطرة دالّة على أن كل مولود يولد على فطرة الاسلام، **وهي الحنيفية المقتضية لعبادة الله وحده لا شريك له** والحب والخضوع له تعالى"4، وقد سبق المزيد من هذه النصوص لابن تيمية وأتباعه التي أقرّوا فيها بأن **الإنسان مفطور على توحيد الربوبية**

---

1 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (18/ 76)

[2] مجموع الفتاوى (10/ 466)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 154)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (1/ 257)، نقلا عن درء التعارض (8/458-459) .

والألوهية معا[1]، وبالتالي **فأي فرق بين قسمي التوحيد** من هذه الناحية ما دام أن الإنسان **يُفطر عليهما معا؟!**

ثالثا: أن الحديث يصرّح بأن الفطرة تنحرف بفعل الشياطين لقوله: "إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين.."أي "استخفّوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عمّا كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل"(2)، وبقول ابن تيمية "وهذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية، وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك"(3)، وهكذا فسواء أكان الإنسان مفطورا على توحيد الربوبية أم على توحيد الألوهية أم على كليهما **فإن هذه الفطرة تتغير بفعل الشياطين من التوحيد إلى الشرك،** سواء كانوا في الربوبية أو في الألوهية أو في كليهما، بل قد تتغير إلى الإلحاد وإنكار وجود الله أصلا، وهذا هو الواقع المشاهد كما سنرى، وهو أن الناس منهم الموحّدون في الربوبية والألوهية معا، ومنهم المشركون فيهما أو في أحدهما، ومنهم ملاحدة لا يؤمنون بدين ولا رب ولا إله، وهذا كله محسوس مشاهد، ومن نازع فيه فهو يكذّب عينيه وأذنيه!

---

1 انظر: ص (11)

(2) شرح النووي على مسلم (17 / 197).

(3)درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 363)

احتجّ ابن تيمية وأتباعه بما ورد عن بعض العلماء من السلف والخلف بأن الناس جميعا مقرّون بالخالق وحده، وأنه لم ينكره أحد، وفيما يلي نذكر نصوص أولئك العلماء الذين استدلّ بهم ابن تيمية وأتباعه بهم، ثم نعقّب عليها:

1) قول **قتادة** ''**لا تسألُ أحدا من المشركين: من ربك؟ إلا قال: ربي الله**، وهو يشرك في ذلك"[1] وقال ''الخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم ثم يُشركون بعد ذلك"[2].
2) قول **ابن زيد** ''**ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله**، ويعرف أن الله ربه وخالقه ورازقه وهو يشرك به"[3].
3) وقول **ابن قتيبة** في تأويل مختلف الحديث ''**فلست واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صانعا ومدبرا** وإن سماه بغير اسمه، أو عبد شيئا دونه ليقربه منه عند نفسه4.
4) **قول الشهرستاني** في نهاية الاقدام: ''**أمّا تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلستُ أراها مقالة ولا عرفت عليها صاحب مقالة** إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: كان العالم في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة فاصطكت اتفاقا، فحصل العالم بشكله الذي تراه عليه..**ولست أرى صاحب هذه المقالة ممّن ينكر الصانعَ، بل هو يعترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت**[5] والاتفاق احترازا عن التعليل، فما عُدّت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان **فإن الفطرة**

---

1 جامع البيان ط هجر (13/ 375)

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)

4 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)

5 وقع في المطبوع من نهاية الاقدام (البحث) بالثاء المثلثة! وهو تحريف، والصواب (البخت) بالتاء المثناة، أي الحظ والصدفة، ووقع على الصواب في درء تعارض العقل والنقل كما نبّه إلى ذلك محقق الدرء مُحَمَّد رشاد سالم .

السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عليم قدير[1].

5) أبو بكر الخوارزمي حيث قال في (الباب الرابع في الرد على الدهرية): **وهم شرذمة قليلة،** قالوا العالم في الأزل كان أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة **فاصطكت اتفاقا فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه..ولست أرى أن هؤلاء ينكرون الصانع،** لكن يعتقدون في حدوث العالم ما ذكرت، "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله"، **ويقولون: الآدمي يحدث من نطفة والنطفة من الآدمي..ولهذا لم يَرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، بل ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك**[2].

6) **الفخر الرازي،** "فقد استعرض الرازي عقائد أهل الصين والهند واليونان والترك والقبط والحبشة والزنوج، **وصرّح بأنهم كلهم يعتقدون بوجود الإله المدبر الحكيم.** ثم انتقل إلى العرب فقال "أهل الجاهلية: وهم العرب الذين كانوا موجودين قبل ظهور الإسلام، **وكلهم كانوا مطبِقين على الإقرار بوجود الإله**..فهذا هو ضبط أصناف أهل الدنيا، **وكلهم مطبقون على وجود الإله**"[3]. وينقل دمشقية عن الرازي قوله في تفسيره: "**اعلم أنه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكاً يساويه** في الوجود والقدرة والعلم والحكمة، وهذا ممّا لم

---

1 نهاية الإقدام في علم الكلام (ص: 123 - 124) ت- الفرد جيوم – لندن 1934 ، وهو في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/ 128) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 941)، آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (2/ 336)

2 مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص:106)، ينسب لأبي بكر الخوارزمي مُحَمَّد بن العباس (المتوفى: 383هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت/ 1418 هـ.

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 133) نقلا عن المطالب العالية للرازي.

يوجد إلى الآن، لكن الثنويّة يُثبتون إلهين، أحدهما حكيم يفعل الخير، والثاني سفيه يفعل الشر، وأما الاشتغال بعبادة غير الله ففي الذاهبين إليه كثرة"[1].

7) **ابن رشد**، فقد احتجّ ابن تيمية بقول ابن رشد في مناهج الأدلة[2] "**فإن العرب كلها كانت تعترف بوجود الباري سبحانه وتعالى**، ولذلك قال تعالى {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله}"[3].

والجواب على ذلك فيما يلي:

أولا: أمّا قول ابن قتيبة فسيأتي الجواب عنه[4]، وأمّا **قول قتادة وابن زيد فليس فيهما أن أحدا لم ينكر فيها وجود الله**، غاية ما فيها أن المشركين يعتقدون بوجود الله، ولكن يشركون فيه، وهذا لا نزاع فيه إذ لا معنى للشرك إلا هذا، وقد سبق بسط ذلك.

(تفصيل الجواب عن قول قتادة: فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم)

نعم ذَكر الطبري في قوله: {فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون} [العنكبوت: 65] عن **قتادة**: **فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم**، ثم يشركون بعد ذلك"5، فقوله "والخلق كلهم.."ظاهر أنه لا أحد من الخلق كافة ينكر وجود الله، والجواب من وجوه:

الأول: الذي يظهر لي أن قتادة يقصد بالخلق هنا المشركين وحدهم، وذلك لقرينة الحال والمقال؛ أمّا قرينة المقال فهي قوله بعد ذلك "ثم يشركون بعد ذلك"، وأما قرينة الحال فهي كونه يفسّر آية تتكلم عن المشركين وهي قوله تعالى {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا **هُمْ يُشْرِكُونَ**}.

---

1 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 133)، وانظر: مفاتيح الغيب (2/ 122).

2 انظر الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ص102، ت عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية.

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 70).

4 انظر: ص (538)

5 جامع البيان ط هجر (18/ 441)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (9/ 3082).

إذن فالقرينة الحالية والمقالية تبيّن أن قتادة قَصَد بـ "الخلق"في قوله "**والخلق كلهم**"المشركين فهو من العام الذي أريد به الخاص بدليل ما سبق، ويؤكد ذلك رواية الطبري عن قتادة نفسه أنه قال في قوله تعالى {وما يؤمن أكثرهم بالله} الآية: "لا تسأل أحدا **من المشركين**: من ربك، إلا قال: ربي الله، **وهو يشرك** في ذلك"[1].

الثاني: إن سُلّم أن قتادة قَصد الخلقَ كافة، فإنه لم يقل إن الخلق كافة **يقرّون بألسنتهم بالله**، وإن كان فعلا أراد ذلك فهذا يردّه الحسّ والمشاهدة فضلا عن القرآن، إذ نحن نشاهد أنه ليس كل من تسأله عن الخالق يقول هو الله! بل منهم من يقول هو عيسى عليه السلام، ومنهم من ينكر الخالق أصلا، والقرآن حدثنا عمّن أنكر وجود الله تعالى! مثل فرعون فهو لم يقرّ بلسانه ـ على الأقل ـ بأن الله ربه، بل ادعى فرعون الربوبية والألوهية لنفسه!! بغض النظر هل كان فرعون مؤمنا بقلبه بالله، وهذا سيأتي بسطه[2].

الثالث: لم يقل قتادة، بأنهم يقرّون بأن الله وحده ربهم، وإنما قال: "يقرّون لله أنه ربهم "فكلمة "وحده" التي هي محل النزاع لم يقلها قتادة، وبالتالي فلا حجة لكم في قوله على أن المشركين أو الناس كافة موحدون في الربوبية، فالدليل (أعني قول قتادة: فالخلق كلهم يقرّون لله **أنه ربهم**) أعمّ من مُدّعاكم الذي هو بأن الخلق كلهم **يقرون لله أنه وحده ربهم!**

الرابع: أن قتادة لم يقل بأن الناس يخلقون على هذا الإقرار بمقتضى الفطرة كما تقولون، بل هذا مخالف لقوله تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ **مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا** } [النحل: 78]، وقد سبق بسط ذلك[3].

---

1 جامع البيان ط هجر (13/ 375)

2 انظر: ص (96)

3 انظر: ص (47)

(قول الشهرستاني أما تعطيل العالم عن الصانع فلست أراها مقالة لأحد)

ثانيا: وأما قول الشهرستاني في نهاية الإقدام فهو نفسه يتضمن أن ثمة من أنكر وجود الخالق وهم الدهرية، حيث قال(أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد ولا أعرف عليه صاحب مقالة، **إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية** أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة، **واصطكت اتفاقا** فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه) كما سيأتي [1].

ولكن قال بعد ذلك: **ولست أرى صاحب هذه المقالة ممّن ينكر الصانعَ، بل هو يعترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت**[2] والاتفاق. وقال: **وأمّا تعطيل الصانع عن الصنع فقد ذهب وَهمُ الدهرية**[3] **القائلين بقدم العالم إلى أن الحكم بقدم العالم في الأزل تعطيل الصانع عن الصنع**[4]".

ولا يُسلّم للشهرستاني بأن هذا ليس إنكارا للصانع، بل هو إنكار له، قال ابن حزم: **باب الكلام على من قال بأن العالم لم يزل وأنه لا مدبر له..فذهبت طائفة إلى أنه لم يزل**

---

1 نهاية الإقدام في علم الكلام (ص:123)

2 وقع في المطبوع من نهاية الاقدام (البحث) بالثاء المثلثة! وهو تحريف، والصواب (البخت) بالتاء المثناة، أي الحظ والصدفة، ووقع على الصواب في درء تعارض العقل والنقل كما نبّه إلى ذلك محقق الدرء مُحَمَّد رشاد سالم .

3 ذهب وَهمُ الدهرية أي ذهب عقلهم وقلبهم، جاء في «القاموس المحيط» (ص1168): «• **الوهم: من خطرات القلب،** أو مرجوح طرفي المتردد فيه ج: أوهام ... ووهِم في الحساب، كوجل: غلط، و. في الشيء، كوعد: ذهب وهمه إليه» وجاء في «**تاج العروس** من جواهر القاموس» (34/ 62): «({الوهم: من خطرات القلب) ... **وقال الحكماء: هو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ،** من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد، وهذه القوة هي التي تحكم في الشاة بأن الذئب مهروب منه، وأن الولد معطوف عليه، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها، مستخدمة ... (ووهم في الحساب، كوجل) ، {يوهم،} وهما: (غلط) وسها. (و) {وهم (في الشيء، كوعد) } يهم وهما: (**ذهب وهمه إليه**) ، وهو يريد غيره، كما في الصحاح، ومنه الحديث: ((**أنه وهم** في تزويج ميمونة)) أي: **ذهب وهمه إليه** ».اهـ

4 نهاية الإقدام في علم الكلام (ص:126)

وهم الدهرية، وذهب سائر الناس إلى أنه محدث[1].اهـ فتأمل كيف جعل قول الدهرية بقدم العالم تحت قول من ينفي المدبر والخالق. ثم إنّ الملحدين الآن لا يقولون أكثر من أن العالم وجد بالاتفاق والمصادفة **فهم "يقولون بأن كل ما في الوجود أزلي صادر عن المادة والنواميس الطبيعية نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق وبلغت ما بلغته من الكمال والاتفاق عن طريق التطورات المتعاقبة"**[2]، ويؤكد ذلك أن الشهرستاني نفسه يقول في كتابه الملل والنحل: "اعلم أن العرب أصناف شتى: **فمنهم معطلة..وهم أصناف منكري الخالق،** والبعث، والإعادة، **فصنف منهم أنكروا الخالق** والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني "[3]. فهذا يؤكد أن الشهرستاني يرى أن ثمة من أنكر الصانع.

وأما حديث الشهرستاني عن أن النفس بفطرتها السليمة تشهد بوجود الصانع، فيُردّ عليه بأن النفس "**بفطرتها إذا تركت كانت مقرّة لله بالإلهية محبة له *تعبده لا تشرك به شيئا*** ''كما يقول ابن تيمية وقد سبق المزيد من هذه النصوص له ولأتباعه[4]، أي أن ما يسمى بتوحيد الألوهية فالفطرة تشهد وتقرّ به أيضا، ولكن هذا لا يعني أن الناس جميعا متفقون على توحيد الألوهية لكون الفطرة تقتضي ذلك، وذلك لأن الفطرة تتغير وتنحرف ويجتالها الشياطين كما سبق بسط ذلك، ونفس الشيء يقال عن توحيد الربوبية فإنه على التسليم بأن الناس جميعا مفطورون عليه، فهذا لا يعني أن الناس متفقون على ذلك لنفس السبب السابق مِن انحراف الفطرة ونحوه، وهذا ما أشار إليه الشهرستاني بقوله "**إن الفطرة السليمة الإنسانية**"[5] فقيّدها بالسليمة ليُخرج المنحرفة، **وهكذا فلا فرق بين قسمي التوحيد من**

---

1 الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 15)

[2] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص107، وآليا ص135

3 انظر: الملل والنحل 648/3.

[4] انظر: ص (11)

[5] نهاية الإقدام في علم الكلام (ص: 123 - 124)

هذه الناحية كما سبق بسطه، هذا فضلا عن أن الفطرة مختَلَف في تفسيرها على أقوال كثيرة سوى هذا التفسير الذي يذهب إلى أن الفطرة هي الاعتقاد بوجود الله منذ الصغر، وقد سبق بسطها ولا حاجة لإعادتها.

وأما قول الشهرستاني: **وهذه المسألة مقصورة على استحالة وجود إلهين يثبت لكل واحد منهما من خصائص الإلهية** ما ثبت للثاني، ولست أعرف صاحب مقالة صار إلى هذا المذهب؛ **لأن الثنوية وإن صارت إلى إثبات قديمين لم تثبت لأحدهما ما ثبت للثاني من كل وجه.**

فهذا يردّه قول ابن القيم: **ومِن تلاعبه وكيده تلاعبُه بالثنوية،** وهم طائفة قالوا: الصانع اثنان؛ ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة؛ **وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين مدركين سميعين بصيرين..**[1]

(قول الفخر الرازي أن الناس جميعا مطبقون على وجود الله)

ثالثا: وأما ما ذكره دمشقية عن الفخر الرازي من أن الناس جميعا مطبقون على وجود الله، فالرد عليه من وجوه:

الوجه الأول: أن نصوص الرازي كثيرة على وجود من يؤمن بمدبِّر ومؤثّر سوى الله، بل نصّ على وجود الدهرية المعطلة للصانع حتى بين العرب أنفسهم فضلا عن غيرهم، وفيما يلي بعض تلك النصوص:

1) يقول الإمام الرازي: دلائل وجود الله تعالى ظاهرة، وهي دلائل الآفاق والأنفس، وقلما توجد في الدنيا طائفة **ينكرون وجود الإله تعالى**[2].اهـ فها هو ذا ينصّ على أن قلّة من ينكر وجود الله، إذن يوجد من ينكر وجود الله.

---

1 إغاثة اللهفان (2/ 245)

[2] مفاتيح الغيب (18/ 11)

2) ويقول **الرازي** أيضا عند قوله تعالى''ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدْوا بغير علم": "واعلم أنا قد دللنا على أن **القوم كانوا مقرين بوجود الإله** تعالى **فاستحال إقدامهم على شتم الإله** بل ها هنا احتمالات؛ **أحدها**: أنه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر **ونفي الصانع**، فما كان يبالي بهذا النوع من السفاهة.."[1].اهـ وكما ترى فإنه يتكلم هنا عن مشركي العرب، وأنه يحتمل عنده أن **منهم من ينفي الصانع**، ولذلك كان لا يبالي بشتم الله عزّ وجل وتعالى عمّا يقولون علوا كبيرا.

3) ويقول كذلك: ولقد كان عليه السلام مبتلىً **بجميع فرق الكفار**، فالأول: الدهرية الذين كانوا يقولون: وما يهلكنا إلا الدهر، والله تعالى أبطل قولهم بأنواع الدلائل. والثاني: الذين **ينكرون القادر** المختار، والله تعالى أبطل قولهم بحدوث أنواع النبات وأصناف الحيوانات، مع اشتراك الكل في الطبائع وتأثيرات الأفلاك، وذلك يدل على **وجود القادر**[2].اهـ

4) **وقال**:كان أبو حنيفة رحمه الله سيفا على الدهرية[3]..ثم ساق مناظرته لهم في **إثبات وجود الله**، ثم قال الرازي: سألوا الشافعي ﷺ: ما الدليل على **وجود الصانع**؟ فقال: ورقة الفرصاد، طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم؟..إلخ[4].

5) وقال الرازي أيضا:''أما قوله: ويوم القيامة يُردّون إلى أشد العذاب ففيه سؤال وهو: أن عذاب الدهرية الذين **ينكرون الصانع** يجب أن يكون أشد من عذاب اليهود[5].

6) وقال: ومزيد التحقيق فيه أن فرعون على ما بيناه في سورة طه كان من الدهرية، وكان من **المنكرين لوجود الصانع** تعالى[6].

---

[1] مفاتيح الغيب (13/ 147)

2 مفاتيح الغيب (2/ 98)

3 مفاتيح الغيب (2/ 108)

4 مفاتيح الغيب (2/ 108)

[5] مفاتيح الغيب (3/ 187)

[6] مفاتيح الغيب (17/ 161)

7) وقال: والدهرية الذين **لا يعترفون بوجود مؤثر** في العالم[1].

8) وقال: فإن أهل الطبائع وأهل النجوم يضيفون أكثر هذه النعم إلى الطبائع وإلى النجوم، وذلك يوجب كونهم **جاحدين لكونها من الله تعالى**[2].

9) وقال وهو يتكلم عن سبب عبادة الكواكب والأصنام: إن الناس رأوا تغيرات أحوال هذا العالم الأسفل **مربوطة بتغيرات أحوال الكواكب**..فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون أكثر الخلق أن مبدأ حدوث الحوادث في هذا العالم **هو الاتصالات الفلكية**..ثم منهم من اعتقد أنها **واجبة الوجود لذواتها**، ومنهم من اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة للإله الأكبر، **إلا أنهم قالوا**: إنها وإن كانت مخلوقة للإله الأكبر، إلا أنها هي **المدبرة لأحوال** هذا العالم..وإذا عرفت هذا ظهر أنه لا طريق إلى إبطال القول بعبادة الأصنام إلا بإبطال كون الشمس والقمر وسائر الكواكب **آلهة لهذا العالم مدبرة له**[3].**اهـ إذن ها هو الرازي** نصّ هنا على أن ثمة من يعتقد بأن **الكواكب واجبة الوجود** أي لا خالق لها، وأن هناك من يعتقد بأنها مخلوقة **ولكنها مدبّرة للعالم!!**

10) ونختم بهذا النص وهو من تتمة كلام الرازي السابق في تفسيره الذي سرده دمشقية نفسه ولكن بتره، فإن **الرازي يثبت فيه أن ثمة من يعتقد بمدبّر سوى الله،** وأن ثمة من أنكر وجود الله أصلا، حيث قال:..وأما الاشتغال بعبادة غير الله، ففي الذاهبين إليه كثرة؛ فمنهم عبدة الكواكب، وهم فريقان منهم من يقول إنه سبحانه خلق هذه الكواكب، **وفوّض تدبير** هذا العالم السفلي إليها، فهذه الكواكب، هي **المدبرات لهذا العالم**..ومنهم قوم **غلاة ينكرون الصانع**، ويقولون: هذه الأفلاك والكواكب أجسام واجبة الوجود لذواتها، وبمتنع عليها العدم والفناء، وهي المدبرة

---

[1] مفاتيح الغيب (23/ 19)

[2] مفاتيح الغيب (20/ 244)

3 مفاتيح الغيب (13 /30)

لأحوال هذا العالم الأسفل، وهؤلاء هم **الدهرية** الخالصة[1].اهـ **فتأمل** قوله "ومنهم قوم غلاة **ينكرون الصانع**"فإنه صريح في أنّ ثمة من أنكر الصانعَ، فلا جرم أن دمشقية بتر ذلك!!

فهذه عشرة كاملة، وكلها ـ كما ترى ـ ينص فيها الرازيُّ على و**جود من يؤمن بوجود مدبّر سوى الله** كالكواكب وغيرها، بل نصّ على وجود منكري الصانع من أصله، نعم قال الرازي بأن هؤلاء قلةٌ بالنسبة لمجموع البشر كما في النص الأول، وكما في قوله: دخلت **بلاد الهند** فرأيت أولئك الكفار **مطبِقين على الاعتراف بوجود الإله، وأكثر بلاد** الترك أيضا كذلك، وإنما الشأن في عبادة الأوثان، فإنها آفة عمّت أكثر أطراف الأرض[2].اهـ إذن هو يتكلم عن إطباق أهل الهند على وجود الله، ولا يتكلم عن غيرها من البلدان، بدليل قوله بعد ذلك "**وأكثر بلاد الترك** "، حتى أهل الهند فمراده مَن التقى بهم من الهنود أو معظمهم وإلا فهو لم يلتق بهم كلهم كما هو ظاهر.

الوجه الثاني: قول الرازي في المطالب العالية الذي نقله عنه دمشقية: "فهذا هو ضبط أصناف أهل الدنيا، وكلهم **مطبقون على وجود الإله**"[3]؛ فالجواب عنه **بقول الرازي نفسه** في أول هذا الكلام حيث قال: اعلم أن أصناف العلوم وأقسامها كثيرة..إلى أن يقول: ودليل هذا الصنف من العلماء على إثبات الإله..أنه لم يوجد تحت قبة السماء طائفة منهم ***كثيرة معتبرة* ينكرون وجود الله تعالى**[4].اهـ

فيستفاد من هذا الكلام أمران، **الأول**: أن هذا ليس قوله وإنما نقله عمّن سماهم "**العلماء الباحثون** عن تواريخ أهل الدنيا"، **الثاني**: قوله "لم يوجد تحت قبة السماء طائفة منهم **كثيرة**

---

1 مفاتيح الغيب (13/ 37)

2 مفاتيح الغيب (18/ 362)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 133)

4 المطالب العالية من العلم الإلهي (1/ 249)

معتبرة ينكرون وجود الله تعالى''إذن علماء التاريخ هؤلاء قيّدوا نفيهم ولم يطلقوه، ومعلوم أن "نفي المقيَّد بقيد إنما ينصب النفي فيه **على القيد**، وهذا أمر ظاهر لا منازعة فيه"[1]، وعليه فإن معنى الكلام هنا أن **ثمة من ينكر وجود الله، ولكن لا يشكّل طائفة كبيرة معتبرة**، وهذا نصّ عليه الرازي نصّا فقال: "من ينفي المؤثر أصلا، فلا أعرف في الدنيا طائفة قالوا بهذا **القول إلا القليل**". وسيأتي كلامه بطوله، إذن فلا الكلام كلام الرازي، وإنما هو ناقل فقط عن أهل التاريخ، ولا كلامهم فيه نفي مطلق لوجود من ينكر الله وإنما مقيد كما رأينا.

حتى لو سلّمنا أن هؤلاء المؤرخين وغيرهم زعموا أن أحدا لم ينكر وجود الله، فالرازي مخالف لهم في الكتاب نفسه! **فإنه تكلم مطوّلا عن هؤلاء المنكرين لوجود الصانع!** وقسمهم إلى ثلاث طوائف، فقال: لأن هذا العالم إما ألّا يكون له مؤثر وهو القسم الأول..**وهو قول من ينفي المؤثر أصلا، فلا أعرف في الدنيا طائفة قالوا بهذا القول إلا القليل**، وهؤلاء على فساد قولهم وقلة عددهم فإنهم ثلاث طوائف: **الطائفة الأولى**: الذين قالوا هذه الأفلاك **والكواكب واجبة الوجود بحسب ذواتها**..وهؤلاء هم الدهرية الخالصة. **الطائفة الثانية**: الذين قالوا: إن هذه الأفلاك والعناصر مركبة من أجزاء كرية الشكل، صلبة لا تقبل الانفصال في الوجود، **فإنها متحركة لذواتها من الأزل إلى الأبد**، واتفق كونها في حركاتها المختلفة أن تصادمت على وجه خاص، فتولد هذا الفلك من تلك المصادمات..وهذا قول: «ديمقراطيس''من القدماء. **والطائفة الثالثة**: الذين جوّزوا حدوثَ الحادث، لا عن سبب أصلا، قالوا: فعلى هذا التقدير، لا يبعد أن يقال: الأجسام الفلكية حادثة، إلا أنها **حدثت لا لمؤثر أصلا**، ثم تحركت على وجه خاص، لا لمؤثر أصلا. ثم إن حركاتها صارت أسبابا، لحدوث الحوادث، في هذا العالم العنصري..فهذه الأقوال الثلاثة متشعبة من قول **من ينكر المؤثر أصلا**[2].

---

[1] تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش (3/ 1218).

[2] المطالب العالية من العلم الإلهي (4/ 364).

ثم عقد الرازي فصلا طويلا لتفنيد مقالات هذه الطوائف الثلاث فقال: الفصل الثاني في **الرد على الدهرية**، أما القائلون منهم بأن الأفلاك واجبة الوجود لذواتها. فاعلم أن الفلاسفة الإلهيين أبطلوا قولهم بطريق، والمتكلمون أبطلوا قولهم بطريق آخر..[1] إلخ. وأطال في ذلك.

إذن فالرازي هو نفسه يحكي إنكار وجود الله عن بعض البشر، وهذا حكاه غيره من أهل العلم بالملل والنحل، فقال **الحليمي** مثلا: فإن قوما ضلوا عن معرفة الله عز وجل وكفروا وألحدوا **وزعموا أنه لا فاعل لهذا العالم، وأنه لم يزل على ما عليه، ولا موجود إلا المحسوسات، وليس وراءها شيء**، وأن الكوائن والحوادث إنما تكون **تحدث من قِبَل الطبائع** التي في العناصر وهي الماء والنار والهوى والأرض، **ولا مدّبر للعالم يكون ما يكون باختياره وصنعه**[2].اهـ بل حكاه ابن تيمية نفسه فقد قال "**كان يجحد الصانع بعضُ الناس**"[3]، وقد سردنا كثيرا من نصوصه ونصوص أتباعه في ذلك[4].

الوجه الثالث: أنه لا الرازي ولا المؤرخون الذين نَقل عنهم قالوا بأن أولئك الأصناف الذين استعرضوا عقائدهم من أهل الصين والهند واليونان والترك والقبط والحبشة والزنوج: أنهم **موحدون في الربوبية**، وإنما قال **المؤرخون عنهم بأن يثبتون الإله**، بغضّ النظر هل هذا الإله واحد أو متعدد، وبغضّ النظر عن صفاته.

فمثلا الهند الذي زارها الرازي يعتقد أهلها بوجود آلهة كثيرة، وقول الرازي "دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار **مطبِقين على الاعتراف بوجود الإله**"، أي بوجود جنس

---

1 المطالب العالية من العلم الإلهي للفخر الرازي (4/ 363) إلى (4/ 373).

[2] المنهاج في شعب الإيمان (1/ 184)

[3] مجموع الفتاوى (7/ 631)

[4] انظر: ص (21)

الإله لأن (أل) في "الإله"هنا أل الجنسية، وهذه حقيقة عقيدة الهندوس، **فالهندوس لا يوجد عندهم توحيد** بل هم "يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاً يُعبد: كالماء والهواء والأنهار والجبال..**وهي آلهة كثيرة** يتقربون إليها بالعبادة والقرابين"[1].

لا يقال هنا هي عندهم "آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة "وليست عندهم آلهة تخلق، لأننا نقول هذه **الآلهة عندهم هي آلهة خالقة** وليست معبودة فقط، فهم يعتقدون أن آلهتهم تقاسمت خلق الناس على طبقات **فكل إله خلق طبقة، فالبراهمة: "خلقهم الإله براهما من فمه:** منهم المعلم والكاهن..والكاشتر: **خلقهم الإله من ذراعيه:** يتعلمون ويقدّمون القرابين والويش: **خلقهم الإله من فخذه:** يزرعون ويتاجرون..والشودر: **خلقهم الإله من رجليه**[2].

الوجه الرابع: قول الرازي "**ليس في العالم أحد يثبت لله شريكاً يساويه**" غير مسلّم حتى عند الرازي نفسه، بل ثمة من ذهب إلى ذلك من النصارى والثنوية والوثنيين وغيرهم، وهذا أشار إليه الرازي نفسه في مواضع عديدة، أمّا النصارى فقد **قال الفخر الرازي:** في تفسير **قول النصارى ثالث ثلاثة:** طريقان؛ **الأول:** قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، فقوله: **ثالث ثلاثة، أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد**

---

1 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 726)

2 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 726)، وقد جاء **نحو هذا في الإسرائيليات**، كما في كتاب «السنة لعبد الله بن أحمد» (2/ 475): عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «**خلق الله عز وجل الملائكة من نور الذراعين والصدر**»، وزاد عثمان الدارمي فقال في «نقض الدارمي على المريسي – ت الألمعي» (648/2):«قلت: وقال بعضهم: **من شعر الذراعين، والصدر**»، وقد علّق **القحطاني** محقق كتاب السنة فقال: "فيه تدليس هشام عن أبيه... **وهذا الأثر منكر**؛ لأن النصوص الصريحة بخلافه **ثم هو دخول في الكيفية، والكلام فيها مخالف لصريح مذهب السلف، بل هذا الكلام أقرب إلى الفكر البرهمي منه** إلى غيره كما هو معلوم في ديانة البراهمة".اهـ وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة » (1/ 820) بعد أن أورد الأثر السابق: «قلت: **فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها**، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ».

من ثلاثة آلهة، والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم "وما من إله إلا إله واحد"، وعلى هذا التقدير ففي الآية إضمار، إلا أنه حذف ذكر الآلهة لأن ذلك معلوم من مذاهبهم..والطريق الثاني: أن المتكلمين حكَوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، **ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح القدس**، وهذه الثلاثة إله واحد،..وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، **والكل إله واحد**[1].

وقال ابن عثيمين عند حديث "**أنا ثالث الشريكين** ما لم يخن أحدهما صاحبه"، قال: ولم يقل: ثاني الشريكين، لأن القاعدة في اللغة العربية أنه إذا كان ثالث الاثنين من غير الجنس فإنه لا يذكر بلفظ مطابق، وإذا كان من الجنس فإنه يذكر بلفظ مطابق..ولهذا قال الله تعالى: {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} ولم يقل: إلا هو ثالثهم وقال عن النصارى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} **ولم يقل ثالث اثنين، لماذا؟ لأنهم يجعلون الله ومريم وعيسى سواء، يجعلون الكل جنساً واحداً**[2].اهـ وسيأتي المزيد حول تثليث النصارى وأنهم يثبتون ثلاثة آلهة مساوية لبعضها[3].

وأما الثنوية والمجوس وغيرهما فقد أثبتوا وجود إلهين متكافئين، وإليك نصوص الرازي وغيره على ذلك:

1) **يقول الرازي**: واعلم أن الثنوية يقولون: للعالم إلهان: أحدهما: خير وعسكره الملائكة، والثاني: شرير وعسكره الشياطين، وهما يتنازعان أبدا كل شيء في هذا العالم[4].

---

1 مفاتيح الغيب (12/ 64)

2 فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام لابن عثيمين ط المكتبة الإسلامية (4/ 170).

[3] انظر: ص (136)

4 مفاتيح الغيب (1/ 95)

2) **وقال الرازي** أيضا: وأما الذين اتخذوا الشركاء لله من غير الأجسام فهم أيضا طوائف: الطائفة الأولى: الذين قالوا مدبر العالم هو النور والظلمة، وهؤلاء هم المانوية والثنوية. والطائفة الثانية: هم الذين قالوا: الملائكة عبارة عن الأرواح الفلكية، ولكل إقليم روح معين من الأرواح الفلكية يدبره، ولكل نوع من أنواع هذا العالم روح فلكيّ يدبره..والطائفة الثالثة: الذين قالوا: للعالم إلهان؛ أحدهما خيّر، والآخر شرير، وقالوا: مدبّر هذا العالم هو الله تعالى وإبليس، وهما أخوان، فكل ما في العالم من الخيرات فهو من الله وكل ما فيه من الشر فهو من إبليس.1.

3) وقال الرازي في قوله {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ}: قوله: "أحد ''يبطل مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة، والنصارى في التثليث، والصابئين في الأفلاك والنجوم، والآية الثانية تبطل مذهب من أثبت خالقا سوى الله..[2].

4) وقال الحليمي بأن "**قوما ادّعوا فاعِلَين، وزعموا أن أحدهما يفعل الخير، والآخر يفعل الشر، وزعم قوم أن بدء الخلق كان من النفس**، إلا أنه كان يقع منها لا على سبيل السداد والحكمة، وأخذ الباري على يدها، وعمد إلى مادة تدعمه كانت موجودة معه لا تزل، فركّب منها هذا العالم على ما هو عليه من السداد والحكمة"[3].

5) وقال ابن تيمية: وهؤلاء ضاهَوا **المجوس في الإشراك بربوبيته، حيث جعلوا غيره خالقا**[4].

6) ويقول ابن القيم: ومِن تلاعبه وكيده تلاعبه بالثنوية، وهم طائفة قالوا: الصانع اثنان، ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة، **وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين** حساسين

---

1 مفاتيح الغيب (1/ 248)

2 مفاتيح الغيب (32/ 185)

[3]المنهاج في شعب الإيمان (1/ 184)

4 مجموع الفتاوى (13/ 213)

مدركين سميعين بصيرين..إلى أن يقول: فدار مذهبهم على أصلين من أبطل الباطل أحدهما أن شرّ الموجودات وأخبثها وأردؤها كفؤ لخير الموجودات وضد له ومناوئ له يعارضه ويضاده ويناقضه دائما ولا يستطيع دفعه[1].اهـ وقال أيضا بأن "عباد الأوثان كانوا يُقرّون بتوحيد الربوبية..ولم يكونوا يُقِرُّون بصانعَيْنِ للعالم، أحدهما: خالق للخير، والآخر للشرّ، كما تقوله المجوس[2].اهـ

7) ((وأما المانوية (نسبة لماني 216 277م)، فهي امتداد للزرادشتية من حيث احتفاظها بفكرة الثنوية..مع بعض الفوارق، ولعل أهمها: **أن إله الخير مساوٍ لإله الشرّ في القدرة والأزلية**، فلا يتغلب أحدهما على الآخر، بينما سينتصر في النهاية مبدأ النور في الزرادشتية))[3].

8) قال الشيخ حبنكة: "**من أصناف المشركين** صنف ممّن يعتقدون فيمن يعبدونهم **أنهم** هم الأرباب، وأنه لا خالق للسماوات والأرض ولا متصرف فيهما إلا أربابهم التي يعبدونها، فمنهم أهل التثنية، ومنهم أهل التثليث، ومنهم يعدّدون الأرباب فوق ذلك"[4].

وأمّا الوثنيّون فقد جعلوا الملائكة بنات الله، يقول ابن تيمية: {وإذا بُشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا..} فإن الولد يماثل أباه، وكذلك الشريك يماثل شريكه، فهم ضربوا الإناث مثلا، وهم جعلوا هذه شركاء لله سبحانه فكانوا يجعلونها أندادا لله..[1].اهـ فنسبة الولد إلى الله هو "قول بمماثلة الولد في تمام حقيقته، وهي مستلزمة للإمكان المتداعي إلى الحدوث،

---

1 إغاثة اللهفان (2/ 245)

2 زاد المعاد في هدي خير العباد (5/ 91)

3 العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم، للدكتور ثائر حلاق (2/ 164).

4 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص53

1 مجموع الفتاوى (27/ 364)

وذلك غاية النقص في حق البارئ تعالى"[1]. وقال ابن القيم عن المشركين بأنهم "**أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات، والغنى عن** جميع المخلوقات، وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات..فأعطوها صورا وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإلهِ الحق، وأذلّها وأصغرها وأحقرها"[2].

وهكذا نرى وجود كثير من أهل الملل والنحل **ممّن يقولون بإثبات شركاء لله مساوين** له **ليس في العبادة فحسب، بل في الخلق** أيضا كالنصارى والثنوية والوثنية وغيرهم. ثم ولو سلمنا بظاهر قول الرازي إنه "ليس في العالم أحد يثبت لله شريكاً يساويه"؛ فمفهوم كلامه هذا أنه ثمة من أثبت إلهين متفاوتين، أي كل منهما يتصف بصفات الألوهية والربوبية من الخلق والتدبير، بيد أن أحدهما يتصف بذلك بنسبة 51% فأكثر، والآخر يتصف بذلك بنسبة 49% فأقل، أي أنه في النتيجة ثمة من يعتقد بوجود شريك لله في الربوبية والخلق والتدبير بنسبة ما ولو كانت قليلة حتى ولو كانت 1%، وهذا عكس أصل نظرية ابن تيمية أنه لم يشرك أحد من بني آدم في الربوبية، مع أنه اعترف هو وأتباعه في مواضع أخرى بأن ثمة من أشرك في الربوبية أو في بعض صفاتها وأجزائها، بل أقرّ السلفية آخر المطاف بأن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية كان منقوصا بل منقوضا كما سبق.

خامسا: أما احتجاج ابن تيمية بما قاله **ابن رشد من أن العرب جميعها تعترف بوجود الله،** فالجواب عن ذلك فيما يلي:

1) لم يقل ابن رشد إن الناس أجمعين مقرّون بوجود الله، وإنما تحدث عن العرب فحسب.
2) حتى العرب الذين تحدث عنهم لم يقل إنهم مقرّون بتوحيد الربوبية.

---

[1] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 83)

2إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 312)

3) أن ابن رشد ذكر في الموضع نفسه أنه "يظهر من غير ما آية من كتاب الله تعالى أنه دعا الناس فيها إلى التصديق بوجود الباري تعالى بأدلة عقلية منصوص عليها فيها"[1]، وهذا خلاف نظرية ابن تيمية من أن الرسل لم تدعُ إلى الإيمان بوجود الله أصلا! فضلا عن أن يقيموا أدلة عقلية على وجود الله!! بحجة أنه أمر فطري.

سادسا: إن سلمنا جدلا بأن أحدا من السلف أو الخلف ادعى أن أحدا من الناس لم ينكر وجودَ الله، أو لم يقل أحدٌ بوجود شريك لله في الخلق والملك والتدبير: فكلامه مردود بالحس فضلا عن الشرع، **إذ الحس والشرع كلاهما يثبت وجود من أنكر وجود الله**، ووجود من ادعى شريكا لله في الربوبية، وفيما يلي بسط ذلك.

---

1 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 69)، وانظر مناهج الأدلة ص102

المبحث الثاني: الأدلة على وجود من أشرك في الربوبية

إن الأدلة على وجود من أشرك في الربوبية، بل على من أنكر وجود الله أصلا هي أدلة كثيرة، وهي من الكتاب والسنة والحس فضلا عن إقرار ابن تيمية وأتباعه بذلك، وإليكم بسط ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب

فقد وردت آيات أخبرت بوجود من كان ينكر الله أو يشرك في ربوبيته وخالقيته، أذكر بعضها فيما يلي:

الآية الأولى: أنا ربكم الأعلى

قال الله عن فرعون: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: 24] أي "الذي كل رب دوني"[1]. و"لا رب فوقي"[2] وثمة آيات أخرى في هذا المعنى، فقد قال تعالى أيضا: {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء: 29]، أي "لئن أقررت بمعبود سواي..لأسجننك"[3]. وقال تعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: 38]. ففي هذه الآيات وأمثالها دلالة واضحة على أن "فرعون لم يكن مُقرّا لله بالربوبية، وإنما كان يزعم أنه هو الرب"[4]، فهو "لم يكن مشركاً بالله بل دهرياً منكراً لله تعالى حيث قال: وما رب العالمين؟"[5]، إذن قد "**وجد في البشر من أنكر ربوبية الله وجحدها**، ونسبها إلى نفسه أو اعتقدها في غيره، وقائد هؤلاء جميعا فرعون موسى الذي ادعى الربوبية لنفسه وأرغم قومه على الاعتراف بها وأعلن ذلك فيهم"[6].

---

1 جامع البيان ط هجر (24/ 83)

2 تفسير السمعاني (6/ 150) وفتح البيان في مقاصد القرآن (15/ 63)، فتح القدير للشوكاني (5/ 455)

3 جامع البيان ط هجر (17/ 564)

4 جامع البيان ط هجر (17/ 556)

5 صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: 449)

[6] حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد (ص: 223)، لمحمد بن عبد الله زربان الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 2003م.

وقد اعترض ابن تيمية وأتباعه بما حاصله أن "فرعون كان مظهرا الإنكار للخالق وجحوده"[1]. وهو "أشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع..وقد كان مستيقنا به في الباطن"[2]، أي أن "فرعون لم يقل هذا لعدم معرفته في الباطن بالخالق لكن أظهر خلاف ما في نفسه كما قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل: 14]، وكما قال له موسى: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء: 102]"[(3)]. إذن فهذا يدل على أنه "**كان في الباطن عارفا وإنما جحد ظلما وعلوا**"[4]، "وعدم إقرار فرعون بربوبية الله **هو من قبيل تجاهل العارف**"[5]، فإذن هو«**معاند يعلم أنه عبد مربوب،** وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق»[6]، "**وإلا فمن خلقه هو؟ ! وخلق الخلق قبله؟** "[7].

والجواب عن اعتراضه من وجوه:

---

1 مجموع الفتاوى (6/ 256).

2 شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (1/ 26)، وانظر أيضا: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (3/ 488)، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 22)، معارج القبول (1/ 108)، موسوعة الألباني في العقيدة (4/ 164)، جهود علماء الحنفية (1/ 303)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 154)، إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد (1/ 360)، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص155، خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية.

(3) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 440)

4 جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (1/ 14)

5 الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي (ص: 179)

6 «البداية والنهاية ت شيري» (1/ 289)

7 قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة (ص: 171)

الوجه الأول: أن هذا مخالف لما قاله ابن تيمية في مواضع أخرى من أن فرعون كان من المعطلة المنكرين للصانع وفي ذلك يقول: "وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل **فكان يجحد الخالق** ﷻ.."[1]. ثم سرد الآيات السابقة. وقال: وجمهور المشركين كانوا مقرّين برب العالمين **والمنكر له قليل مثل فرعون ونحوه**[2].اهـ وقال: **لم يذكر الله جحود الصانع إلا عن فرعون** موسى[3].اهـ

لا يقال: لا تناقض في كلام ابن تيمية، لأنه يقصد بقوله "كما كان فرعون يفعل **فكان يجحد الخالق**..": أن فرعون جاحد لله بلسانه لا بقلبه، بدليل قول ابن تيمية في موضع آخر "إنه كان **في الباطن عارفا، وإنما جحد ظلما** وعلوا"، فيكون محصل كلام ابن تيمية أن فرعون جاحد لله بلسانه، مقرّ به في قلبه، وقد صرح بذلك في موضع واحد حين قال: "قال فرعون: وما رب العالمين ؟ إنكارا له وجحدا..**وفرعون لم يقل هذا لعدم معرفته في الباطن بالخالق، لكن أظهر خلاف ما في نفسه** كما قال تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا }[4].

والجواب: أولا: هذا كله يخالف ما جزم به ابن تيمية في بعض المواضع على الأقل من أن فرعون منكر لوجود الله مطلقا كالدهرية، حيث قال في صدد ردّه على ابن عربي: وهذا يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين **ينكرون وجود الصانع** مطلقا، ولا يقرّون بوجود

---

1 مجموع الفتاوى (13/ 185)، وانظر أيضا: مجموع الفتاوى (6/ 256) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (2/ 53).

2 مجموع الفتاوى (5/ 549)

3 مجموع الفتاوى (7/ 630)

[4] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8 /440)

واجب غير العالَم. كما ذكر الله **عن فرعون وذويه**؛ وقوله مطابق لقول فرعون **لكن فرعون لم يكن مقرا بالله**[1].اهـ

ثانيا: أن آية "وجحدوا بها.."المراد بها أن فرعون وقومه علموا بأن معجزات موسى عليه السلام هي من عند الله، وعلمهم بالله كان بعد أن جاءهم موسى وعرّفهم بالله تعالى، وأما قبل ذلك فما كان فرعون ولا قومه يعرفون الله أصلا، كما قال تعالى على لسان فرعون: {فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا **لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى** وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [القصص: 38] "أي في قوله **أن ثَمَ ربّا غيري**، لا أنه كذبه في أن الله تعالى أرسله؛ **لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع جل وعلا**"2، وكذا قومه فقد "كانوا يجحدون الصانع جل وعلا، **ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون**"[3]، إذن هم يعتقدون ذلك، **وهل تكون العقيدة إلا في القلب؟!**

ثالثا: لو سلّمنا جدلا أن فرعون وقومه كانوا يعرفون الله ويقرون به في قلوبهم حتى قبل أن يأتيهم موسى عليه السلام، وأنهم كانوا يجحدون الله بألسنتهم عنادا، لو سلّمنا بهذا كله. ودونه خرط القتاد. فنسألكم: هل جحْدهم اللهَ بألسنتهم لا يقدح في توحيد الربوبية ما دام أنهم يقرون به في قلوبهم؟ إذا كان لا يقدح فليكن إذن مشركو العرب مقرين بتوحيد الألوهية لكونهم كانوا يعلمون "أنه لا رب غيره، **ولا إله سواه**"[4]، لكونهم مفطورين على توحيد الألوهية إذ "**الروح مركوز في أصل فطرتها وخلقتها شهادة أن لا إله إلا الله**"[5]، ولا يقدح في ذلك أنهم أنكروا بألسنتهم "لا إله إلا الله"، لأنهم فعلوا ذلك تكبرا وظلما وعلوّا!! كما دل على ذلك قوله {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ **يَسْتَكْبِرُونَ** } [الصافات: 35]، أي

---

[1] مجموع الفتاوى (241/2)

2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (10/ 464)

3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (10/ 340)

4 جامع البيان ط هجر (5/ 286)

5 بدائع الفوائد لابن القيم (4/ 1592)

"يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون"[1]، تماما كما فعل فرعون وقومه حين أنكروا توحيد الربوبية بألسنتهم فلم يقدح ذلك عندكم في إقرارهم بتوحيد الربوبية لأنهم كانوا يقرّون بذلك في قلوبهم!! وما كان جوابا منكم فهو جوابنا.

ولم يكن مشركو العرب يعلمون أن التوحيد الذي جاءهم به الرسول حقّ فحسب، بل كانوا يعلمون أن الرسول نفسه حقّ واليوم الآخر حقّ، فهم "**كانوا يعلمون** أنهم كانوا في الدنيا على باطل **وأن الرسول صَدَقُوهم فيما بلغوهم عن الله، وتيقنوا ذلك وتحققوه، ولكنهم أخفوه** ولم يظهروه بينهم، بل تواصوا بكتمانه"[2]، بل كان المشركون يعرفون أيضا أن النبي رسول من عند الله، وفي ذلك يقول **ابن تيمية** نفسه: "**أبو طالب وغيره** كانوا يحبون النبي ﷺ ويحبون علوّ كلمته وليس عندهم حسد له، **وكانوا يعلمون صدقه، ولكن كانوا يعلمون أن في متابعته فراق دين آبائهم وذمَّ قريش لهم، فما احتملت نفوسهم** ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم؛ **فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به؛ بل لهوى النفس**"[3].

وقال ابن القيم عن المشركين: "ولم يُقِرُّوا لمحمد بأنه رسول الله **مع تحقّقهم صدقه،** وتيقنِهم صحةَ رسالته"[4]. وقد سبق المزيد حول هذا[5]. وقد سبق قول ابن كثير عن افتراءات المشركين عن القرآن بأنهم "**يعرفون كذب أنفسهم** فيما زعموه"[6]، وقال أبو حيان: "**هذا فرعون كان عالماً بوحدانية الله وربوبيته** دون غيره، ومع ذلك حمله حب الرئاسة والإعجاب

---

1 جامع البيان ط هجر (19/ 528)

2 عدة الصابرين لابن القيم (ص: 156)، ت : زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية.

3 مجموع الفتاوى (7/ 192)

4 زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 314)

5 انظر: ص (99، و229، 277)

6 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (10/ 285)

بما أوتي من الملك، **فادعى الألوهية مع علمه؛ وأبو جهل كان يتحقق رسالة النبي** صلى الله عليه وسلم **ويعلم أن ما جاء به حق**، ومع ذلك أنكر نبوته، وأقام على الكفر، وكذلك الأخنس، وأمية بن أبي الصلت، **وغيرهما ممّن كفر عناداً، مع علمهم بصدق الرسل**"[1].

بل إن القول بأن المشركين كانوا مقرّين بتوحيد الألوهية أولى من القول بأن فرعون كان موحدا في الربوبية، لأنهم لم يدّعوا أنهم آلهة ولا أربابا، بل يعلمون بقلوبهم أنه لا ربّ ولا إله سواه تعالى كما سبق بيانه، وأما فرعون فقد ادعى أنه الإله الوحيد والرب الأعلى ولم يقدح ذلك عندكم في أنه موحّد في الربوبية لكونه عارفا في قلبه بالله وإن أنكره بلسانه!

وإن قلتم: نحن لم نقل بأن فرعون موحّد في الربوبية، وإنما قلنا بأنه عارف بالله في قلبه وإن أنكره بلسانه، **قلنا**: يعني هل فرعون في نهاية المطاف موحد في الربوبية أو غير موحد فيها؟ إن قلتم: إنه موحد! فهذا ظاهر البطلان! إذ كيف يكون موحدا في الربوبية من يقول عن نفسه أنا ربكم الأعلى؟! وقد سبق بسط ذلك، وإن قلتم: إنه غير موحد فيها، فقد نقضتم أصلكم بأن أحدا لم ينكر توحيد الربوبية.

فإن **قلتم**: إنما قصدنا بذلك أنّ الكلّ مقر بقلبه بأنه تعالى هو الخالق وإن أنكر ذلك بلسانه، **قلنا**: وأيضا الكلّ مقر بقلبه بتوحيد الألوهية ومفطور عليه ـ كما سبق ـ وإن أنكره بعضُهم بلسانه كمشركي العرب، فلماذا فرقتم بين قِسمي التوحيد هنا؟! حيث عوّلتم على مجرد المعرفة القلبية في الحكم على الناس بأنهم جميعا موحدون في الربوبية، ولم تلتفتوا إلى إنكار بعضهم بلسانه وجود الله كفرعون، وعوّلتم على اللسان في الحكم على الناس بأنهم مشركون في توحيد الألوهية لمجرد أنهم استكبروا عن قول لا إله إلا الله ولم تلتفتوا إلى إقرارهم القلبي بلا إله إلا الله، فهلّا شرحتم لنا لماذا هنا "فرّقتم بين المتماثلين، ولا فرق بينهما ألبتة"[2]؟ مع أنّ

---

[1] تفسير البحر المحيط (1/ 304)

2 إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (2/ 14)، ط/ دار ابن الجوزي.

هذا خلاف القياس الصحيح "الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين"[1]، بل "قد رَكَّز اللهُ في فِطرَ الناس وعقولهم على التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين المختلفين وإنكار الجمع بينهما"[2]؟!

الوجه الثاني: أما الآيتان اللتان استدلّ بهما ابن تيمية وأتباعه على إيمان فرعون القلبي بالله، فالجواب عليهما فيما يلي:

أمّا الآية الأولى وهي قوله تعالى {**وَجَحَدُوا بِهَا** وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} فليس المقصود هنا أن فرعون وقومه جحدوا بالله مع استيقانهم به، إذ لو كان كذلك لقال "وجحدوا به واستيقنته أنفسهم.."! أي لجاء بضمير التذكير لا التأنيث، وإنما المقصود هنا أن فرعون وقومه **جحدوا بالآيات أو المعجزات التسع التي جاءهم بها موسى**، والتي ذُكرت قبل هذه الآية مباشرة حيث قال تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ **آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ** وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جاءتْهُمْ **آيَاتُنَا مُبْصِرَةً** قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا** أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: 12، 13].

وكما ترى فإن ضمير الهاء في "وجحدوا بها"عائد على قوله "آياتنا مبصرة"، وعلى قوله أيضا قبل ذلك "في تسع آيات"وليس عائدا على وجود الله أو ربوبيته إذ لا ذكر لذلك قبل ذلك، والمعنى أنهم"**كذبوا بالآيات التسع** أن تكون من عند الله..وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبيّنهم الحق، ومعرفتهم به"3. فهم "استيقنوا أن الآيات

---

1 إعلام الموقعين (2/ 166).

2 إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 248).

3 جامع البيان ط هجر (18/ 22).

من الله حق، فَلِم جحدوا بها؟ قال: ظلما وعلوا"[1]، "وقيل: جحدوا بالدلالة التي ظهرت منهما..وقد علموا أنها من قِبل الله تعالى"2.

فإن قيل: ولكن أقوال المفسرين هذه وإن ذكرت أن المقصود بالجحد هنا جحد الآيات التي جاء بها موسى، ولكنها مصرّحة أيضا بأنهم "استيقنوا أن الآيات من الله حق" كما قال ابن زيد، وكذا قال الطبري والسمعاني كما ذكرتم، أي في النتيجة فرعون وقومه كانوا عارفين بالله ما داموا قد علموا بأن تلك الآيات والمعجزات من عند الله.

قلنا: هذا صحيح، ولكن فرعون وقومه إنما علموا أن ما جاء به موسى حقّ من عند الله بذلك بعد أن جاءهم موسى، وعرّفهم بالله وأتاهم بالمعجزات، وأمّا قبل أن يأتيهم موسى فما كانوا يعرفون لهم ربّا سوى فرعون الذي كان يدعي الربوبية والألوهية، كما سبق من كلام ابن كثير[3].

وأما الآية الثانية: وهي قوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ **مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء: 102]، **فالجواب** عنها: أن هذه الآية فيها قراءتان، **الأولى**: "لقد علمتُ"بضم تاء ضمير الفاعل، وهذه قراءة الكسائي، وقيل قرأ بها علي بن أبي طالب(4)، **والثانية**: "لقد علمتَ" بنصب تاء ضمير

---

1 جامع البيان ط هجر (18/ 23)، وانظر أيضا: تفسير ابن أبي حاتم (9/ 2853) كلاهما بإسنادهما عن ابن زيد.

[2] تفسير السمعاني (4/ 81).

3 انظر: ص (98)

(4) **قال القرطبي**: وقرأ الكسائي بضم التاء، وهي قراءة علي بن أبي طالب وقال: والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي يعلم، فبلغت ابن عباس فقال: إنها " لقد علمتَ"، واحتج بقوله تعالى: "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا"، ونسب فرعون إلى العناد. وقال أبو عبيد: **والمأخوذ به عندنا فتح التاء**، وهو الأصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس، ولأن موسى لا يحتج بقوله: علمت أنا، وهو الرسول الداعي، ولو كان مع هذا كله تصح به القراءة عن علي لكانت حجة، **ولكن لا تثبت عنه**، إنما هي عن كلثوم المرادي وهو مجهول لا يعرف، ولا نعلم أحدا قرأ بها غير الكسائي. انظر: تفسير القرطبي، ط/ الرسالة – (13 / 183)

الفاعل، وهي قراءة الجمهور، وعلى كلا القراءتين لا حجة في الآية لابن تيمية، أمّا على القراءة الأولى فالأمر ظاهر، لأن المعنى أن موسى عليه السلام هو الذي علم بأن هذه الآيات منزلة من عند الله.

وأمّا على القراءة الثانية فإنها وإن كان ظاهرها يدلّ على أن فرعون كان عالما بالله، إلا أنه إذا جمعناها مع الآيات الأخرى في هذا الباب ولا سيما آيات سورة الشعراء الآتية، يتبيّن أن هذه الآية تدلّ على **أن فرعون وقومه علموا بالله بعد أن جاءهم موسى** وعرفهم به تعالى، وأمّا قبل ذلك فما كانوا يعرفونه أصلا، بل "**كانوا يجحدون الصانع** جل وعلا ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون"[1]. و"**كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم** ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك"[2]. ولو كان فرعون يعرف الله لما سأل فرعونُ موسى عنه كما في قوله تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 23]، فسؤاله عن رب العالمين دليل على أنه لا يعرفه أصلا !

فإن قيل بأن "فرعون يحتمل أن يقال إنه كان عارفا بالله، ولكنه قال ما قال طلبا للملك والرياسة"[3]، **قلنا**: لو كان الأمر كذلك لقال له موسى حين سأله عن رب العالمين: إنك تعلم أنه رب العالمين؛ كما قال له موسى بعد ذلك: "لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا رب.."، ولكن موسى لم يقل ذلك بل حين "**سأله عن ماهية من لا ماهية له فأجابه بما يدل عليه من مصنوعاته**"[4]. فقال: {قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ

---

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (10/ 340)

2 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 20)

3 مفاتيح الغيب (24/ 153)

4 زاد المسير (6/ 122)

مُوقِنِينَ..[1]}، أي (أيُّ شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إلي؟ يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه بـ "ما"، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزّه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التي يعجز عن الإتيان بمثلها. {قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين} إنه خالقهما. قال أهل المعاني: أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها فأيْقِنوا أن إله الخلق هو الله عز وجل)[2]. و"أيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما"[3]. أو المعنى "إن كنتم موقنين باستناد هذه المحسوسات إلى موجود واجب الوجود، فاعرفوا أنه لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته. لأنكم لما سلمتم انتهاء هذه المحسوسات إلى الواجب لذاته، وثبت أن الواجب لذاته فرد مطلق، وثبت أن الفرد المطلق لا يمكن تعريفه إلا بآثاره. وثبت أن تلك الآثار لا بد وأن تكون أظهر آثاره وأبعدها عن الخفاء، وما ذاك إلا السموات والأرض وما بينهما"[4].

"فلما قال موسى ذلك تحيّر فرعون في جواب موسى"[5] وما كان منه إلا أن {قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ} "يعني: لا تستمعون، وقال فرعون هذا على استبعاد جواب موسى – عليه السلام – وقد كان أولئك القوم يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزاد موسى – عليه السلام – في البيان فقال: {ربكم ورب آبائكم الأولين}"[6]. "أي خالقكم وخالق آبائكم

---

1 الآيات بتمامها: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء: 23 – 29].

2 تفسير البغوي (6/ 111) ونحوه في تفسير السمعاني (4/ 43)

3 جامع البيان ط هجر (17/ 562)

4 محاسن التأويل للقاسمي (7/ 453)

5 تفسير البغوي (6/ 111) ونحوه في تفسير السمعاني (4/ 43)

6 تفسير السمعاني (4/ 43)، وتفسير البغوي (6/ 111)

الأولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه"[1]. "فجاء بدليل يفهمونه عنه، لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء وأنهم قد فنوا، وأنه لا بد لهم من مغير، **وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لا بد لهم من مكون**"[2].

ثم قال تعالى ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: 27]، أي "إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله، لأنه يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك ونسب **موسى عدوّ الله إلى الجِنّة، لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا ربّ غيره يعبد**، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة، فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم، ومعرّفهم ربهم بصفته وأدلته، إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربا لهم في ذلك الوقت هو فرعون، وأن الذي يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر، كانوا قبل فرعون قد مضوا"[3].

وحاصل هذه النصوص أن فرعون وقومه كانوا منكرين لوجود الله بل كانوا لا يعرفونه أصلا، وكانوا لا يعرفون ربا ولا إلها سواه، وكذا كان الفراعنة قبله يرون أنفسهم أربابا وآلهة، وأقوامهم لا يعرفون ربا ولا إلها سواهم، ولذلك سأل فرعونُ مستفهما ما رب العالمين؟ فأجابه موسى ببيان آثار الله من مخلوقاته، ولكن فرعون أبى ذلك فقال {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}[4]، فأجابه موسى: {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ}، أي

---

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (10/ 340)

2 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 20)

3 جامع البيان ط هجر (17/ 562)

4 الآيات بتمامها: {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ

بالمعجزات، فطلب منه فرعون ذلك {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ}، فادعى فرعون حينها أن ذلك سحر! فأشار عليه قومه أن يجمع السحرة؛ ليثبتوا أن ما جاء به سحر يستطيعون أن يأتوا بمثله{فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}، {فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}.

وحينها أيقن فرعون وقومه ـ ولاسيما السحرة ـ أيقنت قلوبهم كلهم أن ما جاء به موسى ليس سحرا، وإنما هو معجزات لا يقدر على إجرائها على يديه إلا الله الذي حدّثهم عنه موسى، وبيّن لهم أنه رب السموات والأرض ورب آبائهم ورب المشرق والمغرب، بيد أن فرعون وقومه لم يذعنوا ليقينهم القلبي هذا، وبقوا على كفرهم عنادا وهو ما عناه تعالى بقوله{**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا** أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: 14].

سوى السحرة حيث أذعنوا ليقينهم القلبي؛ فآمنوا بالله ربا لهم وكفروا بربوبية فرعون، ونطقوا بذلك كما في قوله: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، "أي خرّوا ساجدين إثر ما شهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد، **لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي**". و"أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، **وأنه ممّا لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل**"[1].

وهكذا نرى أن آية النمل وهي {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} فسّرتها آيات الشعراء السابقة، وبينتْ أن هذا الاستيقان القلبي كان بعد أن عرّفهم موسى بالله بآثاره وخلقه وأتاهم بالمعجزات، **ولم يكن هذا اليقين بالله قبل أن يأتيهم موسى**، بل كانوا قبل أن يأتيهم لا يعرفون الله، وإنما كانوا لا يعرفون لهم ربا ولا إلها سوى ملوكهم

لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } [الشعراء: 29 – 48]

1 جامع البيان ط هجر (17/ 569)

الفراعنة، **فظهر أن استدلال ابن تيمية وأتباعه بآيتي النمل والإسراء السابقتين[1] على أن فرعون وقومه كانوا عارفين بالله قبل أن يأتيهم موسى: استدلال غير صحيح لما سبق بيانه.**

[1] وهما قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ **عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: 102] ، وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا **وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ** ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: 14] .

الآية الثانية: ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} [البقرة: 258]

فأفادت الآية أن هذا الذي حاج إبراهيم ـ قيل اسمه النمرود[1] ـ إنما "حاجّه ***فخاصمه في ربه***"[2]، ***فقد*** " كانت تلك ***المحاجة في الربوبية***"[3]، ولو كانت "المعركة بين أهل التوحيد والمشركين في الألوهية فقط"[4]، كما تقولون وأن نمرود هذا كان يدعو لعبادة نفسه كما أشار إلى ذلك ابن تيمية كما سيأتي، أي أن نزاعه في توحيد الألوهية، فكان المفروض أن تكون صيغة الآية: "ألم تر الى الذي حاج إبراهيم في **إلهه**"[5]، وتتمة الآية تفيد أن نمرود هذا ادعى الربوبية لأنه ادعى أنه "يحيي ويميت"، والإحياء والإماتة من صفات الربوبية كما تقولون، وهذا يدل على أن نمرود إما هو منكر لوجود الله ولا يؤمن بأنه هو الخالق، بل يزعم النمرود أنه هو نفسه الخالق، وإما أنه يدعي على الأقل مشاركة الله في ربوبيته. وعلى كلا الحالين فهذا يردّ نظرية ابن تيمية التي من أصولها "**أن جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مقرّون به**..وأنه **من لوازم خلقهم ضروري** فيهم"[6].

---

1 قال ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (1/ 342): قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: وهذا الملك هو ملك بابل، واسمه النُمرود بن كنعان بن كُوش بن سام بن نوح، قاله مجاهد. وقال غيره: نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشد بن سام.. وانظر أيضا: جامع البيان ط هجر (4/ 568).

2 جامع البيان ط هجر (4/ 567)

3 تفسير السمعاني (1/ 261)

4 جهود علماء الحنفية (1/ 305)

5 التنديد بمن عدد التوحيد (ص: 30)، حسن السقاف، دار الإمام النووي.

6 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 482)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 939)

ولذلك نجد ابن تيمية وأتباعه شككوا في دلالة هذه الآية على أن النمروذ كان منكرا لوجود الله فقال ابن تيمية: "وقد ذكر الله عن إبراهيم أنه حاجّ الذي حاجّه في ربه في قوله: {ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه..} **فهذا قد يقال: إنه كان جاحدا للصانع، ومع هذا فالقصة ليست صريحة في ذلك**؛ بل يدعو الإنسان إلى عبادة نفسه **وإن كان لا يصرح بإنكار الخالق مثل إنكار فرعون**[1]، وذلك أنه "يحتمل أنه إنما **ادَّعى الإحياء الذي هو تخلية مَن يستحقُّ القتل والإماتة التي هي القتل..فيرجع النزاع إلى ضرب من النزاع في القدر** 2، "فلم يرد به الإنشاء من العدم، **وإنما أراد قدرته على القتل، والعفو عن مستحقه.** فأخرج رجلا حكم عليه بالقتل، **فعفا عنه! وآخر قتله!** وهذا أمر يستوي فيه النمرود وغيره"[3].اهـ أو يكون ممن قال الله فيهم "{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} **فهم في الباطن يعلمون أن ذلك لله وحده"**[4].**اهـ**

وحاصل هذا التشكيك أن النمروذ كان يقصد بإنكاره هذا الذي حكاه الله عنه أن يدعو الناس إلى عبادته وأنه في باطنه مُقرّ بوجود الله وحده خالقا، وزاد المعلميّ احتمالا آخر وهو أنه من باب التفويض والنزاع في القدر، **والجواب من وجوه:**

الوجه الأول: هذا يخالف ما ذكره ابن تيمية نفسه وأتباعه من أن "فرعون وأمثاله من المعطلة كالذي حاج إبراهيم في ربه"[5]. الذي "حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق جل وعلا عنادا ومكابرة فحاجّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية"1

---

1 جامع الرسائل لابن تيمية – ت رشاد سالم (2/ 53)

[2] آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (3/ 637)

[3] قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة (ص: 171)

[4] جهود علماء الحنفية (1/ 303)

5 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (7/ 72)

1 معارج القبول للحكمي (1/ 107)

و"جادله وجحد أن يكون هناك رب غيره"[1]. وقد "حمله الجهل والضلال وطول الإمهال **على إنكار الصانع**، فحاجّ إبراهيم الخليل في ذلك **وادعى لنفسه الربوبية**، فلما قال له الخليل: {ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت}"2، "جعل نفسه نداً لله يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله ويميت"[3].

الوجه الثاني: نسأل هل النمروذ هذا موحد في الربوبية؟ **فإن قلتم**: لم يكن كذلك، فقد ثبت أنه ثمة من أشرك في ربوبية الله بل ثمة من أنكرها، **وإن قلتم**: نعم كان موحدا في الربوبية، فنقول: ولكن **توحيد الربوبية "هو الإقرار بأنَّ الله** تعالى ربّ كلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، **وأنه المحيي المميتُ** النافعُ الضار"[4]، والنمروذ لم يقرّ بذلك قط وإن زعمتم ذلك فعليكم بالدليل، بل كان النمروذ منكرا لكل ذلك وزاد فزعم أنه هو يحيي ويميت بدليل قوله تعالى: {إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} [البقرة: 258] فكيف يكون موحدا في الربوبية؟ بل كيف يكون مثبتا لوجود الله أصلا؟!

الوجه الثالث: أما ما ذكره المعلميّ من أنه لعل النمروذ زعم أن الله فوض إليه التصرف في الرعية يفعل ما يشاء من قتل أو عفو وأن ذلك يؤول إلى "**إلى ضرب من النزاع في القدر**"، فجوابه أنه مردود لعدة أسباب:

أولا: أنه مجرد احتمال عقلي لم يورد عليه دليلا نقليا يشهد له بذلك، نعم استدل على ذلك بإشارة من الآية، فقال "فقوله: {أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} بيان لعلَّة محاجّته لإبراهيم، والمُلْك إنما يكون علّة لدعوى القدرة على تركه قتلَ مَن استحقَّ القتل وقتلِه مَن أراد قتلَه"، وجوابه أن

---

1 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (1/ 176)

2 البداية والنهاية ط هجر (1/ 343)

3 مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: 379)

4 أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: 9)، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ط1، 1421هـ

نمروذ طغى "وتجبر في الأرض وادعى الربوبية {أن آتاه الله الملك}، أي لأن آتاه الله الملك فطغى، **أي كانت تلك المحاجّة من بطر الملك وطغيانه"كما قال البغوي[1]، ونحوه قول السمعاني:** {أن آتاه الله الملك} أي: كانت تلك ***المحاجة في الربوبية*** من بطر الملك وطغيانه[2]. **وقال ابن كثير** في قوله "إلى الذي حاج إبراهيم **في ربه": أي وجود ربه،** وذلك أنه أنكر أن يكون إله غيره..**وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبّره وطول مدته في الملك،** وذلك أنه يقال إنه مكث أربعمائة سنة في ملكه ولهذا قال ''أن آتاه الله الملك"[3].

ثانيا: لو كان كما زعم المعلميّ لما كان انتقال الخليل إلى قوله: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} أيّ معنى، إذ ما وجه الدلالة من ذلك على بطلان التفويض الذي زعمه النمروذ؟ وكيف تدل الآية على ردِّ قوله في القدر الذي زعم المعلميّ أن نزاعه يؤول إليه؟! **ولقد تفطن المعلمي إلى الاعتراض فقال: بقي علينا** أن نبين **وجه دلالة عجزه عن الإتيان بالشمس من مغربها على أنه إنما يقتل ويطلق بإذن الله عزَّ وجلَّ،** وأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد يأذن له وقد يمنعه[4]. **ثم أجاب وكان مما قال:** إن العاقل إذا تفكر في خلق الله تعالى **الشمسَ جارية بمصالح عباده..**وقد كان لقوم إبراهيم عليه السلام **معرفة بأحوال الشمس وغيرها من الكواكب..إذا تفكَّر العاقل في ذلك عَلم شدَّة عناية الله تعالى بالخلق،** وإذا كان الأمر كذلك فكيف يدَعُهم مع ذلك هملاً يعمل فيهم بعضُهم ما يشاء في غير مصلحة يعلمها الله عَزَّ وَجَلَّ ويُقدِّرها؟ وأبعدُ من ذلك أن يدَع مَن يوحِّده فريسةً لمن يشرك به بدون قضاء منه عزَّ وجلَّ لحكمة يعلمها. **فالإنسان الذي يزعم أنه يفعل في الخلق ما يشاء بدون**

---

1 تفسير البغوي (1/ 315)

2 تفسير السمعاني (1/ 261)

3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (2/ 451)

4 آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (3/ 639)

قدَرٍ من الله تعالى، ولا قضاء **كأنه ينكر وجود الشمس وجَرْيهَا في مصالح العباد، أو يزعم أنه هو الذي يجريها**[1].

قال وليد: وجوابي أن هذا كله تمحّل ما أظن أن ثمة من وافقه عليه وإلا لسارع بذكره، بل ما أظن أن راقمه مقتنع به أصلا حتى يُقنع به غيرَه، فضلا عن أنه لا دلالة عليه بل سياق الآية يردّه، وبيان ذلك فيما يلي:

أولا: الآية في أولها تقول {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي **حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**} فنصّت على أن المناظرة وقعت حول **ربوبية** الله، وهذا ما دلت عليه الآثار وهو ما نصّ عليه أهل التفسير بالمأثور، وفيما يلي بيان ذلك:

1) أخرج الطبري أيضا بسنده عن زيد بن أسلم أن أول جبّار كان في الأرض نمروذ..فإذا مرّ به ناس قال: **من ربكم ؟ قالوا: أنت. حتى مرّ به إبراهيم. قال: من ربك ؟ قال: الذي يحي ويميت. قال أنا أحيي وأميت2. وفي رواية أخرى:** ثم بعث الله إلى الجبار ملكا أن آمن بي وأتركك على ملكك قال: ***وهل رب غيري؟..*** [3] ***اهـ***

2) وأخرج الطبري بسنده عن مُحَمَّد بن إسحاق "أن نمروذ قال لإبراهيم فيما يقول: **أرأيت إلهك هذا الذي تعبده، وتدعو إلى عبادته، *وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره***، ما هو؟ قال له إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ: فأنا أحيي وأميت..آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي..إلخ[4].

---

1 آثار الشيخ المعلمي اليماني (3/ 640)

2 تفسير ابن أبي حاتم (2/ 499)

3 جامع البيان ط هجر (4/ 572)

[4] جامع البيان (4/ 576)

3) وأخرج الطبري عن **السدّي** قصة بنحو ما سبق وفيها:..***فكان يزعم أنه رب***، وأمر بإبراهيم فأخرج[1].

4) **وقال الطبري**: حاجّه ***فخاصمه في ربه***، لأن الله آتاه الملك[2].

5) **وقال السمعاني**: وهو أول من تجبّر في الأرض ***وادعى الربوبية***..كانت تلك ***المحاجّة في الربوبية*** من نظر الملك وطغيانه[3].

6) **وقال البغوي**: وهو أول من وضع التاج على رأسه، **وتجبّر في الأرض وادّعى الربوبية**[4].

وكما ترى أن هذه الآثار كلها تؤكد على أن نمروذ كان يدعي الربوبية والألوهية معا، وكان قومه لا يعرفون ربّا سوى النمرود هذا، وهذا كله يؤكد أن النزاع هنا في الربوبية، وهذا يؤيده ظاهر قوله تعالى "حاجّ إبراهيم في **ربه**''التي تبين أن المحاجة في الربوبية كما سبق.

ثانيا: قوله تعالى "فأت بها من المغرب''أي "**فأت بها إن كنت صادقا أنك إله من مغربها**"[5]. أي أن النزاع هنا في الألوهية والربوبية أيضا ولوزامها من القدرة المطلقة التي تسيّر الكون وتغيّر نظامه إن شاء صاحبها، ولو كان الأمر ما زعمه المعلميّ من أن النمروذ ادعى فقط أن الله فوّض إليه أمر الرعية يفعل فيهم ما يشاء، فيعفو عمن يشاء منهم ويعاقب من يشاء؛ لَمَا طالبه الخليلُ أصلا بأن يأتيَ بالشمس من مغربها.

---

1 جامع البيان (4/ 575)

2 جامع البيان (4/ 567)

3 تفسير السمعاني (1/ 261)

4 تفسير البغوي (1/ 315)

[5] جامع البيان ط هجر (4/ 570)

ثالثا: قوله تعالى ‘‘فبُهت الذي كفر’’‘‘أي: تحيّر بغلبة الحجة عليه"[1]، ولو كان الأمر ما زعمه المعلميّ لما بُهت ولا تحيّر ولا هم يحزنون، بل لقال للخليل: أنا لم أدّعِ أنني أسيطر على الكون برمّته حتى تطالبني بتغيير مسار الشمس، بل أنا مُسلّم بأنّ الله وحده هو مُسيِّرها ومُسيّر الكون بأسره، وإنما فوّضني الله في هذه البقعة الأرضية التي ملّكني إياها فأعاقِب من أشاء وأعفو عمن أشاء، فهذا غاية ما أتصرف فيه، وأما أمور الكون فلها ربٌّ يسيّرها.

رابعا: ما علاقة القدر بقضية إتيان الشمس من مشرقها أو مغربها؟! وهل احتجّ أحد على القدرية بمثل هذا الدليل العجيب وهو أن الشمس تأتي من المشرق فأتوا بها من المغرب؟ وهل القدرية ينكرون أن الله يسيّر الشمس والقمر والكون كله؟! إنهم يسلّمون بأن هذا كله لله وحده، وإنما خلافهم في أفعال الإنسان الاختيارية فقط حيث قالوا "**إن جميع الأفعال الاختيارية** من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلّق لها بخلق الله تعالى"[2]، حيث "اعتقدوا أن الأفعال الاختيارية وما يتولد عنها من أفعال الملائكة والجن والإنس – الطاعات والمعاصي – لم يخلقها الله. قالوا: لأنه لو خلقها للزم أن يكون العبد مجبورا، وأن يرتفع التكليف والوعد والوعيد والثواب والعقاب؛ ولأن العبد يعلم أنه هو الذي يُحدث أفعاله علما ضروريا"[3].

خامسا: وعلى التسليم بأن نزاعه كان في القدر فهذا قدح في توحيد الربوبية، إذ **توحيد الربوبية هو الاعتقاد "أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقلّ شيء سواه بإحداث أمر من الأمور؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"**[4]. كما قال ابن تيمية، والنمروذ هذا يزعم أنه يُجري الشمسَ كما ذكر المعلميّ حيث قال "**أو يزعم أنه هو الذي يجريها**"، فهل من يعتقد أنه يسيّر الشمسَ يؤمن بتوحيد الربوبية؟!

---

[1] تفسير السمعاني (1/ 262)

[2] شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (2/ 639)

[3] مجموع الفتاوى (12/ 328)

4 مجموع الفتاوى (10/ 331)

سادسا: أمّا كون النمروذ "دعا برجلين وجب القتل عليهما، فقتل أحدهما ولم يقتل الآخر، فهذا إحياؤه وإماتته"[1]، أو أنه قال "أقتلُ مَن شئتُ، وأستحيي من شئت، أدعه حيا فلا أقتله"[2] كما روي، فقد قيل **بأن هذا أصلا "بعيد**، وذلك لأن الظاهر من حال إبراهيم أنه شرح حقيقة الإحياء وحقيقة الإماتة..ويبعد في الجمع العظيم أن يكونوا في الحماقة بحيث لا يعرفون هذا القدر من الفرق"[3]، ولو فرض صحته فإن جواب النمروذ **هو جواب "أحمق لا يصح نصبه في مقابلة حجّة** إبراهيم لأنه أراد غير ما أراده الكافر"، ولذلك انتقل الخليل "إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على **نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة"**[4]، "**ولا يتيسّر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة وتمويهاً** وتلبيساً على العوام"[5]، "وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفيّ إلى مثال جليّ من مقدوراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره، لا عن حجة إلى أخرى. ولعل **نمروذ زعم أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه إبراهيم بذلك، وإنما حمَله عليه بطر المُلك وحماقته، أو اعتقاد الحلول"**[6].

فالنمروذ كان يدّعي الإحياء والإماتة حقيقة لأنه كان يدعي الربوبية أصلا كما سبق، بيد أن النمروذ لما طولب بالدليل على ادعائه وعَرف أن ادعاءه هذا مجرد دعوى ما لم يُقم عليه دليلا: جاء بهذا الدليل المضحك وهو قتل سجين وإطلاق سراح آخر، فهو جاء بهذا الدليل لإفلاسه لا لأنه ادعى الإحياء والإماتة المجازية كما زعم المعلميّ اليماني! إذ لو كان كذلك لكان هذا الدليل المضحك في محله، لأن إطلاقه لسجين محكوم عليه بالإعدام .كما

---

1 تفسير السمعاني (1/ 262)

2 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (3/ 205)

3 مفاتيح الغيب (7/ 26)

4 تفسير البيضاوي (1/ 155)

5 فتح البيان في مقاصد القرآن (2/ 103)

6 فتح البيان في مقاصد القرآن (2/ 103)

روي . هو فعلا إحياء له بالمعنى المجازي كما قال تعالى: {**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**} [المائدة: 32]، "أي **من عفا عمن وجب قتله**، حكاه عنه القرطبي. وحكي عن **الحسن أنه العفو بعد القدرة**: يعني أحياها. وروي عن مجاهد أن إحياءها: **إنجاؤها من غرق أو حرق أو هدم أو هلكة**، حكاه عنه ابن جرير"[1]، وقيل "أي: ومن **امتنع عن قتل واحد من الناس**"[2]، وقيل: "بأن شدّ عضده ونصره"[3]. فتأمل قوله "**من عفا عمّن وجب قتله**" فهذا عين ما فعله النمروذ.

وعليه فإن كان النمروذ ادّعى الإحياء المجازي .كما زعم المعلمي . فقد وفّى بما ادعاه حين أطلق سراح السجين المحكوم عليه بالقتل، ولما صح أن يقال بأنه فَعل ما فعل "**مكابرة ومشاغبة وتمويهاً** وتلبيساً على العوام"، وأنه لذلك انتقل الخليل عليه السلام "إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على **نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة**"، فإن هذا يصحّ لو أنه ادعى الإحياء حقيقة، أمّا حين لم يدّعِ سوى الإحياء المجازي فقد وفّى بذلك حين عفا عن سجين وجب له القتل.

وهكذا يثبت ما قلناه من أن النمروذ إنما جاء بهذا الدليل لإفلاسه لا لأنه ادعى الإحياء والإماتة المجازية! **وقد قرر نحو ذلك ابن كثير**؛ فذكر أن قتله لسجين وإطلاقه لآخر "**ليس جوابا لما قال إبراهيم ولا في معناه لأنه غير مانع لوجود الصانع**، وإنما أراد **أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهِم أنه الفاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيي ويميت**..ولهذا قال له إبراهيم لما ادّعى هذه المكابرة "فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأْت بها من المغرب "**أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته** وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس..فأت بها

[1] فتح القدير للشوكاني (2/ 40)، الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (7/ 429)

[2] تفسير السمعاني (2/ 33)

[3] فتح البيان في مقاصد القرآن (3/ 403)

من المغرب. ***فلما علم عجزه وانقطاعه*** **وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي أخرس**[1].اهـ

وكلام ابن كثير ظاهر في أنه ادعى الإحياء حقيقة تأييدا لإلحاده وإنكاره للصانع فلذلك قال بأن إطلاقه لسجين "**غير مانع لوجود الصانع**.."لأن الخليل لم يُرد الإحياء بهذا المعنى المجازي، والنمروذ يعلم مراد الخليل، بيد أن النمروذ أراد المكابرة ليس إلا! فأخرسه الخليل حين طالبه بأن يأتي بالشمس من مغربها.

الوجه الرابع: وأما ما زعمه الأفغاني من أن **النمروذ مؤمن بقلبه بأن الله وحده الخالق** والمتصرف، وإنما أنكر ذلك بلسانه كما في قوله "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم"، **فجوابه:**

أولا: هذه الآية "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم" هي في فرعون وقومه كما سبق وليست في النمروذ.

ثانيا: أن ضمير الهاء في قوله "وجحدوا بها" يعود على الآيات التسع الذي جاءهم بها موسى عليه السلام، ولا يعود على الله تعالى، لأنه لو كان كذلك لقال "وجحدوا به"، ولأن الضمير يعود على أقرب مذكور، وأقرب مذكور هو الآيات التسع حيث قال تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي **تِسْعِ آيَاتٍ** إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل: 14] } [النمل: 12، 13] قال الطبري: وقوله: {وجحدوا بها} يقول: **وكذّبوا بالآيات التسع** أن تكون من عند الله وقوله: {واستيقنتها أنفسهم}

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (2/ 451)

[النمل: 14] يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبيّنهم الحق، ومعرفتهم به[1].

ثالثا: على فرض أن النمروذ مؤمن بقلبه بأن الله وحده الخالق، وإن أنكر ذلك بلسانه؛ فإنه لا عبرة بما في قلبه ما دام لم يعرب عن ذلك بلسانه، وقد سبق بيان أن الإقرار باللسان شرط بل ركن الإيمان عند ابن تيمية وأتباعه[2]، بل رأينا كيف أنكروا على الأشاعرة لمجرد أنهم اختلفوا في كون الشهادة شرطا أو شطرا[3]، فما بالك إن نَطقَ لسانُ المكلفِ بالكفر كما هنا في قضية النمروذ الذي حاجّ في ربوبية الله، وادعى الربوبية والإحياء والإماتة؟ فمن باب أولى أنْ لا عبرة بما في قلبه اللهم إلا على مذهب الجهمية القائلين بأن الإيمان بالقلب ولو أنكر اللسان[4]، وهو ما أنكره العلماء ومنهم ابن تيمية، وإليك نصوصهم:

1) **قال الإمام الأشعري:** وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة، ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده[5].
2) **قال الشهرستاني** بأن الجهم قال: **من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر** بجحده، لأن العلم **والمعرفة لا يزولان بالجحد، فهو مؤمن**[6].اهـ
3) **قال اليماني** بأن **الجهمية** "قالوا: **لو قال رجل بلسانه لله ولد** أو له صاحبة أو له شريك أو غير ذلك، **وهو يعتقد بقلبه خلافه إنه مؤمن، لا يضره ما ذكر بلسانه**"[1]

---

[1] جامع البيان ط هجر (18/ 22)

[2] انظر: ص (181)

[3] انظر كتابنا: (ولئن سألتهم): ص (161)

[4] انظر بسط ذلك في المصدر السابق

[5] مقالات الإسلاميين ت ريتر (ص: 132)

6 الملل والنحل (1/ 85)

1 عقائد الثلاث والسبعين فرقة لليماني ص273

4) **وقال ابن تيمية:** وهو يذكر "حقيقة قول جهم وأتباعه"وهو "أنه يستقر الإيمان التام الواجب في القلب **مع إظهار ما هو كفر وترك جميع الواجبات الظاهرة**"[1].اهـ

5) **وقال الذهبي** بأن الجهم كان "يقول: **الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر**"[2].

ثم إن اعتبرتم النمروذ مؤمنا بتوحيد الربوبية وإن جحد ذلك بلسانه، فلماذا لا تقولون بأن النمروذ أيضا مؤمن بتوحيد الألوهية وإن دعا الناسَ لعبادته؛ إذ لعله يؤمن بقلبه أيضا بأن الله هو وحده المستحق للعبادة، بل هذا هو المتعين لأن الإنسان مفطور أصلا على توحيد الألوهية كما هو مفطور على توحيد الربوبية بحسب ما قرر ابن تيمية.

الآية الثالثة: إنه كان لا يؤمن بالله العظيم

قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ..خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ..إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 25 – 33]، أي "افعلوا ذلك به جزاء له على **كفره بالله في الدنيا**، إنه كان لا يصدّق بوحدانية الله العظيم"[(3)]. و"لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته"[(4)] بل "**كان كافرا بربه** معاندا لرسله رادّا ما جاؤوا به من الحق"(5).

الآية الرابعة: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ **مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**} [البقرة: 8]: "يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم وكذا..ولهذا نبّه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغترّ بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع لذلك فساد عريض من عدم الاحتراز

---

1 مجموع الفتاوى (7/ 579)

2 سير أعلام النبلاء – دون السيرة (6/ 27)

(3) جامع البيان، للإمام الطبري – (23 / 590)

(4)تفسير القرآن العظيم لابن كثير (14/ 121)

(5)تفسير السعدي (ص: 883)

منهم، **ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر**..وقوله تعالى ‘‘يخادعون الله والذين آمنوا ‘‘**أي بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر**.."[1]

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (1/ 282)

الآية الخامسة: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: 17]، فهذه الآية تخبر أن النصارى، أو فرقة منهم على الأقل، جعلوا المسيح هو الله، والعياذ بالله. فأين ما قيل من أنه "ولا أثبت أحد من بني آدم إلها مساويا لله في جميع صفاته"[1]. وأن توحيد الربوبية "يقر به المسلم والكافر"2، "ولم ينكره أحد من بني آدم"3، "تعمّ مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورية..وليس للكافر فيها اختيار[4]"، بل "إن جميع الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، مقرون بعبوديته طوعاً وكرها"(5)؟! فما مصير كل هذه الدعاوى العريضة؟! وأين هذه الإجماعات الخيالية المحكيّة عن المؤمنين والكافرين وعن الإنس والجن في أنهم أجمعين أكتعين يعرفون الله ويثبتون ربوبيته بل يوحدونه في الربوبية؟! إن هذه الآية بمفردها تنقض كل ذلك كما ترى..!

نعم قد يقال هنا ما قاله الرازي في تفسير هذه الآية، "وهو أن أحدا من النصارى لا يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، فكيف حكى الله عنهم ذلك مع أنهم لا يقولون به"[6]. والجواب: أولا: هذا غير مسلّم، بل ثمة من يقول من النصارى بأن المسيح هو الله نفسه، وهذا قول الطائفة اليعقوبية النصرانية قديما وحديثا، فقد ((أخذت بهذا المذهب ثلاث كنائس من الكنائس التي سمت نفسها (الأرثوذكسية)..وهذه الكنائس الثلاث هي: 1- الكنيسة

1 مجموع الفتاوى (3/ 96)، جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيمان ص112

2 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 337).

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

4 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 508)

(5) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (8 / 479)

6 مفاتيح الغيب (11/ 195)

الأرثوذكسية في مصر والحبشة. 2- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية ويتبعها كثير من مسيحيي آسيا. 3- الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية موطنها أرمنيا))[1].

وقد حكى هذا القول عنهم كثير من العلماء، ولا سيما الذين ردّوا على النصارى، وفيما يلي نسوق بعض نصوصهم:

1) **قال الجاحظ:** النصارى تزعم أن الله هو المسيح بن مريم[2].

2) **وقال ابن حزم:** **وقالت اليعقوبية[3] إن المسيح هو الله تعالى نفسه** وأن الله ـ تعالى عن عظيم كفرهم ـ مات وصلب وقتل، **وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر** والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، **وأن الله تعالى عاد محدثا،** وأن المحدث عاد قديما، وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به..وتالله **لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا** يسع هذا **الجنون**[4].اهـ

3) **وقال ابن تيمية:** ومن الناس من يقول إن الله هو المسيح ابن مريم قول اليعقوبية[5].

---

1 كذا قال الباحث محمود قدح في حاشيته على كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (1/ 476) وعزا ذلك إلى: (قصة الحضارة 96/12، وموجز تاريخ المسيحية ص 318-323، يسطس الديوري، ودائرة المعارف البريطانية 597/7-598، قاموس أكسفورد للكنيسة النصرانية ص 931، 932، 1014، خطط المقريزي 488/2.

[2] المختار في الرد على النصارى للجاحظ (ص: 75).

3 قال الباحث محمود قدح في حاشيته على كتاب تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (1/ 476): **اليعقوبية:** أتباع المذهب القائل بأنّ المسيح طبيعة واحدة – من طبيعتين لاهوتية وناسوتية – ومشيئة واحدة. ..وقد اشتهر تسمية أتباع المذهب باليعقوبيين نسبة إلى يعقوب البرادعي الذي ظهر في القرن 6م، فكان داعية لهذا المذهب بليغ الأثر، جريئا في الجهر برأيه.. وقد أخذت بهذا المذهب ثلاث كنائس من الكنائس التي سمت نفسها (**الأرثوذكسية**) .. **وأصحاب هذا المذهب يزعمون أن مريم ولدت الله**..وأنه صلب متجسداً وسُمِّر ومات ودفن ثم صعد إلى السماء، **وإليهم أشار القرآن الكريم فقال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** .. }.

4 الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 48).

5 الجواب الصحيح (2/ 13).

4) **قال الألوسي**: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم..**والقائلون لذلك على ما هو المشهور هم اليعقوبية** المدّعون بأن الله سبحانه قد يحلّ في بدن إنسان معين أو في روحه[1]..إلى أن يقول: روي عن مُحَمَّد بن كعب القرظي أنه لما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام اجتمع طائفة من علماء بني إسرائيل فقالوا: ما تقولون في عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال أحدهم: أو تعلمون **أحدا يحيي الموتى إلا الله تعالى؟** فقالوا: لا فقال: أو تعلمون أحدا يبرىء الأكمه والأبرص إلا الله تعالى؟ قالوا: لا، قالوا: **فما الله تعالى إلا من هذا وصفه أي حقيقة الإلهية** فيه"[2].

ثانيا: إذا سلمنا جدلا بأنه لم يصرّح أحد من النصارى تصريحا بأن الله هو المسيح "ولكن مذهبهم يؤدي إليه، حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم"[3]. وأنهم "لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا إله إلا الله واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم"[4]، بيد أنهم صرّحوا بأن المسيح فيه صفات الربوبية و"اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة"[5]. ويقول **الرازي** بعد كلامه السابق: وجوابه: أن كثيرا من الحلولية يقولون: إن الله تعالى قد يحلّ في بدن إنسان معين، أو في روحه، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال: إن قوما من النصارى ذهبوا إلى هذا القول، بل هذا أقرب مما يذهب إليه النصارى، وذلك لأنهم يقولون: إن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام، فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتا أو صفة، فإن كان ذاتا فذات الله تعالى قد حلّت في عيسى، واتحدت بعيسى

---

1 روح المعاني (6/ 98).

2 روح المعاني (6/ 98)، وانظر أيضا: تفسير أبي السعود (3/ 19)

[3] الكشاف (1/ 617)

[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل (2/ 120)

[5] تفسير أبي السعود (3/ 19)

فيكون عيسى هو الإله على هذا القول..فثبت أن النصارى وإن كانوا لا يصرّحون بهذا القول إلا أن حاصل مذهبهم ليس إلا ذلك[1].

والحاصل مما سبق أنه لا يخلو أن يكون النصارى أو طائفة منهم على الأقل قالت بأن المسيح هو الله نفسه، وهذا قول اليعقوبية قديما والأرثوذكس حديثا، وهو ظاهر القرآن الذي حكى عنهم ذلك { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: 17]، أو أنّ أحدا من النصارى لم يصرّح بهذا القول تصريحا ولكن وصفوا المسيح بصفات الربوبية من الخلق والإحياء والإماتة والتدبير ونحوه، فألزمهم الله ذلك تقبيحا لقولهم على ما سبق بيانه، فالأمر دائر بين أن طائفة من النصارى إما قائلة بربوبية المسيح أو باتصافه بإحدى صفات الربوبية، وكلاهما ينقض ما يدعيه ابن تيمية وأتباعه من إجماع الخلق كافة على توحيد الربوبية.

الآية السادسة: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ

قال تعالى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا **إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} [المائدة: 73] "وهذا قول **كان عليه جماهير النصارى** قبل افتراق اليعقوبية والملكانية والنسطورية, **كانوا فيما بلغنا يقولون: الإله القديم جوهر واحد يعمّ ثلاثة أقانيم**: أبا والدا غير مولود، وابنا مولودا غير والد، وزوجا متتبعة بينهما"2، "وهذا هو المراد بقولهم ثلاثة أقانيم **إقنيم الأب وإقنيم الابن وإقنيم روح القدس**"3. "فإن هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم **الثلاثة الآب والابن وروح القدس..وهم متفقون على عقيدة إيمانهم** التي تتضمن ذلك وهو قولهم: **نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب**

---

[1] مفاتيح الغيب (11/ 195)

2 جامع البيان ط هجر (8/ 579)

3 فتح البيان في مقاصد القرآن (4/ 26)

واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، **المولود من الآب قبل كل الدهور**، نور من نور، إله حق من إله **حق مولود غير مخلوق**"[1].

فهذه "**الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة،** وعنَوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة..**وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد**"[2]، "ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم..فأكفرهم الله بقولهم هذا"3. وقيل: "ثالث ثلاثة''أي أحد ثلاثة، وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد[4].

فإن قيل: قولهم "الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنَوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة ''يدل على أنهم موحّدون وأن **الأب والابن والروح القدس بمثابة صفات لإله واحد لا أنها ثلاثة !!** «بل يقولون: إن **مجموع الثلاثة الأقانيم هو الله تعالى**..وإنما الأقانيم عندهم عبارة عن الأب والابن وروح القدس، **فالأب هو الذات، والابن هو الصفة التي فارقته**، ودخلت في بطن مريم فكانت المسيح، **وروح القدس صفة ثانية** نزلت على المسيح في صورة حمامة..»[5]، والحاصل أنهم يقولون "القديم واحد بالجوهر ثلاثة بالأقنوم وأنهم **يعنون بالأقنوم الوجود والحياة والعلم**"[6].

---

1 الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (2/ 10)

2 مفاتيح الغيب (12/ 64)

3 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (8/ 100)

4 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (2/ 138)

5 رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله – ضمن «آثار المعلمي» (3/ 645)

6 الجواب الصحيح لابن تيمية (4/ 77)

قلنا: ولكن قالوا بأنّ الأقانيم الثلاثة كل منها خالق قديم، ولذا جعلوا المسيح خالقا، "فقالوا عن المسيح إنه خالق السموات والأرض القديم الأزلي علام الغيوب القادر على كل شيء"[1]، "وإنه **مساو لله في الجوهر وإنه خالق خلق كل شيء**"[2]، وقد سبق المزيد من نصوصهم[3].

الآية السابعة: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ

قال تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [النساء: 171]، **قوله** {فآمنوا بالله ورسله} أي "فصدِّقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وربوبيته, وأنه لا ولد له..{ولا تقولوا ثلاثة} يعني: ولا تقولوا الأرباب ثلاثة..انتهوا أيها القائلون: الله ثالث ثلاثة عما تقولون من الزور والشك بالله"4، "أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين"[5]، و"لا تقولوا آلهتنا ثلاثة.."6. وهذا "قول طوائف النصارى المشهورة الملكية واليعقوبية والنسطورية، فإن هذه الطوائف تقول بالأقانيم الثلاثة الآب والابن وروح القدس، فتقول إن الله ثالث ثلاثة..وهم متفقون على عقيدة إيمانهم التي تتضمن ذلك وهو قولهم: نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد،

---

1 الجواب الصحيح (2/ 260)

2 الجواب الصحيح (4/ 410)

3 انظر: ص (144)

4 جامع البيان ط هجر (7/ 706)

5 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 389)

6 فتح البيان في مقاصد القرآن (3/ 310)، ونحوه في الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (7/ 233)

المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق"1. "ويعنون بالأقانيم أقنوم الوجود وأقنوم الحياة وأقنوم العلم، وإنما يعبّرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، فيعنون بالأب الوجود وبالروح الحياة وبالابن المسيح، وقيل المراد بالآلهة الثلاثة الله سبحانه وتعالى ومريم والمسيح، وقد اختبط النصارى في هذا اختباطاً طويلاً"2.

قال وليد ـ وفقه الله ـ: فأفادت آية النساء "ولا تقولوا ثلاثة"، ومثلها قوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: 73] بأن النصارى مثلّثة أي يقولون بثلاثة آلهة وثلاثة أرباب؛ فأين ما زعمتم من أن "**جميع الخلائق يقرون بتوحيد الربوبية** وتوحيد الأسماء والصفات"3، وأنه "**لم ينكره أحد** من بني آدم"4، بل "**مؤمنهم وكافرهم** وسائر فرقهم وهي ضرورية..وليس للكافر فيها اختيار"[5] أصلا، بل"يقر به المسلم والكافر"6؟! "حتى النصارى المثلّثة ما زالوا يقولون: نحن نؤمن بالرب الواحد"[7].

(الزعم بأن النصارى موحدون في الربوبية رغم قولهم بالتثليث!)

بيد أن السلفية زعموا بأن النصارى موحّدون في الربوبية برغم قولهم بالتثليث، وأن شركهم إنما هو في توحيد الألوهية لا في توحيد الربوبية!! طبعا هذا من أجل أن تسْلم لهم نظريتهم في تقسيم التوحيد القائلة بأن الناس كلهم ـ بمن فيهم النصارى طبعا ـ موحدون في الربوبية، وإنما شركهم وقع في الألوهية فحسب، فإن "مفترق الطرق والمعترك إنما هو توحيد

---

1 الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (2/ 10)

2 فتح البيان في مقاصد القرآن (3/ 310)، ونحوه في الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (7/ 233)

3 شرح الطحاوية للراجحي (ص: 9، ت.ش)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

5 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 508)

6 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 337).

7 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 149)

الألوهية"1، و"المعركة بين أهل التوحيد والمشركين في الألوهية فقط"[2]، ولذلك فإن "الذين كانوا يَدْعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس..**والمسيح** والملائكة..لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق"[(3)]، بل "معلوم أن أحدا من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان **والمسيح ابن مريم** شاركوا الله في خلق السموات والأرض، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلها مساويا لله في جميع صفاته"[4]. "وأمّا النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد"[(5)]، "ويقولون: إنّ الأب هو الإله الأكبر"[6]، و"ما زالوا يقولون: نحن نؤمن بالرب الواحد"[7].

قال وليد ـ غمره الله بفضله ـ: هذا كلام باطل قطعا، وأول من يبطله ابن تيمية نفسه وأتباعه كما سنرى، وبيان ذلك من وجهين في مرصدين:

المرصد الأول: تصريح النصارى بأن الآلهة الثلاثة متساوون

لقد صرّح النصارى ـ ولا سيما الكاثوليك ـ في كتبهم ومجامعهم **أن الآلهة والأرباب ثلاثة متساوون**، وكل واحد منهم خالق قديم، فضلا عن أن كثيرا من علماء الملل والنحل نقلوا عنهم ذلك **وفيهم ابن تيمية وأتباعه**، ونسوق كثيرا من النصوص في ذلك:

---

1 جهود علماء الحنفية (1/ 124)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 305)

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية – (3 / 396)، وقلده في ذلك الأمير الصنعاني في تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص4، مطبعة المنار بمصر ط1348/1هـ.

4 مجموع الفتاوى (3/ 96)، جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيمان ص112

(5) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص27، ط1/ الرسالة. وانظر: الشرك في القديم والحديث ص380.

6 بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله (ص: 13)

7 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 150)

أولا: طائفة من نصوص النصارى:

1) جاء في إحدى وثائق الكنيسة الكاثوليكية: "**ففي صورة الله كان الابن مساويا للآب**، وبين الذي ولد والمولود الوحيد لم يكن تمييز في الجوهر، **ولا أي اختلاف في الجلالة، ولم يخسر الكلمة بسرّ الجسد شيئا كان يجب أن يعود بعطية الآب..**"[1]، وجاء فيها أيضا أن "**الرب يسوع المسيح ابن الله وكلمته الذي به كل شيء يكُون**، هو نفسه الفاعل الوحيد لاهوتيا وناسوتيا، **أمر تدل عليه بوضوح الأسفار المقدسة بجملتها**"[2]، وفيها أيضا: "**إن ربنا يسوع المسيح نفسه هو إله كامل** كما هو إنسان من طبيعتين"[3]، وفيها "**ربنا يسوع المسيح إلهنا الحقيقي**، والواحد من الثالوث المقدس الواحد في **الجوهر والمحيي كاملا في اللاهوت**، وكاملا هو ذاته بالناموس إلها حقا وإنسانا حقا..**واحدا في الجوهر مع الآب في اللاهوت..**"[4].

2) وجاء في مجمع القسطنطينية الأول (المجمع المسكوني الثاني): "نؤمن بإله واحد، آب قدير، خالق السماء والأرض..**وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد..مساوٍ للآب في الجوهر**..وبالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب والابن"[5].

3) وجاء في عهد البابا لاون الأول الكبير: "الإيمان الكاثوليكي يعترف بوحدة الجوهر في الثالوث الإلهي اعترافا قويا يجعله **يؤمن أن الآب والابن والروح القدس** غير منقسمين، **غير متمازجين، أزليون بغير زمان، متساوون بلا اختلاف**، إذ ليست وحدة الأشخاص **وإنما وحدة الجوهر** التي تحقق وحدة الثالوث"[6]

---

[1] الطائفة الكاثوليكية – فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي ص210

[2] المصدر السابق نفسه ص211

[3] المصدر السابق نفسه ص212

[4] المصدر السابق نفسه ص212

[5] المصدر السابق نفسه ص222

[6] المصدر السابق نفسه ص223

4) وجاء في مجمع طليطلة الرابع: "..**ونقول إن الابن لم يصنعه الآب ولكنه ولده، ونعترف بأن الروح القدس لم يُصنع ولم يولد،** ولكنه ينبثق من الآب والابن"[1].

5) وجاء في تعاليم الكنيسة الكاثوليكية: أن "الروح القدس الأقنوم الثالث من الثالوث هو الله، واحد **ومساو للآب والابن،** جوهر واحد وطبيعة واحدة.."[2].

6) قال دكتور (بويست) في تاريخ الكتاب المقدس ما نصّه:"**طبيعة اللَّه عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر**: اللَّه الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن المفدى، وإلى الروح القدس التطهير.**غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال على السواء**..وتطلق نعوت: القدير على كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة على حدة"[3].

---

[1] المصدر السابق نفسه ص224

[2] المصدر السابق نفسه ص225

3 الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم (ص: 59)

1) قال ابن تيمية: فإن الأمانة التي اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها "أومن بإله واحد، أب، ضابط الكل، خالق السماوات والأرض..وبرب واحد، يسوع المسيح ابن الله، الوحيد المولود من الأب..مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر"[1].

2) وقال ابن تيمية أيضا: ثم قلتم "وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب..إله حق من إله حق من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو الأب في الجوهر"، فصرّحتم بالإيمان مع خالق السماوات والأرض، برب واحد مخلوق مساو الأب ابن الله الوحيد..وهم في هذه الأمانة قد جعلوا الله والدا وهو الأب ومولدا، وهو الابن، وجعلوه مساويا له في الجوهر..فقالوا: مولود غير مخلوق، مساو الأب في الجوهر فصرّحوا بأنه مساو له في الجوهر[2].

3) وقال: ثم قالوا: وبالرب الواحد يسوع المسيح، ابن الله الواحد، بكر الخلايق كلها، مولود ليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، نور من نور، مساو للأب في الجوهر الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء..[3] ثم يردّ عليهم فيقول: فأين في كلام الأنبياء أن شيئا من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه إنه أقنوم..وإنه مساو لله في الجوهر، وإنه خالق خلق كل شيء[4].

4) وقال أيضا: وقولهم..نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مساو الأب في الجوهر، فأثبتوا هنا إلهين، ثم أثبتوا روح القدس

---

1 الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (3/ 228)، وانظر أيضا (1 /341).

2 الجواب الصحيح (3/ 229)

3 الجواب الصحيح (4/ 409)

4 الجواب الصحيح (4/ 410)

إلها ثالثا[1]. ولابن تيمية كلام طويل في مناقشة النصارى في قولهم بالمساواة بين الآب والابن[2].

5) وقال ابن القيم: **فصرّحوا فيها بأن المسيح رب**، وأنه ابن الله وأنه بِكره، وأنه ليس له ولد غيره، وأنه ليس بمصنوع، أي ليس بعبد مخلوق، بل هو رب خالق، وأنه إله حق، استُلّ ووُلد من إله حق، وأنه **مساو لأبيه** في الجوهر، وأنه بيده أتقنت العوالم، وهذه اليد التي أتقنت العوالم بها عندهم هي التي ذاقت حر المسامير،كما صرحوا به في كتبهم..[3] ثم سرد طائفة من نصوصهم في ذلك منها قوله: قالوا: وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه، وابن ولده إبراهيم وربه وخالقه ورازقه[4]..قالوا: وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولا عبد صالح، بل هو رب الأنبياء، وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم، ورب الملائكة[5].

6) إن الكاثوليكية يعتقد "أتباعها أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن معاً. وبالمساواة الكاملة بين الأب والابن،..ويزعم أتباع هذا المذهب أن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون: الأب، والابن، والروح القدس، ومع ذلك فهم شيء واحد في الطبيعة والذات..}6.

---

1 الجواب الصحيح (3/ 299)

2 انظر: الجواب الصحيح (3/ 481،480، 484)، و(4/410، 447)، و(5/ 51).

[3] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، دار القلم (2/ 489).

[4] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (2/ 489)

[5] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (2/ 490)

6 حاشية تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (1/ 483)

7) و"يعتقد الكاثوليك في عيسى عليه السلام أنه إله ابن إله، فعيسى عندهم هو الله الابن وليس الله الآب، مع أن الآب والابن واحد عندهم"[1]..فالمسيح عندهم "هو مولود من الآب قبل كل الدهور ومساوي للآب في الجوهر، هو اعتقاد الطوائف النصرانية المثلثة الكبرى[2]".

8) "الأرثوذكس يقولون بأفضلية الإله الأب على الإله الابن، والكاثوليك ينادون بالمساواة الكاملة بين الاثنين"[3].

9) "وروح القدس وفق كلام النصارى إله مساو للآب في ألوهيته"[4].

10) "ناقش جمال زكريا بنود قانون الإيمان..البند الرابع: يزعم أن (المسيح مساو لله في كل شيء) مع أن هذا يصطدم مع قول المسيح – عليه السلام – مقرا بتعظيم الله نافيا مساواته بالله فقال: [إن أبي أعظم مني]"[5].

فأنت ترى أن هذه النصوص المتظاهرة عن النصارى أنفسهم، وعمّن كتبوا عنهم من علماء مقارنة الأديان؛ وكلها تثبت أنهم يقولون بثلاثة أرباب أو بثلاثة آلهة مساوٍ بعضها لبعض وهي الآب والابن والروح القدس، وكونهم يقولون بعد ذلك بأن هذه الثلاثة واحد فهذا تناقض منهم وتهافت وتخبّط تضحك منه الثكلى، هذا نص عليه العلماء **منهم ابن تيمية** وابن أبي العز نفسه، وفيما يلي بعض نصوصهم:

---

1 الطائفة الكاثوليكية – فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي ص206

2 الطائفة الكاثوليكية – فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي ص207

3 جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد" (ص: 70)، رسالة دكتوراة للباحث رمضان حسنين.

4 هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ (ص: 132)، منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام، ط2007/1.

5 مسلمو أهل الكتاب في مصر في القرن العشرين (20/ 9)، رسالة دكتواره للباحث: الأمير محفوظ أبو عيشة.

1) قال **الفخر الرازي**: ولا تقولوا إن الله سبحانه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم. واعلم أن مذهب النصارى مجهول جدا[1].اهـ وقال أيضا: واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحدا، والواحد لا يكون ثلاثة، **ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا وأظهر بطلانا من مقالة النصارى**[2].

2) وقال **ابن تيمية**: ولهذا قال طائفة من العقلاء إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل وجمعوا في كلامهم بين النقيضين، ولهذا قال بعضهم: **لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولا**، وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم؛ **لقال الرجل قولا، وامرأته قولا آخر، وابنه قولا ثالثا**[3].اهـ

3) **وقال ابن كثير**: والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حدّ، بل أقوالهم وضلالهم منتشر؛ فمنهم من يعتقده إلها، ومنهم من يعتقده شريكا، ومنهم من يعتقده ولدا؛ وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة. ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولا[4].

4) بل هذا ابن أبي العز نفسه الذي يقول: وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض..اهـ هو نفسه يقول بعد ذلك: وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه. ولهذا كانوا مضطربين في فهمه، وفي التعبير عنه، لا يكاد واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا

1مفاتيح الغيب (11/ 118)

2 مفاتيح الغيب (12/ 64)

3 الجواب الصحيح (3/ 299)

4 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 389)

يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم! والأقانيم يفسرونها تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص. وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام. وبالجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين[1].اهـ فتأمل قوله "وقولهم في التثليث متناقض في نفسه" فهذا التناقض لا معنى له إلا أنهم يقولون: هو رب واحد، ثم يقولون هو ثلاثة، ويقولون إله واحد ثم يقولون هو ثلاثة، وقد سردنا أقوالهم المتناقضة في ذلك.

وأما قوله "فإنهم **لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض**، بل متفقون على أن صانع العالم واحد..وبالجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين": فغير صحيح بل النصارى ـ قديما وحديثا ـ يصرّحون بأنهم ثلاثة أرباب منفصلة، وأنّ كلا منهما خالق على حدة، مساو ومماثل للآخر، وهذا مذهب الكاثوليك وغيرهم، وقد سبقت نصوص كثيرة في ذلك[2]، وإنما يعنون بكلمة إله واحد أو رب واحد أي في الجوهر كما صرّحوا بذلك، أي أن الأب والابن وروح القدس مشتركون في جوهر الألوهية، فهم ـ أي الثلاثة ـ واحد أو متّحدون من هذا الناحية وهي الألوهية والربوبية، ولكن ليس كل واحد منهم عين الآخر[3]، ويستدلون على ذلك **بأن الابن كان يخاطب الآب، ولو كانا واحدا لكان الابن يخاطب نفسه.**

---

1 شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (1/ 27)

2 وما زالوا يصرحون بذلك على الملأ وفي وسائل الإعلام، انظر مثلا الدقيقة 46، و 50 من فيديو بعنوان "بالفيديو ... ميزو : الفتوى لله فقط و أنا أفتي .. و المسلمون مشركون":

https://www.youtube.com/watch?v=6fSA_6BC4Bo&list=PLUamjyDJOb5KC0X6aMQTN7AAyCM_bKmK8&index=136&t=1096s

وانظر أيضا الدقيقة 12، 13 من فيديو بعنوان "قس أرثوذكسي جاهل يفضح نفسه على الهواء مباشرة"

https://www.youtube.com/watch?v=6XwIyrVhc_M&t=7s&list=PLUamjyDJOb5IKHKGYCr5J7PbfUluRFMjY&index=14

3 انظر د10 : من فيديو بعنوان "سؤال جريء: كيف نعرف النبي الحق من النبي الكاذب؟ (1) معايير النبوة"

جاء في قاموس الكتاب المقدس ما نصّه بالحرف الواحد: ((**الله واحد، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر: الله الأب، والله الابن، والله روح القدس..غير أنّ الأقانيم يشتركون معاً في جميع الأعمال الإلهية**))[1]، أي "**هم واحد في الجوهر ومتساوون في الأزلية**، والقدرة، والمجد، لكنهم متمايزون في الشخصية"[2]، أي ثلاثة أشخاص أي: **بمعنى أن كل أقنوم له شخصه الذي يميزه عن الآخر ولكن مساوٍ له**، فهم يؤمنون بإله "**وبرب واحد** يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب..مولود غير مخلوق **مساوٍ للأب في الجوهر**"[3].

وهكذا فإن «المسيحية **ترى أن الأقانيم متساوية في الجوهر والرتبة**»[4]، ولذلك يقولون عن الثلاثة "**وهؤلاء هم جوهر واحد، ورب واحد، وسلطان واحد وإرادة واحدة**"[5]، فهو "**واحد في جوهر اللاهوت ذو ثلاثة أقانيم متعادلين متساويين في جميع الأنعات، والصفات، والأعمال**، والكرامات الإلهية، ولهذا نؤمن **بتوحيده من جهة الجوهر، وتثليثه**

---

http://www.quran-c.com/display/Disptitle.aspx?UID=19774&CID=170

[1] قاموس الكتاب المقدس ص107

2 انظر: دائرة المعارف الكتابية:

https://www.difa3iat.com/20645.html/الثالوث-القدوس-دائرة-المعارف-الكتابي

3 الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (3/ 228)، وانظر أيضا (1 /341).

4 «الأديان والمذاهب – جامعة المدينة» (ص411)، مناهج جامعة المدينة العالمية.

5 أورده د. سامح حلمي في كتابه إيماننا المسيحي صادق وأمين ص 54.

من جهة الأقانيم"[1]، ويضربون مثالا على ذلك **بمثلث من ذهب له ثلاث زوايا متساوية،** فهي زوايا متساوية ولكن وليست كل منها عين الأخرى[2]!!

---

1 عقيدة التثليث جذورها وتطويرها عرض ونقد (ص: 119)، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى للباحثة فوزية الحتيرشي، لعام 1422هـ.

2 وبيان ذلك ما جاء على الشبكة العنكبوتية على موقع الأنبا تكلاهيمانوت:

من هم الأقانيم الثلاثة؟

الأقانيم الثلاثة هم الآب والابن والروح القدس:

فالآب هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأقنوم.

والابن هو الله من حيث الجوهر، وهو المولود من حيث الأقنوم.

والروح القدس هو الله من حيث الجوهر، وهو المنبثق من حيث الأقنوم.

* كيف أن الجوهر الإلهي واحد، ومع هذا **فإن هناك ثلاثة أقانيم متمايزة ومتساوية؟**

لشرح فكرة الجوهر الواحد لثلاثة أقانيم متمايزة ومتساوية في **الجوهر نأخذ مثالًا:**

مثلث من الذهب الخالص، له ثلاثة زوايا متساوية أ، ب، ج

الرأس (أ) هو ذهب من حيث الجوهر.

الرأس (ب) هو ذهب من حيث الجوهر.

الرأس (ج) هو ذهب من حيث الجوهر.

فالرؤوس الثلاثة لهم جوهر واحد، وكينونة واحدة، وذهب واحد، هو **جوهر المثلث ولكن** (أ) **ليس نفسه هو** (ب)، (ب) ليس نفسه هو (ج)، (ج) ليس نفسه هو (أ).

https://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/03-Questions-Related-to-Theology-and-Dogma__Al-Lahoot-Wal-3akeeda/044-What-does-hypostasis-means-and-who.html

ثم كيف يستقيم قول ابن أبي العز: "متفقون على أن صانع العالم واحد" مع قوله بُعيد ذلك "ولا يكاد **اثنان يتفقان على معنى واحد**"؟! وأين ذلك الاتفاق المزعوم **إذا كان اثنان منهم لا يتفقان على معنى واحد؟!**

وهذا ابن تيمية يحكي اضطرابهم في ذلك فيقول:..وقد **اختلفوا أيضا في الجوهر والأقانيم؛ فذهبت اليعقوبية والنسطورية** إلى أن الجوهر ليس بغير الأقانيم ولا يقال إنه هي، **وصرّحت الملكانية** بأنه غير الأقانيم، **وآخرون قالوا: هو الأقانيم، قالوا: وافترقت النصارى من وجه آخر؛ فذهبت الروم إلى التصريح بإثبات ثلاثة آلهة، وامتنعت اليعقوبية والنسطورية من ذلك** في وجه والتزموه من وجه، وذلك أنهم قالوا: الكلمة إله، والروح إله، والأب إله، والثلاثة الأقانيم **التي كل أقنوم إله إله واحد**[1].

ومن الطرائف في ذلك ما نقله رحمة الله الهندي قصة حاصلها أنه **تنصّر ثلاثة فعلّمهم قسيسٌ التثليثَ، ثم اختبرهم** فيه أمامَ أحد محبّيه ليفخر بهم أمامه؛ فقال أحدهم: **إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء، والثاني تولد من بطن مريم العذراء،** والثالث الذي نزل في صورة الحَمام على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال: **إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده.**

ثم طلب الثالثَ وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً في حفظ العقائد، فسأله فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً، وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح أن **الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد..!!**

---

[1] الجواب الصحيح (4/ 77)

ثم **عقب الهندي** قائلا: لا تقصير للمسؤولين فإن هذه العقيدة **يخبط فيها الجهلاء** هكذا ويتحير علماؤهم، **ويعترفون بأنا نعتقد ولا نفهم**، ويعجزون عن تصويرها وبيانها[1]. من ذلك قولهم: "**لا يمكن إثبات عقيدة الثالوث القدوس بالعقل لأنها تسمو عن إدراك العقل**، إذ ليس لها شبيه في الطبيعة، ولا حتى في الطبيعة الروحية للإنسان المخلوق على صورة الله. **فالثالوث الأقدس فريد لا مثيل له في الكون كله، عليه فليس ثمة ما يعيننا على فهمه**"[2].

المرصد الثاني: أن هذا يلزم منه أن تثليث النصارى غير قادح في توحيد الربوبية ولا في توحيد الألوهية

إن قول النصارى بأن الله **ثالث ثلاثة؛ إن كان غير قادح في توحيد الربوبية فهو أيضا لا يقدح في توحيد الألوهية**، لأن النصارى تقول هم ثلاثة آلهة في إله واحد، وثلاثة أرباب في رب واحد، ولا يفرّقون بين الرب والإله، فهم يقولون "**نحن نؤمن بإله واحد**..آب واحد، وابن واحد، والروح القدس..وهؤلاء هم جوهر واحد، **ورب واحد**"[3]

وهذا نقله عنهم **ابنُ تيمية** أنهم قالوا في ميثاقهم: "**أومن بإله** واحد أب ضابط الكل خالق السماوات والأرض..**وبرب واحد** يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب..مولود غير مخلوق **مساو للأب في الجوهر**"[4]. وقال أيضا: وقولهم: **فالإله واحد، خالق واحد، رب واحد**[5].اهـ وقال ابن أبي العز: ويقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد[1].اهـ

---

1 إظهار الحق 3/ 732، للعلاّمة رحمة الله بن خليل الهندي، ت مُحَمَّد ملكاوي، الرياض، ط1/ 1989 م.

2 انظر: دائرة المعارف الكتابية:

https://www.difa3iat.com/20645.html/الثالوث-القدوس-دائرة-المعارف-الكتابي

3 أورده د. سامح حلمي في كتابه إيماننا المسيحي صادق وأمين ص 54 نقلا عن "القديس كيرلس الكبير" (377-444 م)

4 الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (3/ 228)، وانظر أيضا (1 /341).

5 الجواب الصحيح (3/ 299)

1مفاتيح الغيب (11/ 118)

فبعد تصريحهم بأنهم يؤمنون بثلاثة، هم إله واحد وربّ واحد، تكون نسبة النصارى إلى توحيد الربوبية دون الألوهية أمر مضحك، وإلّا **فإذا اعتبرتم أن النصارى موحّدون في الربوبية** لقولهم الرب واحد، ولا يؤثر تثليثهم على هذا التوحيد، **فلماذا لا تقولون هم أيضا موحدون في الألوهية** للسبب ذاته؟! وذلك لأنهم يقولون بأن الله إله معبود واحد ولكن في ثلاثة أقانيم، تماما كما يقولون هو رب خالق واحد ولكن في ثلاثة أقانيم، فكيف جعلتم تثليثهم غير ناقض لتوحيدهم في الربوبية وإنما ناقض فقط لتوحيدهم للألوهية، مع أنهم مثلّثون في الربوبية والألوهية معا؟!

إن قلتم: إنهم مشركون في الألوهية لعبادتهم المسيح وأمه لا لتثليثهم، **قلنا**: ولكنهم هم يقولون عن المسيح إله بل يقولون عنه رب خالق أيضا كما سبق، فإن كان قولهم بألوهية المسيح ليس نقضا لتوحيد الألوهية نقضتم تعريفكم أنتم لتوحيد الألوهية من أنها شهادة أن لا إله إلا الله، وصار لا مانع من أن يقول المكلف بوجود إلهين أو ثلاثة أو مئة أو ألف إلهٍ للكون، بل يجوز له أن يقول عن أي شيء إنه إلهٌ شريطة ألّا يعبده!! وهذا ينقض توحيدَ الألوهية من أصله المعبر عنه عندكم بشهادة أن "لا إله إلا الله"! إذ ماذا بقي من هذا التوحيد إذا آل الأمر إلى أنه لا بأس بالقول بألف إله، ولكن بشرط أن لا يعبدها!! وسيأتي بسط ذلك إن شاء الله(1).

الآية الثامنة: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ

{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [التوبة: 31]، فهذه الآية فيها تصريح بأن أهل الكتاب اتخذوا الأحبار والرهبان أربابا فضلا عن اتخاذهم المسيح ربا من دون الله، فكيف

(1) انظر: ص (187)

يقال بأن أحدا لم يتخذ غير الله ربا؟! وقد أجاب بعض السلفية بأن اتخاذَهم أربابا بمعنى أنهم "كانوا يعبدونهم في التشريع من التحليل والتحريم"، لا بمعنى أنهم خالقون[1].

قلنا: غير مسلّم لأمرين الأول: أنّ قولكم "كانوا يعبدونهم في التشريع" خلاف حديث الترمذي عن عدي بن حاتم أن النبي قال في آية: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله }: "أمَا إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه[2]"، فنفى عنهم عبادتهم للأحبار والرهبان، ونحوه قول حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس ﷺ: "إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرّموا"[3]، وقال **السدّي:** استنصحوا الرجال، وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم"[4].

وهذا ما ذكره بعض من المفسرين، فقال القاسمي: وهم لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم ائتمروا بأوامرهم، وانتهوا عمّا نهوهم عنه كيف كان"[5]. وقال الشوكاني:..هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أربابا من دون الله، للقطع بأنهم لم يعبدوهم، بل أطاعوهم، وحرّموا ما حرموا، وحلّلوا ما حللوا[6].

الأمر الثاني: أن اتخاذهم للأحبار والرهبان والمسيح أربابا هو على حقيقته، غاية ما في الأمر أن اتخاذهم للأحبار والرهبان أربابا لكونهم أعطوهم حقا وصفة من صفات الربوبية

---

(1) صيانة الإنسان 456، جهود علماء الحنفية (1 / 267)

(2) أخرجه الترمذي وحسنه (3095)، كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة. وقد حسّنه الألباني أيضا انظر السلسلة الصحيحة له (7 / 862) حديث رقم (3293).

(3) تفسير ابن كثير ت سلامة (4/ 135).

(4) تفسير ابن كثير ت سلامة (4/ 135)، وأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (7/ 521).

(5) محاسن التأويل للقاسمي (1/ 51)

(6) فتح القدير للشوكاني (2/ 403)

وهي التشريع، وأما اتخاذهم للمسيح ربا فلأنهم أعطوه كل صفات الربوبية كالخلق والتدبير والرزق والتشريع ونحو ذلك، وفيما يلي بيان ذلك.

أمّا أن أهل الكتاب اتخذوا الأحبار والرهبان أربابا لكونهم أعطوهم حقا وصِفة من صفات الربوبية وهي التشريع، فهو أنهم اتخذوهم مشرّعين بدليل حديث عدي السابق، وبهذا يَصدق عليه أنهم اتخذوهم أربابا، لأن حق التشريع الذي منحوه للأحبار والرهبان هو حق من حقوق الربوبية وصِفة من صفات الربوبية الخاصة بالله حصرا، لأنه كما أن العبادة أو الألوهية من حقوق الربوبية فكذلك الحكم والتشريع كما قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام: 57] "فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره"[1]، وبسبب "أن المشركين كانوا يستسلمون لكل ما يقضي به الكهان على الغالب، وبهذا يكونون قد أشركوا بالله في الربوبية من جهة إعطائهم سلطة التشريع والتحكيم من دون الله"2، وبالتالي فأهل الكتاب بإعطائهم حق التشريع لأحبارهم ورهبانهم قد أشركوا بالله ربا، ولذلك أُطلق عليهم في آية التوبة أنهم اتخذوهم أربابا "ذاك أي إطاعتهم في التحليل والتحريم"(3)، فهم بذلك "أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرّمه الله ولم يحلّه الله"(4)، أي "أنهم لما أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أربابا، لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب"(5).

وأمّا اتخاذ النصارى المسيحَ ربّا؛ فلأنهم لم يعطوه صِفة واحدة من صفات الربوبية فحسب، بل أعطوه كلَّ صفاتِ الربوبية كالخلق والتدبير والرزق والتشريع ونحو ذلك، فالنصارى يعتقدون جازمين في قلوبهم، ويقولون بألسنتهم إن المسيح هو ربهم، وخالقهم

---

1 مجموع الفتاوى (3/ 370)

2 الشرك في القديم والحديث 464/1.

(3) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (3/ 32)

(4) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (5/ 162)

(5) فتح القدير للشوكاني (2/ 403)

وخالق الأنبياء والملائكة والسموات والأرض والكون بأسره ومدبره، وهو عندهم مساوٍ لله ـ سبحانه ـ تماما، وهذا هو ما صرّح به النصارى بمعظم طوائفهم، فقد "قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة، وقالوا: **المسيح ابن الله**"[1]، كما حكى الله عنهم ذلك فهو قول "طوائف النصارى المشهورة الملكية واليعقوبية والنسطورية، **فإن هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم الثلاثة الآب والابن وروح القدس، فتقول إن الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح إنه الله، وتقول إنه ابن الله، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت وأن المتحد هو الكلمة**، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم"2.

فهم فعلا "اتخذوا المسيح ابن مريم ربا"[3]، ولكنّ "المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى..ولا جوّزوا لأكابر علمائهم وعبّادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى"[4] القائلون "**بالرب الواحد يسوع المسيح** ابن الله الواحد.."[5]، فهم بذلك يصفون "المخلوق بما يتصف به الخالق، **فيجعلونه رب العالمين خالق كل شيء** ومليكه الذي هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير"[6].

وهكذا فالنصارى وصفوا "المخلوق بصفات الخالق صفات الكمال الذي يختص بها الخالق فقالوا عن المسيح إنه خالق السموات والأرض القديم الأزلي علام الغيوب القادر على

---

1 منهاج السنة النبوية (5/ 169) وانظر أيضا مجموع الفتاوى (3/ 370)

2 الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (2/ 10)

3 تفسير ابن أبي زمنين (2/ 202)

4 مجموع الفتاوى (3/ 370)

5 الجواب الصحيح (4/ 409)

[6] الجواب الصحيح (2/ 141)

كل شيء[1].اهـ "وإنه **مساوٍ لله في الجوهر، وإنه خالق خلق كل شيء**"[2]. "فألّهوا المسيح عليه السلام وجعلوه شريكا لله، وعبدوه من دونه؛ بل وصفوه بأخصّ صفات الألوهية **والربوبية من الخلق والرزق والإحياء، والإماتة**..فلئن سألتهم عن شيء من ذلك ليقولن المسيح؛ فهو عندهم الإله الخالق الرازق المحيي المميت، باعث الرسل، ومنزل الكتب"[3]، و"قالوا: وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبيّ ولا عبد صالح، **بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم** ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة"[4]. "ويقولون في صلواتهم ومناجاتهم: أنت أيها **المسيح يسوع تحيينا وتميتنا، وترزقنا وتخلق أولادنا**، وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا"[5]، و"يقول أحد قساوستهم في رسالة إلى أبي عبيدة الخزرجي: فلو آمنتم بالمسيح وقلتم: إنه هو **الله خالق السماوات والأرض لكمل إيمانكم**"[6].

وهكذا "نرى النصارى **يصفون المسيح عليه السلام بصفات الربوبية** المختصة برب العالمين عز وجل"[7]. وذلك "**لما رأوا من إحيائه الموتى** مع كونه من غير أب، فكان ذلك سببا لهذه المقالة"[8]، فهم إنما اعتقدوا "بأن عيسى إله بما كان يجريه الله سبحانه وتعالى على

---

1 الجواب الصحيح (2/ 260)

2 الجواب الصحيح (4/ 410)

3 وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم (ص: 251)

4 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (2/ 490)

5 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (2/ 492)

6 وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم (ص: 253)

[7] وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم (ص: 253)

8 فتح القدير (2/ 402)، ثم أضاف الشوكاني: والأولى أن يقال: إنهم قالوا هذه المقالة لكونه في الإنجيل وصفه تارة بابن الله، وتارة بابن الإنسان... ولم يفهموا أن ذلك لقصد التشريف والتكريم، أو لم يظهر لهم أن ذلك من تحريف سلفهم لغرض من الأغراض الفاسدة.اهـ

يديه من خوارق العادات على حسب دواعيه وإرادته، وقالوا: قد علمنا خروج هذه الأمور عن مقدور البشر، فينبغي أن يكون المقتدر عليها موصوفا بالإلهية"[1]. واستدلوا "**على ربوبيته بأنه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص**"[2]، وأنه "يخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرا **وجب أن يكون إلها**"[3].

فقد أطلنا في بسط ذلك من القرآن ومن التفاسير ومن كلام العلماء ومنهم ابن تيمية وأتباعه[4]، فهل يقال بعد هذا إن "أحدا من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم **شاركوا الله في خلق السموات والأرض**"[5]، وإنه لم يُنقل عن "أحد إثبات شريك **مشارك له في خلق جميع المخلوقات** ولا مماثل له في جميع الصفات"[6]، وإن النصارى برغم قولهم "بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن **صانع العالم واحد**"(7)، "ويقولون: إنّ الأب هو الإله الأكبر"[8]، و"ما زالوا يقولون: **نحن نؤمن بالرب الواحد**"[9]؟!

---

1 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (7/ 233)

2 الجواب الصحيح (4/ 120)

3 منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب (1/ 385)، عبد العزيز بن حمد آل معمر (ت: 1244هـ).

4 انظر: ص (126)

5 مجموع الفتاوى (3/ 96)، وانظر جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للغنيمان ص112

6 مجموع الفتاوى (3/ 96)

(7) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص27، ط1/ الرسالة. وانظر: الشرك في القديم والحديث ص380.

8 بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله (ص: 13)

9 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 150)

من الطريف جدا أن نرى ابن تيمية وأتباعه حينما يردّون على النصارى يحكون عنهم قولهم: إن المسيح ربهم وخالقهم وخالق الكون ومدبره! ثم ينكرون ذلك عنهم حينما يقررون نظرية تقسيم التوحيد، ويدافعون عن أصولها ومقدماتها التي منها أن أحدا من الناس لم يشرك في الربوبية بمن فيهم النصارى المثلّثة!!

والأمر أعجب حين يردّ السلفية على الصوفية إذ **يتهمونهم بالشرك في الربوبية** فضلا عن الشرك في الألوهية! بحجة أن الصوفية يُسندون إلى رسول الله التصرف في هذا الكون ويجعلونه "خليفة الله الأعظم، **وأنه متصرف في الأرض والسماء**"[1]، وأنه "**نائب مطلق** عن الله تعالى"[2]، وأنهم يقولون إن الله تعالى قد مكّنه "من إعطاء كل ما **أراد من خزائن الحق**"[3]، فهم بذلك جعلوا **رسولَ الله** "**ربا لهذا الكون**"[4]!!

وعندما ردّ السلفية على من قال بعقيدة وحدة الوجود من الصوفية ذكروا . أي السلفية . أن هذه العقيدة تنطلق من "أن وجود المحدَثات **المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه**"[5]، و"**أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً** ولا حقيقة ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات..**ويصرّحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده** – تعالى الله عما يقولون"[6]، ومن هنا قال قائلهم:

---

1 جهود علماء الحنفية (2/ 706) و(2/ 703)

2 جهود علماء الحنفية (2/ 707)

3 جهود علماء الحنفية (2/ 706)

4 جهود علماء الحنفية (2/ 703)

5 مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا (1/ 176)

6 مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا (1/ 177)

"وما الكلب **والخنزير إلا إلهنا**..وما الله إلا **راهب في كنيسة**"[1].

"ومن أهل وحدة الوجود ابن عربي، ومن أقواله في ذلك:

العبد ربٌّ والرب عبدٌ..يا ليت شعريْ مَن المكلَّفْ

إن قلت: عبدٌ فذاك ربٌّ..أو قلت: ربٌّ أنَّى يكلَّفْ

وقوله: "**سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها**"[2].

و"الحقيقة: أنه لا سوى ولا غيرية عند كل الصوفية. وحسبنا هذا القدر إشارة إلى **حقيقة معتقد الصوفية في ربهم**. فهم يدينون بأنه لا يوجد غير الله. وما هذا الكون بكليّاته وجزئياته، **بخنازيره وكلابه، بقذاراته وأرجاسه، ما ذاك كله إلا رب الصوفية** ومعبودهم"[3]، "واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد **حكم بالكفر على من قال إن عيسى ابن مريم هو الله** مع أن عيسى من أولى العزم من الرسل، **فكيف بمن قال إن الله هو الكلب والخنزير**"[4] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

بل إنّ (النصارى عند الجيلي "مُحقّون لأن **الله تعالى هو حقيقة عيسى** وحقيقة أمه وحقيقة روح القدس، فظهر لهم أن معتقدهم كان حقا من الوجه..**أما خطؤهم فكونهم ذهبوا فيه إلى حصر ذلك في عيسى ومريم وروح القدس**")[5].

---

[1] هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل ص64؛ وكتاب "الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة"، لعبد الرحمن عبد الخالق ص153؛ كلاهما نقلا عن كتاب تكملة النفحات الأقدسية في شرح الصلوات العظيمة الإدريسية؛ لمحمد بهاء الدين البيطار.

2 مصطلحات في كتب العقائد (ص: 46)

3 صوفيات خطاب مفتوح إلى حضرة السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية من عبد الرحمن الوكيل، ص14.

4 شعر البرعي في ميزان الكتاب والسنة ص84، عمر بن التهامي بن عبد الرحمن.

5 عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (ص: 421).

قال وليد ـ لطف الله به ـ: فكما ترى يَتّهم هنا ابنُ تيمية وأتباعه ـ حين يردون على الصوفية كلهم أو بعضهم ـ في قولهم بأن "العبد ربٌّ والرب عبدٌ"، وأن "ما هذا الكون بكلياته وجزئياته، **بخنازيره وكلابه، بقذاراته وأرجاسه، ما ذاك كله إلا رب الصوفية** ومعبودهم"، وأن هذا حقيقته أنه "ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة.."، هذا فضلا **عن اتهامهم بأنهم مشركون في الربوبية لأنهم جعلوا رسولَ الله "ربا لهذا الكون"** حين أسندوا التصرف والتدبير إليه، أي أن ثمة من أنكر وجود الله وأشرك في الربوبية كهؤلاء الصوفية.

ولكن حين يقرر ابن تيمية وأتباعه نظرية تقسيم التوحيد نراهم **يزعمون أن توحيد الربوبية "لم ينكره أحد من بني آدم"**[1]، لأنه "أمر فطري في البشر جميعاً، **إذ كل إنسان يقرّ بوجود الله تعالى – منذ عهد آدم عليه السلام"**[2]، "مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورية..**وليس للكافر فيها اختيار"**[3] أصلا، بل"**يقرّ به المسلم والكافر"**[4]، "حتى النصارى المثلّثة ما زالوا يقولون: **نحن نؤمن بالرب الواحد"**[5].

فكيف يستقيم نقل ابن تيمية وأتباعه إجماعَ البشرية كافة على توحيد الربوبية من جهة، ومن جهة أخرى ينقلون تلك الأقوال الشنيعة الإلحادية عن الصوفية أو عن بعضهم التي حاصلها ليس الشرك في الربوبية فقط؛ **بل حقيقتها إنكار الله أصلا!** كما نصّ عليه ابن تيمية وأتباعه كما رأينا؟! وهذا كله بعيدا عن مسألة: هل ثبتت تلك الأقوال الشنيعة على الصوفية أو لا.

---

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

2 البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: 114)

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 508)

4 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 337).

5 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 149)

ثم إذا كان حقيقة قول القائل من الصوفية بأن "**العبد ربٌّ والربّ عبدٌ**"، وقوله "وما الكلب **والخنزير إلا إلهنا**": هو أنه "**ليس لله سبحانه وجود أصلاً** ولا حقيقة.."، أي أن حقيقته إنكار وجود الله من أصله! فلماذا لم ينسحب هذا على النصارى أيضا؟! أي لماذا لم تقولوا بأن حقيقة قول النصارى "إن الله هو المسيح ابن مريم" هو إنكار وجود الله فضلا عن أنه شرك في الربوبية؟! بل قلتم "حتى النصارى المثلثة ما زالوا يقولون: نحن نؤمن بالرب الواحد"[1]؟! أي أن قول النصارى "إن الله هو المسيح ابن مريم"لم يستلزم عندكم أنهم منكرون لوجود الله ولا استلزم أصلا أنهم مشركون في توحيد الربوبية!! وأما قول الصوفية "العبد رب.."فهو عندكم شرك في الربوبية بل إنكار لوجود الله أصلا! **فما الفرق بين المقامين؟!** لماذا تعتذرون عن النصارى وتقللون من شأن تثليثهم وأنه لا يضر توحيدهم في الربوبية، وأما الصوفية فتجعلونهم مشركين في الربوبية بل منكرين لوجود الله أصلا؟!

ولماذا كان مجرد إسناد الصوفية ـ إن صح ذلك عنهم طبعا ـ التصرفَ في الكون إلى الرسول:شركا في الربوبية، ولم يكن قول النصارى ذاك كذلك؟! مع أن المفترض أن يكون العكس، لأن النصارى لم يسندوا فقط التصرف والتدبير للمسيح، بل أسندوا إليه الخلق حيث "قالوا: وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولا عبد صالح **بل هو رب الأنبياء، وخالقهم وباعثهم ومرسلهم** وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة"[2]. ويقولون في صلواتهم: "أنت **أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا** وتقيم أجسادنا وتبعثنا"[3]، ويقولون أيضا: "**المسيح إلهنا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهن**، والذي أمدّنا بدمه المقدس ومن عذاب جهنم وقانا"[4]؟!

---

1 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 149)

[2] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (2/ 490)

3 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (2/ 492)

4 وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: 251)، رسالة دكتوراة لمحمد باكريم، دار الراية، ط1/ 1994م.

طبعا هذا كله بغضّ النظر كما قلنا: هل ثبتت تلك الأقوال الشنيعة عن الصوفية كلهم أو بعضهم أو لم تثبت، فهذا فيه جدل طويل لا ينتهي وليس محلّ بحثنا في هذا الكتاب، **ولكن الذي يُهمّنا هنا هو هذه المفارقة العجيبة والتناقض الصارخ الذي وقع فيه ابن تيمية وأتباعه!!** وحاصله أنهم حين يردّون على **الصوفية، يجعلونهم مشركين في الربوبية؛** بل منكرين لوجود الله من أصله، وحين يقررون نظرية تقسيم التوحيد ينقلون **إقرار العالمين أجمعين أكتعين أبصعين على وجود الله وتوحيده في الربوبية بمن فيهم النصارى المثلّثة** الذين يصرّحون بأن المسيح خالقهم!!

وهكذا أكون قد انتهيت من فصل الاستدلال بالقرآن على وجود من أشرك في ربوبيته تعالى، بل على وجود من أنكر ـ بلسانه على الأقل ـ وجود الله، وأنتقل إلى الاستدلال على ذلك من السنة النبوية الشريفة.

الدليل الأول: قصة أصحاب الأخدود: وهي قصة مذكورة في القرآن فضلا عن السنة وفي القرآن إشارة إلى أن هؤلاء اضطُهدوا لأجل إيمانهم بالله كما في قوله تعالى:{**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ** الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج: 8].

والقصة جاءت مفصّلة في السنّة، وحاصلها **أن ملِك ذلك الزمان ادعى الربوبية** واتخذه قومُه ربّا، وكان أحدُ جلساء الملك رجلا أعمى، وكان قد ظهر في زمنه غلام يبرئ الأكمه والأبرص، فذهب إليه ذلك الأعمى، وعرض عليه هدايا ليشفيه من العمى، فقال له الغلام "..إني لا أَشفي أحدا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، **فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟** قال: **ربي وربك الله**. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام.."[1]

فأراد الملك أن يقتله فرماه من شاهق جبل فلم يمت! وجرّب الوسائل حتى علّمه الغلام أن يقول الملك عند قتله: "**باسم الله رب الغلام**"، ففعل فمات الغلام "فقال الناس: آمنا برب الغلام"، "وهنا أدرك الملك مكر الغلام به، وأنه بفدائه بنفسه، فدى شعبه من **الإيمان به إلى الإيمان بربه تبارك وتعالى**، هنا جاءت قصة الأخدود، فحفر الأخدود وأوقد النار"2.

وموضع الشاهد من هذه القصة قوله "**ولك رب غيري؟**"، ففيه **أن الملك كان يدّعي تفرّده بالربوبية وصفاتها كالشفاء**، لذلك أنكر على الأعمى أن يكون شفاه غيره، فهو مُنكر لله أصلا، وقد قام الغلام بما قام به ليكون سببا في إيمان الناس ونقلهم من إيمانهم بهذا الطاغية ربا إلى الإيمان بالله رب هذا الغلام كما قال الألباني.

---

[1] أخرجه مسلم (3005) من حديث صهيب مرفوعا، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود.

2 موسوعة الألباني في العقيدة (3/ 1107)

الدليل الثاني: أنه قيل لعلي: إن هنا قوما على باب المسجد يدّعون أنك ربهم. فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟! قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم.."فطلب منهم العود عن قولهم فأبوا فحرقهم1.

الدليل الثالث: قال ابن هشام في سيرته:..فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرىً أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه نعطيهم أموالنا[2]؟اهـ فقول سعد "لا نعبد الله ولا نعرفه" ظاهر في أنهم لم يعرفوا اللهَ في الجاهلية فأنّى "يوحّدونه في الربوبية ويوحدونه في الربوبية توحيداً كاملا لا تشوبه أية شائبة"[3] كما زعمتم؟!!

الدليل الرابع: عن المغيرة بن شعبة أنه قال للفُرس يوم القادسية: «..كنا قوما نعبد الحجارة والأوثان، فإذا رأينا حجرا أحسن من حجر ألقيناه وأخذنا غيره، ولا نعرف ربّا حتى بعث الله إلينا رسولا من أنفسنا"4. فقوله"ولا نعرف ربّا" أصرح من الذي قبله، ويقال هنا ما

---

1 ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (12 /270) قائلا: رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص.. ثم قال: "وهذا سند حسن"، وأصل الخبر في البخاري ونصه: عن عكرمة، قال : أُتي علي ﷺ ، بزنادقة فأحرقهم. انظر: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، حديث:6540.

2 سيرة ابن هشام ت السقا (2/ 223)، وانظر : دلائل النبوة للبيهقي (3/ 430)، الاكتفاء لابن عبد البر (1/ 424)، الروض الأنف ت الوكيل (6/ 271)، السيرة النبوية لابن كثير (3/ 202)، السيرة الحلبية (2/ 426)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (2/ 284)، عيون الأثر (2/ 91)، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: 603).

3 كيف نفهم التوحيد (ص: 11) مُحَمَّد بن أحمد باشميل (ت: 1426هـ)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2/ 1406هـ.

4 المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 510)

قيل فيه من باب أولى، أي أنهم إن كانوا لا يعرفون ربا أصلا فكيف كانوا موحدين في الربوبية؟!

وقول المغيرة هنا "ولا نعرف ربا"، وقول سعد الذي قبله "لا نعبد الله ولا نعرفه" يوافق ما قاله الطبري عن المشركين بأنهم "قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكارًا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم"[1]. ونقله الحفيد[2]. وبما قال الخطابيّ من أن أهل الجاهلية "كانوا لا يثبتون لله ربوبية "3.

غاية ما يمكن أن يقال إنهم كانوا يردّدون اسم "الله" في أشعارهم ومجالسهم تقليدا فحسب، فلم يكونوا يقدّرونه حق قدره بل ينسبون له ما لا يرضون نسبته إلى أنفسهم حيث **كان** "المشركون يقولون: إن الملائكة بنات الله..وهم مع هذا يجعلون البنات نقصا وعيبا ويرون الذكر كمالا، فقال لهم: كيف تصفون ربكم بأنقص الوصفين وأنتم مع هذا لا ترضون هذا لأنفسكم"[4]؟ فهم "يفضلون أنفسهم على ربهم"[5]، "فكانت أنفسهم عندهم أعظم من الله سبحانه"[6]، بل كانوا "يشتمون الله إذا شتمت آلهتهم"[7]، فضلا عن أنهم كانوا يشكّون في علمه وإرادته وقدرته، بل يشكّون في وجوده كما بسطناه سابقا[8]؟!

---

(1) جامع البيان (22 / 78)

2 تيسير العزيز الحميد، دار الصميعي (ص: 1049).

3 انظر كلام الخطابي في شرحه على البخاري المسمى أعلام الحديث 1904/3، وانظر نحوه في شرحه على أبي داود المسمى معالم السنن 423/5 عند حديث رقم 5274.

4 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (7/ 362)

5 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (7/ 363)

6 مجموع الفتاوى (27/ 364)

7 مجموع الفتاوى (7/ 632)

8 انظر : (ولئن سألتهم): ص (91)

وخلاصة ما سبق أن الآيات والأحاديث والآثار تُثبت أن من الناس من اتخذ غير الله ربا يخلق ويرزق ويدبر ويشرّع ويحكم ولذلك عبَده من عبَده، بل منهم من نفى الربوبية والألوهية عن الله وأثبتهما لغيره كما في قصة فرعون والنمروذ وأصحاب الأخدود، فبطل ما ادعاه ابن تيمية من أن أحدا لم يُثبت الربوبية لغير الله.

المطلب الثالث: نصوص ابن تيمية وأتباعه على وجود من أنكر الله في القديم

1) قال ابن تيمية: **حتى جاحدوا الصانع الذين هم أجهل الخلق** وأضلُّهم وأكفرُهم وأعظمهم خلافا للعقول..يزعمون أن العلم بفساد قولهم إنما يُعلم بالنظر والاستدلال[1].اهـ

2) وقال ابن تيمية في صدد ردّه على ابن عربي: وهذا يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقا، ولا يقرون بوجود واجب غير العالم. كما ذكر الله عن فرعون وذويه ؛ وقوله مطابق لقول فرعون لكن فرعون لم يكن مقرا بالله[2].اهـ

3) وقال أيضا: إن فرعون كان مظهرا الإنكار للخالق وجحوده[3].اهـ

4) وقال:..ولا ريب أن من أنكر الصانع، وقال بأن العالم واجب بذاته؛ فعقله أفسد من عقل هؤلاء، والعرب لم تكن تقول بهذا، اللهم إلا أن يكون في تضاعيفهم آحاد تقوله، ولكن لم يكن هذا القول ظاهرا فيهم، بل الظاهر فيهم الإقرار بالخالق وعلمه وقدرته ومشيئته. وهذه الشبه – شبه الجهمية – هي في الأصل نشأت من ملاحدة الأمم المنكرين للصانع، وهؤلاء أجهل الطوائف وأقلهم عقلا..والعرب وإن كانوا مشركين لم يكن الظاهر فيهم التعطيل للصانع، وإن كان قد يكون في أضعافهم من هو من المرتابين في الصانع أو الجاحدين له..[4].اهـ

5) وقال ابن كثير بأنّ إنكار المعاد: "تقوله الفلاسفة الدهرية الدّوريّة المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول، وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا {وما يهلكنا إلا الدهر} قال الله تعالى: {وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون} أي: يتوهمون ويتخيلون"[5].

---

(1)مجموع الفتاوى (4/ 188)

(2) مجموع الفتاوى – (2 / 241)

3 مجموع الفتاوى (6/ 256).

[4] **درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية** (7/ 72)

5 تفسير ابن كثير ت سلامة (7 /269)، ومن ط دار الكتب العلمية (7 /247).

6) قال الأفغاني بأن الدهرية "مع إسنادهم الحوادث إلى الدهر لا يقولون بوجود الله سبحانه "[1].

7) قال خالد نور: والذين **انحرفت فطرهم هم الذين أنكروا الخالق**، فقال الله عنهم: وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا..: فأنكروا البعث، **وأنكروا أن يكون لهم رب يفنيهم**، فردّ الله عليهم[2].

8) وقال د. ضميرية: وقد كان في الكفار من لا يُثبت إلها أصلا، أو كان شاكّا في وجوده[3].اهـ

9) وقال د. سعود الخلف: ونشير هنا إلى أن **الفلاسفة الوثنيين** على قولين في الله تعالى من ناحية وجوده، فمنهم **من أنكر وجود الله** تعالى جملة وتفصيلا، فهؤلاء ملاحدتهم، ومنهم من أثبت لله تعالى وجودا، وهم من يسمون المؤلهة[4]...وهؤلاء هم **الملاحدة المنكرون لوجود الله** تبارك وتعالى، وهم على قولين في أصل العالم ومصدره؛ القول الأول: القائلون بأن أصل العالم مادي. أصحاب هذا القول زعموا أن أصل هذا العالم نوع أو أنواع من المادة، وأنكروا أن يكون ثَمّ خالق،..فكل هؤلاء زعموا أن الكون تكون من مادة أزلية أبدية، وهذه المادة كانت دائمة الحركة، وبسبب حركتها الدائمة اصطدم بعضها ببعض فأنتجت من خلال هذا التصادم الوجود..هذا القول ظاهر منه إنكار ربوبية الله عز وجل وألوهيته بل ظاهر منه إنكار وجوده عز وجل[5].

10) "فالمشهور عن أرسطو أنه كان يرى أن العالم مساوق لله في الوجود أزلاً وأبداً، والله عنده ليس خالقاً للعالم، وإنما هو محرك فقط..ولا يعني أرسطو بذلك أن الله فَعل

---

1 والكلام أصله لابن عبد الوهاب في المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية (ص: 122)

2 منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص276

3 مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص: 350).

[4] قول الفلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية (ص: 205)، سعود بن عبد العزيز الخلف، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 120 /2003م.

5 قول الفلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية (ص: 206)

في العالم الحركة، فإن الله ليس بعلّة فاعلية عنده، وإنما هو علة غائية..ولا ريب أن هذا الذي قال به أرسطو في قدم العالم هو رأي الملاحدة الدهرية الذين ينكرون وجود الخالق جل وعلا[1].اهـ

11) "ومن الملاحدة أيضا الفيلسوف الروماني لوقريطس الذي حاول إحياء مذهب ديمقرطيس اليوناني، فردد مزاعمه وزعم أن الروح والعقل إنما هما نتاج مادي بحت ثم أنكر أن يكون هناك خالق لهذا الكون"[2].

12) وقال د. ثائر حلاق بأن المدرسة الذريّة اليونانية تذهب إلى "أن الكون قد نشأ بفعل حركة المادة الأولى، ولم يكن هناك فاعل مفارق لها كان سبب تكونها وتحولها، وما الإيمان بالآلهة إلا نتيجة خوف ينتاب البشر بسبب بعض الظواهر الأرضية والفلكية"[3].

13) قال د ثائر حلاق: وهو يتكلم عن أن هيرقليطس (ت 535 ق. م) قد "نظر إلى النار على أنها مبدأ الكون، وأن كل شيء صدر عنها وإليها يعود، وهي روح الحياة في الأحياء، ومنشأ الحركة في المتحركات..وبهذا المعنى تكون مرادفة لله تعالى *وإن كان ينكره*، ومن ثم فقد جعل الاختلاف أساس الانسجام والنظام[4].اهـ

14) "المتأمل والناظر في الكتاب والسنة يجد أن هناك الكثير من النصوص التي تثبت وحدانية الله تبارك وتعالى، وتناقش الدهريين والملاحدة المجادلين في ربوبية الله المؤيدة بكثيرة من الأدلة الظاهرة..إلى أن يقول: لا يختلف

---

1 قدم العالم وتسلسل الحوادث بتقديم سفر الحوالي (ص: 246)

2 الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه ص48، رسالة ماجستير بماليزيا للباحث عبد العزيز المحمدي.

3 العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم ص (97)، رسالة دكتوراة في دار العلوم لصديقنا د.ثائر حلاق.

4 العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم ص (96)

المتكلمون مع السلف وخاصة الأشاعرة وغيرهم في إثبات توحيد الربوبية، بل يعود الفضل لهم بعد الله لما وقفوا أمام الملاحدة وأثبتوا وجود الله"[1].

15) وقال البراك: "وللناس في الإيمان بالله مذاهب وطرق: **فأجهلُهم وأضلُّهم وأكفرهم: الجاحد لوجود الله؛ وهم قلّة في العالم, وحتى من يجحد وجود الله الغالب عليهم أنهم** يفعلون ذلك تلبيسًا وتجاهلًا وتضليلًا , كما **صنع فرعون**"[2].

المطلب الرابع: عقيدة أهل الديانات القديمة كلها تتضمن الشرك في الربوبية

إن دعوى ابن تيمية بأن البشرية أجمعت على توحيد الربوبية ولا سيما أهل الأديان السابقة: ينقضها استقراء عقائد تلك الأديان، فكلها تضمّنت الشرك في الربوبية، وفيما يلي بيان ذلك من خلال عرض لأشهر العقائد والديانات في الأمم السابقة سوى أهل الكتاب اليهود والنصارى لأن هذا تعرّضنا له سابقا :

أولا: المصريون القدماء

"كانت هناك ظاهرتان طبيعيّتان، نالتا قسطا كبيرا من اهتمام المصريين، وأثرتا عليهم أعظم تأثير، وتصوّروا أن في هاتين الظاهرتين **إلهين اثنين، كان لهما السيطرة على الديانة المصرية القديمة. وهما ظاهرتا الشمس والنيل، أما الإلهان فيها إله الشمس (رع)، وإله النسل أو الخضرة أو الخصوبة (أوزير) أي (أوزيريس)**..ولقد نسب المصريون لهذا الإله **كل التطورات التي تحدث على سطح الأرض** طوال العام[3].

---

1 ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد ص164، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى للباحث عبد الله عبد الجليل، لسنة 1420هـ.

2 التعليق على القواعد المثلى (ص: 14)، عبد الرحمن البراك، دار التدمرية، ط1/ 2010 م.

3 رؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه ص44، عثمان مصطفى نابلسي، دار النور المبين في عمان بالأردن، ط1/ 2017م.

ثانيا: الهنود

وأما الهنود فقد "ذكر العلماء أن الآلهة الأنثى من أهم معبودات الهنود الأولين، واعتقد هؤلاء القوم في قدرة الآلهة الأنثى على التصرف في شؤون الإنسان والحيوان بالرضا أو السخط، فمن قدّسهنّ وقدم لهن القرابين، رضين عنه وأحطنه برعايتهن، ومن لم يفعل ذلك سخطن عليه، وأهلكنه وأهلكن ماشيته..فهم..كانوا يعتقدون أنهن قادرات على إيجاد وإبادة الأناسي والحيوانات، وأنهن يحمين أكثر الناس تقديسة لهن، وأن من لا ينلن منه القرابين والضحايا، يكن هو وحياته معرضا للدمار.

وفي ‘‘بعض ابتهالات الريج فيدا للإله «أندرا» كما يلي: هو الأعلى من كل شيء، وهو الأسنى...إله الآلهة ذو القوة العليا..الذي أمام قدرته الغالبة..ترتعد الأرض والسماوات العالية...أما (فارونا) فهو الإله الذي **يملك مقاليد السماوات والأرض**، وهو الذي منح القوانين والمبادئ الخلقية، وهو إله عالمي يملك **سلطات واسعة لا حدود لها**..

ولذا قالوا ‘‘نؤمن (بسا فستري) -أي الشمس - إله واحد ضابط الكل، **خالق السموات والأرض**، وبابنه الوحيد (آتي) - أي النار - نور من نور، **مولود غير مخلوق**..ونؤمن (بفايو) الروح الحي المنبثق من الأب والابن..».

والبرهمية الهندوسية لهم ثلاثة أقانيم يعبدونها:- (برهما): **الإله الخالق مانح الحياة**. - (بشنو) أو (فشنو) أو **(يش): الذي خلق في المخلوقات** قبل العالم من الفناء التام. - (سيفا) أو **(سيوا): الإله المخرب المفني**، وهذه الأقانيم الثلاثة هي لإله واحد في زعمهم، والإله الواحد هو الروح المعظم واسمه (أتما) [1].

فلاحظ كيف ينسبون الخالقية والتأثير لعدد من الآلهة!

1 رؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه ص46

ثالثا: اليونان

قد "عبد اليونان القدماء السماء وما فيها، فكان إله السماء العظيم المختلف الصور هو إله الغزاة اليونان في بادئ الأمر، وأطلق عليه (أورانوس) مرة و (زيور..أخرى، **على أنه مرسل السحاب، ومسقط الأمطار، وجامع الرعد. هذا وقد عبد اليونانيون أيضا (إله الشمس)**: (هيلوس)، ولكنه كان من **الآلهة الصغرى**..وقد عظّم اليونان بعض الحيوانات فقدّسوا الأفعى **مثلا لأنها في ظنهم لا تموت، أو لأنها ترمز إلى القدرة على التناسل والانتاج!** وكانت عبادة الأسلاف أو الأموات من المعتقدات الشائعة بين اليونان القدماء، وكانت هذه العبادة لأرواح الموتى نتيجة لأنهم اعتقدوا أن **الموتى أرواح قادرة** على أن تفعل للناس الخير والشر، وتُسترضى بالقرابين والصلاة، فكان اليونان **يرهبون هذه الأشباح الغامضة**، وكانوا يسترضونها بطقوس ومراسم، **يقصدون بها إبعادها واتقاء شرها**.

وانتشر بين اليونان ما يسمى بالعبادة الأوليمبية، **وهي عبادة آلهة السماء**، وكانت هذه الآلهة تمتاز بالخلود؛ فهي بالرغم من حدوثها لا نهاية لوجودها، خلافا للإله (كرونس) القديم والخالد، وتمتاز بالقدرة على ما يعجز عنه البشر، **فكانوا يشرفون على شؤون الكون، واختصّ كل واحد منهم بمظهر**، أو بطائفة من مظاهره، **وكانت هذه الآلهة تتألف من اثني عشر إلها**؛ فمنهم زيويس **وهو إله السماء، وهو الحاكم الأعلى، ورب الآلهة والناس**، وكان له أثر في الظواهر الجوية، والطقس بوجه عام؛ المطر والبرق والرعد والعاصفة. **وكان من هذه الآلهة (بوسيدون) إله البحر، و(هيفايستوس) إله النار**"[1].

رابعا: الصينيون

"إن البوذية من أكبر الديانات المنتشرة عند الصينيين..**إن فلسفة البوذية تنكر وجود الله**..وتؤسس ذاتها على..إله «إزارا» من آلام هذا العالم...، **ولا يوجد شيء مكتوب في البوذية يتحدث عن وجود خالق**، أو على الأقل يبيّن كيف وجد الكون والعالم والأحياء، لا يوجد نصّ بوذيّ يصف لنا كيف خلق الكون من العدم، أو كيف وجدت الأحياء...

1 رؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه ص50

وينكر البوذيون وجود الله، ويرون أن «الكرما» هي القوة الوحيدة الفذّة، التي تتحكم في كل شيء"[1].

خامسا: الرومان

وأما اعتقادات الرومان، فقد "عبد الرومان في أول الأمر – شأنهم ككل القبائل الآريّة – **العديد من الآلهة والأرواح** والأشباح، وفسّروا وقوع **الظواهر الطبيعية بأنها من عمل هذه الأرواح**..**أو العجائب البشرية** التي لم يخل منها عصر من العصور. وكان الإنسان الروماني يعتقد أنه في حاجة إلى **معونة هذه الآلهة وحمايتها له،** في كل مجريات حياته اليومية، لذلك كان يعمل على إرضائها بتقديم الذبائح وإقامة الطقوس. **وكانت الدولة الرومانية ترعى هذه الآلهة، وكانت تخشى من عدم إرضائها،** والتزمت دائما بعدم إغضابها، بل باستشارتها قبل اتخاذ أي عمل، لأن هدف الرومان **كان دائما هو السلام مع الآلهة"**[2].

نلاحظ كيف كانوا يعبدون عدة آلهة وأرواح وأشباح، ويسعون في إرضائها خشية من أن توقع بهم مكروها إن عصوها أو أعرضوا عنها، كما قال تعالى عن قوم هود {إِنْ نَقُولُ إِلَّا **اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود: 54]، وقد بسطت الكلام على هذه الآية في المجلد الثالث وهو "البراهين الشرعية.."، وكان ممّا قلته هناك "إذن آلهتهم المزعومة تضرّ من لا يؤمن بها فتصيبه بخبل وجنون كما قال السلف في تفسير هذه الآية"[3].

المطلب الخامس: الدليل من المحسوس المشاهد على وجود من أنكر وجود الله

ونبين هذا من خلال المراصد الآتية:

1) تفشي ظاهرة الإلحاد في العصر الحديث.

---

1 رؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه ص52

2 رؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه ص55

3 البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية ص144، د. وليد بن صلاح الدين الزير، دار المنهل، ط1/ 2023م/ 1445هـ

2) نسبة الإلحاد والملحدين في العالم حاليا.

3) نماذج من الملحدين المعاصرين وبعض أقوالهم.

4) موقف السلفية من ظاهرة الإلحاد والملحدين.

5) تاريخ الإلحاد في أوربا والغرب بشكل عام.

المرصد الأول: *تفشي ظاهرة الإلحاد في العصر الحديث.*

إن "الإلحاد **وإنكار وجود خالقٍ مدبّر** لهذا الكون ظاهرة قديمة في التاريخ، تكرّرت عبر العصور"[1]، وعصرنا ليس بِدعا في ذلك، بل إن الإلحاد فيه لهو أشد بروزا من أي عصر مضى ولا سيما بين الشباب العربي، فظاهرة "**الإلحاد وسط الشباب** لا تنفصل عن حالة التوهان الفكري والثقافي التي يعاني منها العالم العربي..والأرقام الحقيقية للملحدين في العالم العربي غير دقيقة، ولكن هناك بعض المؤشرات التي **تعطي فكرة عن تنامي الظاهرة**"[2]، التي أصبحت بمنزلة حَملة متنامية، والخطير فيها هو "ما **أُلبستْه تلك الحملة الإلحادية** من لبوس العصرية والاستفادة من التقنية والمال ووسائل الإعلام، وقد تصدى لتلك الحملات الشرسة المتتابعة..رجالُ كثر وعلماء صدق..نذروا أوقاتهم لكشف تلك **الغمة الإلحادية**..وكشف **شبهات الملاحدة**[3]".

وظاهرة الإلحاد والملحدين هذه أصبحت أشد وضوحا بعد ظهور الإعلام بتقنياته الحديثة ووسائله المتعددة، وبعد ثورة الاتصالات التي شهدها القرن العشرين، حيث إن هذا مكّن كثيرا منهم من الجهر بإلحادهم على الملأ فصاروا يصرخون بأعلى أصواتهم "في غير خجل ولا حياء، بل في فجور ومجون: **أن العالم المحس هو وحده الموجود، وأن ما لا يناله الحسّ بجوهره ففرض وجوده محال**، وأن ما لا يكون موضوعا للعلم التجريبي فهو ضرب من

---

1 مقال على النت بعنوان "ظاهرة الإلحاد.. لكل فعل رد فعل".

2 مقال على النت بعنوان "قراءة في ما وراء ظاهرة الإلحاد في العالم العربي".

3 انظر مقال على النت بعنوان "ظاهرة الإلحاد" لخالد بن مُحَمَّد الشهري.

الأخيلة والأحلام، **أو لون من الأساطير والأوهام، وأنهم غير مستعدين للإيمان بالله والروح** إلا إذا وُضعا على المشرحة وسُلّط عليهما الميكروسكوب"[1]!

وليس هذا فحسب! بل إن الملاحدة راحوا ينشرون إلحادهم عبر مقالات وكتب وأبحاث ومحاضرات ومناظرات ينشرونها عبر الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية[2]، حيث "بدأ يبرز مع استخدام الإنترنت..إنشاء مواقع يجتمع بها الملاحدة مع **تزايد حالات من يجاهرون بالإلحاد مؤخرا**"[3]، بل إن **الإلحاد صار له دولٌ عظمى** ترعاه وتتبنّاه وتؤسّس له، وتنشره **وتسنّه في دساتيرها** كما أقرّ بذلك بعض السلفية كما سنرى[4]، وأما الإلحاد في العالم الغربي والمجتمعات الوثنية الأسيوية فحدث ولا حرج، فنسبته كبيرة جدا بحيث لا تقارن بنسبتها في العالم العربي والإسلامي كما سنرى من الإحصائيات التالية.

---

1 انظر: جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي (ص: 37)، د. محمود عبد الحكيم عثمان،مكتبة المعارف، الرياض.

2 مثل موقع: قناة الملحدين بالعربي. وموقع: شبكة الإلحاد العربي، وموقع الملحدين المصريين، ومدونة "نزهة إلحادية"، وأخرى باسم "لا ديني بالفطرة". انظر: نشاط المذاهب الفكرية المعاصرة على الإنترنت ص100، د. عبد الله الكحيلي، دار ابن الجوزي، ط1440/1هـ.

3 نشاط المذاهب الفكرية المعاصرة على الإنترنت ص97.

4 انظر: ص (172)

ف "وفقًا لدراسات أخرى، فإن **معدلات الإلحاد هي الأعلى في أوروبا وشرق آسيا:** 40% في فرنسا، و39% في بريطانيا، و34% في السويد، و29% في النرويج، و15% في ألمانيا، و25% في هولندا، و12% في النمسا..بلغت النسب في شرق آسيا 61% في الصين، و47% في كوريا الجنوبية..في أميركا الشمالية، 12% في الولايات المتحدة **يعتبرون أنفسهم ملحدين**، و17% لا أدريين، و37% يؤمنون بوجود روح ما ولكنهم لا دينيين، و28% في كندا"[1].

وأما الإلحاد في البلاد العربية فمن العجيب أنه ((أظهرت دراسة أعدها معهد غالوب الدولي الذي يتخذ من زوريخ مقرا له **أن نسبة الإلحاد في المملكة العربية السعودية** تتراوح بين 5 و9 بالمئة من مجموع عدد سكان المملكة. **هذه النسبة هي الأكثر ارتفاعا مقارنة مع** دول عربية حتى مع تلك التي تعرف بميولها العلمانية كتونس ولبنان حيث أن هذه الدراسة بينت أن نسبة الإلحاد في هاتين الدولتين لا تتجاوز 5 بالمئة من مجموع السكان. **وتعتبر نسبة الملحدين في السعودية مرتفعة ومفاجئة** نظرا لطبيعة المجتمع السعودي الذي يخضع لتطبيق صارم لمبادئ الشريعة الإسلامية))2.

طبعا هذه النسب المئوية للملاحدة هي محلّ جدل كبير، ما بين مشكّك بها إذ قيل فيها "قدر كبير من المبالغة"3، وآخر يرى أنها نسب صحيحة، بل يرى بعضهم أن نسبتهم أكثر من ذلك، وأن "**عدد الملحدين في العالم العربي . فقط . وصل لـ 75 مليون ملحد**"[1].

---

[1] انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/إلحاد

2 انظر منشور بعنوان "نسبة الإلحاد مرتفعة في السعودية والسلطات تعتبره إرهابا" على الرابط التالي:

http://www.france24.com/ar/20140407-السعودية-ديانة-إلحاد-تويتر-فيس-بوك-تقرير

[3]انظر مقالا بعنوان: "أعداد الملحدين في العالم العربي.. تهويلٌ وتهوين!"، لنهال محمود مهدي، على الرابط:

http://ar.truth-seeker.info/شكوك-وإجابات/أعداد-الملحدين-في-العالم-العربي-تهويل/

ولا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه جدا، وحسبك أنه غير مبني على أي نوع من الإحصاءات، وإنما هو رقم ارتجالي من شخص "لم يذكر لها مصدرا..خاصة وأن له سوابق متعددة في إطلاق الآراء الشاذة والتصريحات المخالفة لصحيح الدين"[2].

فضلا عن أن بعض الإحصائيات الأخرى **للإلحاد في العالم العربي ترى أن أعدادهم لا تتجاوز المئات أو بضعة آلاف** على أكبر تقدير، كالإحصاء الذي قدمته دار الإفتاء المصرية فذكرت أن "عددهم في **مصر هو 866 ملحدا**، وفي المغرب 325، وفي تونس 320.."، إلى أن يخلص إلى أن مجموع عددهم "**يساوي 2293 ملحدا بين سكان الوطن العربي** البالغ عددهم وقتها قرابة 400 مليون نسمة"[3]، بيد أن هذا الإحصاء كان أيضا محل انتقاد بل "**أثار تقرير دار الإفتاء كثيرا من الاستهجان** لدى البعض بوصفه يقدم حصرا بدون آليات دقيقة"، بل كان "**مثار سخرية** وتندر كثير من الشباب"4.

ولكن بغضّ النظر عن مدى صحة هذه النسب للملحدين وما ثار حولها من جدل، فإنّ مما لا شك فيه **ولا جدال أن الإلحاد والملاحدة ظاهرة موجودة** في الشرق والغرب، سواء كانت في الشرق أقلّ من الغرب أم أكثر، **وسواء هوّلنا أم هونّا** من شأن هذه الظاهرة، **وسواء أقزّمناها أم بالغنا** فيها، فهي موجودة في نهاية المطاف، وهي داء عضال و"لا شك أن علاج أي داء يتطلب سلامة تشخيصه ومعرفة حجم انتشاره في الجسد

---

[1] انظر "أعداد الملحدين في العالم العربي.. تهويلٌ وتهوين!" **نقلا عن المدعو مصطفى راشد.**

[2] "أعداد الملحدين في العالم العربي.. تهويلٌ وتهوين!"

[3] انظر : الإلحاد والوطن العربي.. أرقام وتعليلات على الرابط

https://islamonline.net/14795

4انظر: الإلحاد والوطن العربي.. أرقام وتعليلات ، وانظر مقال: "أعداد الملحدين في العالم العربي.. تهويلٌ وتهوين!".

المصاب..فلمصلحة الجميع علينا أن نعترف **بحجم خطر المد الإلحادي ونبذل الجهد** في تشخيص أسبابه لنتمكن من علاج مصابيه"[1].

والحاصل أن مما لا ريب فيه هو **وجود الملاحدة الذين ينكرون وجود الله** بألسنتهم على الأقل، فهذا أمر مقطوع به لأنه شيء محسوس، حيث نرى ونسمع أشخاصا **يجهرون بأعلى صوتهم بإنكار وجود الله**، بغض النظر عن نسبتهم كثرتْ أو قلّتْ، وهي ولو كانت شخصا واحد فهذا يقدح في أصل أصيل من أصول نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، وهو أن "**كل إنسان يقرّ بوجود الله تعالى** منذ عهد آدم عليه السلام"2، و"لم ينكره أحد من بني آدم"3، بل "يقرّ به المسلم والكافر"4، "فجميع الخلائق **يقرون بتوحيد الربوبية**"5، فهذا **الكلام منقوض بوجود ملحد واحد** لأن الكليّة الموجبة ينقضها جزئية سالبة، فما بالك إذا كانت هذه الجزئية تبلغ المئات والآلاف بل الملايين على مستوى العالم، مع التسليم بأن نسبة الملحدين في نهاية المطاف مهما كبرت لا تقارن بنسبة المؤمنين بوجود الله أو الخالق أو الصانع أو الرب أو الإله سمه ما شئت.

---

1 "أعداد الملحدين في العالم العربي.. تهويلٌ وتهوين!".

2 البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: 114)

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

4 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 337) وانظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 508)

5 شرح الطحاوية للراجحي (ص: 9، ت.ش)

المرصد الثالث: نماذج من الملحدين المعاصرين وبعض أقوالهم [1] :

1) الأديان في الواقع أقنعت المؤمنين بأن **هناك رجلا متخفيا يسكن الفضاء**..جورج كارلن
2) منطقياً..الله غير موجود..شارلي شابلن
3) الله مخلوق ضعيف, فبالإمكان قتله بنسمة علم أو جرعة صغيرة من المنطق..جابمان كوهين
4) الأديان تختلف في درجة الحماقة لذا أنا أرفضها جميعا..جيني رودنبرج
5) الإلحاد هو صوت القلة المفكرة من البشر..فولتير
6) الدين لا مكان له في المدارس مثلما الحقيقة لا مكان لها في الأديان..جالمرز
7) جميع الأديان متشابهة فهي نشأت على الخرافات والأساطير..توماس جفرسن
8) لم أر أيَّ دليل علمي ولو ضئيل على الفكرة الدينية للجنة والنار أو الله..توماس أديسون
9) كل الأديان هي نصب تذكارية للخرافات والجهل والوحشية..بارون دي هولباغ
10) أنا لست ملحدة..أنا ببساطة لا أؤمن بشيء لاوجود له !..وتني براون
11) الضرورة الأولى لسعادة الشعوب هي **إلغاء الاديان**..كارل ماركس
12) **الأديان هي أكذوبة وعكازة للعقول الضعيفة** التي تحتاج الى معرفة للأرقام..جسي فنتورة
13) الخوف هو أمّ كل إله, والطبيعة تتكفل بعمل كل شيء دون تدخلهم..لكريشيوس
14) **الدين** يعتبر حقيقة بالنسبة للعامة **وأكذوبة** بالنسبة للمفكرين ومفيد بالنسبة للحكام..سنيكا
15) **الله يتصرف مثل صانعيه**..زورا هورستون

---

1 هذه الأقوال وغيرها موجودة في كثير من المواقع الإلحادية على الشبكة العنكبوتية ، منها ما نَشر هذه الأقوال تحت عنوان: " أشهر مقولات العظماء"، ومنها ما نشر تحت عنوان "أقوال في الإلحاد"، وتحت عنوان " اقتباسات أشهر الملحدين عن الدين ".

16) إذا كان الجهل بالعلوم الطبيعية هو **السبب لمولد الله** فإن تقدم العلم **كفيل بالقضاء عليه**..بارون دي هولباغ

17) **عندما يقف العلم يبدأ الدين**..بنجامين دزرائيلي

18) لا تستطيع أن تقنع المؤمن بأي شيء، فإيمانه لا يستند على أدلة **وإنما على حاجة ماسة للإيمان**..كارل ساغان

19) يُسمح للرجل بدخول دار العبادة لإيمانه الديني، **ويُطرد منها لعلمه**..مارك توين

20) **الدين يعود إلى زمن طفولة البشرية**، أما الآن وقد شبّت البشرية يجب بالتالي أن يُترك خلفها..سيغموند فرويد

على الرغم من أن السلفية يعتقدون بنظرية تقسيم ابن تيمية للتوحيد التي تقوم في أحد أصولها على أن وجود الله أمر فطري ومسلّم عند جميع البشرية "**ولم ينكره أحد من بني آدم**"[1]: فإن كثيرا من السلفية أقرّوا بوجود ظاهرة الإلحاد وبوجود الملحدين ولاسيما في عصرنا الحاضر بل تصدّوا لهم وجادلوهم ورَدوا عليهم في مقالات[2] وكتب[3] ورسائل جامعية[4] ومواقع على النت[5]..!! **ونسوق هنا بعض نصوص السلفية في ظاهرة الإلحاد في العصر الحديث:**

يقول عبد الرحمن عبد الخالق: "**والإلحاد اليوم ظاهرة عالمية..وقد أصبح الإلحاد هو الدين الرسميّ المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوربية والأمريكية..**''ثم يتكلم عن العالم الإسلامي وأنه على الرغم من تمسكه بالإسلام ''نوعا ما..**إلا أن موجة الإلحاد العارمة تطغى عليه من كل جانب وتشكك أبناءه في دينهم وعقيدتهم**"[6]

ويقول سفر الحوالي: تعددت النظريات حول نشأة الكون إلى درجة تجعل أيّ مُطّلع عليها يشكّ فيها كلها..ففي الغرب اليوم عشرات المدارس النفسية ومئات الاتجاهات الفلسفية،..وكذلك الشأن فيما يتعلق بالبحوث والدراسات الاجتماعية..أما الاضطراب حول الذات الإلهية فأوسع من أن يُحصر؛ فإضافة إلى الذين ينكرون وجود الله –تبارك

---

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

2 وانظر مثلا مقال: الرد العلمي على من ينكر وجود الله، الشيخ صلاح نجيب الدق رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/85213/#ixzz4vbXYfmkp :

3 مثل كتاب: كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة – د. سعيد القحطاني – ط الجريسي.

4 مثل: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة، رسالة ماجستير للباحث صالح إسحاق صالح، بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز. وسنأتي على نقول كثيرة منها.

5 انظر مثلا على الشبكة: الرد على الملحدين، موقع الشيخ مُحَمَّد سعيد رسلان.

6 الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ص6، عبد الرحمن عبد الخالق، ط2 بالرياض.

وتعالى-..وسئل بعضهم، فزعم أن الإنسان هو الإله على الحقيقة! بينما اكتفى آخرون **بترديد لفظ الطبيعة** وغلا فريق منهم في الشك حتى زعم أن الكون كله وهم لا حقيقة له، ولا وجود لشيء خارج الذهن، وليس هناك حقيقة موضوعية على الإطلاق، ووصل الجنون ببعضهم إلى حد أن ادعى أنه هو الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..ويقول هيكل: "لو أعطيت وقتاً ومواد كيماوية لصنعت إنساناً"[1].

يقول أبو بكر زكريا عن الفكر المادي الشيوعي: "وهذا الفكر وإن كان نشأ ونما في أوربا فيما بعد القرن السابع عشر إلا أنه قديم في البشرية قدم الآفات والانحرافات فيها، ويعتبر امتدادا لفكرة هؤلاء الماديين أو الدهريين الذين أنكروا البعث قديما ونسبوا الموت للدهر بدلا من الله..فالظاهرة العامة لهم هي الركون إلى المادة، وإنكار ما وراء المحسوس المشاهد، ولا يعرفون غيرها في مجال الإقناع والاقتناع.."[2]، ويقول أيضا: الإلحاد في هذا الزمن هو إنكار وجود الله أصلا، انتشر في العصور الحديثة انتشارا واسعا في دول أوربا بصورة ملفتة للنظر، وأصبح له حكومات تحرسه، ودول تحميه بل لقد غزا بلاد الإسلام[3].

وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان: الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، **فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق. وأن المادة أزلية أبدية**، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني **من نزعة إلحاديّة عارمة** جسّدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة..**ومن أعلام الإلحاد في العالم: أتباع الشيوعية:** ويتقدمهم **كارل ماركس** 1818 - 1883م اليهودي الألماني. وإنجلز عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف السياسي..**أتباع الوجودية:** ويتقدمهم:**جان بول سارتر**. وسيمون دوبوفوار. وألبير كامي.

---

[1] العلمانية - نشأتها وتطورها (ص: 354)، لسفر الحوالي، دار الهجرة.

2 انظر الشرك في القديم والحديث ص695

3 انظر الشرك في القديم والحديث ص698

وأتباع الداروينية. ومن الفلاسفة والأدباء: **نيتشه**/ فيلسوف ألماني. برتراند راسل 1872 – 1970م فيلسوف إنكليزي. **هيجل** 1770 – 1831م فيلسوف ألماني..هربرت سبنسر 1820 – 1903م إنكليزي كتب في الفلسفة وعلم النفس والأخلاق. **فولتير** 1694 – 1778م أديب فرنسي..[1].

ويقول د. غالب العواجي: أما **الإلحاد المادي** الحديث فقد قام **على إنكار وجود الله أصلًا**[2]. ويقول أيضا: لقد أقدمت فئة شاذَّة استهواهم الشيطان وماتت قلوبهم وإن كانوا أحياء يرزقون، **فذهبوا يعترضون على وجود الله تعالى وهم الملاحدة**[3]. وذكروا "**أن البديل عن الله تعالى هي الطبيعة التي قالوا عنها بأنها هي التي خلقت السموات والأرض** والإنسان والنبات وسائر المخلوقات, فكيف تَمَّ ذلك حسب تعليلهم؟"[4]..اهـ

ويقول د.سعود: الوجوديون هم القائلون بوحدة الوجود، وأساس مذهبهم يقوم على **قول القائلين من الملاحدة: إن أصل هذا العالم هو المادة** ولا يوجد فيه إلا ما هو جسم، فركّب عليه القائلون بوحدة الوجود: **إن هذا العالم تشيع فيه قوة حية هذه القوة الحية هي الله تعالى عن قولهم**، وأنه منبث في هذا الكون في كل ذرة من ذراته، وهو القوة المصرفة له. وأول من ثبت عنه هذا القول برمنيدس، ثم قال بهذا الرواقيون وعلى رأسهم زعيمهم زينون وميلوس، ثم من أخذ بهذا من الرومان واليهود والنصارى مثل سبينوزا اليهودي[5].

---

1 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 804)، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط1420/4 هـ.

2 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها (2/ 1009)، د. غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية–جدة، ط2006/1.

3 المذاهب الفكرية المعاصرة للعواجي (2/ 1154).

4 المذاهب الفكرية المعاصرة للعواجي (2/ 1159).

[5] قول الفلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية (ص: 210)

وختاما يقول يوسف الأحمد بأن الإلحاد "لم يعد مجرد دعوات وشكوك وفئات غير منظمة، **وإنما أصبح تنظيما ومنهجا ودستورا تبنته بعض الدول التي قامت على الإلحاد** وتحدي مشاعر الإيمان والتدين في النفس البشرية، **وفرضته على شعوبها بالقوة بضعة عقود من الزمن، تعلّمه للأجيال الناشئة كما يتعلم غيرهم الإيمان**..حتى أذن الله بسقوطها، وأثبتت من داخلها أنها وضع غير صحيح، ومنهج لا يتفق مع النفس البشرية"[1].

المرصد الخامس: تاريخ الإلحاد في أوربا والغرب بشكل عام.

ذكرنا أن ظاهرة الإلحاد تفشّت في القرون الأخيرة في الغرب بشكل كبير، ويمكن الوقوف على **دراسات أكاديمية كثيرة تناولت الموضوع**، نبدأ بإحداها وهي رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية بعنوان "الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة"، **كتبها** صالح إسحاق صالح، يقول فيها تحت عنوان "الإلحاد في التاريخ الإنساني": **إن الإلحاد الذي نعنيه هنا، هو إنكار وجود الله سبحانه إنكارا كاملا وهو المذهب السائد اليوم في أوربا** أولا وفي أقطار كثيرة. فهذا النوع من الإلحاد لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان..[2]، **فقد ادعى أصحاب هذا الإلحاد الفريد أنه لا يوجد لهذا الوجود خالق**، بل يقولون بأن كل ما في الوجود أزلي صادر عن المادة والنواميس الطبيعية **نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق**، وبلغت ما بلغته من الكمال والاتفاق عن طريق التطورات المتعاقبة، وأن الإنسان نهاية هذه التطورات الحيوانية[3]. ثم يستشهد الباحث بقول داروين في كتابه أصل الأنواع: "لا يمرّ بي خلجة من الشك في أن ما أقطع كما قطع به الطبيعيون من القول بأن كل نوع من الأنواع قد خُلق مستقلا بذاته: خطأ محض"، ثم يقول: ثم قال ـ أي داروين ـ **وهو ينفي تدخّل الله**

---

[1] منهج المتكلمين الفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله تعالى، ليوسف الأحمد 2/ 350.

[2] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص106، وآليا ص134

[3] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص107، وآليا ص135

في الخلق: وإني فوق ذلك لشديد الاقتناع بأن الانتخاب الطبيعي هو السبب الأكبر والمهيّئ الأقوى لحدوث التحولات"[1].

ثم يقول صالح: وبعضهم يقول **إن الدين تفسير زائف للوقائع التاريخية**..والبعض الآخر يقول: إن الدين أكبر خدعة في التاريخ[2]. **وأما كارل ماركس الملحد العاتي فيقول:** "الدين أفيون الشعوب"3. الدين زفرة الكائن المثقل بالألم، وروح عالم لم تبق فيه روح، وفكر عالم لم يبق فيه فكر، إنه أفيون الشعوب4. **ثم يقول صالح: ويشبّهه . أي يشبه الدِّينَ . بعضُهم برجل يكتب شيكا لا رصيد له** في المصرف..ومعنى ذلك أن علماء الدين صاغوا عبارات وليس وراءها حقائق علمية فعبارة "**وجود الله ليس لها أي أساس علمي**"[5]. ثم يقول صالح: الجدير بالذكر أن الملاحدة المعاصرين اتخذوا العلم الحديث **لتوطيد أركان إلحادهم،** والعلم بريء منه..وحينما نعود..إلى أشهر علومهم ستجدهم **قد بذلوا كل جهودهم فيها لتفنيد فكرة وجود الله، واتجهت هذه العلوم كلها نحو هذه الفكرة اتجاه الإبر المغناطيسية نحو القطب الشمالي**"[6]، ثم أخذ يذكر عدة علوم كعلم الفلك وعلم النفس ومقارنة الأديان وعلم الاجتماع والاقتصاد وتأثير الإلحاد فيها.

فمثلا في علم الفلك يورد صالحٌ جوابَ العالم الفلكي لابلاس عن السؤال الذي وجّهه إليه نابليون بونابرت عن عمل القدرة الإلهية في تنظيم الأفلاك السماوية، فيجيبه لابلاس: **إنني لم**

---

[1] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص107، ص108 وآليا ص134، 135

[2] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص108، وآليا ص136

[3] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص108، وآليا ص136

[4] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص101، وآليا ص129

[5] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص108، وآليا ص136

[6] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص108، وآليا ص136

أجد في نظام السماء ضرورة للقول بتدبير إله[1]..ثم ذكر صالح أن القرن التاسع عشر مضى إلى نهايته والرأي الغالب فيه بين الفلكيين هو ما قاله لابلاس وخلاصته "أن العلم كافٍ كل الكفاية لتفسير جميع الأسرار الكونية"[2]، ثم يضرب مثالا على ذلك بما قاله جيمس ستيفن في سنة 1884: "إذا كانت الحياة الإنسانية في نشأتها قد استوفى العلم وصفها **فلست أرى بعد ذلك مادة باقية للدين**، إذ ما هي فائدته، وما هي الحاجة إليه..**نحن قادرون على أن نعيش عيشة حسنة بغير ديانة**"[3].

وفي علم النفس ظهر فرويد الذي ادّعى أن العقل مركب من الشعور واللاشعور، وأن اللاشعور هو مخزن الأفكار التي تظهر في أحوال غير عادية كالجنون والهستريا، وبالتالي فقد يَقبل اللاشعور أفكارا طفولية غير عقلية..وأن "هذا ما يحدث بالنسبة إلى العقائد الدينية، **فإن فكرة الجحيم والجنة ترجع إلى صدى الأماني التي تنشأ لدى الإنسان إبان طفولته ولكن لم تسمح له الفرصة لتحقيقها فتبقى دفينة اللاشعور، ثم يفرض اللاشعور بدوره حياة أخرى يتيسر له فيها تحصيل ما كان يتمناه**، شأن الرجل الذي لا يظفر بما يحب في الواقع فيحصّله في المنام"[4]، وزعم فرويد "أن الدين هو وَهْم كانت البشرية بحاجة إليه في بداياتها، **وأن فكرة وجود الإله هي محاولة من اللاوعي للوصول إلى الكمال في شخص مثل أعلى بديل لشخصية الأب**، إذ إن الإنسان في طفولته حسب اعتقاد فرويد ينظر إلى والده كشخص متكامل وخارق، ولكن بعد فترة يدرك أنه لا وجود للكمال، **فيحاول اللاوعي إيجاد حلّ لهذه الأزمة بخلق صورة وهميّة لشيء اسمه الكمال**"[5].

---

[1] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص109، وآليا ص137

[2] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص109، وآليا ص137

[3] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص109، وآليا ص137

[4] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص110، وآليا ص138

[5] انظر https://ar.wikipedia.org/wiki/تاريخ_الإلحاد

وأما في علم مقارنة الأديان، فظهرت عدة مذاهب ونظريات لتفسير ظاهرة الأديان منها النظرية الكونية أو الطبيعية لمبتكرها العالم الألماني ماكس ميلر الذي كتب عنه في كتابه عن الأساطير المقارنة، وقرّر فيه ما حاصله: **أن القضايا الدينية وجدت لأسباب تاريخية بالإنسان فلم يكن في استطاعته أن يفلت من السيول والأعاصير والزلازل والأمراض فأوجد قوى فرضية يستغيثها لتنقذه من البلايا النازلة..فاستغل اسمَ الإله الذي تفوق قوته قوة الإنسان ويهرع إليه الجميع إلى رضائه**[1].

وفي القرن التاسع عشر ساد في أوربا المذهب التقدمي أو التصاعدي في فروع العلوم وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء منهم سبنسر ودوركاييم وغيرهما حيث "**اتفقوا على أن التدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية**، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرّج نحو الكمال في علومه وصناعاته، **حتى زعم بعضهم أن عقيدة الإله الواحد عقيدة جِدّ حديثة وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي**"[2].

ثم ظهر الفلسفة العقلانية على يد عدد من المفكرين الملاحدة مثل "نيتشه وهاراتمان وشبنجلر، وهم الذين قرروا في مسائل ما بعد الطبيعة رأيا مستقلا..**فعند نيتشه أن الله قد مات، وأن الشجاعة ألزم ما يلزم النفس في عالم خلا من الله**..عند إدوارد هارتمان "إن الله ليس بذات **وإنه غير شاعر بنفسه** أو صاحب أنا تتشخص في كيان"، وليس الله في رأي شبنجلر إلا إرادة على عادة الألمان المحدثين في ترجيح الإرادة على الفكر[3].

[1] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص111، وآليا ص139

[2] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص112، وآليا ص140

[3] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص113، وآليا ص141

وفي علم الاجتماع بيّن دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع أنه لا **يصلح أن نأخذ قواعد الدين دستورا للمجتمع**، ولا أن تكون موضعا لعلم الأخلاق[1].

وقد تجلت كل هذه الجرعات الإلحادية في دائرة المعارف الإنسانية حيث اعتبر محررها **أن الدين صناعة بشرية محلية محضة** وأن ثمة مؤثرات كثيرة تساعد على ذلك فضلا عن أن "إسهام الأحوال السياسية والمدنية عظيم في هذا المجال، **وأن الأسماء الإلهية وصفاتها خرجت من الأصول التي تسود على ظهر الأرض**.."[2] ثم يضرب أمثلة على ذلك ثم يقول المحرر "**لقد خَلق العقلُ الإنساني الدينَ** وأتم خلقه في حالة جهل الإنسان وعجزه عن مواجهة القوة الخارجية"[3]، ويلخص كلَّ هذا **جوليات هكسلي** بقوله: "**فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته**"[4]..**لقد اخترع الإنسان قوة وراء الطبيعة لتحمل عبء الدين** جاء بالسحر ثم بالعمليات الروحية ثم بالعقيدة الإلهية **حتى اخترع فكرة الإله الواحد**.."[5]

ثم يأتي علم الاقتصاد بفلسفته الشيوعية ليُضفيَ بصمةً إلحادية أخرى، فهذا **لينين** يقول في خطابه لعام 1920: **إننا لا نؤمن بالله**..إننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي **صدرت عن وراء الطبيعة** غير الإنسان والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبقية، **ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع**، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والإقطاع[6]. ثم نسجت الخطابات الأخرى لزعماء الشيوعيين السوفيت ومؤتمرات حزبها الشيوعي على هذا المنوال، بل ذهب **ستالين** أبعد من هذا حين قال عام 1927: "لا يستطيع الحزب أن يقف

[1] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص114، وآليا ص142

[2] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص115، وآليا ص143

[3] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص116، وآليا ص144

[4] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص116، وآليا ص144

[5] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص116، وآليا ص144

[6] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص117، وآليا ص145

من **الدين موقف الحياد، إن الحزب يشن حملة دعاية ضد أي انحياز للدين**، لأن الحزب يؤمن بالعلم بينما..**الدين كله مناوئ للعلم**"[1].

ويقول عبد العزيز المحمدي: وأمّا الإلحاد في أوربا في عصر الثورة الصناعية فقد أصبح الإلحاد في عصر الثورة الصناعية علما ومنهج حضارة وفلسفة يبشر بها، ولم يعد سلوكا فرديا ولا حتى سلوكا جماعيا عارضا..ثم كان عصر ماركس وداروين ونيتشه وفرويد الذين بدؤوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، **بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها**..وبدأت تدريجيا وخاصة على يد الفيلسوف الألماني شوبنهاور 1860م **بروزُ فكرة أن الدين هو من صنيعة البشر ابتكروها لتفسير ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية** أو نفسية أو اجتماعية، **وتزامنت هذه الأفكار مع أبحاث داروين الذي كان مناقضا تماما لنظرية نشوء الكون في الكتاب المقدس، وأعلن نيتشه من جانبه موت الخالق الأعظم**، وقال: **إن الدين فكرة عبثية** وجريمة ضد الحياة إذ أنه من غير المعقول أن يعطيك الخالق مجموعة من الغرائز والتطلعات، وفي نفس الوقت يصدر تعاليم بحرمانك منها في الحياة ليعطيك إياها مرة أخرى بعد الموت"[2].

وفي فصل من دراسة أكاديمية مطولة بعنوان "**العلمانيون والقرآن الكريم**"[3] كلام كثير عن ظاهرة الإلحاد في الغرب، وفيه سرد لعدد من ملاحدة الغرب وأقوالهم نورد قسما منها فيما يلي:

---

[1] الإلحاد وآثاره في الحياة الأوروبية الحديثة ص118، وآليا ص146

2 الإلحاد في العصر الحاضر للمحمدي ص50 و51. وانظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/تاريخ_الإلحاد

3 وأصل هذه الدراسة رسالة دكتوراة بدار العلوم في جامعة القاهرة، وهي لأخينا الفاضل الدكتور أحمد الطعان حفظه الله، وكانت بعنوان "موقف العلمانيين العرب من النص القرآني"، ثم طبعها بعنوان "العلمانيون والقرآن الكريم".

1) توماس هوبز 1588 – 1679 م..رأى أن جوهر الدين لا يقوم على الحقائق، وإنما على خوف الفرد من القوة المجهولة أو الخوف من الموت، **وما الصفات التي نخلعها على الإله إلا أسماء تعبر عن عجزنا عن معرفته، وعن رغبتنا في وصفه بعبارات تمجيدية من شأنها إرضاء قوة مجهولة1**.

2) وأما هيوم فلا ''**محل في فلسفة هيوم للحديث عن وجود الله [عز وجل] أو النفس، فهو يرفض أية براهين عن ذلك، ويقول: "لو وُجد لأمكن البرهنة على وجوده"، وعلّل الاعتقاد بوجود الله عز وجل بالحاجة النفسية**، فعواطفنا هي التي ترغمنا على ذلك، **وإن كان التحليل الفلسفي يفتقر إلى البرهان**..."[2]

3) وأما "هولباخ ''1723 – 1789م فقد ''كان يتباهى بأنه **العدوّ الشخصي للإله، وكان ومعه جماعة من الملحدين يعتقدون أن الدليل على عدم وجود الله [عز وجل] من القوة والوضوح بحيث لا يعتقد بوجود إله إلا أحمق أو جبان**، ويرفض حتى الشك في ذلك"[3].

4) وهذا فيورباخ 1804 – 1872م يعتبر "أن الإنسان حين يتحدث عن الله فإنه في الحقيقة يتحدث عن نفسه، **لأن الآلهة ليست إلا تجسيداً لرغبات الإنسان..وأن الاعتقاد في الله نتيجة لضعف الإنسان وفقره، ولو كان قوياً ما كان يحتاج إلى الله**[4].

---

1 العلمانيون والقرآن الكريم ص 60، د.أحمد الطعان، دار ابن حزم الرياض، نقلا عن جيمس كوليز " الله في الفلسفة الحديثة " ص 140 وانظر : روبرت أغروس " العلم في منظوره الجديد " ص 79 ، 80 ويوسف كرم " تاريخ الفلسفةالحديثة " ص 56 .

2 العلمانيون والقرآن الكريم ص 63، نقلا عن جيمس كوليز " الله في الفلسفة الحديثة "ص 167 ويوسف كرم " تاريخ الفلسفة الحديثة ص 178 ، 179 .

3 العلمانيون والقرآن الكريم ص89

[4] العلمانيون والقرآن الكريم ص86

5) وأما **نيتشه** فهو يصرخ قائلا "**نحن قتلة الإله نحن جميعاً قاتلوه**، ألا تشمون رائحة العفن الإلهي؟..**إن الآلهة أيضاً تتعفن! لقد مات الله وسيظل ميتاً** "[1].اهـ والعياذ بالله.

وهكذا نكون قد تحدثنا عن ظاهرة الإلحاد والملحدين، وتبين لنا أن هذه ظاهرة موجودة محسوسة مشاهدة قديما وحديثا بإقرار ابن تيمية وأتباعه، وبهذا يتبين أنه قد دلّ الكتابُ والسنة والحسّ على أنه ثمة من أنكر وجود الله قديما وحديثا، فهل يقال بعد كل هذا "كلّ الكائنات **قد فُطروا على معرفة الله والإقرار بوجوده**"[2]. "ولم ينكره أحد من بني آدم"3، "وهي تعمّ مؤمنهم وكافرهم وسائر فرقهم وهي ضرورية أيضا"[(4)]، وأن "الناس وكل الكائنات **قد فُطروا على معرفة الله والإقرار بوجوده**"[5]؟!

إن غاية ما يمكن أن يقوله الخصم في هذا المقام: إن هؤلاء المنكرين لوجود الله معاندون بألسنتهم لما في قلوبهم، فإنهم في **قرارة أنفسهم مقرّون بالله عارفون به في قلوبهم** وإن أنكروه بألسنتهم، ولكن هذا ليس من ورائه طائل **ومردود من وجوه:**

أولا: نحن لا نعلم أصلا ما في قلوب الناس، فهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله كما قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ **الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**} [الأنعام: 59] وقال أيضا: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** } [النمل: 65] وقال: { إِنَّ اللَّهَ

---

[1] العلمانيون والقرآن الكريم ص85

2 منهج المتكلمين الفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله تعالى، ج2، ص829، وآليا ص344، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى ليوسف الأحمد.

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

(4) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 508)

5 منهج المتكلمين الفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله تعالى، ج2، ص829، وآليا ص344، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى ليوسف الأحمد.

عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**} [فاطر: 38]، **فأنّى للخصم أن يعلم ما في قلوب الملحدين** أو غيرهم، وأنهم مؤمنون بالله في قلوبهم، ولاسيما أن مجرد دعوى أحدٍ سوى الله أن لديه "علمَ الغيب: كفرٌ"[1] كما قرر الخصم نفسه؟!

فإن قلتَ: أنا لا أعلم ما في قلوب الملحدين، ولكن آيات الفطرة وأحاديثها وآية الميثاق ونحو ذلك هي التي دلتني **على أن الإيمان بالله مركوز في فطر الناس** وقلوبهم كافة بمن في ذلك الملاحدة. **قلنا**: هذا كله غير مسلّم كما بسطناه سابقا حين تكلمنا على تلك الآيات والأحاديث، وأثبتنا أنها لا تدل على ما ادعيتَ بل قد تدل على العكس[2]، هذا فضلا عن أنكم أنتم أنفسكم قررتم أن توحيد الألوهية أيضا **أمر مركوز في فطر الناس** وقلوبهم كافة[3]، **فهلا قلتم** أيضا: إن الناس كافة مقرون بتوحيد الألوهية؟! وذلك للسبب نفسه وهو ما قرّرتموه من أن توحيد الألوهية أمر مركوز في الفطرة كما أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطرة! وعليه يكون الناس كافة موحدين في الربوبية والألوهية معا لأن كليهما تقتضيهما الفطرة كما تزعمون! وبالتالي فما الداعي للتفريق بين التوحيدين؛ الربوبية والألوهية؟!

ثانيا: إن "الأحكام الشرعية **تبنى على الظاهر**، والله تعالى هو الذي يتولى السرائر"[4] كما قال الفقهاء ووافقهم ابن تيمية وأتباعه[1]، وكما قال الفاروق "إن ناسًا كانوا يُؤخذون

---

1 فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: 300)

2 انظر: ص (15 و 24)

3 انظر: ص (11)

4 تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي(6/ 71)، وانظر: الشرح الكبير للشيخ الدردير (4 /156)، وشرح الزرقاني على مختصر خليل (5 /356)، والمعيار المعرب ط الأوقاف المغربية (2 /105)، وكفاية النبيه في شرح التنبيه لابن الرفعة(17/ 429)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج (10 /208)، وشرح مسلم للنووي 2/ 107. هذا وقد اشتهرت هذه العبارة " نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر" في كتب الفقه وأصوله على أنها: حديث مرفوع؛ كما ذكر ذلك الزركشي والعسقلاني، وقال الأخير: ولا وجود له في كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنثورة، وقد سئل المزي عنه فلم يعرفه، والذهبي قال: لا أصل له. انظر: المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر للزركشي ص99، وموافقة الخُبر الخبر

بالوحي على عهد رسول الله، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم"[2]، بل كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم"[3]، فهذا الحديث وأمثاله تدل على "إجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر إلى الله تعالى"[4]، ولذلك فإن "رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكل سريرته إلى الله، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما يعلم من سرّه"[5].

فنحن كما نعامل المنافقَ بما يُظهره لسانُه من الإيمان بالله بغضّ النظر عما في قلبه، فكذلك نأخذ الملحدَ بما يُظهره لسانه بغضّ النظر عما في قلبه، فما دام هو ينكر وجود الله بلسانه فهو عندنا كذلك أي منكر لوجود الله مطلقا، هذا فضلا عن أن عدم إقرار الشخص بلسانه عمّا في قلبه من الإيمان بالله: هو نفسه كُفر إلا إن كان لمانع شرعي لإكراه ونحوه، إذ "التصديق لا يتحقق إلا بالمعرفة والإقرار"[6] كما قرر ذلك ابن تيمية نفسه وأتباعه كما سبق[7]، فما بالك إذا كان هذا الشخص يصرخ بأعلى صوته بأنه منكر لوجود الله ويجادل عن إلحاده وينشره ويسخر من الله ورسله والمؤمنين ويحاربهم؟!

للحافظ ابن حجر العسقلاني 181/1، والتلخيص الحبير 352/4، والمقاصد الحسنة للسخاوي ص92، وقد بسطت الكلام عن هذا الأثر في رسالتي للماجستير "عوامل الثبات والتغير في الأحكام الشرعية وأثرها في إثراء الفقه الإسلامي ومرونته عبر عصوره المختلفة".

1 انظر: مجموع الفتاوى (11/ 507)، وإعلام الموقعين (4 /64)، وآثار الشيخ العلامة المعلمي اليماني(12 /68)، موسوعة أهل السنة لدمشقية (ص: 862)، موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 301).

2 صحيح البخاري بتحقيق البغا (2 /934)

3 رواه الشيخان، انظر: صحيح البخاري (4/ 1581)، صحيح مسلم (2 /742).

4 فتح الباري (8 /124)

5 زاد المعاد 3/ 575، وفقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري للقحطاني (1/ 111).

6 الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 512)

7 انظر كتابنا: (ولئن سألتهم): ص (161)

ثالثا: ما أنكرتَ أن يقولَ لك الملحدُ بنفس منطقك الأعوج هذا: كلُّ الناس **جاحدون لوجود الله وغير مؤمنين به في قلوبهم وإن ادّعوا أنهم مؤمنون به بألسنتهم،** تماما كما أنت تقول: كل الملاحدة مؤمنون بالله بقلوبهم وإن أنكروه بألسنتهم، وما هو جوابك هو جوابه.

رابعا: سلّمنا جدلا أنه لا أحد من الملحدين بلسانه إلا وهو يعلم في قلبه وجودَ الله، ولكن هذا لا يَدفع وجودَ ظاهرةِ الإلحاد والملحدين والمنكرين والمشركين في توحيد الربوبية، إذ لو دَفعها لدفع ظاهرةَ وجود المشركين في توحيد الألوهية، لنفس السبب وهو أن المشركين في توحيد الألوهية هم أيضا يعلمون في قلوبهم أن الله هو وحده المعبود بحق كما بسطناه سابقا بأدلة كثيرة وبنصوص لابن تيمية وأتباعه[1].

وهذا كان من المفروض أن يوجب ـ عند ابن تيمية ـ إجماعَ البشرية على توحيدَيِ الربوبية والألوهية معا حيث إن البشرية جمعاء مفطورة على كليهما كما قرر ابن تيمية نفسه وأتباعه[2]! فلماذا كان إنكار الملحدين لوجود الله لا يؤثر على إجماع البشرية المزعوم على وجوده تعالى وتوحيده في الربوبية بحجة أن الملحدين عارفون ومقرّون بقلوبهم بالله وإن أنكروه بألسنتهم، وكان إشراك من أشرك في الألوهية من البشر مؤثرا على إجماعهم على توحيد الألوهية! مع أنهم عارفون بقلوبهم أن الألوهية لله وحده وإن أنكروا ذلك بألسنتهم؟!

وبعبارة أخرى: لماذا عوّلتم على مجرد المعرفة القلبية بالله عند الملحدين وإن أنكروه بألسنتهم، ولم تعولوا عليها في حالة المشركين في الألوهية العارفين بقلوبهم أنه لا معبود بحق إلا الله؟!

---

1 انظر: ص () وأما الكافر فيوحده في الشدة

2 انظر: ص (11)

تماما كما تساءلنا من قبل، فقلنا: لماذا لم يكن قول القائل إنه "لا خالق إلا الله"دليلا على إيمانه بحجة أن المشركين كانوا يشهدون أنه "لا خالق إلا الله"ومع ذلك لم يكونوا مؤمنين، وكان قول الجارية "الله في السماء"دليل على إيمانها! مع أن المشركين أيضا في الجاهلية كانوا يقولون_كما زعمتم _: الله في السماء!! ولم يكن دليلا على إيمانهم، فلماذا كان دليلا على إيمان الجارية إذن؟!

المطلب السادس: ابن تيمية نفسه ينازع في توحيد الربوبية فكيف يدعي الإجماع عليه؟!

المفارقة أن ابن تيمية الذي زعم إجماع البشرية مؤمنهم وكافرهم على توحيد الربوبية هو نفسه عند التحقيق ينازع في توحيد الربوبية! فكيف يدّعي الإجماع على شيء هو نفسه ينازع فيه؟! وذلك لأن ابن تيمية نفسه **لا يسلّم بأن المؤثر في الكون هو الله وحده!** فكيف ينسب الإجماع فيه إلى العالَمِين أجمعين؟! **فهو أصلا ينكر على الأشاعرة قولهم بالكسب الذي ينفون فيه تأثير العبد في فعله، وينفون القوة المودعة، وينفون تأثير الأسباب** في مسبباتها، وينفون أن يكون الماء مرويا والنار محرقة، ويسندون فعل كل ذلك إلى الله وحده، وأن كل ما في الأمر هو أننا نشهد مقارنة الريّ للماء والإحراق للنار، وهكذا، وأن الله يخلق الري والإحراق عند هذا الاقتران، بمعنى أن الله «رتّب ملكه على عوائد أرادها وأسباب قدرها وربط بها آثار قدرته، ولو شاء لم يربطها، فجعل الري بالشرب والشبع بالأكل والاحتراق بالنار والحياة بالتنفس في الهواء، فمن رام من الله تعالى تحصيل هذه الآثار بدون أسبابها فقد أساء الأدب، بل يلتمس فضل الله تعالى في عوائده»[1]، هكذا يرى الأشاعرة ولا ينسبون إلى غيره تعالى سوى التسبب والكسب غير المؤثر، وهذا منهم محافظة على توحيد الله في أفعاله.

ولكن الغريب أن ابن تيمية _ كأتباعه _ ينكر هذا على الأشاعرة، ويعتبره جبرية وجهمية! والصواب عنده أن العبد فاعل حقيقة! وأن الأسباب مؤثرة! وأن القوة المودعة حق! وفي ذلك يقول **ابن القيم** "والقول بإسقاط الأسباب هو **توحيد القدرية الجبرية أتباع جهم**

---

1 «الذخيرة للقرافي» (13/ 248)

بن صفوان في الجبر، فإنه كان غاليا في الجبر. وعندهم أن الله لم يخلق شيئا بسبب، **ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر، فليس في النار قوة الإحراق**، ولا في السم قوة الإهلاك، ولا في الماء والخبز قوة الريّ والتغذية..**بل الله سبحانه يحدث هذه الآثار عند ملاقاة هذه الأجسام**، لا بها. فليس الشبع بالأكل، ولا الري بالشرب..**فأحدهما مجرد علامة** وأمارة على وجود الآخر، فإذا وجد أحد المقترنين وجد الآخر معه، **بطريق الاقتران العادي فقط**، لا بطريق التسبيب والاقتضاء. **وهذا عندهم هو نهاية التوحيد** وغاية المعرفة "[1].

ويقول **سفر الحوالي**: «**ينكر الأشاعرة الربط العادي** بإطلاق، وأن يكون شيء يؤثر في شيء، **وأنكروا كل "باء سببية "في القرآن**، وكفّروا وبدّعوا من خالفهم..فمثلا عندهم: من قال: "**إن النار تحرق بطبعها أو هي علة الإحراق فهو كافر مشرك**؛ لأنه **لا فاعل عندهم إلا الله مطلقا**..قالوا: إن الأسباب علاقات لا موجبات..والنار إذا أحرقت ما تحرق ما احترق بسببها **وإنما احترق عندها** لا بها، فالإنسان إذا أكل حتى شبع ما شبع بالأكل **وإنما شبع عند الأكل**..فلا ارتباط عندهم بين سبب ومسبب أصلا، وإنما المسألة اقتران..ومن متونهم في العقيدة:

والفعل في التأثير ليس إلا ... للواحد القهار جلّ وعلا

ومن يقل بالطبع أو بالعلة ... فذاك كفر عند أهل الملة

ومن يقل بالقوة المودعة ... فذاك بدعيّ فلا تلتفت»2

قال وليد ـ رعاه مولاه ـ: هذا الذي قاله الحوالي فيه خلط وخبط إذ "الأشاعرة لا ينكرون الربط العادي بإطلاق، فمن المشاهد أن النار تحرق ما هو قابل للاحتراق..الأمر الذي **ينكره الأشاعرة هو ادعاء كثير من الفلاسفة بأن النار مؤثرة بذاتها**، أي إنها تحرق

---

1 «مدارج السالكين» (4/ 518 ط عطاءات العلم):

2 «منهج الأشاعرة في العقيدة – تعقيب على مقالات الصابوني» (ص45)، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، الدار السلفية، ط1/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

لأنها لا بد أن تكون مُحرقة، ويعتقدون أنها لا يمكن أن تنفكّ عن صفة الإحراق، وبالتالي **فإن الله تبارك وتعالى عندهم لا يقدر على أن يجعلها غير محرقة**، وكذا السكّين في القطع، والطعام في الإشباع، وهكذا..، **ولذا فإنهم ينكرون المعجزات، كعدم إحراق النار لخليل الله إبراهيم عليه السلام**..فالأشاعرة لا ينكرون الارتباط بين السبب والمسبَّب أصلاً كما فهمه الباحث، **ولكن يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب والمسبَّبات، وهو يخلق الإحراق عند ملاقاة النار**..ولو أراد ألا يخلق تلك المسبَّبات عند وجود تلك الأسباب **لفعل ما يشاء ولتخلّفت المسبَّبات عن الأسباب**، فالتأثير من الله تعالى عند وجود السبب، لا من السبب ذاته، وهذا كالقول في خلق أفعال العباد، **إذ العبد مكتسب لأفعاله الاختيارية وليس خالقاً لها، وخالقها هو الله سبحانه وتعالى**"[1]

ولا يتسع المقام لأكثر من هذا البسط، ولكن ما يهمنا هنا أن نبيّن أنه ما دام أن ابن تيمية نفسه لا يسلّم بأن الله هو المؤثر وحده كما رأينا، فكيف يزعم أن البشرية بأسرها أجمعت على أن الله هو الخالق الرب المؤثر وحده ؟! هذا فضلا عن أننا قد أثبتنا سابقا وجود من لا يؤمن بالله أصلا[2] !!

1 عقائد الأشاعرة للشيخ صلاح الدين الإدلبي (ص: 136)، ثم نقل ما يؤيد ذلك عن الأشاعرة كالعز بن عبد السلام والسنوسي.
2 انظر: ص (161)

الفصل الثالث: الدعوى بأن الرسل إنما جاءت بتوحيد الألوهية لا بتوحيد الربوبية

وهذا الدليل هو في الواقع أحد مقدمات نظرية تقسيم التوحيد، ومعناه "**أن الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق لهم**..فإن هذا يقرّ به كل مشرك قبل بعثة الرسل"[1]، "بل بعث رسله، وأنزل كتبه، لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة"[2]، "**فتوحيد الربوبية كان يعتقده المشركون، ولذلك لم يدعهم إليه الرسل** لعِلْمهم أن الله فطرهم عليه..ولذلك لم يدْعُ الأنبياءُ قومَهم إلى اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق..وإنما **كانت أول دعوتهم إلى :توحيد الألوهية**[3]. فقد "تواتر عنه ﷺ أنه أول ما دعا الخلق إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقال {أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..}[4]، و"لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا، إذ هم عارفون بذلك، وإنما أمرتهم الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية والوحدانية فأبوا"[5].

بيد أن كثيرا من المسلمين "يظنون أن التوحيد المفروض هو الإقرار والتصديق بأن الله خالق كل شيء وربه، ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الذي أقرّ به مشركو العرب، وبين توحيد الإلهية الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ[6]. وكذا سائر الرسل فقد "بُعثوا بالدعوة إلى توحيد العبادة، لا بالدعوة إلى توحيد الربوبية، **فليس هناك آية واحدة قالت أقرّوا بالربوبية**..لأن الفِطَر تقتضيه..[7].اهـ

---

(1) صيانة الإنسان ص164.

2 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 336)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 95)

4 مجموع الفتاوى (20/ 456)

(5) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 510).

6 مجموع الفتاوى (10/ 264)

7 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (1/ 52)

ولذلك لم يَرد عن أحد من أهل السنة والجماعة "أنه قال بوجوب معرفة الله تعالى، وذلك لأنهم يرون أنها فطرية بدهية، **ولأن القرآن الكريم لم ينشغل بإقامة الأدلة على وجود الله،** وأنه لم يأمر بالاستدلال على ذلك، وأن الرسول ﷺ لم يطلب من أحد من الناس كما أن **أحدا لم يطلب منه دليلا على وجود الله،** إذ المسألة كما قلنا ضرورية وأن الناس وكل الكائنات قد فُطروا على معرفة الله والإقرار بوجوده"[1]. بل "توحيد العبادة هو غاية إرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم"[2]، و"المعترك كان توحيد الألوهية؛ وأن الله قد أنزل لتحقيقه الكتب وأرسل للدعوة إليه الرسل"[3].

وبعض الأشاعرة ((كالشهرستاني يقرّ بهذه الحقيقة إجمالاً، ويذكر في معرض بيان أن العباد مفطورون على إثبات الصانع؛ أنه "لم يَرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك"))[4]. وغاية ما يمكن قوله أن "توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر لا يحتاج إلى تقرير وإنما يحتاج إلى تذكير.."[5]، والحاصل "أن جميع الأمم **لم تُرسل إليهم الرسلُ إلا لطلب توحيد العبادة,** لا للتعريف بأنه هو الخالق للعالَم, وأنه رب السماوات والأرض؛ فإنهم كانوا مُقِرّين بهذا بباعث الفطرة[6]".

وكذا قالوا، الجواب عن ذلك: أن هذا غير مسلّم، وبيان ذلك من وجوه:

1) أن السلفية مضطربون في هذه القضية.

---

1 منهج المتكلمين الفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله تعالى، ج2، ص829، وآليا ص344، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى ليوسف الأحمد.

2 جهود علماء الحنفية (1/ 134)، وانظر (1 / 124)

3 جهود علماء الحنفية (1/ 117)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 975) نقلا عن نهاية الإقدام (ص: 124) .

5 القواعد المذاعة في مذهب أهل السنة والجماعة، وليد السعيدان (ص: 77)

6 موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 120)

2) أن الأدلة التي بُنيت عليها هذه الدعوى غير مسلّم بها.
3) أن الإيمان بالله، وبأنه الخالق وحده، كلاهما مأمور بهما في الشرع.
4) أن كلام الشهرستاني بأن "لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع.."ليس على ظاهره، بل إن سياقه وسباقه يدلان على خلاف ذلك.

وفيما يلي بسط هذه الأوجه الأربعة في أربعة مباحث والله الموفق.

المبحث الأول: اضطراب السلفية في هذه القضية

أن السلفية مضطربون في هذه القضية، فتارةً يقولون إن الرسل لم تَدعُ الناسَ إلى الإيمان بوجود الله وبتوحيد الربوبية! كما رأينا في نصوصهم الآنفة الذكر، وتارة يقِرّون بخلاف ذلك كما في النصوص التالية:

1) قال ابن تيمية: **والقرآن يبيّن توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية**[1].
2) وقال ابن تيمية: فإن الله قد بعث الرسل وأنزل الكتب ودعوا الناس إلى موجب الفطرة: من معرفة الله وتوحيده[2].اهـ
3) قال ابن تيمية: فلو **كان رَبّان** لكان مخلوق كل واحد منهما متميزا عن مخلوق الآخر كما قال تعالى: {إذا لذهب كل **إله** بما خلق..} فذكر سبحانه وجوب امتياز المفعولين، ووجوب قهر أحدهما للآخر..وكلاهما ممتنع. فهذه الطرق وأمثالها مما يبين بها أئمة النظار **توحيد الربوبية وهي طرق صحيحة عقلية** لم يهتد هؤلاء المتأخرون إلى معرفة توجيهها وتقريرها[3].
4) وقال أيضا: "فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة. وهي شرعيّة؛ دلّ القرآن عليها، وهدى النّاس إليها، وبيّنها وأرشد إليها. وهي عقليّة؛ فإنّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن،

---

[1] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 354)

[2] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 461)

3منهاج السنة النبوية (3/ 312)

ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثمّ من علقة، هذا لم يُعلم بمجرّد خبر الرسول، بل هذا يعلمه النّاس كلهم بعقولهم؛ سواء أخبر به الرسول، أو لم يُخبر. لكنّ الرسول أمر أن يُستدلّ به، ودلّ به، وبيّنه، واحتجّ به، فهو دليل شرعيّ لأنّ الشارع استدلّ به، وأمر أن يُستدلّ به؛ وهو عقليّ؛ لأنّه بالعقل تُعلم صحته"[1].اهـ

5) وقال أيضا: "والمقصود هنا التنبيه على أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق لصريح المعقول، **وأن ما بيّنه من الآيات والدلائل والبراهين العقلية في إثبات الصانع سبحانه ومعرفة صفاته وأفعاله هو فوق نهاية العقول"**[2].

6) وقال أيضا بأن طريقة "القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة ونحوها على **وجود الخالق** سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يُستدلّ به على المحدث..كما قال تعالى: {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون}"3.

7) قال ابن القيم: وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليهما رغب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، كلهم من أوّلهم إلى آخرهم..والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له..**والرضى به ربا** وإلها ووليا..4.اهـ

8) وقال ابن القيم أيضا: وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه فوراء ذلك كله، **وهو نوعان؛ توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد**..وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي **متضمّنة لنوعي**

---

1 النبوات لابن تيمية (1/ 292)، ت عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1/2000م.

[2] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/ 87)، وانظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الإمام فخر الدين الرازي في الإلهيات 2/ 171.

3درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (7/ 219)

4 اجتماع الجيوش الإسلامية (2/ 93)

التوحيد[1].اهـ فتأمل كيف نصّ ابن القيم في هذا النص وما قبله على أن الله بعث رسله وأنزل كتبه لبيان كلا التوحيدين على حد سواء: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ولكن سماهما هنا: بتوحيد المعرفة والإثبات، ويعني به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات[2]، وتوحيد القصد ويعني به توحيد الألوهية[3]، لأنّه كما بيّنا سابقا أن نوعي التوحيد هذين لهما أسماء كثيرة عند ابن تيمية وأتباعه، من ذلك ما ذكرنا هنا.

9) قال ابن أبي العز:..**فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعا للتسلسل**. فإنا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك..وهذه كانت معدومة ثم وُجدت، فعدمها ينفي وجوبها، ووجودها ينفي امتناعها، **وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون}. يقول سبحانه: أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟ ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه،** فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجودا بنفسه، بل إن حصل ما يوجده، وإلا كان معدوما..ولا شك **أن العلم بإثبات الصانع ووجوب وجوده** أمر ضروري فطري، **وإن كان يحصل لبعض الناس من الشبه ما يخرجه إلى الطرق النظرية**[4].اهـ

10) قال عبد الله الجبرين: وقد تكاثرت الأدلة في القرآن والسنة في إثبات الربوبية لله تعالى، فكل نصّ ورد فيه اسم "الرب" أو ذكر فيه خصيصة من خصائص

---

1 مدارج السالكين (3/ 449)

2 معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص: 38)

3 تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، دار الصميعي، الرياض (ص: 124)

4 شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (1/ 75)

الربوبية، كالخلق، والرزق، والملك، والتقدير، والتدبير، **وغيرها فهو من أدلة الربوبية**[1].اهـ

11) "وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: توحيد الربوبية.."[2].

12) قال السهسواني: لا مرية في أننا مأمورون باعتقاد أن الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره، وباعتقاد أن الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره وأن لا نعبد إلا إياه، والأمر الأول هو الذي يقال له توحيد الربوبية..[3]اهـ

13) قال د. الهذيل: "من تأمل كتاب الله تعالى يجد الآيات الكثيرة الدالة على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وما يدخل في هذا المعنى من ذكر أسمائه الحسنى..4

14) قال الشنقيطي: وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: توحيده في ربوبيته..[5]اهـ

15) وقال ابن عثيمين: "وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك "[6]، ومن ذلك قوله تعالى {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون}، "يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعيّن أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى"[7].

---

1 مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: 19)، عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مكتبة الرشد، ط2/ 1424هـ.

2 أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: 9)، تأليف نخبة من العلماء، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في السعودية، ط1/ 1421هـ.

3 صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: 436)

4 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص204

[5] أضواء البيان (3/ 488)، وانظره أيضا في: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 28).

[6] شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: 82).

[7] شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: 81)

16) قال عبد الله الأثري: "وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بربوبية الله تعالى.."[1].اهـ

17) وقال عبد الرزاق عفيفي في فصل "طريقة الرسل في إثبات وجود الله وتوحيده": ففي إثبات وجود الله: اكتفوا في الاستدلال عليه بالإشارة مع دقة المأخذ وسهولة العبارة، لقلة من أنكر وجوده تعالى ممن مسخت فطرهم،..قال تعالى: {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون}، فأنكر تعالى أن يكونوا خُلقوا بلا خالق؛ ضرورة أن الأثر يحتاج في حدوثه إلى مؤثر كما شهد بذلك العقل والفطرة والحس، وأنكر أن يكونوا خالقين لأنفسهم لما يلزمه من التناقض، وأنكر أن يكونوا خالقين للسماوات والأرض[2].اهـ

18) وقال الموجان: والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية..بل غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل القرآن من أوله إلى آخره في بيانهما وتحقيق شأنهما..[3].اهـ

19) وفي مختصر معارج القبول: إثبات ذاته تعالى (البراهين على وجود الله عز وجل): والقرآن يعالج ذلك بالتوجيه لتدبر آيات الله في الكون والنفس، وفيما يلي بعض البراهين والشواهد على وجود الله عز وجل: 1-أقام الله تعالى الحجة وأفحم الخصم في آية واحدة فقال: {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون}[4]..اهـ

20) قال القحطاني: أما دلالة الشرع على وجود الله عز وجل؛ فلأن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب السماوية تنطق بذلك[5].اهـ

---

1 الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص: 115)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مدار الوطن، ط1/ 2003م.

2 فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة، (ت: 1415هـ).

3 الرد الشامل للموجان ص106

[4] مختصر معارج القبول لهشام آل عقدة (ص: 23)

5 عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (1/ 126)، د. سعيد القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.

21) وقال العتيبي: "والله سبحانه قد أرشد العباد في كتابه إلى الاستدلال على ربوبيته"[1].

22) "يُكثر شيخ الإسلام من ذكر دلائل القرآن الكريم والتي تثبت أن الله تعالى خالق الأكوان ومدبّرها، تأكيدا وتوثيقا لما استقر في فطر الخلق من الإيمان بالله الخالق المدبّر رب العالمين"[2].

23) "لما كان توحيد الربوبية أحد عناصر التوحيد، لم يهمل الشرع بيان كل ما يتعلق به، ومن ذلك: الأدلة الدالة على وجود الخالق جل وعلا، ومسلك القرآن في إثبات هذه الحقيقة واضح وبيّن، لاغموض فيه ولا تعقيد"[3].

24) وجاء في الدرر السنية: طريقة القرآن في الاستدلال على توحيد الربوبية: سلك القرآن عدداً من الأساليب..منها: أولاً: الاستدلال باستحالة صدور الوجود من عدم[4].اهـ

25) (ومن الأمثلة على الدعوة إلى التوحيد بالأدلة العقلية قوله تعالى في هذه الآية: {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون})[5].

26) وهذا من الأدلة العقلية التي تدعوهم إلى توحيد الله تعالى، فمن غير المقبول **عقلا أن يوجدوا من غير موجد وخالق، وكذلك من غير المقبول عقلا أن يكونوا أوجدوا أنفسهم**، فالأمران مستحيلان عقلا، **فتعيّن أن يكون هناك خالق متفرد**

---

[1] أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة للعتيبي (1/ 156).

[2] موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من الإمام فخر الدين الرازي في الإلهيات 2/ 166

[3] مقالات الجهم بن صفوان (1/ 330)

4 الموسوعة العقدية – الدرر السنية (1/ 180، ت.ش)

5 حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد (ص: 176)

بالربوبية على كل شيء قدير، وكما تفرّد بالربوبية فمن لازم ذلك أن يتفرد بالألوهية وحده وبالأسماء الحسنى والصفات العلى، إذ ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى.

27) قال جبير بن مطعم: "لما سمعتها – أي هذه الآية – أحسست بفؤادي قد تصدع"2.

وهكذا نرى كيف نصّ ابن تيمية وأتباعه في هذه النصوص الصريحة على أن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه لتقرير كلا التوحيدين والدعوة إليهما وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية على حد سواء، وهذا عكس ما قامت عليه نظرية تقسيم التوحيد في أحد أصولها وهو أن الرسل والكتب لم تأت لتقرير توحيد الربوبية ولا للدعوة إليه، بحجة أن هذا أمر فطري ضروري مجمع عليه بين الخلق كافة..!!

المبحث الثاني: عدم التسليم بالأدلة التي بني عليه هذا الادعاء

إن دعوى أن الرسل عليهم السلام إنما جاؤوا بتوحيد الألوهية لا بتوحيد الربوبية هي مبنيّة على أدلة غير مسلّمة، حيث بُنيت على أمرين سبق أن بيّنا أنهما غير مسلّمين؛ **الأول**: أن الإنسان مفطور منذ ولادته على الإيمان بالله وبتوحيد الربوبية[1]. **الثاني**: أن الإيمان بالله وتوحيده الربوبية متّفق عليه بين الناس كافة ولم يخالف فيه أحد[2]. وكما ترى أن الأمر الثاني مبنيّ على الأول، وقد بيّنا أيضا أن السلفية مضطربون فيهما فتارة يقولون كذلك، وتارة يقولون بخلافه، وما داما غير مسلّم بهما فهذه الدعوى المبنية عليهما غير مسلّمة أيضا.

المبحث الثالث تقرير أن الشرع أمر بالإيمان بأن الله هو الخالق وحده

إن الإيمان بالله خالقا، وأنه الخالق وحده كلاهما مأمور بالتسليم بهما في الشرع، وقد جاء في آيات وأحاديث كثيرة في الكتاب والسنة، وهذا مجمع عليه وممّا عُلم من الدين بالضرورة، وهاكم الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع ونصوص ابن تيمية نفسه وأتباعه، وبيان ذلك في أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم

الآيات في ذلك كثيرة، منها ما يأمر بالإيمان بالله، ومنها ما يثني على من يؤمن بالله، وفيما يلي تفصيل ذلك؛ أما الآيات التي تأمر بالإيمان بالله، فأذكر بعضها فيما يلي:

الآية الأولى: قال تعالى: {**آمِنُوا بِاللَّهِ** وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ **فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ** وَأَنْفَقُوا **لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** (7) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ***وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ*** وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الحديد: 7، 8]، **فتأمّل كيف أن الله في هاتين الآيتين وحدهما حثّ على الإيمان به أربعَ مرات بطرق مختلفة**، فالمرة الأولى أمرَ فيها

---

1 انظر: ص (15، 121)

2 انظر: ص (21 و88)

بالإيمان بالله صراحة في قوله في أول الآية "آمِنوا بالله"، وفي الثانية وعد الذين آمنوا بالأجر الجزيل في قوله "فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير"، وفي الثالثة بيّن أن الرسول يدعوهم للإيمان بربهم في قوله تعالى "والرسول يدعوكم **لتؤمنوا بربكم**"، وفي الرابعة في قوله "وقد أخذ ميثاقكم"وقد فُسر بآية الميثاق "ألست بربكم"كما سنرى.

وقوله تعالى "والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم"صريح جدا في أن الرسول دعا الناسَ إلى الإيمان بالرب، أي الإيمان بربوبية الله، إذ جاءت الآية بلفظ "بربكم" أي نصّت على الربوبية، فأين قول ابن تيمية السابق "لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا"؟ وأين قول الفوزان السابق "فليس هناك آية واحدة قالت: أقِرّوا بالربوبية "؟ بل ما مصير الدعوى القائلة بأن "**الله لم يبعث رسلَه ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق لهم** "بعد قوله تعالى:"**والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم**"؟!

وهذا يمكن أن يعارَض بقولنا: ولا يوجد في القرآن آية واحدة تقسم التوحيد وتطالب بالإيمان بأقسامه الثلاثة "**وما كان رسول الله يقول لأحد دخل في الإسلام: إن هناك توحيدين أو ثلاثة**، بل لا تكون مسلما **حتى توحّد توحيدا ثانيا هو توحيد الألوهية**، ولا أشار إلى ذلك بنص واحد أو كلمة واحدة، ولا سمع ذلك عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم"[1].

جواب الرازي وابن تيمية عن آية (يدعوكم لتؤمنوا بربكم)

فإن قيل: يمكن أن يجاب عن الآية بجوابين: **الأول**: أن المراد بالربّ هو الإله كما قلنا في حديث سؤال الملكين "من ربك". **الثاني**: ليس المقصود بالآية مجرد الإيمان بوجود الله بل

1 المناقشة العلمية لنظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية ص260، هشام آل قطيط الزبيدي، دار المحجة البيضاء، 2016م.

ما وراء ذلك كالتوحيد فالمقصود بها: "**وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله،** ورسوله..**يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته**"[1] و"**صدِّقوا أن الله واحد**"[2].

هذا وقد أورد الرازي إشكالا على الآية حاصله أن الأمر بالإيمان به تعالى **إما تحصيل حاصل لمن يعرف الله، وإما تكليف ما لا يطاق** إن كان المخاطب لا يعرفه تعالى إذ من لا يعرفه كيف يعرف أمره، ثم أجاب الرازي عن ذلك بقوله: ‘‘من الناس من قال: معرفة وجود الصانع حاصلة للكل، وإنما المقصود من هذا **الأمر معرفة الصفات**"[3].اهـ

بل يدخل في الآية ـ فضلا عن التوحيد ـ الأعمال الصالحة أيضا إذ هي من الإيمان، وثمة أمران يؤيدان أن الآية يراد بها ذلك:

الأمر الأول: أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، "أي: إذا جاء ذكر الإسلام مفرداً، أو الإيمان مفرداً فالمراد بهما الدين كله، بما فيه من إسلام، وإيمان، واستسلام، وشعائر، وشرائع، ومناهج، وأحكام قال الله تعالى:{**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ**}"4.

الأمر الثاني: أن سورة الحديد الواردة فيها هذه الآية سورة "مدنيّة باتفاق لم يخاطب بها المشركين بمكة؛ وقد قال: {وما لكم لا تؤمنون بالله **والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم** إن كنتم مؤمنين} **وهذا لا يخاطب به كافر؛ وكفار مكة لم يكن أخذ ميثاقهم وإنما أخذ ميثاق المؤمنين ببيعتهم له**؛ فإن كل من كان مسلما مهاجرا كان يبايع النبي صلى

---

1 جامع البيان ط هجر (22/ 389)

2 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (20/ 238)

3 مفاتيح الغيب (29/ 216)

4 الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص: 84)

الله عليه وسلم كما بايعه الأنصار ليلة العقبة، **وإنما دعاهم إلى تحقيق الإيمان وتكميله بأداء ما يجب من تمامه باطنا وظاهرا..**"[1].

قلنا: أما **الأول** وهو أن المراد بالرب هو الإله كما في حديث سؤال الملكين فالجواب: **أولا:** إن هذا لا يصلح لأنه تحكّم وهوىً! إذ الموضع الذي يرضيكم تجعلون فيه الرب والإله متباينين، والذي لا ترتضونه تجعلونهما فيه مترادفين..!! فتارة تقولون بأن كلمتي الرب والإله متباينتان إن كان النص لكم كما في قول ابن تيمية "وقول صاحب الشرع أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ***لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا..***"، وتارة تقولون إنهما مترادفتان إن كان النص عليكم كما في آية الحديد هذه، وهذا ليس بأولى من العكس، بأن نقول بأن "الإله"معناه الرب في حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، لأن كلًا من كلمتي الرب والإله مترادفتان كما في حديث سؤال الملكين، وأما في آية الحديد فالرب فيها ليس هو الإله لأن الرب والإله متباينان، وما هو جوابكم هو جوابنا.

ثانيا: إن هذا يبطل الأصل الأصيل الذي قامت عليه نظرية تقسيم التوحيد؛ وهو التباين بين لفظي الرب والإله كما بيّناه مرارا[2]، ويُبطل أيضا استدلال ابن تيمية هنا لأنه قال "وقول صاحب الشرع أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ***لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا..***"فبنى استدلاله على التفريق بين لفظي الرب والإله، فإذا انتهى بكم المطاف إلى أن الرب في آية الحديد وهي قوله "والرسول يدعوكم لتؤمنوا **بربكم**"هو بمعنى الإله، بطل استدلال ابن تيمية هذا لأننا سنقول لا فرق في قول صاحب الشرع لا إله إلا الله و بين قوله لا رب إلا الله لأن الرب الإله بمعنى واحد كما أقررتم هنا في آية الحديد وفي سؤال الملكين.

---

1 مجموع الفتاوى (7/ 231)

[2] انظر: ص (281، 310)، وانظر كتابنا: "تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله".

وأما الثاني: وهو أنه ليس المقصود بالآية مجرد الإيمان بوجود الله بل المراد التوحيد كما قال الطبري والقرطبي، **فالجواب: أولا:** إن ظاهر اللفظ لا يساعد على هذا التفسير، إذ التوحيد لا بد له من أسلوب يدل عليه من الحصر والقصر ونحو ذلك كما سبق بيانه، لذا نجد كثيرا من المفسرين الآخرين فسّروا الآية على ظاهرها وهو مجرد الإيمان بالله، **قال ابن كثير:** وأي شيء **يمنعكم من الإيمان** والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك، **ويبيّن لكم الحجج والبراهين على صحة** ما جاءكم به..ثم روى حديث[1]: ''**أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانا ؟** – قالوا الملائكة قال – **وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم**.."[2].

وقال صديق حسن خان: "**يدعوكم للإيمان، والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان،** والحال أن **الرسول يدعوكم إليه** وينبهكم عليه، ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج؟"[3]، وهذا الذي قاله خان قاله قبله الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود[4]، وأصله في تفسير الماتريدي [5].

---

1 أخرجه الحاكم من حديث الفاروق (4 / 85 – 86)، والبزار من حديث أنس (3/318– 319– كشف الأستار) ، والبيهقي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كما في دلائل النبوة (6/ 538) ، والحديث حسنه الألباني لاسيما من طريق أنس فأورده في السلسلة الصحيحة (7/ 654) بعد أن كان ضعّفه في السلسلة الضعيفة (2/ 102) حيث لم يكن اطلع على طريق أنس كما قال.

2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (13/ 410)

3 فتح البيان في مقاصد القرآن (13/ 400).

4 تفسير أبي السعود (8/ 205)، الزمخشري في الكشاف (4/ 473)، والبيضاوي في تفسيره (5/ 186).

5 حيث قال «وقوله – عز وجل –: (وما لكم لا تؤمنون بالله **والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين) **في ظاهره متناقض**؛ لأنه يقول: (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم)، ولو كانوا لا يؤمنون بالله كيف يقرون بالله وبالرسول، ويصدقونه: أنه رسول الله؛ إذ التصديق بالرسول تصديق بالمرسل، **وهم لا يؤمنون بالله، فكيف يصدقون الرسول؟ لكنه يخرج على وجهين: أحدهما:** أي: ما لكم لا تؤمنون بالله؟ أي: **بقدرة الله على بعثكم وإحيائكم بعد موتكم** قد أتاكم ودعاكم بما **تبين لكم من قدرته** وسلطانه على البعث، **فما لكم لا تؤمنون بقدرته؟** على هذا جائز أن يخرج؛ لأن أهل مكة كانوا أصنافا: **منهم من يذهب مذهب الدهر**، ومنهم من

ثانيا: حتى لو سلمنا بأن المقصود بالإيمان هنا هو التوحيد كما قال الطبري''**يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته** "، فليس في كلام الطبري فضلا عن أن يكون في الآية أن المقصود هو توحيد الألوهية وأن هذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل، ودعت إليه كما يرى ابن تيمية في نظريته، وإنما التوحيد في كلام الطبري مطلق وليس فيه تقييد ولا تحديد ولا فيه تقسيم للتوحيد أصلا، حتى لو سلّمنا بأنه توحيد مقيّد فالمقصود به توحيد الربوبية، لأن نصّ الآية ''**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ** '' أي بتوحيد ربكم.

وأما قولكم إن الإيمان إذا جاء مفردا عن الإسلام شمل الأعمالَ الصالحة أيضا، **فالجواب: أولا:** هذه مسألة خلافية وهي دخول الأعمال في الإيمان، والكلام فيها طويل ليس هذا موضع بسطه، **ثانيا:** أن هذا ليس مطردا حتى على القول بدخول الأعمال في الإيمان ولاسيما فيما نحن فيه، وهو قضية إيمان المشركين بالله من عدمه فالآيات الواردة في هذه القضية نفيا أو إثباتا لا تتناول الأعمال!

فمثلا قوله تعالى: {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ **أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ**}، أي "يخرجون الرسول وإياكم من دياركم **لأن آمنتم بالله**"[1]. أي "**لأجل إيمانكم بربكم**"[2] كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ **إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**}، "أي أخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم **لكن لقولهم: ربنا الله وحده**"[3]. وكذا قوله تعالى "قالوا **آمنا برب**

يذهب مذهب الشرك، ومنهم من يقر بالتوحيد **وينكر البعث**...**والثاني** يقول: **أي عذر لكم في ترك الإيمان بالله تعالى** والرسول دعاكم، وقد أتاكم من الآيات والحجج ما يدفع عنكم العذر، ويزيح عنكم الشبه؟ **فأي عذر لكم من تركك الإيمان به؟ فما لكم لا تؤمنون؟**». انظر «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (9/ 516).

1 جامع البيان ط هجر (22/ 558)

2 أضواء البيان للشنقيطي (7/ 453)

3 فتح البيان في مقاصد القرآن (9/ 56) لصديق حسن خان، المكتبة العصرية، تحقيق الشيخ عبد الله الأنصاري.

العالمين''فقد ذكر ابن تيمية أن في هذه الآيات إخبارا عن "سجود **مع إيمانهم وهو مما قَبِله الله منهم وأدخلهم به الجنة** ولم يكونوا على طهارة"[1].

فهنا قطعا **المقصود بالإيمان مجرد تصديقهم بوجود الله فحسب دون العمل الصالح**؛ لأنهم لم يعملوا شيئا من الصالحات سوى سجودهم على غير طهارة، وكذا قوله {وَمَا **يُؤْمِنُ** أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: 106]، **قال مجاهد** وعكرمة، والشعبي في هذه الآية «ليس أحد إلا **و**هو يعلم أن الله خلقه، وخلق السموات والأرض، **فهذا إيمانهم**، ويكفرون بما سوى ذلك»"[2] ونحوه قول ابن عباس وغيره كما سبق[3].

فآية يوسف وآية الممتحنة وغيرهما الإيمانُ فيها هو فقط التصديق بوجود الله، والعمل ليس داخلا فيها، وأنتم أنفسكم استدللتم بآية يوسف والآثار التي معها: على إيمان المشركين بالله وعلى توحيده في الربوبية[4]، وزعمتم أنه "**ليس هناك آية واحدة قالت أقرّوا بالربوبية**''فلما جاءتكم آية صريحة تطالب بالإيمان بالله ربّا كقوله تعالى "والرسول يدعوكم لتؤمنوا **بربكم**": قلتم المراد بها الإيمان مع العمل..!!

هذا على الرغم من أن ابن تيمية عوّل على أن الشارع استخدم كلمة "إله'' ولم يستخدم كلمة "ربّ'' فقال "وقول صاحب الشرع أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ***لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا..***''، ولم يأت على ذِكر قضية دخول العمل في الإيمان أصلا فما بالكم تزُجُّون بها هنا..؟!

---

1 مجموع الفتاوى (21/ 283)، الفتاوى الكبرى (1/ 353)، انظر: ص () سجود **مع إيمانهم وهو**

2 جامع البيان ط هجر (13/ 374)

3 انظر: ص (480)

4 انظر: ص (480)

وإذا كان فعلا المقصود بالإيمان في آية الحديد هو ما يشمل العمل الصالح كما تقولون، فنحن نقول بالمقابل إن الحديث السابق الذي استدل به ابن تيمية "أمرت أنا أقاتل الناس.." فيه أنه قاتلهم ليشهدوا أن لا إله إلا الله وأيضا قاتلهم ليشهدوا بأن مُحَمَّد رسول الله، كما قاتلهم أيضا ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، إذ نصّ الحديث عند الشيخين عن ابن عمر مرفوعا: "أمرت أن أقاتل الناس حتى **يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم** وأموالهم إلا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله".

بل إن ابن تيمية يقرر أن "**كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين**، فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا. وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة. وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق"[1]. وإن قالوا: "**لا ندع الربا، ولا شُرب الخمر**، ولا الفواحش، ولا نجاهد في سبيل الله..ونحو ذلك: **قوتلوا** حتى يفعلوا ذلك"[2]، والدليل على ذلك قوله تعالى:{فإن لم تفعلوا **فأذنوا بحرب** من الله ورسوله} فهذه "الآية نزلت في **أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام والتزموا الصلاة والصيام؛ لكن امتنعوا من ترك الربا. فبيّن الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا..فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم** فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام أو أكثرها كالتتار". ويقول **ابن القيم: فجعل همَّهم بإخراج الرسول موجبا لقتالهم لما فيه من الأذى له**[3].

---

1 مجموع الفتاوى (28/ 510)

2 مجموع الفتاوى (22/ 51)، وانظر أيضا مجموع الفتاوى (28/ 511)

3 أحكام أهل الذمة (3/ 1388)

وبالتالي فيجب قتال المشركين لكثير من الأمور والأهداف، فكيف حَصر ابنُ تيمية وأتباعه الهدفَ من قتال النبي للمشركين بقضية واحدة وهي لكي "**يقولوا لا اله إلا الله، لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا**، إذ هم عارفون بذلك، **وإنما أمرتهم الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية والوحدانية فأبوا**"(1)، ولكي يكون "**الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله**.."2، وأنه "الإله هو المعبود، خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع..وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الإقرار، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع...لو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال، لم يكن بين الرسول ﷺ وبينهم نزاع، بل كانوا يبادرون إلى إجابته، ويلبون دعوته، إذ يقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله، بمعنى: أنه لا قادر على الاختراع إلا الله. فكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا""[3]؟! ولم تَذْكروا في سبب قتالهم، ولا تذكّرتم أنه قاتلهم أيضا للإيمان برسوله وللصلاة والزكاة كما دلّ عليه الحديث نفسه، وإنما فقط تذكرتم قضيةَ العمل الصالح ودخوله في الإيمان عندما احتججنا عليكم بآية الحديد..!! وهذا محض تَحكمٍ وكيل بمكيالين.

ثم حتى لو سلمنا بأن المقصود بالإيمان هنا ليس مجرد التصديق بوجود الله والإيمان بربوبيته بل يشمل أيضا الأعمال الصالحة، فالاعتراض ما زال قائما وهو أنه ما دام التصديق بوجود الله والإيمان بربوبيته أمر مسلّم عند جميع البشرية فلماذا يطالب به الشارع أصالة أو تبعا؟! إذ المفروض ألا يطالب به أصلا ما دام هو أمر فطري وضروري ومجمع عليه بين الناس كافة مؤمنهم وكافرهم كما يدعي ابن تيمية في نظريته.

---

(1) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 510)

2 كشف الشبهات لابن عبد الوهاب (ص: 16).

(3) تيسير العزيز الحميد ص182.

وأما ما ذكره ابن تيمية من أن الميثاق المذكور في الآية هو الميثاق الذي كان يأخذه الرسول على أصحابه، فهذا وإن مال إليه **الألوسي** حيث قال: "ولعل الميثاق ما روينا عن الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل.."[1] بيد أن هذا مخالف لما ذكره أهل التفسير بالمأثور من أن الميثاق هنا هو الذين أخذ عليهم في قوله في آية الأعراف "ألست بربكم"، **قال الطبري: وقد أخذ ميثاقكم**، قيل: عني بذلك؛ ***وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم*، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه**[2]. ثم نقل بسنده عن مجاهد قوله: **{وقد أخذ ميثاقكم} قال: «في ظهر آدم»**[3].اهـ وبه قال **ابن أبي زمنين**[4]. و**البغوي**، وابن الجوزي[5]، نعم زاد البغوي فقال: **وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج والدلائل** التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ[6].اهـ **وذكر الشوكاني قولين في الآية فقال: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم**، أو بما نصب لكم من الأدلة الدالة على التوحيد ووجوب الإيمان[7].

وهذا الرأي الأخير الذي ذكره البغوي والشوكاني كان قد اختاره **الزمخشري**: "**قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان: حيث ركب فيكم العقول**، ونصب لكم الأدلة، ومكّنكم من النظر، وأزاح عللكم، فإذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول، فما لكم لا تؤمنون"[8]،

---

1 روح المعاني (27/ 170)

2 جامع البيان ط هجر (22/ 389)

3 جامع البيان ط هجر (22/ 390)

4 تفسير ابن أبي زمنين (4/ 349)

5 زاد المسير (8/ 162)

6 تفسير البغوي (8/ 33)، وانظر أيضا: روح المعاني، ط الرسالة 26 / 404.

7 فتح القدير للشوكاني (5/ 201)، ونحوه في تفسير الخازن (7/ 31).

8 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 473)

ولكن **ردّ عليه ابنُ المنير وحمل الميثاق على ما حمله عليه الطبري وغيره، فقال ابن المنير: وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله في آية غير هذه،** إذ يقول تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم** قالوا بلى. **ولقد يريبني منه إنكاره لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع إمكانها عقلا** ووقوعها بالسمع قطعا إلى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخييلا، فالقاعدة التي تعتمد عليها كي لا يضرك ما يومئ إليه **أن ما كل ما جوّزه العقل وورد بوقوعه السمع وجب حمله على ظاهره**[1].

بيد أن الإمام الرازي ضعّف حملَ الميثاق في آية الحديد على الميثاق المذكور في آية الأعراف "وذلك لأنه تعالى إنما ذكر أخذ الميثاق ليكون ذلك سببا في أنه لم يبق لهم عذر في ترك الإيمان بعد ذلك، وأخذ الميثاق وقت إخراجهم من ظهر آدم غير معلوم للقوم إلا بقول الرسول، فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سببا في وجوب تصديق الرسول، أما نصب الدلائل والبينات فمعلوم لكل أحد، فذلك يكون سببا لوجوب الإيمان بالرسول، فعلمنا أن تفسير الآية بهذا المعنى غير جائز"[2].

وذكر الطيبي ما حاصله أن الضمير في "أخذ''في قوله {وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ} [الحديد: 8] إن كان يعود لله ''فالمناسب أن يراد بالميثاق ما دل عليه قوله تعالى {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 38]..وإن كان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فالظاهر أن يراد به ما في قوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة.."[3]، وتعقبه الألوسي بقوله: "ويُضعّف الأولُ بنحو ما ضعّف به الإمام حمل العهد على ما كان يوم الذر، وضعف الثاني

---

1 حاشية ابن المنير على الكشاف (4/ 473)، وانظر روح المعاني، ط الرسالة 26 / 404.

2 مفاتيح الغيب (29/ 218)

3 روح المعاني، ط الرسالة 26 / 404.

أظهر من أن ينبه عليه"[1]، أي أن الأول وهو حمل الميثاق على قوله ''قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا..''يَرِدُ عليه نحوه ما أورده الإمام الرازي على من حمل الميثاق على آية الأعراف، وأما الثاني وهو حمل الميثاق على قوله ''وإذ أخذ الله ميثاق النبيين..''فظاهر الضعف.

والحاصل أن آية الحديد "والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم" صريحة في أن رسول الله مكلف بأن يدعو الناسَ ليؤمنوا بربوبية الله، والقول بأن الرب فيها بمعنى الإله تحكمٌ، وأمّا كون المقصود بالإيمان هنا ما يشمل الأعمال الصالحة فهذا أولا تمحلٌ، وثانيا: يَرِد مثله عليكم، ثالثا: لن يزول الاعتراض. وأما الميثاق هنا في آية الحديد فمختلَف في تحديده على أقوال عديدة كما سبق بيانه، والذي عليه أهل التفسير بالمأثور أن المقصود به هو المذكور في سورة الأعراف وهو قوله "ألست بربكم''وهذا يؤيد أن آية الحديد تأمر بالإيمان بربوبية الله، هذا فضلا عن أنها أي ـ آية الحديد ـ والآية التي بعدها فيهما ثلاثة تأكيدات أخرى سوى قوله "والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم''على وجوب الإيمان بالله كما سبق بيانه.

الآية الثانية: قال تعالى: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ **أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**} [آل عمران: 193]. فهذه الآية هي أيضا نص صريح على أن الرسول أو القرآن ـ على الاختلاف في تفسير المنادي[(2)] ـ **دعا إلى الإيمان بالله ربّا**؛ لأن الآية جاءت بلفظ "ربكم''فهي نص في الباب **ترد بشكل مباشر وصريح على دعوى ابن تيمية** أن الرسل لم يدعوا الناس إلى الإيمان بالله ربا !

الآية الثالثة: قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ** وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ** وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

1 روح المعاني، ط الرسالة 26 / 405.

(2) فقيل المراد بالمنادي رسول الله ﷺ وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس وابن جريج واختاره الجبائي وغيره. وقيل: المراد به القرآن، وهو المحكي عن مُحَمَّد بن كعب القرظي وقتادة، واختاره الطبري. انظر: روح المعاني للآلوسي (4 / 163)، الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (5 / 476).

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 136]، فهذه الآية تأمر صراحةً بالإيمان بالله، ولا يؤثر الخلاف الذي وقع بين المفسرين في المخاطَب بهذه الآية؛ فمثلا الطبري اختار ما ذهب إليه قتادة[1] من أن المخاطَب هم أهل الكتاب، فصار المعنى عند الطبري'' "يا أيها الذين آمنوا''بمن قبْل مُحَمَّد من الأنبياء والرسل، وصدَّقوا بما جاؤوهم به من عند الله "آمِنوا بالله ورسوله"، يقول: ***صدّقِوا بالله*** **وبمحمد رسوله،** أنه لله رسولٌ، مرسل إليكم وإلى سائر الأمم قبلكم، "والكتاب الذي نزل على رسوله"، يقول: وصدّقوا بما جاءكم به مُحَمَّد من الكتاب الذي نزّله الله عليه، وذلك القرآن''[(2)].

واختار بعض السلف كالحسن البصري أن المخاطَب هم المسلمون، وجزم به القرطبي فصار معنى الآية عنده: **يا أيها الذين صدقوا أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه**[(3)]. "أي **اثبُتوا على الإيمان بذلك** وداوموا عليه"[(4)]. وهذا (ليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل، **وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه،** كما يقول المؤمن في كل صلاة "اهدنا الصراط المستقيم"، أي بصرنا فيه وزدنا هدى **وثبتنا عليه، *فأمرهم بالإيمان به* وبرسوله كما قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله")**[5].

"وقيل إنه خطاب للمنافقين[6]، والمعنى على هذا: يا أيها الذين آمنوا في الظاهر أخلصوا لله. وقيل: **المراد المشركون، والمعنى يا أيها الذين آمنوا باللات والعزى والطاغوت آمنوا بالله، أي صدّقوا بالله** وبكتبه[(1)].

---

1 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (5/ 77)

(2) جامع البيان، للإمام الطبري - (9 / 312)

(3) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة - (7 / 181)

(4) روح المعاني - (5 / 169)

5 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 311)

6 وهو مروي عن مجاهد وابن زيد الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (5/ 77)

فأنت ترى أنه لا خلاف بين المفسرين في أن الإيمان بالله مأمور به في الآية أيًّا كان المخاطَب، أي سواء كان المخاطَبون هم المسلمين أم أهل الكتاب أم المنافقين أم المشركين، فكل هؤلاء مأمورون بالإيمان بالله والتصديق به، ولكن المؤمنين مأمورون بالثبات عليهم وتكميله، وغيرهم ـ كالملحدين والمشركين والمنافقين ـ مأمورون بتحصيله والإخلاص فيه، وتأمل قول ابن كثير "فأمرهم بالإيمان به".

الآية الرابعة: قوله تعالى: {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ **لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ** وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النساء: 39]، أي: لو "**صَدَّقوا بواجب الوجود،** وبما جاء به الرسول من تفاصيل الآخرة"[2]، وماذا **"لو صدقوا بأن الله واحد لا شريك له, وأخلصوا له التوحيد,** وأيقنوا بالبعث بعد الممات"[3].

الآية الخامسة: قوله تعالى {وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ **آمِنُوا بِاللَّهِ** وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة: 86]. قوله {آمنوا بالله} أي "**صدقوا بالله**"[4]، و"**أخلصوا في إيمانكم** وجهادكم، وإنما قدّم الأمر بالإيمان لأن الاشتغال بالجهاد **لا يفيد إلا بعد الإيمان**"[5].

الآية السادسة: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي **وَلْيُؤْمِنُوا بِي** لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]، أي: "وليؤمنوا بي أمر بالثبات والمداومة عليه"[6]، أي "المداومة على الإيمان"[7]. "وكان حق النظم أن يقول: فليؤمنوا بي

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة – (7 / 181)

(2) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة – (6 / 321)

(3)جامع البيان ط هجر (7/ 28)

(4) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة – (7 / 181)

(5) فتح البيان في مقاصد القرآن (5/ 364)

6أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (1/ 125)

7روح المعاني (2/ 64)

وليستجيبوا لي، فلم جاء على العكس منه؟ وجوابه: أن الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، **وهذا يدل على أن العبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقدم الطاعات والعبادات"**[1].

ولكن هذه الآية الأخيرة محتملة لمعنى آخر، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أنس في قوله: فليستجيبوا لي قال: **ليدعوني وليؤمنوا بي،** أي: أنهم إذا دعوني استجبت لهم[2]، وبعبارة أخرى أي "**وليصدقوا..وليؤمنوا بي** إذا هم استجابوا لي بالطاعة أني لهم من وراء طاعتهم لي في الثواب عليها وإجزالي الكرامة لهم عليها"[3].

فهذه ست آيات، خمس منها صريحة في الأمر بالإيمان بالله، وثمة آيات أخرى في الباب، ولكن ننتقل إلى الآيات التي تثني على الذين آمنوا بالله، فمن ذلك ما يلي:

1) قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ** وَرُسُلِهِ **أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ** وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الحديد: 19]
2) وقوله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ **الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ** وَرَسُولِهِ} [الحجرات: 15]
3) وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ** وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ** عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 62]
4) وقوله:{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ** وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: 177]
5) { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ **كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ** وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ} [التوبة: 19].

---

[1] مفاتيح الغيب (5/ 109)، وكذا في حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (1/ 495).

[2] فتح القدير للشوكاني (1/ 213)

[3] جامع البيان ط هجر (3/ 226)

فكل هذه الآيات تُثني على الذين آمنوا بالله وتعدهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهذا بخلاف مذهب ابن تيمية ونظريته في تقسيم التوحيد القائلة **إن الإيمان بالله لا ثواب عليه ولا ثناء على فاعله** بحجة أنه أمر فطري ضروري جبلي عند المؤمن والكافر كما سيأتي كلامه في ذلك[1]!

ولو كان الأمر كذلك أي أن الإيمان أمر فطري يعمّ جميع البشر كما يزعم ابن تيمية لم يكن للثناء على الإيمان بالله ولا على المؤمنين بالله: وجهٌ، إذ الشريعة لا تُثني على من يقوم بالأمر الجبلّي أو الفطري كالأكل والشرب والنوم..إلخ، وإنما تُثني على المكلّف لامتثاله بأمور الشريعة التي تخرجه من داعية الهوى إلى داعية الطاعة لله ورسوله، كما قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ **وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى** (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات: 40، 41]، **وقال الشاطبي**: إن الشريعة جاءت **لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم** حتى يكونوا عبادا لله اختيارا"2.

فإن قيل: الإيمان بالله المأمور به ليس هو مجرد التصديق بوجوده وإنما هو تصديق بالقلب وعمل بالجوارح ونطق باللسان، أي يدخل فيه الأعمال الصالحة، فهذا مسمى الإيمان شرعا. **فالجواب**: على التسليم بدخول العمل في الإيمان، فإن التصديق بوجود الله مأمور به في نهاية المطاف غاية ما هنالك أنه مأمور به ليس وحده بل مع الأعمال الصالحة، فالمكلف مأمور بكليهما أي بالتصديق بوجود الله وبالإتيان بالعمل الصالح، وهنا سيأتي نفس الاعتراض السابق وهو أن التصديق بوجود الله ما دام أنه أمر مسلّم وضروري وفُطر عليه الخلق كافة؛ فلماذا يؤمر به مع الأعمال الصالحة؟ كان المفروض أن يُقتصر على الأمر

---

1 انظر: ص (269)

2 الموافقات 39/2

بالأعمال الصالحة فحسب لأن الأمر بالتصديق بوجود الله هو تحصيل حاصل كما يزعم الخصم سبق بيانه[1].

فإن قيل: نلتزم بأن التصديق بوجود الله وأنه واحد في ربوبيته ليس من مسمى الإيمان المأمور به، لأن ذلك أمر فطري ضروري، ولا أحد يخالف في ذلك، **وإنما المقصود بالتصديق هنا هو التصديق بأنه تعالى واحد في ألوهيته** وأنه لا أحد يستحق العبادة سواه.

قلنا: أولا: هذا مصادرة على المطلوب لأنه مبني على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، وهذا هو محلّ النزاع أصلا، والذي نطالب الخصم بإثباته، فكيف يجعله نفسَه دليلا وأمرا مسلّما به؟! لو كنا نسلّم به لما طالبناكم بالدليل عليه أصلا، ولا كان كتابنا هذا له معنى أصلا!

ثانيا: قولكم بأن التصديق بوجود الله وبأنه واحد في ربوبيته هو أمر فطري ضروري ولا أحد يخالف فيه: غير مسلّم أيضا، وقد سبق بيان أن التصديق بوجود الله لا هو فطري بل كسبيّ[2]، ولا هو مُجمع عليه بين البشر، بل متنازع فيه بينهم بإقرار ابن تيمية[3].

ثالثا: وعلى التسليم به فإن التصديق بأنه واحد في ألوهيته أيضا مما فُطر عليه الناس أجمعين كما قرر ذلك ابن تيمية وأتباعه كما سبق[4]، وبالتالي فيلزمكم القول بأن التصديق بأنه تعالى واحد في ألوهيته: ليس من مسمى الإيمان، لأن هذا أيضا أمر فطري، فما كان جوابكم فهو جوابنا.

---

1 انظر: ص (203)

2 انظر: ص (9)

3 انظر: ص (97 و155)

4 انظر: ص (11)

رابعا: أن هذا يخالف ما أقررتم به؛ وهو أن الإيمان بتوحيد الربوبية واجب أيضا، وستأتي نصوصكم في ذلك[1].

1 انظر: ص (191، 216)

فقد جاءت أحاديث كثيرة فيها الأمر بالإيمان بالله والثناء على فاعله، وإليكم بعض تلك الأحاديث منها :

1) حديث أبي هريرة عند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله **ما الإيمان** ؟ قال: (**الإيمان أن تؤمن بالله** وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر). قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان) [1]. "**ولفظ الإيمان بالله متناوِل للإيمان بوجوده** وبصفاته التي لا تتم الألوهية إلا بها"[2]. و"قوله أن تؤمن بالله مضمَّن معنى أن تعترف به، ولهذا عدّاه بالباء أي أن تصدق معترفا بكذا"[3]. "كأنه قيل: **الإيمان الاعتراف بالله، ووثوق به**"[4].اهـ وكما ترى فالإيمان هنا ذُكر مع الإسلام فأفاد التغاير، وبالتالي فالمقصود بالإيمان بالله هنا التصديق بوجوده كما سبق عن الشرّاح ولا يدخل فيه العمل الصالح، لأن العمل أُفرد بالذكر في تفسير الإسلام.

2) وفي حديث ابن عمر عند مسلم أن جبريل قال للنبي "**فأخبرني عن الإيمان**، قال: **أن تؤمن بالله**، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[5].

3) وفي حديث أبي هريرة عند البخاري (**من آمن بالله** وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة..) [1].

---

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (4/ 1793).

2 الكواكب الدراري للكرماني (1/ 194)، وانظر أيضا فتح الباري (1/ 117).

3 فتح الباري (1/ 117).

4 شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (2/ 424)

5 «صحيح مسلم» (1/ 37 ت عبد الباقي)

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (3/ 1028)

4) وعند الشيخين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل: أيُّ العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله"قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[1]. و"**الإيمان بالله ورسوله: التصديق بهما في القلب مع الإقرار** بذلك باللسان.."[2]. و"هو يدل على أن الإيمان بالله ورسوله عمل لأنه جعله أفضل الأعمال، والإيمان بالله ورسوله الظاهر أنه إنما يراد به الشهادتان مع التصديق بهما"[3].

5) وعند مسلم عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، "أي الأعمال أفضل؟ قال: **الإيمان بالله** والجهاد في سبيله[4].

المطلب الثالث: الإجماع على وجوب الإيمان بالله ونصوص العلماء في ذلك

نصّ جمهرة من العلماء وفيهم ابن تيمية مع أتباعه – وستأتي نصوصهم في ذلك - على أن **الإيمان بالله مأمور به في الكتاب والسنة**، وبعضهم نقل الإجماع على ذلك، منهم أبو الحسن ابن القطان (ت 628هـ) حيث قال: "**وأجمعوا أن الإيمان: أن تؤمن بالله** وملائكته وكتبه ورسله"[5]، ولكنّ **ثمة إشكالا في كلام الإمام الشهرستاني استغله ابن تيمية**، وسنبسط ذلك بعد أن نسرد نصوص ابن تيمية وأتباعه في هذه المسألة، وإليكم بيان ذلك كله في مرصدين:

المرصد الأول: نصوص ابن تيمية وأتباعه على أن الإيمان بالله واجب وأنه مأمور به

1) **يقول ابن تيمية** تعليقا على حديث "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا الله خلق فمن خلق اللهَ ؟ فمن وجد من ذلك شيئا **فليقل**: ***آمنت بالله***"..والذي أمر به في دفع هذا الوسواس ليس هو الاستعاذة فقط، ***بل أمر بالإيمان***، وأمر بالاستعاذة

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (2/ 133)، صحيح مسلم (1/ 88)

2 فتح الباري – ابن رجب (4/ 213)

3 فتح الباري – ابن رجب (1/ 122)

4 صحيح مسلم (1/ 89)

5 الإقناع في مسائل الإجماع (1/ 34)

وأمر بالانتهاء، ولا طريق إلى نيل المطلوب من النجاة والسعادة **إلا بما أمر به** لا طريق غير ذلك[1].اهـ

2) **ويقول ابن تيمية:** إذا ثبت أن نفس الفطرة مقتضية لمعرفته ومحبته حصل المقصود بذلك وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج كثير منهم في حصول ذلك إلى سبب مُعين للفطرة كالتعليم والتخصيص، فإن الله قد بعث الرسل وأنزل الكتب، ودعوا الناس إلى موجب الفطرة: من معرفة الله وتوحيده؛ فإذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة، وإلا استجابت لله ورسله لما فيها من المقتضى لذلك(2).اهـ

فتأمّل قوله "فإن الله قد بعث الرسل وأنزل الكتب **ودعوا الناس إلى موجب الفطرة:** من معرفة الله وتوحيده.."فهو واضح جدا بأن الرسل بُعثوا للدعوة إلى موجب الفطرة وهي معرفة الله وتوحيده، هذا بعد أن أكّد أن "نفس الفطرة **مقتضية لمعرفته ومحبته**"تعالى.

ولكن هذا لا ينافي أن **تُبعث الرسل للغرض** نفسه؛ إذ ليس معنى الفطرة معرفة الله، **بل معناها أنها مهيّأة لذلك** بحيث لو فكّر الإنسان في هذا الكون وما فيه من حوادث لعلم أن هذه "**الحوادث آيات دالة على الفاعل المحدِث**..وهي أيضا **دالة على الخالق** سبحانه من حيث يعلم أنه لا يحدثها إلا هو، فإنه **كما يستدل على أن المحدثات لا بد لها من محدِث قادر عليم مريد حكيم، فالفعل يستلزم القدرة، والإحكام يستلزم العلم، والتخصيص يستلزم الإرادة، وحسن العاقبة يستلزم الحكمة**"[3].

وكذا الفطرة تهيئ النفسَ للاستجابة للرسل فورا؛ بحيث إذا جاءت الرسل أو أتباعهم ودعوا الناسَ إلى معرفة الله والإيمان به فسرعان ما يستجيبون لهم، **اللهم إلا من انحرفت**

---

1 درء تعارض العقل والنقل (3/ 308) وانظر أيضا: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 215)

(2) درء تعارض العقل والنقل (8 / 461)

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/ 124)

فطرته واجتالته شياطين الإنس والجن، فوردت عليه منهم **الشبهاتُ والتشكيكات الإلحادية** فَتَشَكّك فعلا في وجود الله أو أنكره، فهذا **حينئذ يحتاج إلى إقامة براهين ودفْع شُبه** ونحو ذلك ولا تكفيه الفطرة، وهو ما عناه ابن تيمية بقوله "بل يحتاج كثير منهم في **حصول ذلك إلى سبب مُعين للفطرة: كالتعليم والتخصيص**".

وبالتالي فلا يصح قول ابن تيمية السابق **"لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا،** إذ هم عارفون بذلك''إذ هم لا يُخلقون عارفين بأن لهم ربًّا، بل نفوسهم مهيأة ومقتضية لمعرفة ذلك تماما كما هي مقتضية لمعرفة أنه لا إله إلا الله **كما ذكره ابن تيمية نفسه** في النصوص السابقة، وكذا لا يصح ما ذكره بعض السلفية من أن هذه الفطرة تقتضي حصول المعرفة بالله "بدون سبب خارجي"[1]، فهذا غير صحيح، بل لا بد من دعوة الرسل أو النظر أو نحو ذلك بدليل قول ابن تيمية هنا: "وإن لم تكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك بل يحتاج كثير منهم في حصول ذلك إلى سبب معين للفطرة: كالتعليم والتخصيص..إلخ''وبدليل أن ابن تيمية نفسه كان يقرر بأن "الله خالق ذلك كله وربه ومليكه؛ لا خالق غيره، ولا رب سواه؛ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن"[2]. ويقرر أيضا وجوب الإيمان بالله خالقا فيقول: اعلم أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه لا رب غيره ولا خالق سواه[3]. فلو أن الإيمان بالله أمر مفطور عليه البشر كافة ولم يأت به الرسل لأنه تحصيل حاصل فلماذا يقرره ابن تيمية ويأمر به.

3) قال السهسواني: ''إننا مأمورون باعتقاد أن الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره"[1].

---

1 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص132

2 مجموع الفتاوى (8/ 238)

3 مجموع الفتاوى (8/ 242)

1 صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: 436)

4) وقال عبد الرزاق البدر: "فلا ريب أنَّه أي: اعتراف المشركين بأنَّ الخالق الله من التوحيد الواجب، وهو الإقرار بأنَّ خالق العالم واحد، لكنه هو بعض الواجب "[1].اهـ

5) وقال الشنقيطي: فالاعتراف لله – جلّ وعلا – بأن خلق السماوات والأرض وإنزال الماء وإنبات النبات ونحو ذلك مما ذكر في الآيات من خصائص ربوبيته – جل وعلا – هو الحق، وهو من طاعة الله ورسوله، ومن تعظيم الله وتعظيم رسوله[2].اهـ

6) "الخلق مفطورون على توحيد الله تعالى، وأن كل شيء يدل على وجود الله تعالى..فالخلق مفطورون على الإقرار بوجود الخالق..**ولكن لما كانت هذه الفطرة..قد تنحرف بسبب ما..جاءت الأدلة الشرعية تقرر هذا التوحيد**، وتذكّر الناس بما استقر في فطرهم؛ فالمؤمن يُزاد بها إيمانا والكافر توقظ فيه الفطرة الإيمانية ليؤمن بربه وبخالقه وبارئه"[3].

فهل بعد هذا الإقرار وما سبقه من الأدلة يقال: إننا غير مأمورين بالإيمان بوجود الله ولا بالإيمان بأنه واحد في ربوبيته، وإنما مأمورون فقط ـ في هذا الباب ـ بالإيمان بأنه واحد في ألوهيته؟!

المرصد الثاني: توجيه قول الشهرستاني لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع

نجيب هنا عمّا استدلوا به من قول الشهرستاني "**لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع**، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك"[4]. **فأولا**: قوله "**لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع**.."يبدو أنه بناه على ما قاله من قبل من أن "**تعطيل العالم عن الصانع**

---

[1] القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 69)، وقد عزى نقله إلى درء تعارض العقل والنقل (378/9)

2 أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (7/ 655)

3 ملّا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1/ 139.

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 975)

العليم القادر الحكيم فلستُ أراها مقالة"، وقد سبق أن ناقشنا ذلك[1] حين استدلّ السلفية **بقوله هذا على أن أحدا لم ينكر وجود الله**، وأتينا بسياق وسباق كلام الشهرستاني نفسه الذي يخالف ذلك، ويثبت أنّ ثمة من أنكر الخالقَ حتى من العرب والمشركين، ومن ذلك قوله: "اعلم أن العرب أصناف شتى: **فمنهم معطلة..وهم أصناف منكرو الخالق**، والبعث، والإعادة، **فصنف منهم أنكروا الخالق** والبعث والإعادة.."[2].

وأتينا بقوله بعد ذلك "**أمّا تعطيل العالم عن الصانع العالم** القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد؛ ولا أعرف عليه صاحب مقالة **إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية** أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة **واصطكت اتفاقا، فحصل عنها العالم بشكله** الذي تراه عليه..ولست أرى صاحب هذه المقالة **ممّن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت والاتفاق** احترازا عن التعليل.

ثم قال: **فما عددت هذه المسألة من النظريات** التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، **وبديهة فكرتها على صانع حكيم** عالم قدير ''أفي الله شك فاطر السموات والأرض". ولهذا لم يرد التكليف **بمعرفة وجود الصانع! وإنما ورد بمعرفة التوحيد** ونفي الشريك أُمرت أن أقاتل الناس حتى **يقولوا لا إله إلا الله**، ولهذا جعل **محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد** ''ذلك بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا'' الآية"[3].

---

1 انظر: ص (77، 217)

2 انظر: الملل والنحل 648/3.

3 نهاية الإقدام في علم الكلام (ص:123) ت ألفرد جيوم

فهذا نصّ الشهرستاني الذي نقله عنه ابن تيمية [1]، وظاهر منه أنه (أي الشهرستاني) يقرّ فيه بتعطيل الصانع من فئة من الدهرية الذين يحيلون وجود العالم على الصدفة كما في قولهم الذي ينقله عنهم بأن (العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة **واصطكت اتفاقا**، فحصل عنها العالم)! وإن كان الشهرستاني قد اعتبر هذه المقالة ليست إنكارا صريحا للصانع، ولكن قد سبق أن قلنا أنه لا يُسلّم للشهرستاني بأن هذا ليس إنكارا للصانع، وبسطنا ذلك.

ثانيا: إن سياق كلام الشهرستاني يدلّ على أن الرسل جاءت للدعوة إلى الإيمان بالله، وذلك لأنه قال بعد قوله "**لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع**": وقد سلك المتكلمون **طريقين في إثبات الصانع** تعالى وهو الاستدلال بالحوادث على مُحدثٍ صانع..**وأنا أقول ما شهد به الحدوث..دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر** هو منتهى الحاجات، فيرغب إليه ولا يرغب عنه..**ويُفزع إليه في الشدائد والمهمات**..إلى أن يقول: **والرسل مبعوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويل الشيطان فإنهم الباقون على أصل الفطرة** "وما كان له عليهم من سلطان "وقال "**فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى** "وقوله "**فقولا له قولاً ليناً لعله** يتذكر أو يخشى"[2].اهـ

فتأمل قوله "**والرسل مبعوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويل الشيطان**.."وما هي الفطرة هنا؟ هي ما ذكره قبل أسطر في قوله "**الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر**"، أي أن الرسل بعثوا ليذكروا بموجب الفطرة من احتياج الخلق إلى مدبّر وخالق، أي أنهم بعثوا للتعريف بالخالق. **وهذا نفسه كلام ابن تيمية السابق: فإن الله**

1 «درء تعارض العقل والنقل» (7/ 396).

2 نهاية الإقدام في علم الكلام (ص:125.)

قد بعث الرسل وأنزل الكتب ودعوا الناس إلى موجب الفطرة من معرفة الله وتوحيده 1. وقد سبق بطوله2.

فكأن الشهرستاني يقصد بقوله ''لم يَرد التكليفُ بمعرفة وجود الصانع..'' أي في الغالب لأن المعظم يؤمن بوجود الله، **ولم ينكره وجوده إلا شرذمة كما ذكر الشهرستاني** نفسه، وذلك لأن معرفة وجود صانع لهذا الكون المحدث: بديهية أو تكاد، إذ العقل يدرك افتقار هذا الكون و**احتياجه في ذاته إلى مدبر**، وهو دليل افتقار المخلوق إلى الخالق وافتقار الحادث إلى مُحدث، وهذا الاحتياج إلى المدبر، واحتياج كل حادث إلى محدث هو علمٌ يكتسبه الإنسان اكتسابا حتى يصبح شبه ضروري لكل إنسان، كما قال ابن تيمية: "**والممكن قد عُلم بالاضطرار أنه مفتقر في وجوده إلى غيره** فكل ما يعلم أنه ممكن فقير فإنه يُعلم أنه فقير أيضا في وجوده إلى غيره"[3].

وهكذا فإذا قال الشهرستاني أو غيره إن **الإيمان بالله لا تكليف فيه فليس المعنى أن الله لم يأمر بالإيمان به**، وأنه لم يرسل رسله . عليهم السلام . ليعرّفوا الناس بخالقهم ويأمروهم بالإيمان به؛ إذ هذا مخالف للآيات والأحاديث السابقة **التي تأمر صراحة بالإيمان بالله**، بل المعنى أن الناس في الغالب يحصل لها الإيمان بالخالق حتى ربما قبل مجيء الرسل إليهم أو قبل أن يأمروهم بالإيمان بالله، أو بعد أن يأمروهم، ولكن لا يحصل لهم غالبا توقف في وجود الخالق أو لبس في ذلك؛ لأن الأدلة العقلية على وجوده تعالى كثيرة، ولكن قد يحصل لهم لَبس أو تساؤل عن ماهية هذا الخالق وصفاته؛ هل هو جسم أم ليس بجسم؟ هل هو جوهر أم عرض؟ وهل هو واحد أم متعدد؟ وما هي صفاته التي تجب له أو التي تستحيل عليه؟ وأحيانا يحصل شك عند بعض الناس في وجود هذا الخالق من عدمه؟

---

(1)درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - (8 / 461)

(2) انظر: ص (60، و215)

3 مجموع الفتاوى (20/ 183)

فكان لا بد من بعثة الرسل عليهم السلام لتوضيح كل ذلك أي ليدعوا الناسَ أولا إلى الإيمان بوجود خالق لهذا الكون، ثم تعريفهم بأن هذا الخالق هو الله الذي ليس كمثله شيء، فهو ليس بشرا ولا حجرا ولا شجرا ولا كوكبا بل مغايرا لكل ذلك، ثم تدعو إلى الإيمان بصفاته بأنه واحد وعالم مريد قدير سميع بصير..إلخ، هذا كله فضلا عن دعوتهم الناس إلى الشرائع التي فيها صلاحهم في الدارين.

والحاصل أن الناس في الغالب لا مشكلة لديهم في الإيمان بخالق لهذا الكون؛ لأن الفكر السليم يقود إلى هذا، وبالتالي فمعظم الناس يستجيبون لدعوة الرسل إلى الإيمان بالخالق دون إشكال، وإنما مشكلة كثير من الناس في ماهية هذا الخالق وفي صفاته، فقد يجادلون الرسلَ ـ عليهم السلام ـ وأتباعهم حول ذلك، وفي الغالب لن يجادلوا في أصل فكرة وجود الخالق.

فهذا معنى كلام الشهرستاني من أنه لم يرد التكليف بمعرفة الصانع، أو هذا أحسن ما يحمل عليه، بدليل أنه هو نفسه أقرّ بوجود شرذمة تنكر الخالق، فكان لا بد من بعثة الرسل لتدعوا هذه الشرذمة ـ على الأقل ـ إلى الإيمان بالله، ولو أننا زعمنا أن الشهرستاني ذهب إلى أن الرسل لم تدع إلى الإيمان بالله، فهذا يعني أن من لا يؤمن بوجود الله لا يكون مخالفا لما جاءت به الرسل ـ عليهم السلام ـ ما دام أن الفرض هو أنه لا تكليف بالإيمان بوجود الله!

ثم إذا كان فعلا لم يرد التكليف بمعرفة الصانع لأن الناس تدرك ذلك بالفطرة ولكثرة الأدلة على وجود الله، فالإيمان بوحدانيته يمكن أن يزعم أنه لم يرد التكليف بها للسبب نفسه، وهو أن الأدلة كثيرة على وحدانيته كما قيل (وفي كل شيء آية **تدل على أنه الواحد**) 1.

---

1 قال البيهقي في «شعب الإيمان» (1/ 130 ت زغلول): «5 – حدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني مُحَمَّد بن يوسف الدقيقي قال وجدت في كتابي للشافعي رحمه الله:

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده جاحد؟

فإن قيل: نعم الأدلة كثيرة على وحدانيته في الربوبية بل هو مدرك بالفطرة فلمْ يرد التكليف بتوحيد الربوبية. قلنا: لم لا يقال إن توحيد الألوهية أيضا لم يرد التكليف به لأنه أيضا مدرك بالفطرة أو هو مركوز بالفطرة تماما مثل توحيد الربوبية المركوز بالفطرة، وهذا قرره ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[1].

والخلاصة أن الإيمان بالله مأمور به، وجاء التكليف به كما جاء التكليف بالإيمان بالوحدانية، لأن بعض الناس قد تطرأ لهم شبهات ـ لأسباب كثيرة ـ فيشك أو ينكر وجود الله، فيتوجب تذكيرهم وردّهم إلى الصواب، وتعريفهم بالله وبحاجتهم إليه تعالى، وعليه فلا بد من إقامة البراهين على وجوده، فلذلك استدلّ الشهرستاني بقوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: 9]، وبقوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُۥ **قَوْلًا لَّيِّنًا** لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 44].

وإنما استدلّ الشهرستاني بهذه الآية الأخيرة؛ لأن المقصود بها دعوة موسى عليه السلام فرعونَ للإيمان بالله بعد أن يعرّفه به حيث جاء بعدها: { قَالَ فَمَنْ **رَبُّكُمَا** يَامُوسَى (49) **قَالَ رَبُّنَا** الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [طه: 49 – 50]، ونحوها قوله {قَالَ فِرْعَوْنُ **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** (23) **قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ..رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**} [الشعراء: 23 – 29]، وكل هذه الآيات يبيّن فيها كليمُ الله لفرعون ربوبيةَ الله وخالقيته للكون، كما بسطناه في موضعه2.

ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبدا شاهد

في كل شيء له آية ... **تدل على أنه واحد**

ويقال **إن هذه الأبيات لأبي العتاهية**» وانظر: «التيسير في التفسير – أبو حفص النسفي» (15/ 281)، «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (2/ 642 ط عطاءات العلم)، «مدارج السالكين» (2/ 16 ط عطاءات العلم)، «البداية والنهاية» (14/ 77 ت التركي).

1 انظر: ص (11)

(2) انظر: ص (104)

وهكذا نرى أن كلام الشهرستاني بسياقه وسباقه يفسر بعضه بعضا ويُزيل ما قد يكون فيه من إشكال كما سبق بيانه. والله أعلم

الفصل الرابع: دعوى أن توحيد الربوبية هو حجة الله على المشركين في إثبات توحيد الألوهية

المبحث الأول: تقرير هذه الدعوى مع إبطالها من وجوه

أما تقرير هذه الدعوى كما رأوها، فقد **قال ابن تيمية:** أما توحيد الربوبية: فقد أقر به المشركون، وكانوا يعبدون مع الله غيره ويحبونهم كما يحبونه، فكان ذلك التوحيد – الذي هو توحيد الربوبية – حجة *عليهم*. فإذا كان الله هو **رب كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو؛ فلماذا يعبدون غيره معه** وليس له عليهم خلق ولا رزق ولا بيده لهم منع ولا عطاء، بل هو عبد مثلهم؟"[1].

"ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركًا له في ربوبيته كما شاركه في إلهيته"[2]. "فاحتجّ على تفرده بالإلهية بتفرده بالخلق وعلى بطلان إلهية ما سواه بعجزهم عن الخلق"[3]. "كما بيّن ذلك سبحانه في كتابه الكريم في عدة مواضع"[4]، "وهذه طريقة القرآن الكريم؛ يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة"[5]. "فيقرر كونه معبوداً وحده بكونه خالقاً رازقاً وحده"[6]، "ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم ألا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلا على الثاني، إذ كانوا يسلّمون الأول، وينازعون في الثاني"[7]. فالله "يُعرّف

---

1 مجموع الفتاوى (14/ 379)

2 التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص: 428)

3 الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: 287)

4 إغاثة اللهفان (1/ 30)، ونقله البدر في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 57)

555 بدائع الفوائد لابن القيم (2/ 780)

6 التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص: 428)

7 شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (1/ 36)

عباده بتقرير ربوبيته ليرتقوا بها إلى معرفة إلهيته"[1]. و"يحتجّ على منكري الإلهيّة بإثباتهم الربوبيّة"2.

وهكذا نرى كيف "صار توحيد الربوبية دليلاً على وجوب توحيد الإلهية"[3]، لذلك "يُعتبر الاستدلال بتوحيد الربوبية عند السلف من أعظم البراهين الدالة على توحيد الألوهية"[4]، و"من أكبر الحجج، وأوضحها، وأدلّها على المقصود"[5]، ولذا فإن هذا الاستدلال "يكثر في القرآن العظيم"[6]، إذ هو يتضمن الاستدلال "على توحيد الألوهية بالطريقة العقلية"7. وما نراه من ذكر لتوحيد الربوبية في القرآن فليس لتقريره، وإنما هو "للاستدلال به على توحيد الألوهية"[8]. إذ هو "من الدلائل التي يُستدل بها على وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة"9، والحاصل أن القرآن "يستدل لإثبات توحيد الألوهية بإثبات توحيد الربوبية فالربوبية باب

---

1 الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) (ص: 174)، وانظر أيضا: عقيدة مُحَمَّد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (1/ 562)

2 تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ص: 9)

3 شرح فتح المجيد للغنيمان (79/ 17، ت.ش)

4 منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ص287

5 جهود علماء الحنفية (1/ 217) نقلا عن فتح المنان للألوسي.

6 أضواء البيان للشنقيطي (3/ 490)، ونقله في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 24)

7 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 365)

[8] إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد للفوزان (1/ 70)

9 جهود الإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: 193)، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى لخالد الأحمدي.

لتوحيد الألوهية "[1]، لأن "**توحيد الربوبية مستلزم توحيد الإلهية**، فإذا عرفت أن الله ربك وربّ كل شيء، وأنه هو الذي بيده الخير والشر، **وجب عليك أن تعبده وحده**"[2].

والجواب عن ذلك إجمالا من وجهين: الأول: أن هذا مبني على مقدمات غير مسلمة كالزعم بأن الناس كافّةً مُقرّون بتوحيد الربوبية لأنهم مفطورون عليه، الثاني: الأدلة من القرآن على توحيد الربوبية، ونبين ذلك بالتفصيل في مطلبين.

المطلب الأول: بيان أن هذه الدعوى مبنية على مقدمات غير مسلّمة

وبيان هذا من وجوه: أولا: أن هذا مبني على أن مشركي العرب والناس كافةً مقرّون بتوحيد الربوبية، وهذا سبق بطلانه[3]، حيث بيّنا أن المشركين غير موحدين في الربوبية، بل أشركوا فيها من وجوه كثيرة، وليس هذا فحسب، بل منهم من يجحد الصانع أصلا! ولذلك جاءت آيات كثيرة لإثبات وجود الله لهؤلاء، حتى من أثبت وجود الله من المشركين فقد كان يشكّ في قدرته تعالى وفي علمه وفي إرادته[4]، بل كان يشك في الله نفسه، قال تعالى: {أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ **بَلْ لَا يُوقِنُونَ** } [الطور: 36] "**أي إذا سئلوا: من خلقكم..قالوا: الله، وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون**"[5]، وقد سبق بسطه[6].

---

1 نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف 2/ 88

2 شرح فتح المجيد للغنيمان (79/ 17، ت.ش)

3 انظر: ص (21 و88)

4 انظر : (ولئن سألتهم): ص (91)

5 البحر المحيط (8/ 149)

6 انظر: ص () وهم شاكون فيما يقولون

وكذا بيّنا أن الناس كما هم مختلفون فيما يسمى بتوحيد الألوهية هم مختلفون أيضا في توحيد الربوبية على حد سواء، وأن الناس أشركوا في كليهما، بل من الناس من أنكر وجود الله أصلا، **وهذا كله يدحض الإجماع المزعوم للناس كافة على توحيد الربوبية**[1].

ثانيا: إن كان المشركون مقرّين بتوحيد الربوبية لأنهم فُطروا على توحيد الربوبية؛ فقد أقررتم أيضا بأنهم مفطورون على توحيد الألوهية أيضا، إذ "**الروح مركوز في أصل فطرتها وخلقتها شهادة أن لا إله إلا الله**"[2]. فلماذا يَستدل اللهُ بأحدهما لتقرير الآخر؟! وكذا إن قلتم بأن المشركين كانوا يعلمون بأن الله هو الخالق وحده، وأن أصنامهم لا تخلق شيئا، فهم أيضا عالمون بأنه لا إله إلا الله بدليل أثر ابن عباس الذي استدللتم به، وهو "وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه"والتوحيد الذي دعاهم إليه هو توحيد الألوهية كما يقول ابن تيمية، وبالتالي فالمشركون كما هم عالمون بأن توحيد الربوبية حق فكذلك هم عالمون بأن توحيد الألوهية حق، غاية ما هنالك أنهم لم يذعنوا لعلمهم هذا، فأشركوا في كلا التوحيدين.

لنقرأ كلام ابن القيم وهو يقرر بأجلى بيان أن المشركين يعلمون في الدنيا قبل الآخرة بطلان شركهم ولكن كانوا يُخفون ذلك في الدنيا، وعليه حُمل قوله تعالى: { بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا **كَانُوا يُخْفُونَ** مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأنعام: 28]، حيث يقول: "**فالقوم كانوا يعلمون أنهم كانوا في الدنيا على باطل وأن الرسل صَدَقُوهم فيما بلغوهم** عن الله وتيقّنوا ذلك وتحقّقوه، ولكنهم أخفوه ولم يظهروه بينهم، بل تواصَوا بكتمانه، فلم يكن الحامل لهم على تمني الرجوع والإيمان معرفة ما لم يكونوا **يعرفونه من صدق الرسل، فإنهم كانوا يعلمون ذلك ويُخفونه**..فلو رَدّوا لما سمحت نفوسهم بالإيمان، ولعادوا الى الكفر والتكذيب؛ **فإنهم لم يتمنوا الإيمان لعلمهم يومئذ أنه هو الحق وأن الشرك باطل**، وإنما تمنّوا

---

[1] انظر: ص (21 و88)

2 بدائع الفوائد لابن القيم (4/ 1592) انظر: ص () مركوز في أصل فطرتها

لَمّا عاينوا العذاب الذي لا طاقة لهم باحتماله"[1]، وقد ردّ ابن القيم قبل ذلك على من فسّر الآيةَ بخلاف ذلك[2].

ثالثا: على التسليم بأن الله أقام الدليل على استحقاقه وحده العبادة بكونه الخالق وحده، ولكن ليس لأن المشركين مسلِّمون بأن الله وحده هو الخالق والمدبر كما تزعمون، إذ هم لا يسلّمون بذلك كما سبق بيانه مطولا[3]؛ وإنما لأن الله نفسه أقام الأدلة الكثيرة على أنه الخالق وحده، وعلى عَجْز أصنامهم عن الخلق أو الضر أو النفع كما سبق[4]، بل أقام لهم الدليل على وجوده تعالى في القرآن، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة. وهي شرعيّة دلّ القرآن عليها، وهدى النّاس إليها، وبيّنها وأرشد إليها. وهي عقليّة؛ فإنّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن..هذا يعلمه النّاس كلهم بعقولهم؛ سواء أخبر به الرسول، أو لم يُخبر"[5].اهـ وقد سبق هذا النص بطوله[6].

و"مَن تأمّل كتاب الله تعالى يجد الآيات الكثيرة الدالّة على وحدانية الله تعالى في ربوبيته..وكذلك يجد الآيات الكثيرة الآمرة بعبادة الله وحده لا شريك له الدالة على أنه وحده

---

1 عدة الصابرين لابن القيم (ص: 156)، تحقيق : زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية.

2 وأول كلامه في عدة الصابرين (ص: 154): قد حام أكثر المفسرين حول معنى هذه الآية وما أوردوا فراجع أقوالهم تجدها لا تشفي عليلا ولا تروي غليلا ومعناها أجل وأعظم مما فسروها به ولم يتفطنوا لوجه الإضراب ببل ولا للأمر الذي بدا لهم وكانوا يخفونه وظنوا أن الذي بدا لهم العذاب فلما لم يروا ذلك ملتئما مع قوله "ما كانوا يخفون من قبل" قدروا مضافا محذوفا.. إلخ. وانظر بدائع التفسير لابن القيم 1/ 344.

3 وذلك في كتابنا (البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية) فانظره إن شئت.

[4] انظر: ص () أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا

5 النبوات لابن تيمية (1/ 292)، ت عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1/2000م.

6 انظر: ص () وهي طريقة عقليّة صحيحة

المستحق للعبادة"[1]، و"طريقة القرآن في الاستدلال على توحيد الربوبية: سلك القرآن عدداً من الأساليب..منها: أولاً: الاستدلال باستحالة صدور الوجود من عدم كما في قوله تعالى: أم خُلقوا من غير شيء..[2].اهـ وقد سبق العديد من هذه النصوص[3].

فإذن قد أقام الله الأدلة والبراهين على وجوده، وعلى كونه الخالق وحده، وعلى أنه وحده الذي تجب عبادته؛ فهو حين يقيم الدليل على المشركين بأنه يجب عبادته وحده لأنه هو الخالق وحده، فصلاحية هذا الدليل لم تأت من كون المشركين مسلّمين بأنه الخالق وحده، بل لأنه تعالى أقام لهم الدليل على أنه الخالق وحده، وأثبت لهم عجز أصنامهم عن الخلق، وأنها لا تضر ولا تنفع في آيات كثيرة سبقت، بل أقام لهم الدليل على وجوده تعالى، وفصّل ذلك تفصيلا في القرآن كما قال { وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا} [الإسراء: 12].

فسواء عليهم أقرّوا بأنه تعالى موجود أم لا، وسواء عليهم أقروا بأنه تعالى الخالق وحده أم ثمة خالق سواه، وسواء عليهم اقتنعوا بتلك الأدلة التي ساقها لهم على وجوده، وعلى وحدانيته في الربوبية وفي الألوهية أم لم يقتنعوا، فالحجة لزمتهم في كل ذلك طوعا أو كرها ودون أي منّة منهم في ذلك، غاية الأمر أنهم معاندون مكابرون كما قال تعالى عن قوم فرعون: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**} [النمل: 14]، "يعني بالظلم: الاعتداء، **والعلو: الكبر**، كأنه قيل: اعتداء **وتكبرا**"[4]. وقيل "شركا **وتكبرا** عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، وهم يعلمون أنها من عند الله"[5]، **وكذلك** قال عن المشركين: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** } [الصافات: 35]، أي: "**يتعظمون عن قيل ذلك**

---

1 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص204

[2] الموسوعة العقدية – الدرر السنية (1/ 180، ت.ش)

3 انظر: ص (193، 229)

4 جامع البيان ط هجر (18/ 23)

5 فتح القدير للشوكاني (4/ 148)

ويتكبرون"[1]. أي أن علة كفر قوم فرعون هي نفسها علة كفر مشركي العرب وهي الكبر في كليهما.

بل قال ابن حجر: حكى الله تعالى عن كفار قريش "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا"، فكان كفرهم عنادا، ومنشؤه من الأنفة والكبر، وإلى ذلك أشار أبو طالب بقوله: لولا أن تعيّرني قريش[2].اهـ وقال تعالى:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ} [الروم: 58]، أي "ليقولنّ الذين كفروا ـ لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم ـ مخاطبين لك وللمؤمنين: إن أنتم إلا مبطلون، أي: مزوّرون"[3].

المطلب الثاني: ابطال ذرائع المشركين وشبههم في عبادة الأصنام بعيدا عن توحيد الربوبية

إن الحجة لازمة للمشركين ببطلان عبادتهم للأصنام بغضّ النظر عن قضية إقرارهم، أو عدم إقرارهم بتوحيد الربوبية، وذلك لأن الله تعالى أبطل جميع ذرائعهم وشُبههم التي بسببها عبدوا الأصنام بعيدا عن قضية توحيد الربوبية، وبيان ذلك في مرصدين:

المرصد الأول: ابطال شبهات المشركين في عبادة الأصنام

1) ادّعى المشركون أن أصنامهم آلهة من دون الله، وأنها شركاء كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ﴾ [الرعد: 33] ، فرد عليه فقال ﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سبأ: 27]

2) وادعوا أنها أنداد له تعالى كما قال عز وجل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: 165] ثم رد عليهم بأن هؤلاء الأنداد المزعومين سيتبرؤون

---

1 جامع البيان ط هجر (19/ 528)

2 الإصابة في تمييز الصحابة (7/ 114)

[3] روح المعاني (21/ 61)

منكم كما في تتمة الآيات[1] ورد عليهم في قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22] قال **مجاهد**: أي "وأنتم تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل" ، وسيأتي بسطه.

3) وادعوا أن فيها شيء من الربوبية كالضر والنفع، كما في قوله: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا **اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** } [هود: 54] فردّ عليهم قائلا: {أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً **إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ** شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ } [يس: 23 – 25]، وقال أيضا: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ **وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**} [الفرقان: 3]، وادعوا فيها العزّة فردّ عليهم كما في قوله تعالى: { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً **لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا** (81) **كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ** وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مريم: 81، 82]. وادعوا فيها النصر فردّ الله عليهم: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ **يُنْصَرُونَ** (74) **لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ** وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ} [يس: 74، 75]، وكما في قوله: { **فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً** بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأحقاف: 28]، وبيّن لهم أنها لا تملك لهم رزقا { إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ **لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا** فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ **الرِّزْقَ** } [العنكبوت: 17]، وقال: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الروم: 40]؛ فقد دلت الآية "دلالة واضحة على أن شركاءهم ليس واحد منهم يقدر أن يفعل شيئا

---

[1] والآيات بتمامها : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 165-167]

من ذلك المذكور في الآية"[1]، وبذلك "ألقم الله تعالى المشركين في هذه الآيات حجرا، بأن الشركاء التي يعبدونها من دونه لا قدرة لها على فعل شيء، وأنه هو وحده جل وعلا الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بالإحياء مرة أخرى، وأنه يهدي من يشاء..والآيات في مثل ذلك كثيرة، ومعلوم أن تسوية ما لا يضر ولا ينفع، ولا يقدر على شيء مع من بيده الخير كله المتصرّف بكل ما شاء – لا تصدر إلا ممّن لا عقل له"[2].

وصرّح بمثل هذا في آيات كثيرة، وبأنها لا تستطيع أن تخلق ذبابة: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ **لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا** وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ} [الحج: 73] أي: "لا يقدرون على تخليصه منه لكمال عجزهم وفرط ضعفهم..وإذا عجزوا عن خلْق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه عليهم، **فهم عن غيره مما هو أكبر منه جرما وأشد منه قوة أعجز وأضعف**"[3]. كما بيّن لهم أنها جمادات لا يتأتى منها أي حركة أو إدراك تنفع بها نفسها فضلا أن تنفع من يعبدها كما في قوله: {**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا** أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الأعراف: 195]، أي أن "هذه الأصنام التي تعكفون على عبادتها ليست لهم **أرجل يمشون بها في نفع أنفسهم فضلا عن أن يمشوا في نفعكم**..وليس لهم أعين يبصرون بها كما تبصرون..**فكيف تدْعون من هم على هذه الصفة من سلب الأدوات، وبهذه المنزلة من العجز**"[4] وقد سبق بسط ذلك[5].

والحاصل: أن القرآن قام بالردّ على كل ذلك "**بإقناعهم بأن كل عناصر الربوبية وصفاتها هي لله عز وجل وحده، ومنها الرزق والنصر وهبة الذرية الصالحة،** وتحقيق أيّ مطلب من مطالب الحياة الدنيا بقدرة ومعونة غيبية؛ **فآلهتهم التي يعبدونها**

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (6/ 11)

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (2/ 155)

3 فتح القدير للشوكاني (3/ 555)، فتح البيان في مقاصد القرآن (9/ 84)، وانظر انظر: ص () **منه جرما وأشد**

4 انظر: ص () فتح القدير للشوكاني (2/ 316)

5 انظر: ص () أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا

من دون الله عز وجل لا تملك لهم رزقا، ولا تستطيع أن تنصرهم إذا استنصروا بها، ولا تكون لهم عزّا ولا تهبهم ذرية يحبونها"[1].

4) ادعوا أنها تشفع لهم كما قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ **وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**} [يونس: 18]، وقال ﴿**وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ** ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [الأنعام: 94] ، فأبطل ذلك وردّ عليهم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا **مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا** وَلَا يَعْقِلُونَ (43) **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر: 43، 44]، وقال: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، وقال: {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: 87]. "**فهذه الآيات نفت لآلهتهم حق الشفاعة، وأوضحت أنه تعالى وحده الذي يملك الشفاعة، وأنه لا يشفع إلا من رضي الله شفاعته بجعله من الشفعاء**، وأنه إذا شفع فقبولها وردّها موكول إلى رضاه تعالى لا كما اعتقد المشركون أن شفاعة آلهتهم محتمة القبول بحكم شراكتهم في الألوهية"2.

"وقد جاء بيان كذبهم وافترائهم على الله في ادعاء أن آلهتهم تشفع لهم عند الله بأسلوب من البيان البديع"[3]، وذلك في قوله: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ **هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [يونس: 18] أي أن "شفاعة الشفعاء عند الله قضية لا تعرف إلا ببيان منزّل عن الله ﷻ، ولا تتحقق الشفاعة لأحد عند الله إلا بقضاء من الله يصدر به أمر أو إذن، لكن **وجود آلهة من دون الله يقصد بعبادتها أن تشفع لعابديها عند الله قضية لا يعلمها الله** وهو العليم بكل

---

1 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص11

2 كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثيّ للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص 35.

3 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص104

شيء، بل يعلم نقيضها وهو أنه لا وجود لآلهة من هذا القبيل"[1]، وقال **ابن تيمية: أما توحيد الربوبية: فقد أقر به المشركون** وكانوا يعبدون مع الله غيره..فإذا كان الله هو رب كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو، فلماذا يعبدون غيره معه وليس له عليهم خلق ولا رزق ولا بيده لهم منع ولا عطاء..**فإن قالوا: "ليشفع" فقد قال الله: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}، فلا يشفع من له شفاعة من الملائكة والنبيين إلا بإذنه**2.اهـ

5) ادّعوا أنهم يعبدونها لتقرّبهم إلى الله زلفى، فكذّبهم في دعواهم هذه فقال: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ **إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى..إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** } [الزمر: 3] وبيان ذلك أنه "لما وضّح لبعض المشركين أن آلهتهم لا تملك نفعا ولا تملك ضرا، لا جلبا ولا دفعا ولا رفعا، بعد أن أقيمت عليهم الحجج البرهانية، **لجؤوا إلى انتحال معاذير لما ورثوه عن آبائهم** وأجدادهم من عبادتها، فبدا لهم أن يعلّلوا عبادتهم لها **بأن الغرض منه أن تقربهم إلى الله منزلة.** وهذا يتضمن أن الله أذن بعبادتها لتحقيق هذه الغاية. **فأبان الله أنهم كاذبون في مقالتهم مبالغون في الكفر بالله**"3

6) ادعوا أنهم متّبعون لآبائهم في عبادتها، فأبطل ذلك بإثبات أن آباءهم كانوا ضالين، كما قال تعالى: {**قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** } [الأنبياء: 53، 54].

7) ادّعَوا أن الملائكة بنات الله، فأبطل ذلك بأنهم ينسبون له ما لا يرضونه لأنفسهم، فقال: {**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ** وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا **بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا** وَهُوَ كَظِيمٌ (58) **يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ..وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ**} [النحل: 57 – 62] **وردّ أيضا بأنه** الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، كما في سورة

---

1 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص104، 105

2 مجموع الفتاوى (14/ 380)

[3] توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص 100

الإخلاص، وبأنه هو الغني فقال {**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ**} [يونس: 68].

8) ادّعَوا أن الله أمرهم بذلك، فردّ عليهم ذلك كما في قوله تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 28]، و"الفاحشة: ما تبالغ في فحشه وقبحه من الذنوب. قال أكثر المفسرين: هي طواف المشركين بالبيت عراة. وقيل: هي الشرك[1]، والظاهر أنها تصدق على ما هو أعم من الأمرين جميعا"[2]، وإلى العموم ذهب "الزجاج والبغوي والزمخشريّ، ووافقهم السمين الحلبي وأبو السعود والشوكاني والسعدي..وهو الراجح في هذه المسألة، وهو أن الفاحشة هنا عامةً وهي تتناول ما تفاحش من الذنوب"[3]، وعليه فالمعنى أنهم إذا فعلوا "فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف..اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء، والافتراء على الله سبحانه وتعالى، فأعرض عن الأول لظهور فساده، وردّ الثاني بقوله {قل إن الله لا يأمر بالفحشاء} لأن عادته سبحانه وتعالى جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال"[4]، طبعا "ليس المراد أن القوم كانوا يسلّمون كون تلك الأفعال فواحش ثم كانوا يزعمون أن الله أمرهم بها؛ فإن ذلك لا يقوله عاقل، بل المراد أن تلك الأشياء كانت في نفسها فواحش، والقوم كانوا يعتقدون أنها طاعات وأن الله أمرهم بها"[1].

---

1 وهو قول عطاء والحسن، انظر: تفسير البغوي 3 /223، وتفسير القرطبي ط/ الرسالة 9 /190، ترجيحات أبي حيان في التفسير (سورة الأعراف)، لفريدة الغامدي، 174/1.

2فتح القدير للشوكاني (2/ 226)

[3] ترجيحات أبي حيان في التفسير (سورة الأعراف)، 173/1، 174، بتصرف يسير.

[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (3 /10)، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (4 /162).

1حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (2 /335)

ولذا طولبوا "بنص صحيح عن الله عز وجل صاحب الحق الأوحد في العبادة، يأذن لهم بأن يعبدوا آلهتهم، ويبيّن لهم أن عبادتهم لآلهتهم تقرّبهم إلى الله زلفى، أو يكونوا شفعاءهم عند الله، حتى يكون من الله برهان يحتجون به عند الناس، ويعتذرون به عند ربهم"[1] كما قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [الأحقاف: 4] أي "فهل للمشركين من كتاب يخالف هذا الكتاب؟ أو حجة تنافي هذه الحجة؟..أو أثارة من علم: بقية منه..إن كنتم صادقين في دعواكم التي تدعونها، وهي قولكم: إن لله شريكا، ولم تأتوا بشيء من ذلك، فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقلي على خلافه"[2].اهـ

وكما ترى فإن هذه الأدلة والبراهين التي أبطل الله بها شبهاتهم الستة هذه التي دعتهم لعبادة الأصنام: لا علاقة لها بالأدلة التي ساقها تعالى على وجوده وكونه الخالق والمدبر والمالك وحده، لأن أدلة كل من الأمرين مختلفة عن الآخر؛ وبيان ذلك فيما يلي.

المرصد الثاني: آيات كثيرة تُبطل عبادتهم لغير الله وليس فيها تعرضٌ لتوحيد الربوبية

ثمة آيات كثيرة تُبطل عبادتهم غيرَ الله ليس فيها تعرضٌ إلى قضية الاحتجاج عليهم بما يسمى توحيد الربوبية؛ كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ **لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا** وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) **أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ** أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) **إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**} [النحل: 20 – 22] فوصف الله في هذه الآية "الأوثان التي يعبدها المشركون من دونه، **بثلاثة أوصاف. تجعلها بمعزل عن النفع**، فضلا عن استحقاقها للعبادة..**فوصفها– أولا– بالعجز التام**، فقال تعالى: والذين يدعون من دون الله **لا يخلقون شيئا**..من المخلوقات مهما صغرت، بل هم يُخلقون بأيديكم، فأنتم الذين تنحتون الأصنام...وإذا كان الأمر كذلك **فكيف تعبدون شيئا أنتم تصنعونه بأيديكم، أو هو مفتقر إلى من يوجده؟!**

---

1 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص12

2 فتح القدير للشوكاني (5/ 17)، «فتح البيان في مقاصد القرآن» (13/ 11)

وأما الصفة الثانية لتلك الأصنام فهي قوله تعالى "أموات غير أحياء". أي:..**لا أثر للحياة فيهم،** فهم لا يسمعون، ولا يبصرون..**وأما الصفة الثالثة** لتلك الأصنام فهي قوله تعالى: وما يشعرون أيان يبعثون..**وهذه الصفة تدلّ على جهلهم المطبق، وعدم إحساسهم بشيء...لا تدري متى يبعثها الله** لتكون وقودا للنار..ويكون هذا على طريقة التهكم بهم، **لأن شعور الجماد مستحيل** بما هو من الأمور الظاهرة. فضلا عن الأمور التي لا يعلمها إلا الله سبحانه. **وبعد أن أبطل سبحانه عبادة غيره بهذا الأسلوب المنطقي الحكيم، صرّح بأنه لا معبود بحق سواه،** فقال: إلهكم إله واحد..لا شريك له، لا في ذاته ولا في صفاته: فأخلصوا له العبادة، ولا تجعلوا له شركاء"[1].

وأنت ترى أن آية النحل هذه أبطلت عبادة المشركين للأصنام حين وصفتها بثلاث صفات وهي العجز والموت والجهل، فمن الحماقة عبادتها بعد ذلك، وليس في الآية احتجاج عليهم بما يسمى توحيد الربوبية، وكذا سائر الآيات التي تبطل عبادتهم غير الله.

وعليه فلا يصح القول بأن الله أقام الأدلة على عبادته وحده بأنه الخالق وحده، أو أنه استدل على توحيد الألوهية الذي ينكرونه بتوحيد الربوبية الذي يسلّمون به، **فهذا لا يصح لسببين؛ الأول**: لأن أدلة كلا الأمرين مختلفة كما سبق وكما سيأتي بسطه أكثر، **الثاني**: لأن للمشركين أن يجيبوا عن تلك الأدلة ـ أي على أنه الخالق وحده ـ بالقول: نحن لا نعبد الأصنام لأنها تخلق بل نعتقد بأن الله هو الخالق وحده[1]، ولكن نعبدها لأنها تشفع لنا وتقربنا إليه تعالى، أو لأنّا وجدنا آباءنا على ذلك، أو لأن تلك الأصنام بنات الله..!!

وحينئذ فماذا يغني الاستدلال على المشركين بكونهم يسلّمون بأن الله هو الخالق وحده ليقروا بتوحيد الألوهية؟! أو مخاطبتهم بالآيات التي زعمتم أن فيها استدلالا بتوحيد الربوبية الذي

---

1 التفسير الوسيط لطنطاوي (8/ 125)

1 هذا على فرض أنهم يسلّمون بأن الله هو الخالق وحده.

يسلّمون به على توحيد الألوهية الذي ينكرونه، كقوله تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..} ونحو ذلك؟! وهكذا نجد أنه **لا بد من الإجابة عن شبهاتهم الخمس السابقة التي من أجلها عبدوا الأصنام** على النحو الذي سبق ذكره آنفا[1]، **بعيدا عن تقرير وحدانيته في الربوبية**، لأن هذا أمر آخر له أدلته المختلفة عن أدلة وجوب عبادته وحده وبطلان عبادة غيره.

المطلب الثالث: تقرير القرآن لأدلة وجود الصانع بعيدا عن قضية توحيد الألوهية

فأدلة كونه خالقا مدبرا هي هذا الكون وما فيه من أدلة عقلية كثيرة تشهد بحدوثه وإمكانه وافتقاره إلى محدث أو صانع يخلقه أولا ثم يدبره ثانيا؛ كما قرر ذلك ابن تيمية نفسه وأتباعه، وفيما يلي بعض نصوصهم في ذلك.

1) قال ابن تيمية: "الفقر والإمكان وعدم القيام بالنفس مستلزم للاشتراك، وهذه وأمثالها من دلائل توحيد الربوبية وأعلامها، وهي من دلائل إمكان المخلوقات المشهودات وفقرها وأنها من بدئه، فهي من أدلة إثبات الصانع؛ لأن ما فيها من الافتراق والتعداد والاشتراك: يوجب افتقارها وإمكانها والممكن المفتقر لا بد له من واجب غني بنفسه وإلا لم يوجد. ولو فرض تسلسل الممكنات المفتقرات فهي بمجموعها ممكنة. والممكن قد علم بالاضطرار أنه يفتقر في وجوده إلى غيره"[2].اهـ فانظر كيف نص ابن تيمية على أن افتقار المخلوقات وإمكانها هو من الأدلة على وجود الصانع وهو ما قرره المتكلمون أيضا كالغزالي والتفتازاني[1].

---

1 انظر: ص () جميع ذرائعهم وشبههم

2 مجموع الفتاوى (2/ 36) وانظر أيضا مجموع الفتاوى (20/ 183)

1 فمثلا **قال التفتازاني** في شرح المقاصد (3/ 306): لا يشك أحد في وجود عالم الأجسام من الأفلاك والكواكب والعناصر والمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية وفي اختلاف صفات لها وأحوال وقد صح الاستدلال بذواتها وصفاتها لإمكانها وحدوثها على وجود صانع قديم قادر حكيم فيأتي أربعة طرق هي الشائعة فيما بين الجمهور وأشير إليها في أكثر من ثمانين موضعا من كتاب الله تعالى كقوله تعالى إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك.. ومبنى الكل على أن افتقار الممكن إلى الموجد والحادث إلى المحدث ضروري يشهد به الفطرة وأن فاعل

2) وقال ابن تيمية أيضا: "فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة. وهي شرعيّة؛ دلّ القرآن عليها، وهدى النّاس إليها، وبيّنها وأرشد إليها. وهي عقليّة؛ فإنّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثمّ من علقة، هذا لم يُعلم بمجرّد خبر الرسول، بل هذا يعلمه النّاس كلهم بعقولهم.."[1].اهـ فبيّن أن دليل الحدوث هو دليل على وجود الله.

3) وقال ابن تيمية: وأما أن الآيات المنبّهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي مختصرة في هذين الجنسين من الدلالة؛ فهذا بيّن لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى، إذا تُصفحت وُجدت على ثلاثة أنواع: إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع، وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعًا..وأما الآيات التي تضمنت دلالة الاختراع فقط، فمثل قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ..} ومثل قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}..إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى[1].اهـ%%

وهذا الكلام نقله ابن تيمية[2] عن ابن رشد، ثم أقرّه قائلا: ذِكره لهذين النوعين **كلام صحيح حسن** في الجملة، وإن كان في ضمنه مواضع قصّر فيها، مثل

العجائب والغرائب على الوجه الأوفق الأصلح لا يكون إلا قادرا حكيما. .. الثالث أن المقصود بالإرشاد إلى هذه الاستدلالات تنبيه من لم يعترف بوجود صانع يكون منه المبدأ وإليه المنتهى وله الأمر والنهي.اهـ وقال اليافعي في مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة (ص: 47) نقلا عن الغزالي: "وأولى ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال الله تعالى {ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ..}.. وقال تعالى {ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا} .. قال: وليس يخفى على من معه أدنى مسكة .. أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره.اهـ

[1] النبوات لابن تيمية (1/ 292)، ت عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1/2000م.

1 بيان تلبيس الجهمية (1/ 173)

2 ونقله أيضا في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 326)

ما ذكره في دلالة حركة الفلك، وتفسير الآية، وتسبيح المخلوقات، واستدلال إبراهيم. ودليل الإحداث والاختراع يدل على ربوبية الله تعالى، ودليل الحكمة والعناية والرحمة يدل على رحمته..وإن كان **لم يستقص الكلام في دلالة ثبوت الصانع تعالى**[1].اهـ وينقل ابن تيمية عن الخطابي قوله: **إن القرآن نبّه على الأدلة العقلية الصحيحة**..وإلى ذلك ما وجدوه في أنفسهم، وفي سائر المصنوعات من آثار الصنعة **ودلائل الحكمة الشاهدة على أن لها صانعا حكيما** عالما خبيرا تام القدرة بالغ الحكمة، وقد نبّههم الكتاب على ذلك ودعاهم إلى تدبره وتأمله والاستدلال به **على ثبوت ربوبيته**. فقال عز وجل: { وفي أنفسكم أفلا تبصرون } إشارة إلى ما فيها من آثار الصنعة ولطيف الحكمة **الدالين على وجود الصانع الحكيم**)..وكقوله: { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء..}..وما أشبه ذلك من خلال الأدلة **وظواهر الحجج التي يدركها كافة ذوي العقول** وعامة من يلزمه حكم الخطاب مما يطول تتبعه واستقراؤه) قال أي **الخطابي**: (**فبهذه الوجوه ثبت عندهم أمر الصانع وكونه**)[2]، ثم أقرّه ابن تيمية بقوله: فقد بيّن الخطابي بعضَ ما نبّه عليه القرآن **من الاستدلال بالآيات النفسية والأفقية وهي أدلة عقلية**.اهـ

4) قال أحمد **الغامدي**: "**والبيهقي** – رحمه الله – وإن اعترف للعقل بفضله ومكانته في إثبات هذه القضية، إلاّ أن الطرق العقلية التي سلكها في هذا المجال شرعية أيضاً، لأن الشرع أرشد إليها، ونبّه الخلق عليها، مثل طريقي النظر في الملكوت وفي الأنفس، كما سلك طريق المعجزة، وكلّها طرق شرعية صحيحة[1]..فالإنسان أينما جال بنظره، وتمعن بفكره، رأى دليلاً على وجود الله. وهذا النظر عند البيهقي – إما أن يتجه إلى الكون بما فيه من مخلوقات، وإما أن يتجه إلى الإنسان نفسه. فأما النظر

---

1 «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (1/ 500)

2 درء تعارض العقل والنقل (8/ 354)

[1] البيهقي وموقفه من الإلهيات للغامدي ص104.

في الملكوت: فإن مَن نظر إلى السماوات، بما فيها من أجرام، وإلى الأرض بما فيها من كائنات مختلفة الأنواع والألوان، استطاع أن يصل من نظره ذاك إلى إثبات وجود الله..{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}.

إلى أن يقول: وأما النظر في الأنفس:فإن فيها من آثار الصنعة الإلهية ما يشير إلى إثبات الصانع، لأن الإنسان إذا نظر في نفسه وجدها تشتمل على ما لا يستطيع هو إيجاده..{وفي أنفسكم أفلا تبصرون}..وإذاً، فهاتان الطريقتان اللتان سلكهما البيهقي للاستدلال على وجود الله، **– أعني النظر في الملكوت والأنفس – هما عقليتان، وشرعيتان في نفس الوقت، والاستدلال بمثل هذا النوع من الأدلة هو منهج السلف؛** إذ من منهجهم قبول كل **دليل اتفقت العقول على صحته، وكان شرعياً بمعنى أن الشارع قد أتى به،** وأمر الناس أن يستدلوا به"[1].

5) قال عبد الله عبد الرشيد: "المتأمل والناظر في الكتاب والسنة يجد أن هناك الكثير من **النصوص التي تثبت وحدانية الله تبارك وتعالى، وتناقش الدهريين والملاحدة المجادلين في ربوبية الله** المؤيدة بكثيرة من الأدلة الظاهرة..**وهذا هو: توحيد الربوبية، وأدلتها كثيرة في الكتاب المسطور والمنظور"**[2].

6) قال صالح آل الشيخ: **وإثبات وجود الله موجود في القرآن والسنة..**{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ..} هنا عندنا احتمالان:هل خُلِقْتَ من غير شيء؟ هذا احتمال. هل أنت الخالق لنفسك؟ هذا احتمال. هل الإنسان هو الذي خلق السماوات والأرض؟ أو تكون هذه الأشياء كلها مخلوقة، والسَّبر والتَّقْسِيم يعطيك **النتيجة الصحيحة لأنَّهُ برهانٌ عقلي**[1].اهـ

---

[1] البيهقي وموقفه من الإلهيات للغامدي ص123. وانظر انظر: ص () تمعن فيها الإنسان

2 انظر: ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد ص164، عبد الله عبد الرشيد، رسالة دكتوراه، بجامعة أم القرى، 1420 اهـ.

1 إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل لصالح آل الشيخ (ص: 614)

إذن فالمقامان مختلفان، حيث إن أدلة القرآن على وجود الله تتلخص في النظر في المخلوقات والملكوت، وفي الأنفس وما فيها من عناية وإتقان، وافتقارها إلى صانع، وأما إبطال القرآن لعبادة ما سواه تعالى كان بإبطال الشبهات الست السابقة[1] التي لا علاقة لها بأدلة وجود الله، فهم مثلا حينما عبدوا الأصنام بحجة أنها تشفع لهم لم يرد عليهم الله بأنه هو خالق السموات والأرض وأنكم أنتم تقرّون بذلك، بل ردّ بأنه تعالى لم يأذن لهم بالشفاعة ونحو ذلك.

وهذا أشار إليه ابن تيمية نفسه حيث ذكر أن إبطال عبادتهم للأصنام إنما يكون بإبطال الأسباب أو الذرائع التي تذرّعوا بها إلى ذلك، كالقول بأنهم يعبدونها لتشفع لهم لا لترزقهم أو تنفعهم أو تضرهم أو تخلق لهم، حيث قال ابن تيمية: فلماذا يعبدون غيره معه وليس له عليهم خلق ولا رزق ولا بيده لهم منع ولا عطاء..فإن قالوا "ليشفع"فقد قال الله {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} **فلا يشفع من له شفاعة من الملائكة والنبيين إلا بإذنه**2.اهـ

طبعا هذا **قاله ابن تيمية بعد أن قرر أن المشركين موحدون في الربوبية** ولا ينسبون لغير الله خلقا أو ضرا أو نفعا، وقد سبق نقل نصه بتمامه3، وهذا دليل واضح في أن الرد على المشركين لعبادتهم غير الله لا يكون بتقرير توحيد الربوبية، ولا بتقرير الأدلة عليه ليستنتجوا منها توحيد الألوهية أو ليسوقهم إلى ذلك كما تزعمون، وإنما يكون بردّ الذرائع والشُبه والأسباب التي تمسكوا بها لعبادتها، كقضية الشفاعة هنا، حيث جاء الرد بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه تعالى كما سبق ذلك من كلام ابن تيمية نفسه.

---

1 انظر: ص () جميع ذرائعهم وشبههم

2 مجموع الفتاوى (14/ 380)

3 انظر: ص () يعبدون غيره معه وليس له عليهم

تقرير ابن تيمية لتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية

لقد قرّر ابن تيمية أن "**توحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية**"[1]، أي أن توحيد الربوبية جزء من توحيد الألوهية؛ فكيف يُستدل على الكل بالجزء؟! والكل ما هو إلا مجموعة أجزاء، وإنكار الكل هو إنكار للأجزاء التي يتركب منها، فاستدلالك بالجزء على الكل استدلال بشيء لا يسلّم به الخصم أصلا لأنه ينكر الكل فكيف يسلم بالجزء، وما دام توحيد الربوبية جزءاً من توحيد الألوهية والمشركون منكرون لتوحيد الألوهية؛ فهم إذن منكرون لأجزائه الذي منها توحيد الربوبية، فكيف يُستدل به على توحيد الألوهية؟

المبحث الثاني: الجواب عن الآيات باب الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية

أما الآيات التي استدلوا بها على أنها من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية فغير مسلّم استدلالهم بها، ولبيان ذلك نخصّص مطلبين؛ الأول نجيب فيه عن آية (ولئن سألتهم من خلقهم..) وأمثالها، والثاني: نجيب فيه عن الآيات الأخرى.

المطلب الأول: الجواب عن آية (ولئن سألتهم من خلقهم..) وأمثالها

وقد خصصت كتاب (ولئن سألتهم) للجواب عن هذه الآية وأمثالها، وهي ثماني آيات استدل بها ابن تيمية على أن المشركين موحدون في الربوبية، ويُذكر هنا أن هذه الآيات نفسها جعلها الشنقيطي من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية على اعتبار أن المشركين لما أقروا فيها بتوحيد الربوبية "ونخهم منكرا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده; **لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يُعبد وحده**"1، **وكلا الاستدلالين غير صحيح، إذ ليس في آيات الباب الثماني أنهم أقرّوا بشيء**، بل هو إقرار معلق على سؤالهم، وليس المراد أصلا من هذه الآيات أن النبي يذهب ويسألهم فعلا، وقد بسطنا ذلك سابقا[2]، وعلى التسليم أنهم أقروا بأن الله

---

1 بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية(4/ 533)، ط1/ مجمع الملك فهد 1426هـ.

[1] أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (3/ 490)

[2] انظر: ص () **جواب لهم سواه ولأنه البين**

وحده الخالق فهذا لا يلزم منه ألا يعبدوا الأصنام، كيف وهم عبدوها؟ وذلك لأن شبهاتهم في عبادتها تختلف عن شبهات الملحدين والمعطلة الذين ينكرون الصانع كما سبق بيانه.

ثم هذه الآيات الثماني جاءت آيات مثلها فيها سؤال عن الخالق، وفيها الجواب من النبي ﷺ ولا جواب فيها من المشركين كقوله تعالى: {**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ** مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ **قُلِ اللَّهُ** يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [يونس: 34]، وقوله: {**قُلْ مَنْ** يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **قُلِ اللَّهُ**} [سبأ: 24]، وقوله: {**قُلْ مَنْ رَبُّ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **قُلِ اللَّهُ** قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا} [الرعد: 16]، فإذا كان المقصود من آيات الباب الثماني السابقة أن **تتدرج بالمشركين من الإقرار بتوحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية كما تزعمون،** بحجة أنهم إن أقروا بتوحيد الربوبية لزمهم الإقرار بتوحيد الألوهية، أقول: لو كان الأمر كذلك فما المراد بآية الرعد وسبأ ونحوهما؟ هل كان المراد بها الأمر ذاته؟! **وهو أن تتدرج بالنبي من الإقرار بتوحيد الربوبية إلى الإقرار بتوحيد الألوهية** المعبر عنه بلا إله إلا الله؟! فهل كان النبي ـ الذي جاء هو وغيره من الأنبياء بلا إله إلا الله ـ منكرا لتوحيد الألوهية ـ حاشاه صلى الله عليه وسلم ـ حتى يُتدرج به إلى الإقرار بها؟!

وهذا بسطناه ـ كما قلنا ـ بشكل مطول في كتابنا "ولئن سألتهم"[1]، وذكرنا فيه أيضا أن ثمة آيات فيها سؤال عن الخالق، ولا يوجد فيها جواب أصلا لا من النبي ﷺ ولا من المؤمنين ولا من المشركين؛ كقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: 3]، وقوله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ **هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الروم: 40]، وقوله: {**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ**

[1] "ولئن سألتهم" ص49.

ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل: 64]، فما المراد بها إذا كانت لا إقرار فيها أصلا من أحد؟

هذا كله يُبطل القول بأن آيات الباب الثماني جاءت لإقامة الحجة على المشركين في إثبات توحيد الألوهية بعد أن يقروا بتوحيد الربوبية، على اعتبار أن الأول لازم للثاني على ما زعمتم!

المطلب الثاني: الجواب عن الآيات الأخرى

ثمة آيات أخرى استدلّ بها السلفية، وجعلوها من باب الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، نوردها مع الجواب عليها باختصار.

الآية الأولى: *فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ*

قوله تعالى: {**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً** وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 21، 22] **"أي إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف يجعلون له أندادا، وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله"**[1]. **فقد أقام الله** "البرهان الساطع والدليل القاطع **على وجوب توحيد الألوهية وهو أنه الخالق لهم ولآبائهم الأولين**، وأنه المنعم عليهم بأن جعل لهم الأرض ممهدة ومستقرة، وجعل السماء فوقهم مبنيّة.."[1]، "فلا تجعلوا شركاء مع الله في العبادة وأنتم تعلمون أنَّه لا خالق لكم غير الله، وقد مضى تفسير ابن عباس وغيره للآية بهذا"[2].

---

[1] بدائع الفوائد لابن القيم (4/ 1547)

1 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص366

[2] القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 68)

والجواب: أن هذه الآيات تورد الأدلة **على وجوده تعالى،** ومعناها أنكم لو "تأملتم أدنى تأمل **لاضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات، متعال عن مشابهة المخلوقات**"[1].

وقد بيّن ذلك ابن رشد، وأقره ابن تيمية، حيث قال الأول: فأما الآيات التي تجمع الدلالتين فهي كثيرة أيضا بل هي الأكثر **مثل قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم**..فإن قوله "الذي خلقكم والذين من قبلكم..''**تنبيه على دلالة الاختراع** وقوله "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء **بناء**''**تنبيه على دلالة العناية**..فقد بان من هذا أن الأدلة على وجود الصانع تعالى منحصرة في هذين الجنسين دلالة العناية ودلالة الاختراع[2].اهـ

وقد علّق ابن تيمية على ذلك بقوله: ''**قلت: ذكره لهذين النوعين كلام صحيح حسن في الجملة** وإن كان في ضمنه مواضع قصر فيها..**ودليل الإحداث والاختراع يدل على ربوبية الله تعالى، ودليل الحكمة والعناية** والرحمة يدل على رحمته، وقد فتح الله كتابه العزيز بقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، **وهذا أجود من طريق المتكلمين طريقة الأعراض**"[3]. **وقال ابن منده:** "ذِكر **الآيات التي تدلّ على وحدانيته في خلق الأرض** وما فيها..وقال تعالى: **الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء**"[1].اهـ **فجعل ابن منده** الآيةَ من قبيل الاستدلال على وحدانيته في الخالقية لا في الألوهية كما ترى.

---

1 تفسير البيضاوي (1/ 56)

[2] بيان تلبيس الجهمية (1/ 174)

3 بيان تلبيس الجهمية (1/ 176)

1 التوحيد لابن منده (1/ 182)

قوله تعالى: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3) **إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ** (4) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} [الصافات: 1 – 5] فقد "أقسم سبحانه بذلك **على توحيد ربوبيته وإلهيته وقرر توحيد ربوبيته** فقال {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ}، **وهذا من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركاً له في ربوبيته كما شاركه في إلهيته**..وهذه **قاعدة القرآن يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية**"[1].

والجواب: أن هذا غير مسلّم لأمرين:

الأمر الأول: أن هذا الاستدلال متوقف على أن الإله والرب لفظان متباينان، وهذا غير مسلّم كما سبق بيانه[2]، بل قد أثبتنا أنه يأتي كل منهما مكان الآخر حتى باعترافكم[3]، فإن فسّرنا الإله في قوله "إن إلهكم لواحد" بالرب لم يبق في الآية أي دليل على ما ذكرتموه.

الأمر الثاني: أن كثيرا من المفسرين بمن فيهم بعض السلفية ذكروا أن **آيات الصافات هذه تضمنت الدليل على وجود الصانع**، وهذه طائفة من نصوصهم:

1) **قال صديق حسن خان**: (رب السموات والأرض)..والمعنى في الآية: **إن وجود هذه المخلوقات على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وأنه رب ذلك كله، أي خالقه ومالكه** (وما بينهما) أي من المخلوقات والكائنات[1].

---

1 التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص: 428)، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص367

2 انظر: ص () أرب يبول الثعلبان

3 انظر: ص () ، حيث قالوا بأن كلمة (الرب) هنا "معناها المعبود

1 فتح البيان في مقاصد القرآن (11/ 368)

2) **وقال البيضاوي:** "رب السماوات والأرض..''فإن وجودها وانتظامها على الوجه الأكمل مع إمكان غيره **دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته**[1]. **والذي قاله البيضاوي هو تلخيص لما قال الفخر الرازي هنا، وكان مما قال:..إن انتظام أحوال السموات والأرض يدل على أن الإله واحد،** فههنا لما قال: إن إلهكم لواحد أردفه بقوله: رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق كأنه قيل قد بينا أن **النظر في انتظام هذا العالم** دل على كون الإله واحدا، فتأملوا في ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد..**أما دلالة أحوال السموات والأرض على وجود الإله القادر العالم الحكيم،** وعلى كونه واحدا منزها عن الشريك فقد سبق تقريرها..[2].اهـ ثم بسط الكلام.

3) **وقال أبو جعفر ابن الزبير:** لما تضمنت سورة يس من جليل التنبيه وعظيم الإرشاد ما يهتدي الموفق باعتبار بعضه ويشتغل المعتبر به في تحصيل مطلوبه وفرضه، **ويشهد بأن المُلك بجملته لواحد وإن رغم أنف المعاند والجاحد،** أتبعها تعالى **بالقسم على وحدانيته** فقال تعالى: "والصافات صفا..ورب المشارق'' ثم عاد الكلام **إلى التنبيه لعجيب مصنوعاته** فقال تعالى: "إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب..شهاب ثاقب "، **ثم أتبع بذكر عناد من جحد مع بيان الأمر** ووضوحه وضعف ما خلقوا منه (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ)، ثم ذكر استبعادهم العودة الأخروية وعظيم حيرتهم وندمهم إذا شاهدوا ما به كذبوا..[3]. **ونقل هذا الكلام البقاعي مقرا به**[1].

4) وقال **القرطبي:** ''إن إلهكم لواحد''جواب القسم. قال مقاتل: وذلك أن الكفار بمكة قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا، وكيف يسع هذا الخلق فردٌ إله؟! فأقسم الله بهؤلاء

---

1 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 5)

2مفاتيح الغيب (26/ 120)، «اللباب في علوم الكتاب» (16/ 274)

3 البرهان في تناسب سور القرآن (ص: 288)، أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ)، ت مُحَمَّد شعباني، المغرب، 1990 م.

1 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (16/ 191)

تشريفا. ونزلت الآية[1]. **وما قاله القرطبي** هنا ـ أي في الصافات ـ قاله **البغوي أيضا في تفسيره لسورة ص حيث يورد قصة مطولة وفيها:** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا لا إله إلا الله، [فنفروا] من ذلك وقاموا، وقالوا: **أجعل الآلهة إلها واحدا؟ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟!**[2] وسيأتي نحوه أيضا من أثر عطاء[3].

وهذا يدل على أن المشركين كانوا يستبعدون أن يكون إله واحدٌ قادرا بمفرده على تدبير العالم لذلك قالوا: "**كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! ومنشؤه** أن القوم ما كانوا أصحاب نظر واستدلال، **بل كانت أوهامهم تابعة للمحسوسات، فلما وجدوا في الشاهد أن الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد**"[4].

وهذا الاستبعاد نابع أيضا مِن شكّهم في شمول علمه وقدرته وإرادته كما سبق بيانه[5]، وقد قررنا ذلك من كلام بعض السلفية أنفسهم[6]، فجاءت آية الصافات "إن إلهكم لواحد" ردا عليهم في ذلك، **أي أن هذه الآية تتحدث عن الإله الخالق القادر الواحد لا عن مجرد المعبود، والآيات التي قبلها وبعدها تضمّنت الأدلة على وجود الله وعظمته وبديع صنعه، وأنه الخالق وحده** كما نقلنا ذلك عن كثير من المفسرين، **وليست الآية من باب إثبات توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية كما زعمتم.**

---

1 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (18/ 7)

2 تفسير البغوي (7/ 71)

3 انظر: ص (250)

4 فتح البيان في مقاصد القرآن (12/ 13)

5 انظر : (ولئن سألتهم): ص (91)

6 انظر : (ولئن سألتهم): ص (95)

الآية الثالثة: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ

قوله تعالى: { **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ **لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** } [البقرة: 163، 164]

فهذه "الآية اشتملت على توحيد الألوهية في بدايتها في قوله تعالى "وإلهكم إله واحد.." **وقد ذكرتْ الدليل على توحيد الألوهية وهو توحيد الربوبية** كما في قوله "إن في خلق السموات والأرض.."[1].

كذا قالوا، والجواب: أن هذا غير مسلّم وذلك يلي:

أولا: لما سبق بيانه من أن المشركين كانوا يستبعدون أن يدبر العالَم خالقٌ واحد، فنزلت هذه الآيات وآيات سورة ص والصافات ردا عليهم لتثبت قدرة الله على ذلك، وروى غير واحد عن أبي الضحى قال: لما نزلت وإلهكم إله واحد، **عجب المشركون وقالوا: إن مُحَمَّد يقول: وإلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين!** فأنزل الله إن في خلق السموات والأرض الآية يقول: إن في هذه الآيات لآيات لقوم يعقلون[2]. وأخرج ابن جرير وغيره عن عطاء قال: نزل على النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة "وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم "، **فقال كفار قريش** بمكة: **كيف يسع الناس إله واحد؟!** فأنزل الله

---

1 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص368، وانظر أيضا: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ص272

2 أخرجه وكيع والفريابي وآدم بن أبي إياس وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في شعب الإيمان كما قال السيوطي في الدر المنثور(2/ 108).

إن في خلق السموات والأرض..**فبهذا يعلمون أنه إله واحد وأنه إله كل شيء وخالق كل شيء**[1].اهـ

فتأمل قوله "فبهذا **يعلمون أنه إله واحد** وأنه إله كل شيء **وخالق كل شيء**"فهو صريح بأن هذه الآيات جاءت لتثبت لهم بأن الله إله واحد وأنه **هو خالق كل شيء**، وليس كما زعمتم أنها تستدل بإقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء على أنه الإله المعبود وحده.

***ثانيا**: نصوص المفسرين على أن هذه الآية للدلالة على وحدانية الخالق*

إن كثيرا من المفسرين والعلماء ذكروا أن هذه الآية دليل على وحدانيته في الخلق، وإليك نصوصهم:

1) **قال الطبري**: فأنزل الله هذه الآية **يعلمهم فيها أن لهم في خلق السموات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك آية بينة على وحدانية الله، *وأنه لا شريك له في ملكه* لمن عقل وتدبر ذلك** بفهم صحيح[2].اهـ وكلامه واضح في أن الله أراد البرهان على أنه واحد في ملكه وهذا ما تسمونه بتوحيد الربوبية.
2) ونحوه قول **الطبري** عند قوله {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ **بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** } [البقرة: 116]: وأولى معاني القنوت في قوله: {كل له قانتون} الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية **بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة، والدلالة على وحدانية الله عز وجل**، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها. وذلك أن الله جلّ ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدا بقوله: بل له ما في السموات والأرض **ملكا وخلقا. ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض أنها مُقرّة بدلالتها على ربها وخالقها، وأن الله تعالى بارئها وصانعها. وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك،**

---

1 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (2/ 108)

2 جامع البيان ط هجر (3/ 6)

وأن المسيح أحدهم، فأنى يكون لله ولدا وهذه صفته؟[1]اهـ **فبيّن أيضا** هنا أن ما في السموات وما الأرض دليل **على وجود اللهِ** خالقِها وبارئها، وأن هذه المخلوقات مُقرّة بهذه الدلالة بلسان الحال وإن أنكرت ذلك بلسان المقال أحيانا.

3) **وكذا قول الطبري:** فأنزل الله هذه الآية **يعلمهم فيها أن لهم في خلق السموات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك آية بينة على وحدانية الله، *وأنه لا شريك له في ملكه* لمن عقل وتدبر ذلك** بفهم صحيح[2].اهـ وكلامه واضح في أن الله أراد البرهان على أنه واحد في ملكه وهذه ما تسمونه بتوحيد الربوبية.

4) **وقال ابن منده:** ذِكر آية أخرى **تدل على وحدانية الله، وأنه مرسل الرياح والريح**..{**إن في خلق السماوات والأرض..وتصريف الرياح**}..[3]. **وقال أيضا:** ذِكر ما يستدل به أولو الألباب. من الآيات الواضحة التي جعلها الله عز وجل، **دليلا لعباده من خلقه على معرفة وحدانيته من انتظام صنعته، وبدائع حكمته،** في خلق السماوات والأرض، وما أحكم فيها وخلق الإنسان..والأرواح وما ركب فيها. قال الله، عز وجل، **منبّها على قدرته** {ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه}..وقال تعالى: {**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف** الليل والنهار لآيات لأولي الألباب}[4].اهـ **فتأمل** قوله "تدل على وحدانية الله، **وأنه مرسل الرياح** والريح..دليلا لعباده من خلقه على معرفة **وحدانيته من انتظام صنعته،** وبدائع حكمته..**منبها على قدرته**" فإنه واضح في **أن الله يبيّن وجودَه وربوبيته** وخالقيته ووحدانيته في ذلك **بل يستدل على كل ذلك ببديع صنعه في ذلك.**

5) **ويروي ابن منده** عن أبي يوسف كلاما طويلا سيأتي، وكان مما قاله أبو يوسف بعد أن ذكر آية البقرة هذه ونحوها: "تعلّم أن هذه الأشياء لها رب يقلبها

---

[1] جامع البيان ط هجر (2/ 463)

2 جامع البيان ط هجر (3/ 6)

3 التوحيد لابن منده (1/ 172)

4 التوحيد لابن منده (1/ 97)

ويبدئها ويعيدها وأنك مكوَّن، ولك من كوّنك, وإنما دل الله عز وجل خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم ربا يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه ليعلموا أنه مكوّنهم لا هم كانوا..وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أن لك ربًّا، وجعل فيك نفسك عليك حجة بمعرفته تتعرف بخلقه "[1].اهـ

وكلام أبي يوسف واضح جدا في أن المراد بآية البقرة "إن في خلق السماوات والأرض.." إثبات أن الله هو الخالق والمكوّن، وبالمناسبة فإن الخصم يستدلّ بكلام أبي يوسف هذا الذي رواه ابن منده عنه بطوله على أنه ـ أي ابن منده ـ ممن سبق ابنَ تيمية إلى تقسيم التوحيد!! وسيأتي بسط ذلك[2].

6) وقال البيهقي: باب ذكر بعض ما يُستدل به على حدوث العالم، وأن مُحدِثه ومدبره إله واحد قديم لا شريك له ولا شبيه قال الله عز وجل: {وإلهكم إله واحد..إن في خلق السماوات والأرض[3]..وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له **صانعا حكيما تام القدرة** بالغ الحكمة، وهذا فيما قرأته من كتاب أبي سليمان **الخطابي**..{أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض..}..يقول: أولم ينظروا فيها نظر تفكر وتدبر؟ **حتى يستدلوا بكونها محلا للحوادث** والتغيرات على أنها محدثات، وأن المحدَث لا يستغني عن صانع يصنعه على هيئة لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات[4].

1التوحيد لابن منده (3/ 304)

2 انظر: ص (493)

3 الاعتقاد للبيهقي (ص: 38)

[4] الاعتقاد للبيهقي (ص: 38)

7) وقال ابن الجوزي: فأما السموات فتدلّ على صانعها إذ هي قائمة بغير عمد، وفيها من الآيات الظاهرة ما يدلّ يسيره على مبدعه..واختلاف الليل والنهار كل واحد منهما حادث بعد أن لم يكن وزائل بعد أن كان[1].

8) وقال الفخر **الرازي**: اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولا، وعلى توحيده وبراءته على الأضداد والأنداد ثانيا[2]. وقال **الرازي** أيضا: "..أن كل واحد من هذه الأمور الثمانية يدل على وجود الصانع سبحانه وتعالى من وجوه كثيرة..فهي من حيث إنها لم تكن موجودة ثم وجدت دلت على وجود المؤثر وعلى كونه قادرا..ومن حيث إنها وقعت على وجه الإحكام والإتقان **دلت على علم الصانع**، ومن حيث إن حدوثها اختص بوقت دون وقت دلت على إرادة الصانع، ومن حيث إنها وقعت على وجه الاتساق والانتظام من غير ظهور الفساد فيها دلت على وحدانية الصانع، على ما قال تعالى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. وثالثها: أنها **كما تدل على وجود الصانع** وصفاته فكذلك تدل على وجوب طاعته..ورابعها: أن كل واحد من هذه الدلائل الثمانية أجسام عظيمة فهي مركبة من الأجزاء التي لا تتجزأ..وذلك يدل على **الافتقار إلى الصانع الموصوف** بالصفات المذكورة، وإذا كان كل واحد من أجزاء هذه الأجسام ومن صفاتها شاهدا **على وجود الصانع**..وهذه الأمور الثمانية ــ التي عدّها الله تعالى ــ نِعمٌ دنيوية في الظاهر، فإذا تفكر العاقل فيها، **واستدل بها على معرفة الصانع** صارت نعما دينية..[3].

9) **وقال البغوي**: {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}: {لخلق السماوات والأرض} مع عظمهما، {أكبر} أعظم في الصدور،

---

1 زاد المسير (1/ 168)

2مفاتيح الغيب (4/ 196)

[3]مفاتيح الغيب (4/ 224)، «التفسير الوسيط لطنطاوي» (1/ 335)

{من خلق الناس} أي: من إعادتهم بعد الموت، {ولكن أكثر الناس} يعني الكفار، {لا يعلمون} حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها[1].

10) وقال أبو حيان: ولما تقدم وصفه تعالى بالوحدانية واختصاصه بالإلهية، استدل بهذا الخلق الغريب **والبناء العجيب استدلالا بالأثر على المؤثر، وبالصنعة على الصانع، وعرفهم طريق النظر**، وفيم ينظرون. فبدأ أولا بذكر العالم العُلويّ فقال: إن في خلق السماوات. وخلقها: إيجادها واختراعها..[2]

11) وقال البقاعي: وقد اشتملت هذه الآية على جميع ما نقل البيهقي في كتاب الأسماء والصفات[3] عن الحليمي[4] أنه مما يجب اعتقاده في الله سبحانه وتعالى وهو خمسة أشياء: الأول إثباته سبحانه وتعالى لتقع به مفارقة التعطيل، والثاني وحدانيته لتقع به البراءة عن الشرك – وهذان من قوله {وإلهكم إله واحد}والثالث إثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض لتقع به البراءة من التشبيه..والرابع: إثبات أن وجود كل ما سواه كان بإبداعه له واختراعه إياه لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلّة والمعلول..والخامس: **أنه مدبر ما أبدع ومصرفه** على ما يشاء لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع أو تدبير الكواكب أو تدبير الملائكة..فالله سبحانه وتعالى بكمال عنايته ورأفته ورحمته جعل العالم بقسميه محتوياً على جمل وتفاصيل من وجوه متعددة وطرق متكثرة، تعجز القوى البشرية عن ضبطها، يستدل بها على وحدانيته، بعضها أوضح من بعض ليشترك الكل في المعرفة، فيحصل لكل بقدر ما هُيّئ له[5].

---

1 تفسير البغوي (7/ 153)

2 البحر المحيط في التفسير (2/ 77)

3 حيث قال البيهقي في «شعب الإيمان» (1/ 191 ط الرشد): «والخامس: إثبات أنه مدبر ما أبدع ومصرفه على ما يشاء ليقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع أو تدبير الكواكب أو تدبير الملائكة»

4 انظر «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (1/ 184):«والخامس: إثبات أنه مدبر ما أبدع...»

5نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (2/ 298)

12) وقال ملّا علي القاري: فمن الآيات الدالة على وجوده وظهوره وقدرته وحكمته وَجُوده قوله تعالى: إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل.. فمن أدار نظره في عجائب هذه المذكورات من خلق الأرضين والسموات..ألجأه ذلك إلى الحُكم بأن هذه الأمور العجيبة مع هذه التراتيب المحكمة الغريبة لا يستغني كلّ منها عن صانع أوجده من العدم، وعن حكيم رتّبه على قانون أودع فيه فنونا من الحكم، وعلى هذا درج كل العقلاء إلا مَن لا عبرة بمكابرته كبعض الدهرية من السفهاء..[1]اهـ

13) قال الألوسي في هذا الموضع: فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلّا منها مشتملا على وجوه كثيرة من الدلالة على وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى عن سائرها، ومجمل القول في ذلك أن كل واحد من هذه الأمور المعدودة قد وُجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة وأحكام مخصوصة من غير أن تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على النمط الكذائي؛ فإذًا لابد له من موجد لامتناع وجود الممكن بلا موجد قادر إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل حكيم عالم..متعال عن مقابلة غيره إذ لو كان معه واجب يقدر على ما يقدر الحق تعالى عليه، فإن وافقت إرادة كل منهما إيجاده على وجه مخصوص أراده الآخر، فالتأثير إن كان لكل منهما لزم اجتماع فاعلين على أثر واحد، وهو يستلزم اجتماع العلتين التامتين؛ وإن كان الفعل لأحدهما لزم ترجيح الفاعل من غير مرجح لاستوائهما في إرادة إيجاده على الاستقلال وعجز الآخر..**والعجز منافٍ للألوهية بديهة، وفي الآية إثبات الاستدلال بالحجج العقلية وتنبيه على شرف علم الكلام وفضل أهله**[2].اهـ

14) وقال أحمد الغامدي: فهذه أمور واضحة محسوسة، إذا تمعن فيها الإنسان وحكّم عقله خَلَص من ذلك إلى أن هذه كائنات لم يكن وجودها ذاتياً، ولم يكن لها

---

[1] منح الروض الازهر في شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص50، 51، وانظر أيضا: ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1 / 140، نقلا عن تفسير القاري المسمى أنوار القرآن وأسرار الفرقان خ ق (43/أ).

[2] روح المعاني (2 /33)

أن تسيّر أنفسها بتلك الدقة المتناهية، وذلك التناسق العجيب بل وجودها وفق هذا النظام المحكم دليل واضح على أن لها موجِداً خلقها، وقدر فيها وظائفها الموكول إليها تأديتها، وسيرها نحو أداء الغرض الذي خلقت من أجله بغاية الدقة والإحكام[1].اهـ

الآية الرابعة: *ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ*

قال تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا** إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [غافر: 61، 62] فقد"**اجتمع في هذه الآيات الاستدلال على ألوهية الله بأنه المنفرد بالخلق والتدبير كما في قوله: ذلكم الله ربكم**..وبأنه المنفرد بهبة النعم الظاهرة والباطنة.."[2]

والجواب أنه غير مسلّم، وإنما "بيّن سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده"[3]. فقد ذكر أن "من نعمه التي أنعم بها عليهم مع ما في ذلك **من الدلالة على كمال قدرته وتفرده بالإلهية**، فقال: الله الذي جعل لكم الأرض قرارا"[4] **وذلك "ليتحقق لهم التوحيد..لأن تعاقب النور والظلمة** على وجه مخصوص غير متعين بذاته ***لا يكون إلا بقدرة قاهر"*** [1]، **وفي الآية أيضا دلالة على** تجويز الحشر إذ "**من قَدَر على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة** في مواد الأبدان"[2].

---

[1] البيهقي وموقفه من الإلهيات للغامدي (ص: 122)

2 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص369

3 فتح القدير للشوكاني (4/ 571)

4 فتح القدير للشوكاني (4/ 571)

1 أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/ 168)

2 روح المعاني (20/ 29)

ويقول تعالى في آية مماثلة وهي { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا **جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا** إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النمل: 86] فقد "ذكر **الدلالة على إلهيته وقدرته أي ألم يعلموا كمال قدرتنا فيؤمنوا**"[1]. وقال تعالى في آية مشابهة {**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ..وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**} [الإسراء: 12]"والمعنى: أنه تعالى لما ذكر **أحوال آيتي الليل والنهار** وهما من وجه **دليلان قاطعان على التوحيد**..وفصّل ما فيهما **من وجوه الدلالة على الخالق** ومن وجوه النعم: كان ذلك تفصيلا نافعا وبيانا كاملا "[2]. وقال تعالى في آية مماثلة {هُوَ الَّذِي **جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا** إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [يونس: 67] "أي يسمعون هذه الحجج والأدلة فيعتبرون بها **ويستدلون على عظمة خالقها ومقدرها ومسيّرها**"[3] وحاصل هذا أن في آية غافر وأمثالها دلالة على الصانع من خلال آيتي الليل والنهار وأنه الخالق وحده.

الآية الخامسة: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

قوله تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) **إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} [النحل: 17 – 22] "فجعل الله عز وجل دليل الخلق والإنعام في هذه الآيات المستقر في الفطر والعقول برهانا ودليلا على وجوب إخلاص العبادة له جل وعلا، لأن من لا يخلق ولا ينعم ليس كمن يخلق وينعم على خلقه بنعم كثيرة"[1].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 216)

2 مفاتيح الغيب (20/ 166)

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 383)

[1] منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ص273

والجواب: هذا غير مسلّم، بل هذه الآيات تضمنت الدليل على وجوده، **قال الواحدي: ثم دل بهذه الأشياء التي خلقها على نفسه،** فقال: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ..} أفمن يخلق: يعني ما ذكر في هذه السورة وهو الله تعالى { كَمَنْ لا يَخْلُقُ} **يعني الأوثان** وهي لا تخلق شيئا..**ثم ذكر وحدانيته** فقال: {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}..[1].

الآية السادسة: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ **فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ** وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) **فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا** وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا** بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ **الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**..إلى قوله: **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } [الأنعام: 95 - 102] **فهذه "الآيات تدل على توحيد الألوهية** وذلك ببيان أن الله تعالى هو المنفرد بخلق النعم وإعطائها لمن شاء سبحانه وتعالى، وببيان أن الله تعالى خالق لكل شيء، **فإذا كان الله تعالى هو المنفرد بالخلق والإنعام فلا شك أنه المنفرد بالألوهية"**[2]

والجواب عن ذلك أن هذا غير مسلّم بل هذه الآيات تضمّنت الأدلة على وجود الله وكمال علمه وقدرته، **وهذا ما أقرّ به بعض مفسّري السلفية أنفسهم، فهذا صديق حسن خان يقول** في تفسيره عند هذه الآيات:..(فأنى تؤفكون) أي: **فكيف تصرفون عن**

---

[1] التفسير الوسيط للواحدي (3/ 59)، «الوجيز للواحدي» (ص602)

[2] حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص370، توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص72

الإيمان مع قيام البرهان وعن الحق مع ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته[1]..(قد فصلنا الآيات) أي بيّناها بياناً مفصلاً ليكون أبلغ في الاعتبار **(لقوم يعلمون) إن ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال قدرته وعظمته وبديع صنعته وعلمه وحكمته**[2]..(إن في ذلكم) الإشارة إلى ما تقدم ذكره مجملاً ومفصلاً (لآيات) ***أي لآيات عظيمة أو كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته***، فإن حدوث هاتيك الأجناس المختلفة والأنواع المتشعبة من أصل واحد، وانتقالها من حال إلى حال على نمط بديع يحار في فهمها الألباب، **لا يكاد يكون إلا بإحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره**، ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه أو ندّ يقاويه[3].اهـ

وقال القاسمي نحوَ ذلك وزاد **أن هذا كله يستوجب عبادته وحده**، فهو يقول: ''لقوم يعلمون''أي: وجه الاستدلال بها. وإنما خُلقت للاستدلال المتأثر بالعمل بموجبها، **ألا وهو الاستدلال بها على معرفة الصانع الحكيم، وكمال قدرته وعلمه واستحقاقه العبادة وحده**[4].

ونحوه قول الخازن: قوله عز وجل: "إن الله فالق الحب والنوى''لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة، أردفه بذكر الدلائل على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على أن المقصود الأعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وأنه مبدع الأشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام..والمعنى: أن الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة[1]..إلى

---

1 فتح البيان في مقاصد القرآن (4/ 199)

2 فتح البيان في مقاصد القرآن (4/ 203)

3 فتح البيان (4/ 209)

4 محاسن التأويل (4/ 441)

1 تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 137)

أن يقول: فامتنّ الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون.."قد فصلنا الآيات"يعني قد بينّا الآيات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا "لقوم يعلمون"أن ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته[1].اهـ

وغاية ما قاله بعض المفسرين أن الآيات دليل على التوحيد دون تقييد له بالألوهية كما قال الخازن هنا "قد بينّا الآيات الدالة على توحيدنا "ونحوه قول الفخر الرازي:..إنه تعالى ذكر في هذه الآية ثلاثة أنواع من الدلائل الفلكية على التوحيد[2]. وقول النسفي: {قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون} قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون[3].اهـ

غاية ما قاله بعض المفسرين ـ كالخازن والقاسمي كما سبق[4] ـ هو أن آيات الأنعام هذه تدل على وجود الله، وأن هذا يستلزم وجوب عبادته وحده، حتى هذا هو خلاف ما تقولون به من أن الله استدل بإقرارهم بأنه الخالق وحده على أنه المعبود وحده.

الآية السابعة: أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ

قال تعالى: { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ } [النمل: 59، 60] فقد ذكر تعالى البراهين العقلية وخاطب المشركين "بما هو مستقر في فطرهم وعقولهم من تفرد الله عز وجل بالخلق والملك والتدبير وجلب النفع والضر وإنعامه..وأمرهم أن يستدلوا به

---

[1] تفسير الخازن (2/ 139)

2مفاتيح الغيب (13/ 104)

3 مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 524)

4 انظر: ص (260)

ويجعلوه برهانا على توحيد الألوهية فيخلصوا العبادة له..وقد استخدم معهم أسلوب الاستفهام التوبيخي أإله مع الله"[1].

والجواب بأن هذا التفسير غير مسلم، بل هو معارَض بنصوص المفسرين والعلماء في هذه الآية بأنها دالة على وجود الله ولطيف صنعه وعظيم قدرته، ومن ذَكر منهم أن هذه الآيات دالة على التوحيد فلم يقيده بتوحيد الألوهية، ومن ذَكر ـ كالفخر الرازي ـ أن هذا الأمر يستلزم وجوب عبادته وحده فقد ذَكر أيضا أن الله بيّن لهم أنه هو الخالق وحده، **وإليكم طائفة من نصوصهم.**

نصوص العلماء والمفسرين في أن هذه الآية هي في توحيد الربوبية

1) **قال ابن منده:** ذِكر آية أخرى **تدل على وحدانية الله تعالى من لطيف صنعته في خلق الماء الذي جعله الله،** عز وجل، حياة لجميع خلقه. قال الله تعالى:..{**أمن جعل الأرض قرارا..**}, إلى قوله: {**أإله مع الله..**} الآية[2].

2) **وقال الرازي:** ثم اعلم أنه سبحانه وتعالى تكلم بعد ذلك في عدة فصول: الفصل الأول: في الرد على عبدة الأوثان، **ومدار هذا الفصل على بيان أنه سبحانه وتعالى هو الخالق لأصول النعم وفروعها، فكيف تحسن عبادة ما لا منفعة منه البتة..**إلى أن يقول: إنه تعالى بين أنه الذي اختص بأن خلق السموات والأرض، وجعل السماء مكانا للماء، والأرض للنبات، وذكر أعظم النعم وهي الحدائق ذات البهجة، **ونبّه تعالى على أن هذا الإنبات في الحدائق لا يقدر عليه إلا الله تعالى،** لأن أحدنا لو قدر عليه لما احتاج إلى غرس ومصابرة على ظهور الثمرة وإذا كان تعالى هو المختص بهذا الإنعام **وجب أن يُخصّ بالعبادة**[1]**.اهـ فتأمل قوله** "ونبّه تعالى على أن هذا الإنبات في الحدائق لا يقدر عليه إلا الله تعالى"ففيه أن الله بيّن لعباده أن هذا

---

1 منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ص275، 276

[2] التوحيد لابن منده (1/ 196)

[1] مفاتيح الغيب (24/ 251)

الإنبات لا يقدر عليه إلا الله، فإذا ثبت هذا فوجب أن يُخص بالعبادة، أي أن الله أقام الدليل على وجوده وقدرته ثم قرر وجوب عبادته وحده، وليس أنه استدل بشيء مقرر عندهم وهو توحيد الربوبية على توحيد الألوهية الذي ينكرونه كما زعم الخصم.

3) **وقال القرطبي**:وقيل: أمر رسولَ الله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته..[1].

4) **وقال البيضاوي**: بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي **هو التوحيد**[2].

الآية الثامنة: مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ

قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ **مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ** أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ **مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ** أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ **جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ** وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [القصص: 71 – 73] ففي "هذه الآيات امتنان من الله على عباده يدعوهم بها إلى عبادته وحده، وذلك بالمقارنة والموازنة بين حالة وجود هذه النعم وبين حالة عدمها وأن الموجد لها هو الله، فهل تملك الآلهة الإنعام على عابديها عند فقدان هذه النعم، وهذا ما يعلم أهل الشرك بطلانه، **فتقرر بذلك أن المستحق للعبادة وحده هو المنعم سبحانه**"[3]

قلنا: هذا غير مسلم، وإليكم نصوص المفسرين:

1) **قال الواحدي**: أفلا تسمعون سماع فهم وقبول، فتستدلوا بذلك **على توحيد الله**[1].

2) **قال البغوي**: {فقلنا هاتوا برهانكم} حجتكم بأن معي شريكا. {فعلموا أن الحق} **التوحيد**[1].

---

1 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 189)

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 164)

3 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص372

[1] التفسير الوسيط للواحدي (3/ 406)

3) **قال ابن الجوزي:** قوله تعالى أفلا تسمعون أي سماع فهم وقبول، فتستدلوا بذلك على **وحدانية الله تعالى**[2].

4) **قال الفخر الرازي:** اعلم أنه تعالى لما بيّن من قبل استحقاقه للحمد على وجه الإجمال بقوله: {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 70] فصّل عقيب ذلك ببعض **ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه** فقال لرسوله: قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة فنبه على أن الوجه في كون الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزمان[3].

5) **قال القرطبي:** (أفلا تبصرون) ما أنتم فيه من الخطأ في عبادة غيره، فإذا أقررتم بأنه **لا يقدر على إيتاء الليل والنهار غيره فلم تشركون به**[4].

6) **قال البقاعي:**..ففي الآيات غاية التقوية لقلوب المطيعين، ونهاية الزجر والردع للمتمردين، **بالتنبيه على كونه قادراً على جميع الممكنات، عالماً بكل المعلومات، منزهاً عن النقائص والآفات** يجزي الطائعين والعاصين بالقسط. ولما قامت على القدرة الشاملة والعلم التام **وأنه الإله وحده إن وحدوا أو ألحدوا هذه الأعلام على هذا النظام، أقام دليلاً دالاً على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة،** منبهاً على وجوب حمده مفصلاً لبعض ما يحمد عليه،..: {يأتيكم بضياء} أي يولد نهاراً تنتشرون فيه، ولقوة **إعلامه بالقدرة وتعريفه بالله عبّر بهذا دون يؤتيكم ضياء**[1].

---

[1] تفسير البغوي – طيبة (6/ 219)

[2] زاد المسير (6/ 238)

[3] مفاتيح الغيب (25/ 12)

[4] الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (16/ 310)

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (14/ 342)

7) **وقال البقاعي:..ولما كان التقدير: فمن حكمته جعل لكم السمع والأبصار، لتتدبروا آياته، وتتبصروا في مصنوعاته..**[1].

8) **قال الشنقيطي:** "أي: لتسكنوا في الليل وتطلبوا معايشكم بالنهار، **والآيات الدالة على اختلاف الليل والنهار من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله، واستحقاقه للعبادة وحده كثيرة جدا..**[2].

والخلاصة من كل ما سبق هو أن كل هذه الآيات التي ذكرها السلفية على أنه من باب استدلال القرآن على المشركين بتوحيد الربوبية الذي يقرون به على توحيد الألوهية الذي ينكرونه: كلها جاءت لإثبات وجود الله وأنه الخالق وحده! كما قرر ذلك العديد من المفسرين، غاية ما قاله بعض المفسرين أنها دل**ت على التوحيد مطلقا كما فعل الواحدي وابن الجوزي والبغوي** كما سبق، **ولم يقيّدوه بتوحيد الألوهية**، نعم بعضهم ـ كالخازن والقاسمي [3]ـ ذكر أنها دلت على أمرين؛ **الأول:** وجود الله وأنه الخالق وحده، **والثاني: وجوب عبادته وحده،** وأن الأمر الأول يستلزم الثاني، ولم يقل أحد منهم إن الله استدل بما يقر به المشركون من وجود الله وتفرده بالخالقية على ما ينكرونه وهو وجوب عبادته وحده، وإنما هذا شيء ادعاه ابن تيمية وأتباعه ومن تأثر به من بعده..!!

ثم إن الادعاء بأن تلك الآيات هي من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية لا يصح لأمرين؛ **الأول:** لأن المشركين ـ حسب ادعائكم ـ ما اتخذوا الأصنام إلا كوسائط و"وسائل تقربهم إليه **وشفعاء يستشفعون بها إليه**"[1]. ولم يكونوا "يعتقدون أن تلك الأخشاب **والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها**"، وما داموا

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (14/ 344)

2 أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (5/ 885)

3 انظر: ص (260)

[1] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (7/ 391)

اتخذوها لأجل الشفاعة لا لأجل أن تخلق وتدبر لهم فماذا تغني كل تلك الآيات التي تتكلم عما هم مسلّمون به أصلا ـ كما تقولون ـ من أن الله خلق السموات والأرض والجبال وأنزل الماء وأنبت الأشجار وغيرها..وأنه وحده الخالق المدبر الرازق؟!! وما وجه الدلالة من كل ذلك على بطلان الشفاعة بالأصنام؟!!!

إن للمشركين أن يعترضوا على كل تلك الآيات ـ إن كانت كما زعمتم أنها من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية الذي يسلّمون به على توحيد الألوهية الذي ينكرونه ـ **قائلين: نحن لم نزعم يوما أن آلهتنا خلقت مثقال ذرة،** بل الله وحده هو الخالق لكل شيء، وإنما اتخذناها للشفاعة، وكون الله وحده خالق للسموات والأرض ولكل شيء لا يلزم منه أنه ليس ثمة وسائط شفعاء يشفعون لنا عنده **قياسا على "أن الوسائط عند الملوك: يسألون الملوك الحوائج للناس؛** لقربهم منهم والناس يسألونهم؛ **أدبا منهم أن يباشروا** سؤال الملك؛ **أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك"**[1] وأن الله "**فوّض إليهم تدبير أمورهم وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة والجزئية"**[2].

فأين في كل الآيات التي سردتم ما يبطل هذا التصور والاعتقاد للمشركين؟!! **فمثلا قوله تعالى "والصافات صفا..**"الذي زعمتم أنه من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية **أين فيه ما يبطل استشفاعهم بالأصنام،** وإبطال ما زعموه من أن الله فوّض إليهم التدبير؟!!! وأين فيه ما يبطل ما كانوا يقولون عن أصنامهم "إنها تماثيل الأنبياء والصالحين **وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله"**[1] وأين فيه ما يبطل ظنهم من أنه "لا يمكن لهم الوصول إلى الله تعالى مباشرة إلا بواسطة الصالحين..يدعونهم **ويستغيثون بهم في المهمات**

1 مجموع الفتاوى (1/ 126)

2 جهود علماء الحنفية ، لابن قيصر الأفغاني (1/ 276)

[1] مجموع الفتاوى أيضا (1 / 134)

وينذرون لهم ويعبدونهم بأنواع العبادات"[1]. فصرفوا "أنواع العبادات لمخلوقين مثلهم، مدعين أن **أولئك المعبودين يشفعون لهم عند الله** بتلك العبادات التي يصرفونها لهم"2.

إن كل الآيات السابقة لا تبطل شيئا من ذلك، ولا تدفع اعتراض المشركين هذا على تلك الآيات، وإنما الجواب هو أن يُدفع اعتراضهم ويُبطَل زعمهم بأدلة مباشرة تدل على بطلان التشفع بالأصنام بشكل واضح جليّ مثل قوله تعالى: { أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ **قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ**} [الزمر: 43]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي سبقت[3]، والتي لم تأت على قضية خلق السماوات والأرض والجبال والأنهار ونحو ذلك، **ولذلك قلنا من قبل إن أدلة وجود الله تختلف عن أدلة وجوب عبادته وحده**[4].

وليت شعري إن كان قوله "والصافات صفا"وغيرها من الآيات السابقة التي زعمتم أنها من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية فهي إذن تبطل شركهم ونذورهم وتبركهم وطوافهم ودعاءهم وغير ذلك من العبادات التي كانوا يتقربون بها إلى الأصنام، **فلماذا لا تحتجون بآية "والصافات صفا"مثلا على بطلان التبرك بالقبور ونحو ذلك؟!!** وما رأيناكم قط تحتجون بمثل هذه الآيات على خصومكم في مسائل القبور، **وما ذلك إلا لعلمكم بأن هذا استدلال مضحك، فكيف تنسبون مثله إلى الله سبحانه؟!**

الأمر الثاني: أن أصل الدليل ينبغي أن يكون مقبولا عند الخصم وإلا كان أشبه بالمغالطة وذلك كأن تحتج على الملاحدة واليهود والنصارى بالقرآن!! فهذا استدلال لا يصح، لأن النصارى واليهود سيقولون لك أثبتْ أولا أن القرآن حق من عند الله ثم

---

1 جهود علماء الحنفية (1/ 208)

2 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص 976

3 انظر: ص (233)

4 انظر: ص (236)

استدل به، وسيقول لك الملاحدة أثبت لنا وجود الله ثم استدل لنا بكلامه. وهنا الأمر كذلك إذ المشركون على فرض أنهم يسلّمون بتوحيد الربوبية فإنهم لا يسلمون بأن هذا يستلزم توحيد العبادة، ولا يسلّمون أن المستحق للعبادة هو الخالق فقط، ولو كانوا يسلّمون بذلك لما عبدوا أصنامهم من دون الله، بل يرون أن من يشفع يستحق العبادة أيضا ولو لم يكن خالقا، فكيف تحتج عليهم بأن توحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية، وهم أصلا لا يسلّمون بهذا اللزوم، بل ينازعون فيه؟!! فالواجب أن تثبت لهم بأدلة أخرى أن من لا يخلق لا يستحق العبادة.

ثم لو سلّمنا جدلا بأن هذه الآيات كلها هي من قبيل الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؛ فإنما صح هذا الاستدلال لأن الله أقام الأدلة على وجوده فضلا عن أنه أقام الأدلة على أنه الخالق وحده كما قلنا من قبل[1]، وليس لأن المشركين مسلّمون بتوحيد الربوبية لأنهم غير مسلّمين بذلك كما بسطناه في كتاب مستقل[2].

---

1 انظر: ص (193، 229)

2 وهو كتاب (البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية) فانظره لزاما.

الفصل الخامس: دعوى أن التعويل في الدارين على توحيد الألوهية لا على توحيد الربوبية.

وفي ذلك يقول ابن تيمية ـ وكذا قال ابن القيم ـ ‘‘وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله؛ رأس الأمر. فأما توحيد الربوبية الذي أقرّ به الخلق، وقرّره أهل الكلام؛ فلا يكفي وحده، بل هو من الحجة عليهم[1]’’إذ قد "أقر به المشركون وكانوا يعبدون مع الله غيره"[2] وعليه فتوحيد الإلهية "هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده"[3] و"هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة؛ فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين"[4] لأن ‘‘عبّاد الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته"[5]. و"بهذا عرفنا أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي"[6]. و"لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله"[7]. بل "من أتى بتوحيد الألوهية لا يُطلب منه أن يأتي بتوحيد الربوبية لأن الثاني داخل فيه"[8].

فالحمد’’لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد"[1]. والذي جعل الكلمة التي تحقن دم المشرك "هي لا إله إلا الله باتفاق المسلمين، ولا

---

1 مجموع الفتاوى (14/ 379)، وانظر نحوه في إغاثة اللهفان لابن القيم، ط2/دار المعرفة (1/ 30) ونقله البدر في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 57)

2 مجموع الفتاوى (14/ 380)

3 عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم(ص: 46)، دار ابن كثير دمشق، ط3/ 1989م.

4 مجموع الفتاوى (14/ 380)

5 عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 46)

6 شرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: 28)،

7 أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (3/ 488)

8 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 155)

1 تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني ص47، ت: عبد المحسن البدر، مطبعة سفير، الرياض، ط1/1424هـ، ونقله البدر في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 57).

يعصمه أن يقول لا خالق إلا الله بإجماع المذاهب"[1]. وكذلك كلمة "لا رب إلا الله، لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله..الله إله، ونحو ذلك من الكلمات، فلا يدخل بها المرء في الإسلام البتة..لأن جميع الكفار يعترفون بهذه الكلمات"[2]. وقد "خرق بعضهم فارتكب حمقا جليا فقال: إن القائل (ربي الله) معترف بتوحيد الربوبية والألوهية. فجعل مشركي العرب معترفين مؤمنين بلا إله إلا الله! وكفى به ضلالا وإضلالا، ومن لوازمه أن من قال لا رب إلا الله فهو مسلم، لأن هذا القائل عند هذا الأخرق كمن قال لا إله إلا الله.."[3].

وخلاصة هذه **النصوص وغيرها . وهي كثيرة**[4]. أن توحيد الربوبية بمفرده لا يدخل في الإسلام، ولا يعصم دم صاحبه في الدنيا، ولا ينجيه يوم القيامة من الخلود في النار ما لم يقترن بتوحيد الألوهية، ودليلهم على ذلك أن المشركين كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية ولم ينفعهم ذلك لأنهم لم يقرنوه بتوحيد الألوهية، فنتج من ذلك أن التوحيد ليس فقط توحيد الربوبية وإنما هذا قسم منه، والقسم الآخر المتمّم والأهمّ هو توحيد الألوهية، وعليه فالتوحيد منقسم إلى توحيد الربوبية و توحيد الألوهية.

---

1 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 345)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 200)

3 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3 / 180

4 انظر: عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 219)، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص: 226)، د عثمان ضميرية، مكتبة السوادي، ط2/1996م. أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى (62/ 53)، عبد الله بن مُحَمَّد الغنيمان، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. مختصر معارج القبول (ص: 84)، هشام آل عقدة، مكتبة الكوثر ، الرياض، ط5/ 1418 هـ. المفيد في مهمات التوحيد (ص: 57)، د. عبد القادر بن مُحَمَّد عطا صوفي، دار الاعلام، ط1/ 1422هـ- 1423هـ.

والجواب عن ذلك أن هذا غير مسلّم لأنه مبني على دعوى غير مسلّمة هي أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية، وقد سبق إبطال هذه الدعوى بشكل مطول[1]، ونقلنا إقرار كثير من السلفية الوهابية بأن المشركين كان توحيدهم في الربوبية منقوصا بل منقوضا2.

فضلا عن أن ثمة أدلة تفيد أن الإيمان بتوحيد الربوبية ينجي في الآخرة، فضلا عن أن اضطراب ابن تيمية وأتباعه في هذه المسألة، وفيما بسط ذلك في مبحثين:

المبحث الأول: إثبات أن الإيمان بتوحيد الربوبية ينجي في الآخرة

ثمة أدلة تفيد أن من يقول بأن "ربي الله"ونحوه فهو أهل الإيمان لا الكفران، وأنه من أهل الجنان، فضلا عن نصوص الفقهاء الكثيرة في ذلك، والرد على تأويل السلفية لهذه الأدلة، وإليك بيان ذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة على أن توحيد الربوبية ينجي في الآخرة

1) قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: 30]، **قال صديق حسن خان: (إن الذين قالوا ربنا الله) وحده لا شريك له.** (ثم استقاموا) أي داموا وثبتوا على **التوحيد** ولم يلتفتوا إلى إله غير الله[3].اهـ

2) وقال تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ** عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: 13]، أي "**إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ أي: لا غيره.** ثُمَّ اسْتَقامُوا أي: على العمل الصالح"[4].

3) وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} [الأعراف: 172] فقال: ألست بربكم

---

1 وذلك في كتابنا (البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية).

2 انظر: ولئن سألتهم ص (479)

3 فتح البيان في مقاصد القرآن (12/ 248)

[4] محاسن التأويل (8/ 444)

"**ولم يقل بإلهكم**"[1]، ولو ''كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققا عند المشركين ولكنه لا ينفعهم – كما يقول ابن تيمية – ما صحّ أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا"[2]. إذ قد بيّن في الآية نفسها أن هذا السؤال عن الربوبية هو الذي سيقع به الامتحان يوم القيامة وفيه سيقع الشرك، لقوله بعد ذلك {**أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا **أَشْرَكَ** آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ} [الأعراف: 172، 173] قال الشوكاني أي: **كراهة أن يقولوا يوم القيامة "إنا كنا عن هذا غافلين"أي: عن كون الله ربنا وحده لا شريك له..أو تنسبوا الشرك إلى آبائكم** دونكم[3].اهـ وقد سبق الكلام على هذه الآية مطولا[4].

4) وقال تعالى: { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ **إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**} [الحج: 40]، "قال سيبويه: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن أخرجوا؛ **لأنهم قالوا: ربنا الله، وقال بعضهم: لكن أخرجوا لتوحيدهم"**[5]. "**وقال الفرّاء والزجاج:** هو استثناء متصل والتقدير: **الذين أخرجوا من ديارهم بلا حق إلا بأن يقولوا ربنا الله** فيكون مثل قوله سبحانه: (وما تنقمون منا إلا أن آمنا بآيات ربنا). "[6]. وقال ابن أبي زمنين: **أي أنهم أُخرجوا لأنهم قالوا: ربنا الله**[7].اهـ

وكما ترى فإن هذه الآية بمفردها تدحض الزعم السابق بأن قول "الله ربنا'' ليس هو الفارق بين المسلمين والمشركين بحجة أن كلا منهما مقرّون بذلك! إذ

---

[1] التنديد بمن عدد التوحيد للسقاف (ص: 26)، ومصباح الأنام وجلاء الظلام ص17، تأليف العلامة الحبيب علوي بن أحمد الحداد.

2 نقد تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية للشيخ يوسف الدجوي (ص: 3).

[3] فتح القدير للشوكاني (2/ 300)

[4] انظر: ص (39)

[5] تفسير السمعاني (3/ 442)

6 فتح البيان في مقاصد القرآن (9/ 56) .

[7] تفسير ابن أبي زمنين (3/ 183)

لو كان كذلك لما أخرج المشركون النبيَّ وأصحابه لقولهم الله ربنا، بل لقال المشركون ونحن أيضا نشهد بأن الله ربنا، بل نشهد بأنه لا رب ولا خالق سواه، وإنما نازعناكم في شهادة أن لا إله إلا الله.

5) وقال تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** } [غافر: 28] قال خان أي أتقتلونه "**كراهة أن يقول..(ربي الله) وهو ربكم أيضاً لا ربه وحده..وما لكم علة في ارتكابه إلا كلمة الحق *وهو قوله: ربي الله*"**[1].اهـ

6) وقال: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** (47) **رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**} [الشعراء: 45 – 48] أي "صدّقنا بما جاءنا به موسى. وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك، **ويدبر ذلك كله، رب موسى وهارون، لا فرعون**"[2]، ففي هذه الآيات إخبار عن سجود سحرة فرعون: "وذلك سجود **مع إيمانهم، وهو مما قَبِله الله منهم، وأدخلهم به الجنة،** ولم يكونوا على طهارة"[3]. وقد "**وصف الله السحرة بالإسلام والإيمان معا** فقالوا: {آمنا برب العالمين}..وقالوا: {ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين}"[4]، "**فكان إيمانهم بالله** لما شاهدوا معجزة موسى ﷺ"[5]، **وقوله** "(رب موسى وهارون) بدل للتوضيح والإشعار بأن **سبب إيمانهم** ما أجراه الله تعالى على يدهما، لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر، وأضافوه سبحانه إليهما لأنهما القائمان بالدعوة في

---

1 فتح البيان في مقاصد القرآن (12/ 182)

2 جامع البيان ط هجر (10/ 361)

3 مجموع الفتاوى (21/ 283)، الفتاوى الكبرى (1/ 353)

4 مجموع الفتاوى (7/ 262)

5 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 43)

تلك الحالة. **وفيه تبكيت لفرعون، فإنه ليس برب وإن الرب في الحقيقة هو هذا"**[1].اهـ

فتأمل قول **ابن تيمية** "وذلك سجود **مع إيمانهم وهو مما قَبِله الله منهم وأدخلهم به الجنة"، فهذا ثناء عظيم على سحرة فرعون وشهود لهم بالإيمان ودخولهم الجنة لقولهم: آمنا برب العالمين**، وهذا كله **ينقض القول بأن الإيمان بالربوبية غير فارق بين الإيمان والكفر**، إذ لو كان هذا صحيحا لما كان قول السحرة هنا "آمنا برب العالمين" إيمانا صحيحا، ولا كان ثمة فرق أصلا بين هؤلاء السحرة الذين ألقوا ساجدين، وبين فرعون وقومه ممّن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، إذ الكل يؤمنون برب العالمين وإنما الخلاف في توحيد الألوهية كما يزعم الخصم، وهذا خلاف القرآن الذي أورد قولهم "آمنا برب العالمين" مورد الثناء عليهم كما أشار إليه ابن تيمية نفسه.

بل كان المفروض أن يردّ الله على هؤلاء السحرة الذين آمنوا ويذمّهم بدل أن يُثني عليهم، وذلك لجهلهم بحقيقة الإيمان والتوحيد المطلوب، ويقول لهم مثلا: إن فرعون وقومه ممن أصرّوا على كفرهم أعلم منكم بالإيمان والتوحيد الذي جاء به موسى؛ لأنهم ـ أي فرعون وقومه ـ يقرون بأن الله ربهم مع كفرهم، فماذا زدتم عليهم بعد إيمانكم المزعوم؟!

تماما كما ذممتم من جعل قول "ربنا الله" إيمانا أو فسّر كلمة التوحيد بذلك فقلتم بأنه قد بلغ الغاية القصوى من الضلال و"الجهالة والعماية"2! وأنه "خبط

---

1 فتح البيان في مقاصد القرآن (9/ 378)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 204).

خبط عشواء"[1]، وأن "العجب ممّن يدّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة (الشهادة) ما **عرفه جُهّال الكفار**"[(2)].

7) وقال تعالى: { إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ } [يس: 25]، أي "إني آمنت بربكم **الذي خلقكم**"[3] و"**الذي كفرتم به**"[4]، ف "**اسمعوا إيماني** واشهدوا لي به"[5]، "قال ابن مسعود: خاطب الرسلَ بأنه **مؤمن بالله ربهم**، ومعنى (فاسمعون) أي فاشهدوا، **أي كونوا شهودي بالإيمان**"[6]. ف"يكون خطابه للرسل..أي..اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي إني آمنت بربكم واتبعتكم..فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه[7]"،"ثم اختلف أهل التأويل في صفة قتلهم إياه، فقال بعضهم: رجموه بالحجارة..وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات¨وقال عبد الله بن مسعود كان يقول: «وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره»"[8]. وقال الزمخشري: "قال هذا القول ـ أي (فاسمعون) ـ هذا المؤمن لقومه

---

1 جهود علماء الحنفية (1/ 204).

(2) كشف الشبهات لابن عبد الوهاب ص16. ، ونقل هذا النص الأفغاني في كتابه جهود علماء الحنفية (1/ 166)

3 تفسير البيضاوي (4/ 266)

4 قال ابن كثير: قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه "إني آمنت بربكم": الذي كفرتم به. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (11/ 354).

5 فتح القدير للشوكاني (4/ 419)

6 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (17/ 430)

7 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (11/ 354)، وانظر جامع البيان ط هجر (19/ 423)

8 جامع البيان ط هجر (19/ 423)

يعلمهم إيمانه بالله"[1]، أي أنه "خاطب بهذا الكلام قومَه لما أرادوا قتله **تصلبا في الدين وتشددا في الحق**، فلما قال هذا **القول وصرح بالإيمان** وثبوا عليه فقتلوه"[2].

قال وليد . أغدق الله عليه من فضله .: فتأمل كيف أُثني عليه هذا الثناء الفخم لأنه آمن بربه، واعتُبر قوله هذا "تصلّبا في الدين وتشدّدا في الحق"، وإعلاما للرسل بذلك ليشهدوا له بالإيمان عند بارئه، ومخالفةً لقومه في كفرهم بربهم، فلذلك وثبوا عليه وقتلوه، فأين ما زعمتم من أن الإيمان بربوبية الله لا مدح فيه ولا ثواب له، بزعم أنه أمر فطريّ مجمَع عليه بين البشر مؤمنهم وكافرهم، فلماذا كل هذا الثناء عليه إذن؟! ولماذا طلب من الرسل أن يشهدوا له من بين قومه بأنه آمن بربه؟! ولماذا قتله قومه شرَّ قتلة حين قال لهم آمنت بربكم؟ أليسوا هم أيضا مؤمنين مثله بالربوبية بل آمنوا أيضا بتوحيد الربوبية وإنما خالفوا في توحيد الألوهية حسب نظريتكم؟!!

8) وروى مسلم بسنده في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، **قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: "قل: آمنت بالله**، فاستقم"[3]، وفي بعض نسخ صحيح مسلم "قل: آمنت بالله، ثم استقم"[4]. **فتأمل هذا الثناء العاطر على من يقول"آمنت بالله"ثم يستقيم على ذلك، بل عُدّ هذا الحديث "من جوامع كلمه** عليه السلام وهو مطابق لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}"[5]. وقارنه بمن زعم أن من يقول هذا فقد "**ارتكب حمقا جليا**"..!!

9) وفي حديث صحيح مسلم عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت "قال نزلت في عذاب القبر **فيقال له من ربك فيقول ربي الله**

1 جامع البيان ط هجر (19/ 423)

2 فتح القدير للشوكاني (4/ 419)

3 صحيح مسلم (1/ 65)

4 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 221)

5 إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 275) وشرح النووي على مسلم (2/ 9)

ونبيي مُحَمَّد ﷺ فذلك قوله عز وجل "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"[1].اهـ **قال ابن تيمية: وأما الفتنة في القبور** فهي الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم "مُحَمَّد"؟ **فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن: الله ربي** والإسلام ديني ومُحَمَّد نبيّي..وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة..[2]اهـ **فتأمّل كيف جعل** النبي قولَ "ربي الله"هو القول الثابت الذي يثبت به الذين آمنوا، وهذا متواتر كما ذكر ذلك **ابن تيمية**، فأين الذي زعم "**وخرق بعضهم فارتكب حمقا جليا فقال: إن القائل (ربي الله) معترف بتوحيد الربوبية** والألوهية"[3]؟!! فنعوذ بالله من الخذلان.

10) وفي حديث الشيخين: "إن عبدا أصاب ذنبا، وربما قال أذنب ذنبا، فقال: ربِّ أذنبت، وربما قال أصبت فاغفر لي. فقال ربه: أَعَلم عبدي **أن له ربا** يغفر الذنب ويأخذ به ؟ **غفرت لعبدي** ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا.."فقال نفس القول وتكرر ذلك منه، وفي آخر الحديث: "غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء"[4].اهـ

ففي "هذا الحديث أنّ المصرّ على المعصية في مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، **مغلّبا الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده *أن له ربا خالقا* يعذبه** ويغفر له، واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه قوله: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ولا حسنة **أعظم من التوحيد**[5].اهـ فتأمل قوله "**الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده *أن له ربا خالقا***.."إذن اعتقاد أن الله رب خالق هو حسنة بحدّ ذاتها بل

---

1 صحيح مسلم (4/ 2201)

2 مجموع الفتاوى (4/ 257)

3 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3 / 180

4 صحيح البخاري بتحقيق البغا (6/ 2725)، صحيح مسلم (4/ 2112)

5 فتح الباري لابن حجر (13/ 471)

أعظم الحسنات بل هو ‘‘**أعظم من التوحيد**"، وهذا وحده ينسف الدعاوى السابقة نسفا كما ترى.

11) جاء في الحديث القدسي عند الشيخين: ‘‘أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، **وأمّا من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**’’[1]، **قال الشافعي**: "من قال مطرنا بفضل الله ورحمته’’**فذلك إيمان بالله لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله عز وجل**، وأما من قال مطرنا بنوء كذا, وكذا على ما **كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر** إلى أنه أمطره نوء كذا فذلك كفر..[2]. وقال **الغنيمان**: "**ومعنى الإيمان هنا: الاعتراف بفضل الله، ونسبة النعم وإنزال المطر والتصرف في الكون إلى الله** تعالى؛ لأنه هو مالك كل شيء، وخالقه والمدبر شؤون خلقه. ومعنى الكفر في هذا الحديث: **نسبة النعم، وإنزال المطر، والتأثير في الكون، إلى غير الله** تعالى كقولهم: مطرنا بالنوء الفلاني"[3].اهـ فهنا شهد الله لمن نسب المطر إليه تعالى بالإيمان، وإنزال المطر هو من صفات الربوبية، ولذلك فإن نسبة المطر إلى الأنواء "**نكران وجحود لنعم الله** جل في علاه، **وجحود لربوبيته**"[4]؛ كما سبق بسطه[5].

وحاصل هذه النصوص كلها هو الثناء على من يشهد بأن الله ربه ويستقيم على ذلك، وأنه مبشّر بالجنة وممّن تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا، لأنه رتّب هذا كله **على قولهم: "الله ربنا’’** وليس على قول "الله إلهنا"، كما دلّت آية الحج "أذن للذين

---

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (1/ 351)، صحيح مسلم (1/ 83)

2 الأم للشافعي، ت رفعت فوزي (2/ 551)، وانظر فتح الباري (2/ 523)

3 شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (2/ 387)

4 مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، مُحَمَّد حسن عبد الغفار (15/ 4، ت.ش).

5 انظر: تنوير الرب الإله ص (486)

يقاتلون.." على أن الشهادة لله بالربوبية هي الفيصل بين المؤمنين والمشركين، **بل جاء الثناء على من ينسب بعض الصفات المتعلقة بالربوبية كغفران الذنوب وإنزال المطر إلى الله**، والشهادة بأنه مؤمن كما رأينا في الأحاديث السابقة.

وهذا كله خلاف ما يقوله ابن تيمية وأتباعه من أن الشهادة لله بالربوبية أو ببعض صفاتها لا ثواب فيها ولا نجاة بها، ولا هي الفيصل ولا الفارق بين المسلمين والمشركين، بحجة أن المشركين كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية ولم يُنجهم ذلك! وهذا تردّه الآيات السابقة كما رأينا.

المطلب الثاني: تأويل السلفية لهذه الأدلة والرد عليهم

لقد أجاب السلفية عن هذه الآيات والأحاديث بما **حاصله أن الرب فيها بمعنى الإله! قلنا: أولا**: نقضتم أصلكم الذي قامت عليه نظرية تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وهو التباين بين كلمتي الرب والإله.

ثانيا: أن هذا لا يفيدكم هنا على التسليم به لأن حاصله أن يكون معنى: الله ربنا أي الله إلهنا، ومجرد قول المكلف: الله إلهنا لا تعدّونه توحيدا للألوهية، بل اشترطتم في توحيد الألوهية الإثبات والنفي[1] وذلك بالقول حصرا: لا إله إلا الله، وأنه لا يجزئ سواها[2]، وليس هذا فحسب بل يجب تحقيق شروطها الثمانية[3]، وهذا كله **لا سيما الإثبات والنفي** غير موجود في تلك الآيات والحديث السابق.

---

1 انظر: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 22)

2 انظر: ص (289)

3 وعدّدوها فقالوا هي: العلم بمعناها المنافي للجهل 2. اليقين المنافي للريب، 3. الإخلاص المنافي للشرك والرياء، 4. الصدق المنافي للكذب، 5. المحبة المنافية للبغض والكره، 6. الانقياد المنافي للترك، 7. والقبول المنافي للرد. وقد نظمها الحكمي في معارج القبول418/2: فإنه لا ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

فإن قلتم: ظاهر تلك الآيات السابقة ـ أي التي في سورة الحج وفصّلت والأحقاف ـ التي تُثني على من يقولون "ربنا الله" ظاهرها أن التوحيد في الربوبية غير مشترط، ولكن هذا الظاهر باطل لأن التوحيد مشترط في الربوبية كما هو مشترط في الألوهية، فلا بد للمكلف أن يشهد بأنه لا رب إلا الله وأنه لا إله إلا الله، وبالتالي فلا يصحّ الاستدلال بها على أن مجرد معرفة الربوبية والإقرار بها لله كاف في النجاة، بل لا بد من التوحيد في الربوبية بدليل أنكم أنتم أنفسكم قلتم إنه ليس في آيات الباب الثمانية "ولئن سألتهم من خلق.." ليس فيها دليل على أن المشركين موحدون في الربوبية لأنها خالية من أسلوب يدل على التوحيد من القصر والحصر ونحو ذلك!

قلنا: أولا: في الآيات السابقة ضرْب من الحصر لأنها جاءت بتعريف الجزئين كقوله "**ربنا الله**" في آيات سورة الحج وفصلت والأحقاف، وقوله "**ربي الله**"في سورة غافر، وتعريف الجزأين يفيد الحصر كما ذكر السيوطي وغيره[1]، لذلك قال صديق حسن خان في آية الحج: "**أي أُخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم *لكن لقولهم: ربنا الله وحده*"**[2].اهـ

فأفادت تلك الآيات حصر الربوبية في الله، فصار معناها أنه من يشهد لله وحده بالربوبية، ويستقيم على ذلك فهو ممّن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي أن الآية تفيد التوحيد وزيادة وهي الاستقامة عليه.

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه.

... ... وقد عثر صبري شاهين محقق كتاب التوحيد لابن رجب ص40، على شرط ثامن! وجده في تيسير العزيز الحميد وهو: الكفر بما يعبد من دون الله. وانظر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (279)، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، الأولى، 1424هـ/2003م، جهود علماء الحنفية (164/1) . وانظر مقالا بعنوان " أدلة شروط لا إله إلا الله من كلام أئمة الإسلام " لأبي معاذ الأثري، على الرابط: https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=274367

1 انظر: الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي (ص: 1575)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية.

2 فتح البيان في مقاصد القرآن (9/ 56) لصديق حسن خان، المكتبة العصرية، تحقيق الشيخ عبد الله الأنصاري.

حتى لو سلّمنا بأنه لا حصر في الآية فهي تدل على التوحيد أي مجرد القول "ربي الله" يكون توحيدا إذا نطق به غير المشرك الذي يعدّد الآلهة ويعبدها من دون الله، لأن قول المشرك "ربي الله" ـ على فرض أنه يقول ذلك ـ ليس توحيدا، وذلك لأن المشرك يتخذ مع الله آلهة وأربابا من دون الله كالأصنام والكواكب وغيرها، فالله عنده أحد الأرباب وأحد الآلهة، هذا فضلا عن أنه يفرّ من مجرد ذكر الله إذا ذُكر وحده، بل يشمئز من ذكر الله وحده كما سبق بيانه، وهذا بخلاف من لا يعدّد الآلهة، فإذا قال: ربي الله، فهو موحد، وسيأتي قول بعض الفقهاء ممّن يؤكد ذلك، **كقول ابن الرفعة** "ومن قال بقدم غير الله **كفى للإيمان بالله أن يقول لا قديم إلا الله** كمن لم يقل به، ومن لم يقل به **يكفيه أيضا: الله ربي**"[1].

فإن قلتم: سلّمنا بأن تلك الآيات تفيد التوحيد في الربوبية، ولكنها لا تفيد التوحيد في الألوهية، فيكون ظاهرها غير مراد؛ لأن ظاهرها يفيد نجاة من يشهد لله بالربوبية ولو عَبد غيرَ الله، ولو كان هذا صحيحا لكان مشركو العرب ناجين يوم القيامة لكونهم يوحّدون الله في الربوبية، وهذا باطل؛ لأنهم مخلدون في النار لكونهم أشركوا في عبادة الله.

قلنا: أولا: قولكم "ظاهرها يفيد نجاة من يشهد لله بالربوبية حتى ولو عَبد غيرَ الله": غير مسلّم لأمرين؛ **الأمر الأول**: أن هذا مبني على الفرق بين الرب والإله وأنهما متباينان، وهو غير مسلّم كما سبق بسطه، ثم على التسليم به فأنتم قد قلتم بأن لفظي الرب والإله "إذا افترقا اجتمعا"، فيكون الرب في تلك الآيات شاملا لمعنى الإله أيضا، وعليه فإن **قولنا "الله ربنا" معناه: الله ربنا وإلهنا**، كما قال **السهسواني** في آية "ألست بربكم" أن المقصود "**ألست بربكم وإلهكم**"، وكذا **قال ابن عبد الوهاب** في آيات الباب ونحوها حيث قال: "**اعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان، ويفترقان** كما في قوله: {قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس}، وكما يقال رب العالمين وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان كما في قول القائل: من ربك..فقول الملكين للرجل في القبر: **من ربك، معناه: من إلهك**..وكذلك قوله:

---

1 انظر: ص (290)

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا **رَبُّنَا اللَّهُ**}..وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا **رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ** اسْتَقَامُوا} **فالربوبية في هذا هي الألوهية**، ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الافتراق"1.

الأمر الثاني: أن هذا مجرد افتراض غير واقع، فإنه يستحيل أن يعبد الإنسانُ من لا يعتقد فيه الربوبية أو أحد صفاتها على الأقل وهذا سبق بيانه[2]، وإنما "من صرف شيئاً من العبادة إلى غير الله فقد اتخذه إلهاً رباً..لأن الربوبية من لوازم الإلهية، فنفي أحدهما نفي للآخر، وإثبات أحدهما إثبات للآخر"[3]. بل ثبت بالاستقراء "أنَّه لا توجدُ أمَّةٌ مشركةٌ في الألوهيَّة إلَّا ولديها انحرافٌ وخَللٌ في توحيد الربوبيَّة حتى كفار قريش"**4**. وقد سبق بسط ذلك[5].

ثالثا: قولكم "لو كان هذا صحيحا لكان مشركو العرب من الناجين يوم القيامة.." فهذا مبني على أن المشركين موحدون في الربوبية، وهذا ممّا أفضنا في إبطاله[1]، وذكرنا أن غاية ما كان يقرّ به المشركون أن الله رب من جملة أرباب كثيرة كما أنه إله من جملة آلهة كثيرة عندهم، بل إن المشركين ما عبدوا آلهتهم إلا بعد أن جعلوها "مع الله شركاء في بعض عناصر

---

1 الدرر السنية في الأجوبة النجدية (72/1، 73)، وانظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 335)، جهود علماء الحنفية (1/ 239). القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 81)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (5/ 253).

2 انظر: تنوير الرب الإله ص (367)

3 صيانة الإنسان للسهسواني (ص: 450) نقلا عن حسن بن خالد في منفعة قوت القلوب في إخلاص توحيد علام الغيوب.

4 انظر https://dorar.net/article/1949

5 انظر: تنوير الرب الإله ص (285).

1 وذلك في كتابنا: (البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية).

ربوبيته..وبسبب هذا كانوا يلتمسون من شركائهم الرحمة والرزق والنصر وكثيرا من مطالبهم في الحياة الدنيا، وهم يوجهون عباداتهم لآلهتهم طمعا في أن يحققوا لهم ما يرجون بمعونات غيبية هي من خصائص الرب الخالق الذي بيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير"[1]، "والمشركون إنما توجهوا لآلهتهم بالأعمال والأقوال بنيّة عبادتهم لاعتقادهم فيهم بعض خصائص الربوبية"[2]، ثم إن "المعبودية ـ أي الإلهية ـ من خصائص الرب الواحد الأحد"[3]. بل إن "الإلهية الصفة الأولى واللازم المباشر لصفات الربوبية"[4]، وقد سبق قول التفتازاني: "حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصّها، ولا نزاع لأهل الإسلام في أنَّ تدبير العالم وخلق الأجسام واستحقاق العبادة وقِدَم ما يقوم بنفسه كُلُّها من الخواصِّ..". والمشركون يرون أن آلهتهم "لها بعض مشاركة لله في ربوبيته، فلها بهذه المشاركة لله في ربوبيته مشاركة له في إلهيته، **فهم يعبدونها رجاء أن ترحمهم فتجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا**"[5].

المطلب الثالث: نصوص الفقهاء في دخول الكافر الإسلام بتوحيد الربوبية

نصّ كثير من الفقهاء على أن الكافر يدخل الإسلام بـ "لا إله إلا الله"، ويَدخله أيضا بعبارات أخرى مماثلة كقوله "لا خالق إلا الله" ونحو ذلك من العبارات التي زعم الخصم أن الإجماع قائم على عدم صحة الدخول إلى الإسلام بسوى شهادة أن لا إله إلا الله!! وإليكم نصوصهم في مرصدين:

1 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص11

2 كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثيّ للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص 28.

3 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص51

4 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص76

5 توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ومذاهب الناس بالنسبة إليهما ص91

أولا: نصوص الحنفية

قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر المنسوب إليه: "يجب أن يقول **آمنت بالله**"، **قال ملا علي القاري: وفي كلامه إشارة إلى عدم اشتراط لفظ أشهد**، حيث لم يقل يجب أن يشهد بأني آمنت بالله، خلافا لمن شرطه من الشافعية مستدلين بقوله عليه الصلاة والسلام "أُمرت أن أقاتل الناس حتى **يشهدوا أن لا إله إلا الله**..مع أنه جاء في رواية أخرى "حتى يقولوا لا إله إلا الله..، **والمعنى صدّقت معترفا بوجود الله سبحانه وتعالى وتوحّده في ذاته وتفرده في صفاته**"[1]. **وذكر السرخسي** أن الذمّي إذا قال: "أنا مسلم" لا يصير مسلما لأنه قد يعني أنه "منقاد للحق مستسلم وكل أحد يدعي ذلك فيما يعتقده، وقد قال بعض المتأخرين: **المجوسي إذا قال "أنا مسلم" يُحكم بإسلامه** لأنهم يتشاءمون بهذا اللفظ ويتبرؤون منه بخلاف أهل الكتاب"[2].

وقال الزيلعي: وأما من في دار الحرب لو حمل عليه مسلم فقال مُحَمَّد رسول الله، فهو مسلم، أو قال: دخلت في دين الإسلام أو دين مُحَمَّد ﷺ، فهو دليل إسلامه فكيف إذا أتى بالشهادتين؟!![3]. وذكر الحصكفي أن من يقرّ من الكفار بالصانع وبالوحدانية و"لكن ينكر بعثة الرسل كالفلاسفة"، فيكتفى منه "بقول مُحَمَّد رسول الله"1. وأما الوثنيّ فيكتفى منه بأحد شطري الشهادة2 بحيث "إذا قال: لا إله إلا الله، أو قال: أشهد أن مُحَمَّدا رسول الله، أو قال: أسلمت أو آمنت بالله، أو أنا على دين الإسلام أو على الحنيفية فهذا كله إسلام"[3]. وقال

---

1 منح الروض الأزهر ص 54

2 المبسوط (دار المعرفة-بيروت-1993م) ج10 ص185-190

3 تبيين الحقائق (دار الكتاب الإسلامي-ط2) ج3 ص284

1 الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (4/ 226)، دار الفكر بيروت، ط2/ 1992م.

2 الدر المختار (ص: 345) وقد سبق كلامه بتمامه، انظر: ص (239)

3 الاختيار لتعليل المختار (4/ 150)

العينيّ في الحديث الآتي "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" يعني: مِن قتْله الذين قالوا: صبأنا، قبل أن يستفسرهم عن مرادهم بذلك القول"[1]. "إذ كان الواجب التأني والتأمل لكن مجتهدًا أخطأ"[2].

ثانيا: نصوص المالكية

قال القرطبي عند حديث المقداد بن عمرو الكندي "أنه قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم: أرأيت إن لقيتُ رجلا من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يديّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله. أفْتُله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال"[3]. قال القرطبي: قوله: أسلمت لله، أي: دخلت في دين الإسلام، وتديّنت به. وفيه: دليل على أن كل من صدر عنه أمر ما يدل على الدخول في دين الإسلام من قول أو فعل، حكم له لذلك بالإسلام، وأن ذلك ليس مقصورا على النطق بكلمتي الشهادة. وقد حكم النبي ـ ﷺ ـ بإسلام بني جذيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد، وهم يقولون: **صبأنا صبأنا**، ولم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فلما بلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ، قال: اللهم، **إني أبرأ إليك مما صنع خالد**..ثم وَدَاهم. على أن قوله في هذه الرواية: "**أسلمت لله" يحتمل أن يكون ذلك نقلا بالمعنى**، فيكون بعض الرواة عبّر **عن قول: لا إله إلا الله بـ أسلمت**؛ كما قد جاء مفسرا في رواية أخرى قال فيها: فلما أهويت لأقتله، قال: لا إله إلا الله.[1].اهـ

1عمدة القاري شرح صحيح البخاري (24/ 390)

2 الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (7/ 328)

3 صحيح البخاري بتحقيق البغا (4/ 1474)، صحيح مسلم (1/ 96).

1المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 293)

وهذا النص نقله الأُبي[1] عن القرطبي. ثم قال الأبي: "وكان الشيخ – يعني شيخه أبا عبد الله مُحَمَّد بن عرفة – يقول: كلمة "**أسلمت لله**" إنما توجب الكف عن القتل ثم يُستفهم بعد ذلك"، ثم قال الأبي: "وهو خلاف ما دل عليه الحديث".اهـ

وقد نقل المعلميّ اليمانيّ هذا كله ثم بيّن وجهَ مخالفةِ قول ابن عرفة "ثم يُستفهم بعد ذلك" للحديث! فقال المعلمي: أقول: وذلك من وجهين، الأول: أنه ﷺ أطلق النهي ولم يقل: **لا تقتله حتى تستفهمه** وتعرض عليه النطق بالشهادتين، فإن أبى فاقتله، أو نحو ذلك.**الثاني**: قوله: "فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله"، **والمعنى الظاهر من هذا أنه مسلم، والظاهر حجة**[2].اهـ

وكان المعلمي اليماني قد ذكر "**أن من أهل العلم من لا يشترط للدخول في الإسلام الإتيان بالشهادتين أصلا**، بل يقولون: يكفي كل ما يؤدي معنى الدخول في الإسلام كقوله: أسلمت لله، ونحو ذلك. كما حكى الله عز وجل عن ملكة سبأ: {وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين} [النمل: 44]. وقال:{إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين}. ومما يدل على صحة هذا المذهب حديث الصحيحين عن المقداد[3]. ثم ساق المعلمي حديث المقداد السابق، وذكر المعلمي أنه وقع عند مسلم في رواية معمر عن الزهري بلفظ "فقال: لا إله إلا الله"[1] بدل "**أسلمت لله**". ولكن ذكر المعلميّ أن **رواية الأكثر من أصحاب الزهري على اللفظ الأول . وهو أسلمت لله .** بل رواه أحمد من طريق معمر عن الزهري بهذا

---

1 شرح الأبي لصحيح مسلم 1/ 204.

2 آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (2/ 153)، وانظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 293)

3 آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (2/ 151)

1 صحيح مسلم (1/ 96)

اللفظ[1]، **قال المعلمي**: "**ورواية الأكثر أثبت**"[2]، وختم بقوله: "ولا خفاء أن الترجيح فيها لما يوافق رواية الجمهور"[3]، **أي أن الأثبت والأرجح هي رواية "أسلمت لله".**

وروى مسلم عن عمران بن حصين حديثا وفيه "وأسر أصحاب رسول الله ﷺ، رجلا من بني عقيل..وكان رسول الله ﷺ رحيما رقيقا، فرجع إليه، فقال: «ما شأنك؟'' قال: **إني مسلم،** قال: «لو قلتَها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح»، ثم انصرف[4]. **قال القرطبي**: وقوله: إني مسلم؛ ظاهر هذا اللفظ: **أنه قد صار مسلما بدخوله في دين الإسلام**[5].اهـ **وقال ابن الجلاب**: وقد قيل في اليهودي والنصراني إن قال: "**أنا مسلم" قُبِلَ منه ولم يقتل**[6]. **وقال القاضي عبد الوهاب: وفي الكافر إذا قال "أنا مسلم" روايتان**[1].

1مسند أحمد ط الرسالة (39/ 253)

2 آثار الشيخ المعلمي اليماني (2/ 151)

3 آثار الشيخ المعلمي اليماني (2/ 151)

4صحيح مسلم (3/ 1262)، والحديث بتمامه : كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا مُحَمَّد، فأتاه، فقال: «ما شأنك؟» فقال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال: «إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف»، ثم انصرف عنه، فناداه، فقال: يا مُحَمَّد، يا مُحَمَّد، وكان رسول الله ﷺ رحيما رقيقا، فرجع إليه، فقال: «ما شأنك؟» قال: إني مسلم، قال: «لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح»، ثم انصرف. فقال: يا مُحَمَّد، يا مُحَمَّد، فأتاه، فقال: «ما شأنك؟» قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني، قال: «هذه حاجتك»، ففُدي بالرجلين.

5المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (4/ 610)

6 التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس لابن الجلاب المالكي (2/ 232)، دار الكتب العلمية، ط2007/1

1الإشراف على نكت مسائل الخلاف لعبد الوهاب المالكي (2/ 877)، دار ابن حزم، ط1، 1999م.

أولا: نصوص الشافعية:

قال النووي في الروضة: وأنه لو قيل لكافر: أسلم لله، أو آمن بالله، فقال: أسلمت أو آمنت، يحتمل أن يجعل مؤمنا، وأنه لو قال: **أؤمن بالله أو أسلم لله، فهو إيمان...وأنه لو قال: الله ربي، أو الله خالقي، فإن لم يكن له دين قبل ذلك، فهو إيمان..وكذا الحكم لو قال: لا خالق إلا الله**..وأنه لو قال: **لا إله إلا الله الملك الذي في السماء، أو إلا ملك السماء، كان مؤمنا**، قال الله تعالى: (أأمنتم من في السماء). ولو قال: لا إله إلا ساكن السماء، لم يكن مؤمنا، وكذا لو قال: لا إله إلا الله ساكن السماء، لأن السكون محال على الله تعالى(1).

وقال النووي في حديث عمران السابق الذي وقع فيه "إني مسلم": (لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح)..معناه **لو قلت كلمة الإسلام** قبل الأسر حين كنت مالك أمرك أفلحت كل الفلاح لأنه لا يجوز أسرك **لو أسلمت قبل الأسر فكنت فزت بالإسلام** وبالسلامة من الأسر ومن اغتنام مالك، **وأما إذا أسلمت بعد الأسر** فيسقط الخيار في قتلك ويبقى الخيار بين الاسترقاق والمنّ والفداء[2].

و**قال ابن الرفعة:** إذا قال الكافر الذي لا دين له "**آمنت بالله" صار مؤمناً بالله.** وإن كان يشرك بالله غيره فلا، **حتى يقول: آمنت بالله وحده**، وكفرت بما كنت أشرك به3. **وقال الخطيب الشربيني: فإن قال: آمنت أو أسلمت، أو أنا مؤمن أو مسلم مثلكم**، أو أنا من أمة مُحَمَّد ﷺ أو **دينكم حق، أو قال: أنا بريء من كل من يخالف الإسلام..ففيه طريقتان:** إحداهما وهي ما عليها الجمهور وهي الراجحة: لا يكون ذلك اعترافا بالإسلام1.

---

(1) روضة الطالبين 302/7، مغني المحتاج (5/ 438).

2شرح النووي على مسلم (11/ 100)

3 كفاية النبيه في شرح التنبيه لابن الرفعة (16/ 320)، دار الكتب العلمية، ط1/ م 2009.

1 وهو ما اعتمده بعض أصحاب المتون والمنظومات في الفقه الشافعي كابن رسلان حيث قال في متن الزبد:

والثانية ونسبها الإمام للمحققين أنه يكون اعترافا به..ولو **قال: لا رحمن، أو لا بارئ إلا الله، أو من آمن به المسلمون لم يكفِ كما قاله بعض المتأخرين خلافا للحليمي**..ومن قال بقدم غير الله **كفى للإيمان بالله أن يقول لا قديم إلا الله** كمن لم يقل به، ومن لم يقل به **يكفيه أيضا: الله ربي**1.

وقال الخطابي في الحديث السابق وهو أن بني جذيمة لم ''يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر..اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"[2]: إنما نقم رسول الله ﷺ من خالد موضع العجلة، **وترك التثبت في أمرهم إلى أن يتبين المراد من قولهم: صبأنا**[3].

وقال ابن حجر: قوله "فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا''، هذا من ابن عمر راوي الحديث **يدلّ على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة**، ويؤيد فهمه أن قريشا كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ، حتى اشتهرت هذه اللفظة..وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك

والنطق بالشهادتين اعتُبرا .. لصحة الإيمان ممن قدرا

إن صدق القلب وبالأعمال .. يكون ذا نقص وذا كمال.

وقال الجَمل في حاشيته على شرح المنهج : ولا بد من اجتماع الشروط الستة التي نظمها بعضهم في قوله

شروط الإسلام بلا اشتباه ... عقل بلوغ عدم الإكراه

والنطق بالشهادتين والولا ... والسادس الترتيب فاعلم واعملا. انظر: فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (5/ 180)، للعلامة سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (ت1204هـ)، دار الفكر. وإفادة السادة العُمد بتقرير معاني متن الزبد (ص: 97) للعلامة مُحَمَّد بن أحمد الأهدل(1298هـ)، دار المنهاج.

1 مغني المحتاج (5/ 438)، وانظر نحوه في تحفة المحتاج مع حواشيه (9/ 97).

2 صحيح البخاري بتحقيق البغا (4/ 1577)

3 أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (3/ 1764)، فتح الباري (8/ 57)

حتى يصرّحوا بالإسلام[1]. "لاعتقاده أنها **لا تكفي عند العجز عن لفظ الإسلام**"[2]. ولذلك فإنه "ﷺ عذر خالدًا في اجتهاده؛ ولهذا لم يَقِدْ منه"[3]. **قال الكرماني عند حديث المقداد السابق الذي وقع فيه "أسلمت لله"**: فإن قلت هل ثبت الإسلام بقوله **أسلمت لله أم يحتاج إلى كلمة الشهادة أيضا قلت الحديث يدل على ثبوته له**[4].

رابعا: نصوص الحنابلة

قال ابن قدامة: وإن قال: **أنا مؤمن أو أنا مسلم. فقال القاضي: يحكم بإسلامه بهذا، وإن لم يلفظ بالشهادتين**؛ لأنهما اسمان لشيء معلوم معروف وهو الشهادتان، فإذا أخبر عن نفسه بما تضمن الشهادتين[5]. **قال البهوتي:** أو **قوله أنا مسلم فهو توبة أيضا للمرتدّ** ولكل كافر وإن لم يأت بالشهادتين**6**.

وقال المجد ابن تيمية[7] في المحرر: ولا يغني قوله أشهد أن مُحَمَّدا رسول الله عن كلمة **التوحيد، وعنه يغني**، وعنه إن كان ممّن يُقرّ **بالتوحيد** أغنى وإلا فلا[1]. **وقال المرداوي**

---

1 فتح الباري (8/ 57)

2اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (9/ 249)

3منحة الباري بشرح صحيح البخاري، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (6/ 282).

4 الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (15/ 193)

5المغني لابن قدامة (12/ 289)

6 دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (3/ 400)، منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت: 1051هـ)، عالم الكتب، ط1/1993م

7 جاء في «الأعلام للزركلي» (4/ 6): «(590؟ - 652 هـ) عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن مُحَمَّد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين: فقيه حنبلي، محدّث مفسر. ولد بحران وحدّث بالحجاز والعراق والشام، ثم ببلده حرّان وتوفي بها. وكان فرد زمانه في معرفة المذهب الحنبلي. من كتبه " تفسير القرآن العظيم " و " المنتقى في أحاديث الأحكام - ط " و " المحرر - خ " في الفقه. وهو جد الإمام ابن تيمية»، وانظر ترجمته أيضا في حاشية «الإيمان الأوسط - ط ابن الجوزي» (ص22)، وحاشية «أصول الفقه - ابن مفلح» (1/ 168).

1المحرر في الفقه (2/ 168)

الحنبلي: وتوبة المرتد إسلامه وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله..وهذا المذهب..**وعنه ـ أي عن أحمد ـ يغني قوله "مُحَمَّد رسول الله" عن كلمة التوحيد**[1].اهـ ولعله احتج بحديث أنس: «أن يهوديا قال لرسول الله ﷺ: **أشهد أنك رسول الله** ثم مات، فقال رسول الله ﷺ: **صلّوا** على صاحبكم». قال المجد ابن تيمية في المنتقى: رواه أحمد في رواية مهنا محتجا به[2].اهـ ويشهد له حديث ابن صياد وفيه ''أتشهد أني رسول الله'' وقد سبق كلام العيني وابن حجر[3]، و**قال ابن باز في حديث خالد السابق**: لأن خالدًا **غلط ظن أن صبأنا كفرنا** ولكن لم يعزله لأنه تأوّل، ووداهم النبي ﷺ[4].

والحاصل من كل هذه النصوص لفقهاء المذاهب الأربعة أن الدخول إلى الإسلام يكون بلا إله إلا الله أصالة، ويكون أيضا **بعبارة أخرى تشابهها كعبارة: لا خالق إلا الله، "الله خالقي"، الله ربي**، أسلمت لله، أنا مسلم، ونحوها على خلاف وتفصيل في ذلك، وقد رأينا كيف استدل الفقهاء بآيات وأحاديث تدل على ذلك، ومن ذلك الحديث الذي أنكر رسول الله فيه على سيدنا خالد قتله من قالوا "صبأنا'' لاحتمال أن يكونوا أرادوا بها "أسلمنا"!! فما بالك بمن قالوا فعلا: "أسلمنا''ونحوه؟! **فأين ذلك الذي زعم أن المكلف**

1الإنصاف في باب حكم المرتد 335/10، دار إحياء التراث العربي ط2. وانظر الفقه الحنبلي الميسر للدكتور وهبة الزحيلي (4/ 178): توبة المرتد والزنديق، دار القلم، ط1/ 1997.

2 نيل الأوطار للشوكاني (7/ 231)، والحديث أصله في صحيح البخاري (1/ 455) ولفظه: عن أنس ﷺ قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه و سلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له (أسلِمْ). فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم ..الحديث، ووقع في السنن الكبرى للنسائي (7/ 55) بلفظ: فعاده النبي ﷺ فقال: «قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله».

3 انظر: تنوير الرب الإله ص (530)

4 الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (3/ 314)

"لا يعصمه أن يقول **لا خالق إلا الله بإجماع المذاهب**"1. وأنه من قال بأن هذه الكلمة تعصمه فقد "**ارتكب حمقا جليا**"، **وأنه "كفى به ضلالا وإضلالا"!!**

المبحث الثاني: خبط ابن تيمية في النجاة بتوحيد الربوبية

الغريب أن ابن تيمية وأتباعه الذين حصروا الدخول إلى الإسلام بكلمة لا إله إلا الله، وَدَعوا بالويل والثبور على من يصحّح الدخول إلى الإسلام بغير هذه الكلمة، هم أنفسهم حين استدلوا بحديث الجارية(2) على مسألة العلو جعلوا قولها بأن "الله في السماء" إيمانا وإسلاما وتوحيدا، وإليك بيان ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: نصوص ابن تيمية وأتباعه على أن الإيمان يحصل بدون الشهادتين

وهذا نصّوا عليه حين كانوا يقررون العلو من حديث الجارية، وإليك نصوصهم في ذلك:

1) قال ابن تيمية: وأقرّها النبي ﷺ على ذلك **وشهد لها بالإيمان**[3].
2) وقال ابن القيم: **حَكم النبيُ ﷺ بإيمانها** حين قالت: **إن الله في السماء**[4].
3) قال ابن أبي العز: **شهادته ﷺ** لمن قال إن **ربه في السماء؛ بالإيمان**[5].
4) قال الألباني: "وجعله الرسول ﷺ **دليل إيمان الجارية** ألا وهو قولنا: **في السماء**6.
5) وقال دمشقية: واختبر إيمان الجارية فسألها "أين الله؟" فقالت: **في السماء. فشهد لها بالإيمان**[1].

---

1 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 345)

(2) أخرجه مسلم من حديث معاوية بن الحكم، انظر: صحيح مسلم (1/ 381)

3مجموع الفتاوى (4/ 62)

4 اجتماع الجيوش الإسلامية (2/ 182)، و(2/ 135) ، و (2/ 198)، ت عواد المعتق، مطابع الفرزدق، ط1/ 1988م.

5شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (2/ 385)

6مختصر العلو للعلي العظيم للألباني (ص: 64)

1موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 377)

لكن يَرد على هذا عين الإشكال السابق الذي من أجله اعتَبر ابن تيمية وأتباعه أن عبارة "لا خالق إلا الله" لا تُدخل في الإسلام، وذلك لأن المشركين ـ بحسب دعوى السلفية طبعا ـ كانوا يقولوا "إن الله في السماء" بدليل "أن شعراء الجاهلية مُقرّة به على فطرتهم الأولى كما قال عنترة في قصيدته: يا عبل أين من المنية مهربي..**إذ كان ربي في السماء** قضاها"[1]، فكان المفترض والحالة هذه ألا تَدل عبارة الله في السماء على إيمان صاحبها ولا تُدخله في الإسلام لأن المشركين كانوا يقولون ذلك في الجاهلية ولم يُدخلهم ذلك في الإسلام والإيمان، فكيف صار قول الجارية بأن الله في السماء دليلا على إيمانها كما في نصوص ابن تيمية وأتباعه السابقة؟! أليس هذا اضطرابا وتناقضا؟!

المفروض أن تختاروا أحد أمرين؛ **الأول**: أن عبارة "الله في السماء"، "لا خالق إلا الله"، "الله ربنا"، ونحوها كلها لا تدل على إيمان ولا تُدخل الإسلام بحجة أن المشركين كانوا يقولون مثل هذه العبارات في الجاهلية. **الثاني**: أن هذه العبارات كلها تدل على الإيمان وتُدخل الإسلام لورود أدلة تدل على أن قائل هذه العبارات مسلم أو مؤمن، حيث قد دل حديث الجارية على أن عبارة "الله في السماء"دليل الإيمان، كما دلّت الآيات السابقة كآية { **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ** عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: 13] ونحوها، وحديث سؤال الملكين في القبر "من ربك" على أن عبارة "ربنا الله" ونحوها دليل على الإيمان، ولذلك رأينا النوويّ في الروضة كيف جعل كل هذه العبارات دليل الإيمان والإسلام(2).

فلو أنكم اخترتم أحد الأمرين، لكنتم منسجمين في كليهما، أي لو اخترتم الأول وهو أن كل تلك العبارات لا تدل على الإيمان لأن المشركين كانوا يقولونها في الجاهلية ولم تُدخلهم الإسلام، وكذا لو اخترتم الثاني وهو أن كلها تُدخل الإسلام وتدل على الإيمان

---

1 اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (2/ 322)

(2) انظر: ص (288)

لأنه كما أن حديث الجارية على أن عبارة "الله في السماء" يدل على إيمان صاحبها فكذا دلّ حديث الملكين فضلا عن آيات الأحقاف وفصلت والحج؛ بأن "ربنا الله"دليل على الإيمان، أقول لو اخترتم أحدهما لكنتم في انسجام وقبول منطقي.

وأما أن تفرّقوا بين متماثلين فتقولوا بأن عبارة "ربنا الله" ليست دليلا على الإيمان بحجة أن المشركين كانوا يقولونها في الجاهلية، ثم تعدّون أن **قول الجارية "الله في السماء" دليلا على إيمانها،** مع أن المشركين أيضا كانوا يقولون ذلك في الجاهلية، **فهذا تحكم واضطراب، بل تناقض، وليس بأولى من العكس.**

بل العكس هو الأولى؛ أي بأن دلالة عبارة "ربنا الله" على الإيمان أولى من دلالة عبارة "الله في السماء" عليه، لأن حديث الجارية الذي اعتمدتم عليه في ذلك قد قيل إنه مروي بالمعنى لأنه روي بعدة روايات و"اختلفت ألفاظه"[1] فقد روي بلفظ "من ربك"، وبلفظ "أتشهدين أن لا إله إلا الله" كما سيأتي، وروي أن الجارية كانت **خرساء**[2]، وقيل كانت أعجمية حيث جاء في بعض الروايات "جاء رجل إلى رسول الله **بجارية أعجمية**..فقال لها رسول الله: أين الله؟ **فأشارت إلى السماء** "[3] وبلفظ "**بجارية سوداء لا تُفصح..فأشارت بيدها**"[4]، وبلفظ "**بجارية عجماء لا تفصح**"[5]، وروي

(1) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للعلامة الكوثري (ص: 109).

(2) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص: 160) ط/ عالم الكتب، أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي (2/ ، 44، 47، 48، 111)، ط دار الكتب بالقاهرة.

(3) التوحيد لابن خزيمة، ت عبد العزيز الشهوان (1/ 285)

(4) التوحيد لابن خزيمة (1/ 285)

(5) التوحيد لابن خزيمة(1/ 286)

بلفظ "فمدّ النبيُ ﷺ يده إليها **وأشار إليها مستفهما** من في السماء؟ قالت: الله"[1]، وبالتالي يكون لفظ "أين الله..قالت في السماء'' هو "**لفظ أحد الرواة على حسب فهمه** لا لفظ الرسول ﷺ"[2]، "وقد فعلت الرواية بالمعنى في الحديث **ما تراه من الاضطراب**"[3]، وبالتالي فقد أُعِلّ بالاضطراب في المتن[4] وفي السند أيضا[5]، وأُعلّ بعلل أخرى[6]، ومنهم من شكّك في إخراج مسلم له أصلا[1].

---

(1) العلو للعلي الغفار للذهبي (ص: 15)، ط أضواء السلف. وانظر رفع الغاشية عن التأويل والمجاز وحديث الجارية لنضال آل رشي ص174.

(2) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للعلامة الكوثري (ص: 109)، وانظر رفع الغاشية ص174.

(3) حاشية الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي (ص: 390)، رفع الغاشية ص172.

(4)رفع الغاشية ص172، تنقيح الفهوم العالية (ص: 3، و8) .

(5) وذلك لأن مالكا رواه عن عمر بن الحكم وهو تابعي لا صحابي، وباقي الرواة يروونه عن الصحابي معاوية بن الحكم، وكان مالك يصرّ على أنه عمر لا معاوية، و"هذا اضطراب في السند" انظر رفع الغاشية ص171.

(6) فأُعلّ حديث الجارية فضلا عما سبق:

أن فيه يحيى ابن أبي كثير وهو مدلس وقد عنعن. انظر حاشية الكوثري على الأسماء والصفات (ص: 390).

وبأن عطاء بن يسار تفرد به. نفس المرجع السابق (ص: 390).

وبأن في إسناده هلال بن أبي ميمونة الذي يقول فيه أبو حاتم: شيخ يكتب حديثه، ومثل هذا ينزل حديثه إلى الحَسن إذا سلم من الاضطراب والنكارة. انظر رفع الغاشية ص179، تنقيح الفهوم العالية ص9.

وأعلّ بأن مالكا رواه بلفظ "وعليّ رقبة فأعتقها؟"، ورواية مسلم تختلف لأن فيها أنه إنما أعتقها تبرئة لذمته من ضربها ليكافئ الضرب بالعتق فقد رواها بلفظ "فعظم ذلك علي قلت : يا رسول الله أفلا أعتقها"، ولكن على هذه الرواية لا يشترط الإيمان كما هو ظاهر ولحديث في «صحيح مسلم» (5/ 90 ط التركية):

"من لطم مملوكه أو ضربه، فكفارته أن يعتقه" ، فما وجه قوله في رواية مسلم "فإنها مؤمنة" مع أن هذا اللفظ لم يذكر في أكثر الروايات بل في رواية عبد الرزاق "أعتقْ أو أمسكْ".. "وهذا اضطراب في المتن كما لا يخفى". انظر رفع الغاشية ص172.

ولكن السلفية جادلوا في كل ذلك[2] وتمسكوا بالحديث وبلفظ "أين الله" حتى قال الألباني بأن الحديث "**صحيح بلا ريب، لا يشك في ذلك**، إلا جاهل أو مغرض من ذوي الأهواء"[3]، بل زعم أن لفظة "أين الله" من "**المتفق على صحتها بين المحدثين**"[4]، بيد أن هذا لم يسلّم للألباني فانبرى للرد عليه آخرون في كتب مفردة [5].

ولسنا في معرض الأخذ والرد في حديث الجارية وما قيل فيه سندا ومتنا، رواية ودراية فقد "**تكلم الناس عليه قديماً وحديثاً**؛ والكلام عليه معروف"[6] طويل الذيل، ولا هو محلّ بحثنا هنا، وإنما المقصود أن هذا الحديث مع كل هذه العلل وهذا الجدل الذي دار حوله تمسكتم به للقول بأن عبارة "أين الله..قالت في السماء" دليل على إيمان صاحبها، **فكان من باب أولى أن تكون عبارة "ربنا الله" دليلا على إيمان صاحبها** لأن هذه العبارة جاءت في ثلاث سور وهي الحج وفصّلت والأحقاف، وكلها جاءت في سياق الثناء على قائلها أجمل الثناء وأعطره كما سبق، ولا مجال للطعن فيها بمثل تلك

---

(1) محتجا بقول البيهقي: "أخرجه مسلم ..دون قصة الجارية وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه. وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث". قال الكوثري: "قصة الجارية مذكورة فيما بأيدينا من نسخ مسلم، لعلها زيدت فيما بعد إتماما للحديث أو كانت نسخة المصنف ناقصة، وقد أشار المصنف (أي البيهقي) إلى اضطراب الحديث بقوله: وقد ذكرت في كتاب الظهار.." . قال السقاف "فالبيهقي يرى بكل صراحة ووضوح بأن قصة الجارية ليست في صحيح مسلم، ونسخة البيهقي لم يشترها من المكتبة الفلانية أو المكتبة الفلانية إنما هي نسخة قرأها على مشايخه الحفاظ فينبغي التنبه إلى هذا جيدا" انظر: الأسماء والصفات للبيهقي بتحقيق الحاشدي (2/ 326)، وبتحقيق الكوثري (ص: 391)، ورفع الغاشية لآل رشي ص181، وتنقيح الفهوم العالية للسقاف (ص: 20).

(2) انظر تعليق الحاشدي محقق الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 326)

(3) مختصر العلو للعلي العظيم للألباني (ص: 82)

(4) مختصر العلو للعلي العظيم للألباني (ص: 82)

(5)رفع الغاشية لآل رشي ص178 وما بعدها، تنقيح الفهوم العالية للسقاف (ص: 8) وما بعدها.

(6) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للتقي السبكي (ص: 112).

الطعون التي قيلت في حديث الجارية! وذلك بالقول مثلا بأن تلك الآيات الثلاث مضطربة أو مرويّة المعنى أو مطعون في رواتها أو نحو ذلك، بل هي آيات متواترة شأنها شأن تواتر القرآن كله، فهي ثابتة قطعا ولا مجال للشك فيها أصلا.

أما أن تتمسكوا بحديث الجارية وبلفظ معين منه وبفهم معين ثم تقولوا بأن من ينكر ما دلّ عليه "فإنما ينكر على المصطفى ﷺ"[1] مع كل ما قيل فيه، ثم تتركوا وتنكروا دلالة ثلاث آيات صريحات دلّت على أن قائل ربنا الله من التوحيد والإيمان والجنة، بل تصفون من قال بموجب تلك الآيات وجعل عبارة "ربنا الله" إيمانا أو فسّر كلمة التوحيد بذلك بأنه قد **بلغ الغاية القصوى من الضلال و"الجهالة والعماية"2، وأنه قد "ارتكب حمقا جليا"**[3]!! فهذا من أعجب العجب الذي لم نسمع به قبلا!!

المطلب الثاني: تأويل ابن تيمية لبعض الآيات التي تكتفي بتوحيد الربوبية

بل الأعجب مما سبق أنكم تركتم موجِبَ تلك الآيات كآية {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: 13] بحجة أن المشركين كانوا يقولون "ربنا الله" ولم يكونوا مؤمنين، مع أن هذه الحجة نفسها كان من المفروض أن ترفضوا لأجلها موجب حديث الجارية "أين الله" لا أن تتمسكوا به وتستنبطوا منه إيمانَ من شهد أن الله في السماء كما رأينا في نصوصكم**4، وذلك للسبب نفسه وهو أن المشركين كانوا أيضا يقولون بأن الله في السماء كما قال ابن القيم**[5]! ولكن مع ذلك لم

(1)مختصر العلو للعلي العظيم (ص: 81)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 204).

3 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3 / 180

4 انظر: موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 377)

5 حيث قال في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص505 ط عطاءات العلم): «وهذا باب واسع جدا لا يتسع لذكره مجلد كبير، ويكفي أن شعراء الجاهلية مقرة به على فطرتهم الأولى، كما قال عنترة في قصيدته:

يا عبل أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها» .اهـ

يكونوا مؤمنين!! فكيف صار القول بأن "الله في السماء" علامة الإيمان كما في حديث الجارية، ولم يَصِر قول "ربنا الله" علامة الإيمان، مع أن كليهما كان يقول بهما المشركون في الجاهلية . **أي أن المشركين كانوا موحّدين في الربوبية عندكم وكانوا يقولون بأن الله في السماء . ولم يكونوا مؤمنين؟!** أم أن حديث الجارية وافق هوًى عندكم فكِلتم لأجله بمكيالين؟! وإن سلّطتم التأويل على تلك الآيات . كآية: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا... تَسلّط التأويلُ أيضا على حديث الجارية، وما كان جوابكم فهو جوابنا.

هذا كله فضلا عن حديث سؤال الملكين: "من ربك"، بل **إن حديث الجارية نفسه** جاء في بعض طرقه وألفاظه ما يدل على أن **عبارة "الله ربي"تدل على إيمان صاحبها،** فقد روى أحمد[1] في مسنده من حديث الشريد: أن أمه أوصت أن يعتق عنها رقبة مؤمنة، فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: **عندي جارية سوداء أو نوبية، فأعتقها؟** فقال: "ائت بها ". فدعوتها، فجاءت، **فقال لها: "من ربك؟" قالت: الله.** قال: "من أنا؟ "فقالت: أنت رسول الله، قال: "**أعتقها، فإنها مؤمنة**". فدل الحديث الذي حسّنه الألباني[2] على أن **القائل بأن: الله ربه، هو مؤمن،** وهو نفس ما دل عليه حديث **سؤال الملكين "من ربك"**فضلا عن آية الأحقاف وفصلت ونحوها مما سبق.

وهذا كما دلّ روايةٌ للحديث نفسه على أن علامة الإيمان هي الشهادتان، وهو ما رواه عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرني عطاء أن رجلا كانت له جارية في غنم

---

(1) مسند أحمد ط الرسالة (29/ 465)، قال محققو المسند: إسناده حسن.. وأخرجه الدارمي (2348) ، والنسائي 252/6، وابن حبان (189) ، والطبراني في "الكبير" (5257) ، والبيهقي 388/7.اهـ وانظر مسند أحمد، ط/ الرسالة (32 / 206).

(2) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (7 / 456).

ترعاها..فسألها النبي صلى الله عليه و سلم **أتشهدين أن لا إله إلا الله** قالت نعم"(1). وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن **رجل من الأنصار"جاء بأمة سوداء،** وقال: يا رسول الله، إن عليّ رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها، فقال لها رسول الله ﷺ: (**أتشهدين أن لا إله إلا الله،** قالت: نعم ،قال: أتشهدين أني رسول الله، قالت: نعم،قال: أتؤمنين بالبعث بعد الموت، قالت: نعم، قال: **فأعتقها؟**)"(2) **قلتُ:** دل هذا الحديث على أن **علامة الإيمان هي الشهادتان، فكذلك دل حديث الشريد السابق على أن عبارة "ربي الله" دليل الإيمان،** كما دل عند السلفية حديث الجارية عند مسلم بلفظ "أين الله" على أن عبارة "الله في السماء" علامة الإيمان..وهذا كله يدل على أن **عبارة "ربي الله" مثل شهادة "لا إله إلا الله"** من حيث دلالة كل منهما على الإيمان والإسلام والتوحيد، **وأن إحداهما تجزئ عن الأخرى،** ولا حاجة لكليهما.

وبذلك ننفصل عن إيراد قد يقال لنا هنا، وهو: إنكم قد عارضتم تقسيم ابن تيمية للتوحيد بالقول بأن الرسل جاؤوا بتوحيد واحد وهو قول لا إله إلا الله، وسردتم أدلة كثيرة جدا على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع، ولكن هذا يخالف ما قررتموه هنا بأن المكلف يَدخل الإسلامَ **والإيمان ويكون موحِّدا بعبارة: الله ربنا،** ونحوها، ولا يشترط أن

---

(1) مصنف عبد الرزاق (9/ 175)، وانظر: رفع الغاشية عن التأويل والمجاز وحديث الجارية لنضال آل رشي ص173.

(2) مسند أحمد ط الرسالة (25/ 19)، وقد قال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه.. وهو عند عبد الرزاق في "المصنف" (16814) ، ومن طريقه أخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" ص 124. وأخرجه مالك في "الموطأ" 777/2، وأخرجه البيهقي في "السنن" 57/10 ..قال البيهقي: هذا مرسل. قال ابن عبد البر في "التمهيد" 114/9: ظاهره الإرسال، لكنه محمول على الاتصال، للقاء عبيد الله جماعة من الصحابة. وتعقبه الزرقاني في "شرح الموطأ" 85/4 بقوله: وفيه نظر، إذ لو كان كذلك ما وجد مرسل قط، قال: فلعله أراد للقاء عبيد الله جماعة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" 23/1، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.اهـ

يقول لا إله إلا الله. فهذا الإيراد جوابه هو ما تقدم وهو أن كلا منهما تجزئ عن الأخرى للأدلة السابقة، أو نقول: إن الأصل هو قول لا إله إلا الله ولكن يجزئ عنه قول الله ربنا ونحوه. والله أعلم

وبالتالي فلا يسلّم قول ابن تيمية وأتباعه أن هذه العبارات ـ أي أمثال "ربنا الله"، و"لا خالق إلا الله"، و"الله خالقي"، و"الله ربي". لا تُدخل في الإسلام وأنها لا تدل على الإيمان والتوحيد، وإنما الذي يدخل في الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله بحجة أن هذه العبارات كان لا يأباها المشركون بل يقرون بها بحكم كونهم يقرون بتوحيد الربوبية ولم يُدخلهم ذلك في الإسلام ولا في الإيمان ولا التوحيد الذي جاء به الرسل عليهم السلام.

فهذا كله لا يصح؛ إذ أنت خبير بأن هذا كله مبني على فرضية أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وهو ما فرغنا من نقضه بحمد الله بالأدلة الكثيرة التي بسطناها في كتابين سابقين[1]، بل سردنا إقرار كثير من السلفية بأن توحيد الربوبية عند المشركين كان منقوصا بل منقوضا[2].

---

1 الأول: "ولئن سألتهم" وقد طبع في دار المنهل، والثاني: "البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية " وقد نُشر الكترونيا.

2 انظر: ولئن سألتهم ص (479)

الباب الثاني

مصدر ابن تيمية الذي استقى منه تقسيم التوحيد

وفيه فصلان:

الفصل الأول: دعوى أن استقراء القرآن يدل على أن التوحيد قسمان: ربوبية وألوهية.

الفصل الثاني: دعوى عدم تفرّد ابن تيمية بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية.

الفصل الأول: دعوى أن استقراء القرآن يدل على أن التوحيد قسمان: ربوبية وألوهية.

تمهيد:

استدل السلفية على تقسيم ابن تيمية للتوحيد بالاستقراء، **قال الشنقيطي**: "دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول: توحيده في ربوبيته..الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته..النوع الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته"[1]، **وقال ابن عثيمين**: بتتبّع النصوص الواردة في التوحيد وجدناها لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، والاستدلال المبني على التتبع والاستقراء ثابت حتى في القرآن.اهـ[2]، حيث قد "**ذكر الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه مفهوم هذا التقسيم، يعرف من تأمله وعقل معناه بعقل صريح**"3.

وهكذا فإن هذا الاستقراء هو "**استقراء تام لنصوص الشرع**, وهو مطّرِد لدى أهل كل فنّ **كما في استقراء النحاة: كلام العرب إلى (اسم, وفعل, وحرف)**, والعرب لم تَفُهْ بهذا ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب, وهكذا من أنواع الاستقراء"[4]. وهو "كتقسيم الأحكام إلى فرض وواجب ومسنون ومباح ومكروه ومحرم، وليس في ذلك نصّ، وإنما هو مستفاد من نصوص الشرع بخلاف التقسيمات المخالفة للنصوص الشرعية كتقسيم البدعة إلى بدعة واجبة وبدعة مستحبة وقد قصرها النبي ﷺ على واحدة "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"[5].

---

1 أضواء البيان (3/ 488)، وانظره أيضا في: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 28).

2 مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (1/ 83)، وانظر شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص231

3 منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ص609.

4 التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير، د.بكر أبو زيد (ص: 21)، وانظر أيضا: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص231

5موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 146)

وهل "قسّم الإمام مالك أو الشافعي أو أحمد الأحكام الشرعية إلى أحكام تكليفية, وأحكام وضعية؟ وهل قسموا الأحكام التكليفية إلى: واجب ومحرم ومستحب ومكروه ومباح؟ وهل قسموا الأحكام الوضعية إلى أسباب وشروط وموانع وصحة وفساد؟ **وهل قسموا الأدلة الإجمالية** إلى أدلة متفق عليها, وأدلة مختلف فيها؟ وهل قسموا القياس إلى: قياس علّة , وقياس دلالة , وقياس شبه؟ وهل قسموا (المناسبة) وهي مسلك من مسالك العلة إلى: مؤثر , وملائم , وغريب, ومرسل ؟ وخذ في مصطلحات أصول الفقه وأبوابه باباً باباً , بل في جميع المصطلحات الشرعية في العلوم الإسلامية"[1].اهـ

والجواب عن هذا الاستقراء أنه غير مسلّم لوجوه كثيرة، أهمها ثمانية، وهي :

1) نعارضكم بالقول بأن استقراء الكتاب والسنة ينقض المقدمات والأصول التي قامت عليها نظرية تقسيم التوحيد واحدا تلو الآخر.
2) أن استقراءكم هذا بأن القرآن متضمن لثلاثة أقسام للتوحيد ينافيه ما ذكرتم من قبل أن توحيد الربوبية ليس مذكورا في القرآن ولا في غيره من الكتب السماوية، ولا بُعث به الرسل أصلا.
3) لو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما كان من أقر بالشهادة موحدا، والتالي باطل، فالمقدَّم كذلك.
4) أن هذا الاستقراء لو كان صحيحا لكان الأولى أن يُعلّمه رسولُ الله للصحابة، والتالي باطل فالمقدَّم باطل.
5) أن استقراءكم هذا لا يخلو من أن تقصدوا أن ألفاظه أو معانيه أو كليهما معا موجودة في القرآن، وعلى الاحتمالات الثلاثة فالاستقراء باطل.

---

1 انظر منشور بعنوان "سألني أحدُ الأشاعرة: (مَن قال مِن السلف بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام؟) فما الرد؟؟"، على الرابط: http://www.al-afak.com/showthread.php?t=1038

6) أن الاستقراء الذي تدّعونه ما هو إلا مجرد اصطلاح لكم يمكن أن يعارَض بمثله

7) أن نتيجة استقرائكم هذا يخالف الأصل الذي بُنيت عليه نظرية تقسيم التوحيد

8) أما قياسكم لتقسيم التوحيد على تقسيم النحاة للكلمة، وعلى تقسيم الأصوليين للأحكام، ونحو ذلك، فقياس لا يصح لأسباب عديدة.

وهذه الوجوه الثمانية نُجملها في اعتراضين أساسيين وهما:

الاعتراض الأول: لو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما لزم منه لوازم باطلة، وهذا يضمّ وجهين وهما: الوجه الثالث: لو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما كان من أقرّ بالشهادة موحّدا..والوجه الرابع: أن هذا الاستقراء لو كان صحيحا لكان الأولى أن يَعلمه الصحابة ﷺ.

الاعتراض الثاني: أن استقراءكم هذا منقوض بالوجوه الستة الباقية.

وسنخصّص لكل من هذين الاعتراضين الأساسيين مبحثا، فلدينا مبحثان وهما:

المبحث الأول: اللوازم الباطلة لهذا الاستقراء وبيان ذلك من وجهين.

المبحث الثاني: نقض هذا الاستقراء من ستة وجوه.

وتحت كل مبحث عدة مطالب ونتناول في كل مطلب أحد الوجوه الثمانية

ونبدأ بالمبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما كان من أقرّ بالشهادة موحّدا.

المطلب الثاني: أن هذا الاستقراء لو كان صحيحا لكان الأولى أن يعلّمه الصحابة ﷺ.

وفيما يلي تفصيل ذلك كله بتوفيق الله.

المبحث الأول: اللوازم الباطلة لهذا الاستقراء

وبيان ذلك من وجهين ، نبسطهما في مطلبين بحول الله:

المطلب الأول: لو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما كان من أقر بالشهادة موحدا

فلو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما كان من أقرّ بالشهادة موحدا، والتالي باطل، فالمقدَّم كذلك، أي أنه لو صحّ أن التوحيد ثلاثة أقسام أحدها توحيد الألوهية لما كان من أقر بلا إله إلا الله موحدا، والتالي . وهو أن من أقرّ بلا إله إلا الله ليس موحّدا . باطل بالكتاب والسنة وإجماع العلماء، فالمقدَّم . وهو أن التوحيد ثلاثة أقسام أحدها توحيد الألوهية . باطل.

وبيان ذلك أنه لو كانت شهادة أن لا إله إلا الله هي مجرد قسم أو مجرد ركن من أقسام التوحيد وأركانه الثلاثة، لما كان من أقرّ بالشهادة موحّدا، ضرورة أن الشيء لا يتم إلا بتمام أركانه، كالصلاة مثلا فلا يسمى من أتى بأحد أركانها مصليا كمن أتى بالركوع أو السجود، بل لا بد أن يأتي بكلّ أركانها حتى يسمى أنه صلى الصلاة الشرعية، وهنا كذلك.

وهذا ما صرّحتم به حيث قلتم إنه "لا إيمان لمن لم يأت بهذه الأمور الثلاثة ولا توحيد، إذ الإيمان والتوحيد هو إفراد الله وحده بهذه الأمور الثلاثة؛ فمن لم يأت بتوحيد الربوبية فهو معطِّل للخالق مشرك في ربوبية الله، ومن لم يأت بتوحيد الألوهية فهو مشرك في ألوهية الله وعبادته كالمشركين عبدة الأصنام، ومن لم يأت بتوحيد الأسماء والصفات فهو كافر ملحد في أسماء الله وصفاته. فكيف يقول مسلم عاقل إنَّ هذه الأمور لا أصل لها ولا أساس، ولا وجود لها في الكتاب والسنة، فاللهم غفراً "[1].

بيد أن من أتى بلا إله إلا الله فهو موحّد في الدنيا ناج في الآخرة، ولا يشترط أن يصرح بالقسمين الآخرين وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات حتى يسمّى موحّدا

---

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 32)

كامل التوحيد، وعليه دلّت نصوص الكتاب والسنة فضلا عن نصوص العلماء من جميع المذاهب الفقهية والعقدية، وإليك طائفة من تلك النصوص في المراصد التالية:

المرصد الأول: الآيات الدالة على كفاية توحيد الألوهية في الآخرة دون أقسام التوحيد الأخرى

دلّت نصوص الكتاب على أن شهادة أن لا إله إلا الله تكفي للنجاة، ولا يشترط توحيد الربوبية ونحوه من أقسام التوحيد عند ابن تيمية، أي أن التوحيد شيء واحد وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وليس هذه الشهادة هي قسم من أقسام التوحيد كما يزعم ابن تيمية في نظريته! بحيث أن من أتى بها فقد أتى بقسم واحد من التوحيد، ويجب عليه أن يأتي بقسمين آخرين وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات! فهذا غير صحيح بحسب آيات كثيرة من القرآن الكريم، وإليكم طائفة من تلك الآيات مع بيان وجه الدلالة منها:

1) قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ **رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا** فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25] فقد دلت الآية على "**أنه لا بد أن يوحي بالتوحيد إلى كل رسول**"[1]. وأن: "الله لم يبعث رسولاً ولم يُنزل كتابًا إلا **بالتوحيد**"[2]، "والنهي عن الشرك"3. وعلى أن ((''أصول الإيمان'' وأعلاها وأفضلها هو "**التوحيد" وهو شهادة أن لا إله إلا الله**))4، وعلى أن "**رأس الإسلام مطلقا شهادة أن لا إله إلا الله، وبها بعث الله جميع الرسل**"[5]. إذن التوحيد الذي جاء به كل الرسل هو شيء واحد وهو شهادة لا إله إلا الله، **ولم يأتوا بأن التوحيد ثلاثة أقسام؛ أحدُها هو هذه الشهادة التي تعبر عن توحيد الألوهية كما زعمتم!**

---

1 مجموع الفتاوى (20/ 107)

2 بيان تلبيس الجهمية (3/ 72) وانظر أيضا: مجموع الفتاوى (11/ 51)، و(18/ 159)، (2/ 351) (20/ 107).

3 دقائق التفسير لابن تيمية (2/ 67)

4 مجموع الفتاوى (3/ 364)

5 التدمرية(ص: 174)، مجموع الفتاوى (3/ 94)

2) {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [الأعراف: 59] **قال ابن تيمية: والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية** وذلك متضمن لتوحيد الربوبية كما قال كل منهم لقومه: {اعبدوا الله ما لكم من إله غيره }..1.اهـ

3) {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ **مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** أَفَلَا تَتَّقُونَ } [الأعراف: 65] قال ابن تيمية: "**التوحيد هو أصل الدين** الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره **وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب** كما قال تعالى: {واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون}..وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: {اعبدوا الله ما لكم من إله غيره}"[2].

4) {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ **مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**} [الأعراف: 73].

5) {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ **مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**} [الأعراف: 85]، فدلّت هذه الآية وما قبلها على أن مشركي الأمم ''كانوا يكفرون بتوحيد الألوهية, **وإلى هذا التوحيد كان يدعوهم أنبياؤهم**"[3].

6) {فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ **مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون: 32].

7) {فَاعْلَمْ أَنَّهُ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** } [مُحَمَّد: 19] **فدلت على** أن "التوحيد هو ما بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ"[4]. وهو "**شهادة أن لا إله إلا الله، وبها بعث الله جميع الرسل**"[1].

---

1 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 344)

2 مجموع الفتاوى (1/ 154)

3 موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 120)

4 مجموع الفتاوى (11/ 488)

8) {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ **وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ** الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [ص: 65].

9) { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 163].

10) {**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [البقرة: 255]، **قال ابن تيمية: التوحيد الذي هو أصل الدين** ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به..**ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه**، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي: **الله لا إله إلا هو** الحي القيوم[2].اهـ

11) {إِنَّهُمْ كَانُوا **إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**} [الصافات: 35] فدلّت على أن الذي دعاهم إليه وكفروا به هو "توحيد الألوهية الذي هو المراد **من هذه الشهادة**"[3]. أي شهادة أن لا إله إلا الله.

12) {أَجَعَلَ **الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا** إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5]، فدلّت على أنهم كانوا يقولون ذلك "إذا دعاهم ﷺ **إلى الإيمان بهذه الشهادة**"[4].

والآيات في ذلك كثيرة، وكلها تنصّ وتصرّح بأن التوحيد الذي جاء به الرسل إلى الأمم والأفراد فردا فردا هو شهادة أن لا إله إلا الله، فقد "أخبر الله تعالى بأنه أرسل إليهم رسله يدعونهم إلى لا إله إلا الله"[5]. ورأينا تأكيد ابن تيمية وأتباعه على هذا، وهذا ينافي قطعا تقسيمَ ابنِ تيمية للتوحيد وجعله ثلاثة أقسام أحدها: توحيد الألوهية وهو قول لا إله إلا الله، **ولو كان هذا التقسيم صحيحا للزم أن الأنبياء لم يبلغوا سوى قسم من أقسام التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله**، لأن هذا هو التوحيد الذي جاؤوا به إلى الناس بإقرار ابن

---

1 مجموع الفتاوى (3/ 94)

2 مجموع الفتاوى (3/ 400)

3 موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 120)

4 موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 120)

5 آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (2/ 339)

تيمية حيث قال: "**وكانت الرسل تكتفي منهم بلا إله إلا الله، فمن قاله فقد برئ من الشرك**"[1].

وبالتالي فيكون القسمان الآخران للتوحيد اللذين يذكرهما ابن تيمية: وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لم يبلغهما الرسل كما هو ظاهر، بل ابن تيمية ينص هو وأتباعه أن توحيد الربوبية لم يأت به الرسل، وهذا اللازم باطل، وهو أن الرسل لم يبلّغوا التوحيدَ كاملا بنص ابن تيمية، وهو قوله: وكان النبي ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته2.

قد يقال: إن القرآن يفيض ببيان أن الله هو وحده الخالق والمدبر والمالك، وهذا ما يسمى بتوحيد الربوبية، كما أنه يفيض بتقرير أنه لا إله إلا هو وهذا ما يسمى بتوحيد الألوهية، ولذا قال ابن تيمية "والقرآن يبيّن توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية"[3]، وكذا القرآن يفيض بالحديث عن صفات الله تعالى، وبالتالي فقد "دلّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام.."[4]. وقد سبقت نصوص عديدة في بيان أن القرآن بيّن أقسام التوحيد الثلاثة[5]، غاية ما في الأمر أن آية الأنبياء السابقة ونحوها تبين نوعا من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية، والآيات الأخرى بيّنت نوعي التوحيد في الربوبية والصفات.

قلنا: أولا: أنتم أنكرتم في مواضع أخرى أن يكون القرآن والرسول وسائر والرسل جاؤوا بتوحيد الربوبية وقلتم بالحرف الواحد "فليس هناك آية واحدة قالت أقروا بالربوبية"[6] وقد سبق المزيد من هذه النصوص[1].

---

1 آثار الشيخ المعلمي اليماني (2/ 339)

2 مجموع الفتاوى (3/ 397)

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 354)

4 أضواء البيان (3/ 488)، وانظره أيضا في: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 28).

5 انظر: ص () والقرآن يبيّن توحيد الإلهية

6 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (1/ 52)

ثانيا: إن ما تسمّونه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كلاهما مندرج في التوحيد الذي جاء به الرسل وهو شهادة أن لا إله إلا الله الذي تسمونه توحيد الألوهية، فشهادة أن لا إله إلا الله هذه تتضمن أن لا خالق إلا الله؛ لسببين: **الأول:** لأن كلمة الإله في الشهادة تشمل الإله والرب؛ لأن القاعدة عندكم تقول إن لفظي الإله والرب إذا افترقا اجتمعا كما سبق بيانه[2]. **الثاني:** لأن ((ومعنى "لا إله إلا الله"، أي: لا معبود بحق إلا إله واحد))[3]، والإله المستحق للعبادة هو الذي يَخلق "فالذي **يَقدر على الخلق هو الذي يستحق العبادة،** أما الذي لا يقدر على الخلق فهذا لا يستحق العبادة"[4]، و"**لا يُتَأله إلا للرب–عز وجل– الذي يُعتقد أنه هو الخالق وحده**"[5]، وقد سبقت نصوصكم الكثيرة في ذلك[6].

وبالتالي فمن يشهد أن لا إله إلا الله هو يشهد بطبيعة الحال أن لا رب ولا خالق إلا الله؛ لأنه المعبود الحق لا يكون كذلك إلا إذا كان خالقا. فكلمة لا إله إلا الله "تتضمن توحيد الربوبية و توحيد الألوهية، ولو كانت تتضمن توحيد الألوهية فقط لاقتضى أن لتوحيد الربوبية كلمة أخرى غير هذه، ولا قائل بذلك"[7].

ولذا قال **القرطبي** في تفسيره: (الله لا إله إلا هو) **أي لا معبود سواه، ولا خالق غيره،** فعليه توكلوا[8].اهـ وقال **ابن جزي** المالكي: توحيد الله تعالى: وهو محصول قولنا ((لا إله

---

1 انظر: ص () قالت أقروا بالربوبية

2 انظر: ص () والألوهية يجتمعان ويفترقان

3 تيسير العزيز الحميد لحفيد ابن عبد الوهاب ص 177

4 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (1/ 204)

5 مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (7/ 23)

6 انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (1/ 204)

7 كلمة هادئة في بيان خطأ التقسيم الثلاثيّ للتوحيد، د. عمر عبد الله كامل ص 21.

8 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (21/ 16)

إلا الله))، وهو أن تؤمن **بأنه إله واحد أحد** فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا يشاركه في حكمه أحد، **ليس له في ربوبيته شريك** ولا نظير، وليس له في ملكه ضد ولا ند ولا منازع ولا ظهير[1].اهـ فتأمل كيف جعل كلمة لا إله إلا الله شاملة لتوحيد الإله والرب والمالك.

هذا وقد نصّ ابن تيمية على اندراج توحيد الربوبية في توحيد الألوهية، فقال "والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية وذلك متضمن لتوحيد الربوبية"[2]. وقال دمشقية: من أتى بتوحيد الألوهية لا يُطلب منه أن يأتي بتوحيد الربوبية لأن الثاني داخل فيه[3].اهـ، وهذا يعني ببساطة أن توحيد الربوبية قسم من توحيد الألوهية لا قسيم له وبين المقامين فرق كما هو ظاهر، لأن القول بأن توحيد الربوبية قسم من توحيد الألوهية وهو لا إله إلا الله فهذا يعني أن من أتى بلا إله إلا الله فقد أتى تلقائيا بتوحيد الربوبية، وأما إن قلت بأن توحيد الربوبية قسيم لتوحيد الألوهية فمعنى ذلك أن من أتى بلا إله إلا الله فلم يأت بتوحيد الربوبية!

وأما ما تسمونه توحيد الأسماء والصفات فهو أيضا مندرج في شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" الذي يسميه ابن تيمية بتوحيد الألوهية فقد قرر هو بأن "التوحيد الذي جاء به الرسول..**تضمن إثبات الإلهية لله** وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو..وذلك **يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات**"[4]. وقال ابن القيم: «وأما الإله؛ فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، **فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى**»[5]، "ولهذا

---

1 القوانين الفقهية (ص: 11)

2 درء تعارض العقل والنقل (9/ 344)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 155)

4 درء تعارض العقل والنقل(1/ 316)

5 «بدائع الفوائد – ط عطاءات العلم» (2/ 782)، تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: 164)

كان القول الصحيح إن الله **أصله الإله وأن اسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى** والصفات العلى والله أعلم"[1].

وعليه فتوحيد الإلهية "متضمن..إثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن النقائص"[2]. و"**الألوهية متضمنة للربوبية** دون عكس، ومتضمنة لتوحيد الأسماء والصفات أيضا..توحيد الألوهية كالكل، وإن توحيدي الربوبية والصفات كالجزئين له"[3]. وقال البدر: توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية، **وتوحيد الألوهيَّة متضمِّنٌ لهما**4. وهكذا فإن: "الألوهية متضمنة للربوبية من دون عكس، **ومتضمنة أيضا لتوحيد الأسماء والصفات**"5.

علاوة على أن الإله الحق "لا يكون **إلها مستحقا للعبادة إلا من كان خالقا رازقا** مالكا متصرفا مدبرا لجميع الأمور"6، وكان جامعا "**لجميع صفات الكمال** ونعوت الجلال»[7]، فإن المحدثات كما دلت على أن لها خالقا فكذلك دلت على أنه "لا بد لها من **محدِث قادر عليم مريد حكيم**.."[8]، و"الخلق مفطورون على كون الخالق سبحانه أجلّ وأكبر وأعلى وأعلم

---

1 تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: 164)

2 الصفدية (2/ 228)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 976).

3 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3/ 204.

4 قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص: 58)، عبد المحسن العباد البدر، دار الفضيلة، الرياض، ط1/ 1423هـ/2002.

5 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص110.

6 معارج القبول (2/ 395).

7 «بدائع الفوائد – ط عطاءات العلم» (2/ 782)، تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: 164)

8 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/ 124)

وأعظم، وأكمل من كل شيء"[1]، حيث إن ‘‘الله تعالى قد أودع في الفطرة التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، **أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته،** وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله"[2]. وبالتالي فمَن **"أقرَّ بالألوهية فإنَّه يكون مقرًّا بتوحيد الربوبية وبتوحيد الأسماء والصفات؛** لأنَّ **مَن أقرَّ بأنَّ الله هو المعبود وحده**..لا يكون منكراً بأنَّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، **وأنَّ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى"**[3].

إذن فالإقرار بالخالق يتضمن الإقرار بأنه عليم مريد قدير ونحو ذلك من صفات الكمال، وهذا الذي قرّره ابن تيمية وأتباعه، وقرره الأشاعرة أيضا فذكروا أن الإله الحق هو الغني عما سواه، والذي يفتقر كل ما سواه إليه، **وهذا "يوجب له تعالى: الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث،** والقيام بالنفس، والتنزه عن النقائص. ويدخل في ذلك وجوب السمع له تعالى والبصر والكلام"[4].

وقال المازري: فالقول **لا إله إلا الله** فيه اعتراف بالألوهية والتوحيد. ويتضمن إثبات الصفات وتنزيه الباري تعالى عن سمات المحدثات[5]. بل قيل إن معنى "لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، بمعنى لا متّصف بالصفات التي لأجلها استحق أن يكون معبودا إلا الله، وهذه الصفات هي المسماة بخواصّ الإلهية، وهي خلق العالم وتدبيره وتربيته أي تبليغه إلى الكمال شيئا فشيئا، والغنى المطلق عن غيره، وافتقار ما سواه إليه، وتفرّده بحق التشريع، ويتفرع عن

---

1 منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ص214

2 شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (1/ 52)

3 قطف الجنى الداني للبدر (ص: 58).

4 متن السنوسية في علم التوحيد "أم البراهين" (ص: 6)، تهذيب شرح السنوسية للشيخ سعيد فودة (ص: 93).

5 شرح التلقين (1/ 668) لأبي عبد الله مُحَمَّد بن علي المازري (ت: 536هـ)، ت: محمَّد المختار السّلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1/ 2008 م.

هذه الصفات وينبني عليها استحقاق العبادة"[1]، وسيأتي قول إمام الحرمين: الإتيانُ بالشهادتين، وهما على التحقيق يحويان القواعدَ جُمَع؛ إذ في التوحيد الاعتراف بالإله والوحدانية، وفيه التعرض لصفات الإلهية وتفويض الأمور إلى من لا إله غيره[2].

والحاصل أن ما يسمى بتوحيد الألوهية متضمن لما يسمى بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات بنصوص العلماء السابقة، وقد أقررتم بذلك كما سبق، فكيف يكون ما تسمونه بتوحيد الألوهية قسيما لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وفي الوقت نفسه هذان قسمان منه؟ كيف يكون الشيء قسما من شيء وفي الوقت نفسه قسيمه؟! إن هذا وحده يُبطل نظريةَ تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية وأسماء وصفات، ويجعل التوحيد شيئا واحدا هو توحيد الألوهية، ولكن يندرج تحته توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا ما نقول به أصلا بغضّ النظر عن هذه التسميات، فنحن نقول التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، ولكن يندرج تحتها ما لا يحصى من معاني التوحيد ودقائقه ومسائله كما قال الغزالي وغيره، وسواء أسمّيتَ تلك المعاني المندرجة تحت لا إله إلا الله: توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات كما يقول ابن تيمية، أم سمّيتها توحيد الله في ذاته وصفاته وأفعاله كما يقول الأشاعرة، أو سمّيتها بأسماء أخرى كالتي عند الصوفية أو المعتزلة أو الشيعة أو غيرهم، فالعبرة ليست بالتسميات وإنما المعاني المنضوية تحتها فإن صحت المعاني صحت تلك الأسماء وإلا فلا.

ونحن هنا لا ننازع ابنَ تيمية في التسميات، وإنما ننازعه في المقدمات التي قامت عليها نظريته في تقسيم التوحيد فكلها غير مسلّمة كما بسطناه مطولا، كما ننازعه في النتائج والثمرات التي نتجت عن نظريته فإذن "محلّ اعتراضنا هو في الأحكام المترتبة بهذا التقسيم"[1]،

---

1 منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقيقة والأوهام (ص: 173)، تأليف مُحَمَّد صالح بن أحمد الغرسي.

2 نهاية المطلب في دراية المذهب (14/ 525)

1 المناقشة العلمية لنظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية ص248، نقلا عن د. سعيد فودة.

وهذا خصّصنا له كتابا كبيرا آخر متعلقا بالآثار المترتبة على نظرية تقسيم التوحيد[1]، وأيضا النزاع في تلازم هذه الأقسام.

فضلا عن أن تقسيمه للتوحيد فيه مشكلة؛ لأنه يجعل الشيء قسما لشيء آخر تارة وقسيما له تارة أخرى!! فهو يجعل توحيد الألوهية قسيما لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك حين يقسّم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة، وفي الوقت نفسه جعل هذين القسمين الأخيرين متفرعين من توحيد الألوهية، أي هما قسمان من أقسام توحيد الألوهية! وذلك حين نص على أن توحيد الألوهية متضمِّن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات!!

وبالتالي فلا يصح قولكم: "وهنا ينبغي أن نتنبه لأمر مهمّ وهو أن خلاف هؤلاء في تقسيم التوحيد، وادعاؤهم بدعيّته..**ليس خلافا في التقسيم الفني بحيث يكون لفظيا**، لأنهم ينكرون أن يتعلق التوحيد بأفعال العباد وإرادتهم وأقوالهم فيقع فيها الشرك، كما يقع في اعتقاد شريك مع الله تعالى في الخلق والرزق والتدبير. كما أن الخلاف ليس خلافا في التقسيم ذاته لأنهم يقسّمون التوحيد نفسه إلى واحد في ذاته..وواحد في صفاته..وواحد في أفعاله..فهم إذن لا يرون أن التقسيم بدعة في ذاته، **إذن الدافع لنفي التقسيم هو وجود قسم في التوحيد يمنعهم من الاستغاثة بغير الله، والنذر والذبح لغيره، وتعظيم القبور بالتمسح والتبرك بها ونحو ذلك**، فالخلاف في أقسام التوحيد خلاف حقيقي مؤثر"[2].

فهذا كله لا يصح ببساطة لأننا نعارضكم فنقول: ولماذا لا يكون العكس، وهو أنكم اخترعتم تقسيم التوحيد لتتهموا الناس بالشرك بسبب هذه الأمور؟ بل هذا أولى مما زعمتم، لأن هذه الأمور لم ينسبها أحد إلى الشرك سوى ابن تيمية بناءً على نظرية تقسيم التوحيد

---

1 وسيطبع لاحقا بحول الله بعد أن ننتهي من طباعة هذا الكتاب المتعلق بنظرية تقسيم التوحيد نفسها والمكون من خمسة مجلدات، هذا المجلد آخرها، وبالله التوفيق.

2 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 481)

المخترعة أصلا، وهذا أثبتناه بالاستقراء لكتب العقيدة المسندة وعقيدة أهل الحديث وعقيدة الحنابلة[1].

والجواب نعم قسموه إلى توحيده في ذاته وصفاته وأفعاله، ولكن هذا كله نابع من لا إله إلا الله، ولم يقولوا مثلا إن توحيده في ذاته يعبر عنه بالشهادة، وأما توحيده في صفاته وأفعاله فله عبارات أخرى تعبر عنه، ثم هم يكفّرون أو يضللون من لم يقسمه إلى تلك الأقسام!

ثالثا: أما قولكم بأن آية الأنبياء {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} ونحوها غاية ما فيها أنها بيّنت نوعا من أنواع التوحيد، والآيات الأخرى بينت النوعين الآخرين للتوحيد. فجوابه أن هذا لا يدفع الاعتراض السابق وهو أن آية الأنبياء هذه دلّت على أن التوحيد الوحيد الذي جاء به الأنبياء هو شهادة أن لا إله إلا الله الذي تسمونه توحيد الألوهية، وهذا قرّره ابن تيمية كما رأينا.

فلو كان التوحيد ثلاثة أقسام لكان الأنبياء عليهم السلام لا يعرفون من التوحيد سوى ثلثه وهو توحيد الألوهية! ولو كان القرآن تضمن ثلاثة أقسام للتوحيد لكان أولى من يعرف ذلك ويبلغه هو رسول الله، وكذا سائر الرسل، ولكنّ فكرة أن الرسول عَلِم وبَلّغ أن التوحيد ثلاثة أقسام ـ باطلة؛ لأن رسول الله أخبر في أحاديث كثيرة جدا أن التوحيد هو شيء واحد وهو شهادة أن لا إله إلا الله كما سيأتي بعد قليل، فبطل المقدَّم وهو أن القرآن تضمن ثلاثة أقسام للتوحيد، إلا أن تقولوا إن هذه الأقسام الثلاثة للتوحيد التي جاءت في القرآن هي متضمَّنة ومندرجة في شهادة أن لا إله إلا الله، ولكن هذا يُبطل حينئذ تقسيمكم الثلاثي للتوحيد الذي جعلتم أحد أقسامه توحيد الألوهية وهو لا إله إلا الله، وجعلتم القسمين الآخرين قسيمين له، أي جعلتم توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات شيئين مغايرين لشهادة أن لا إله إلا الله! وهذا غير صحيح، وإنما الصحيح أن شهادة أن لا إله إلا الله هي مَجمع كل أقسام التوحيد وأنواعه وحقائقه ومعانيه كما سيأتي بسطه.

---

1 انظر: ص (406)

ألم يقرّ ابن تيمية نفسه ـ وكذا أتباعه على المشهور عندهم[1] ـ بأن "توحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية، فإنه من لم يعبد إلا الله يندرج في ذلك أنّه لم يقرّ بربوبية غيره"[2]، وأن "التوحيد الذي جاء به الرسول لم يتضمن شيئا من هذا النفي[3]، وإنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ولا يعبد إلا إياه..وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات"[4]. وهذا حاصله أن "توحيد الألوهية كالكل، وإن توحيدي الربوبية والصفات كالجزئين له"[5].

وهذا معناه أن توحيد الألوهية يتضمن توحيدي الربوبية والأسماء والصفات، فليكن إذًا التوحيد شيئا واحدا هو فقط شهادة أن لا إله إلا الله الذي يُعبِّر عن توحيد الألوهية عندكم، وعندها لا حاجة لأن تقولوا بأن ثمة قسمين آخرين للتوحيد هما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وأنهما قسيمان لتوحيد الألوهية، إذ هذا لا يصح أصلا ما دمتم أقررتم بأنهما داخلان في توحيد الألوهية، وهذا الأخير يتضمنهما، فكيف يكون الشيء قسما من شيء آخر وفي الوقت نفسه قسيمه؟!

خصوصا أنّ من قسّم التوحيدَ تقسيما رباعيا فزاد على الثلاثة قسما رابعا وهو توحيد الحاكمية رددتم عليه بالقول إنّ "هذا مردود"[6] لأن "هذا القسم الذي زادوه هو قسم من توحيد الألوهية، وليس قسيما له، ويجوز اعتباره من توحيد الربوبية من ناحية أن التشريع من

1 انظر: ص (312، و 419، 449)

2 بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية(4/ 533)، ط1/ مجمع الملك فهد 1426هـ.

3 يقصد نفي الصفات المتشابهة كاليد والوجه ونحو ذلك.

4 درء تعارض العقل والنقل(1/ 316)، وانظر الصفدية (2/ 228)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 976).

5 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3/ 204، ابن قيصر الأفغاني، ط1998/2.

6 شرح كتاب التوحيد للحازمي (3/ 3، ت.ش)

اختصاص الرب سبحانه وتعالى"[1]. وبالتالي يبطل تقسيمكم الثلاثي للتوحيد، ويؤول إلى أنه قسم واحد لنفس السبب الذي أبطلتم به زيادة توحيد الحاكمية، وهو أن كلا من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات متضمَّن في توحيد الألوهية.

قالوا: لا داعي لزيادة توحيد الحاكمية لأنّ "إثبات الحكم لله عز وجل لا يختلف فيه اثنان هذا، ما من مسلم إلا ويعتقد أنه لا يُحَكَّم إلا الله عز وجل، والتحاكم إنما يكون للشرع"[2]. **قلنا:** وكذلك نقول: ما من مسلم إلا ويعتقد أنه لا إله إلا الله ولا يجوز أن يُعبد سواه، فلا حاجة إذًا إلى إفراد توحيد الألوهية بالذكر. **فإن قلتم:** هذا غير مسلّم لأننا نرى كثيرا ممن يشهدون أن لا إله إلا الله يعبدون غيره. **قلنا:** وكذلك نرى كثيرا ممّن يشهد أن لا إله إلا الله يتحاكمون إلى القوانين الوضعية ويَحكم بها أيضا. وما كان جوابكم فهو جوابنا.

(تقسم التوحيد غلط قطعي وليس اجتهاديا)

والحاصل أن شهادة أن لا إله إلا الله شاملة لأقسام التوحيد الثلاثة؛ فمن جاء بها فقد وحّد الله في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، إذ هي تعني أن لا إله ولا معبود بحق ولا خالق ولا رب إلا الله المتصف بصفات الكمال والمنزّه عن صفات النقص، و**بالتالي توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هما قسمان من أقسام توحيد الألوهية**، وليس توحيد الألوهية قسيما لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كما هو نظرية تقسيم التوحيد!

ومثال ذلك الصلاة فهي ("مجموع الأقوال والأفعال المفتتحة بتكبيرة الإحرام والمختتمة بالتسليم"، فلا تسمى الصلاة صلاة في الشريعة إلا بهذا المعنى كاملا، فلو أن إنسانا قال: الصلاة شرعا تنقسم الى أقسام: القسم الاول: صلاة السجود. الثاني: صلاة الركوع. الثالث:صلاة التشهد. الرابع: صلاة قراءة الفاتحة. وهكذا، فلا شك أن هذا الكلام باطل

---

1 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (2/ 140)

2 شرح كتاب التوحيد للحازمي (3/ 3، ت.ش)

شرعا لأنه **لا يصح تسميتها صلاة شرعية إلا بتلازم جميع هذه الأقوال والأفعال** وليس كل عمل منها يسمى صلاة وحده.

وهكذا نقول في مسألة التوحيد فإن التوحيد شرعا هو: اعتقاد وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله مع إفراده بالعبادة وحده لا شريك له. تلك هي حقيقة التوحيد شرعا، ولا يمكن أن تتجزأ، ولو تجزأت فلا يمكن أن تحقق معنى التوحيد شرعا، **فليس هناك شيء يسمى توحيد ربوبية، أو توحيد الهية، أوتوحيد أسماء وصفات** بل لا تسمى بالتوحيد إلا بتلازمها جميعا تلازما غير منفك، **فإذا تلازمت صح بعد ذلك أن تسمى التوحيد، وإن نقص أي شيء منها زال التوحيد**..مثال: لو أن إنسانا قال: الله خالق كل شيء إلا الشمس فخالقها هو الإنسان، فإنه سيكون بهذا الاعتقاد غير موحّد بل هو كافر خارج من الاسلام، وليس عنده أي توحيد حتى ولو كان في العبادة لا يعبد غير الله تعالى، ويفرده بجميع الصفات والأسماء الحسنى والأفعال..**فإذن التوحيد لا يقبل التقسيم أصلا**، فهذا التقسيم غلط قطعي وليس اجتهاديا وهذا يدل على الجهل بعلم العقيدة")[1].

وقد رأينا أن بعض الوهابية أنفسهم قد أقرّ بتلازم هذه الأقسام للتوحيد وتداخلها، حيث قال: "**الأنواع الثلاثة كلها متلازمة يعني داخل بعضها في بعضٍ**، ولا يمكن أن يتصور أنه يوجد نوعٌ دون الآخر..**فهي متلازمة من حيث الوجود، ومتلازمة من حيث الانتفاء**"2.

---

1 أغلاط من قسم التوحيد ص2، وابل بن عبد الله الشاذلي.

2 شرح كتاب التوحيد لأحمد الحازمي، وهو عبارة عن دروس مفرغة له. انظر النص أعلاه على الرابط:

https://al-maktaba.org/book/31683/1292

1) روى الشيخان من حديث ابن عمر مرفوعا: ‘‘أمرت أن أقاتل الناس **حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**..فإذا فعلوا ذلك **عصموا مني دماءهم وأموالهم**"[1]. وهذا حديث متواتر كما قال السيوطي[2]. **وقد دل على أن "التوحيد أول الدين وآخره،** فأول ما دعا إليه الرسول ﷺ **شهادة أن لا إله إلا الله**"3.

2) وروى الشيخان حديث "بَعث معاذا ﷺ إلى اليمن فقال: **ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**.."[4].

3) وروى الشيخان من حديث عتبان مرفوعا: "فإن الله قد **حرم على النار** من قال **لا إله إلا الله** يبتغي بذلك وجه الله"[5].

4) ومن حديث أنس عند الشيخين مرفوعا ‘‘**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا رسول الله صدقا من قلبه، إلا **حرمه الله على النار**، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: إذًا يتكلوا"[6]. **قال العيني**: المراد تحريم جملته لأن النار لا تأكل مواضع السجود من المسلم، وكذا **لسانه الناطق بالتوحيد**[7].

---

1 صحيح البخاري بتحقيق د.البغا (1/ 17)، صحيح مسلم (1/ 53).

2 قال الامام الحافظ السيوطي في الجامع الصغير (برقم 1630) بعد أن ذكر هذا الحديث : "وهو متواتر" وزاد المناوي في شرحه فقال : " وهو متواتر لأنه رواه خمسة عشر صحابيا. وفي نظم المتناثر من الحديث المتواتر للعلامة المحدث الكتاني ما نصه : "وفي شرح الإحياء – للمحدث الزبيدي – رواه ستة عشر من الصحابة كما قاله العراقي".

3 مجموع الفتاوى (8/ 34)

4 صحيح البخاري (2/ 505)، صحيح مسلم (1/ 50)

5 صحيح البخاري (1/ 164)، صحيح مسلم (1/ 455)

6صحيح البخاري (1/ 59)، صحيح مسلم (1/ 61)

7 عمدة القاري شرح صحيح البخاري (2/ 313)

5) وروى الشيخان: يا أسامة **أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**"[1]، قال **الخطابي**: فيه من الفقه أن **الكافر إذا تكلم بالشهادة وإن لم يصف الإيمان وجب الكفّ عنه،** والوقوف عن قتله سواء كان بعد القدرة عليه أو قبلها[2].

6) وعند الشيخين عن أبي ذر رضي الله مرفوعا:"ما مِن عبدٍ قال **لا إله إلا الله،** ثم مات على ذلك، **إلا دخل الجنة** "..وإن زنى وإن سرق ". **أي** "من مات على **التوحيد دخل الجنة** وإن ارتكب الذنوب، ولا يخلد في النار"[3]. "والظاهر أن الذي مات على **التوحيد** موعود بهذا الحديث **بدخول الجنة** ابتداءً[4].

7) وعند الشيخين: "من شهد أن **لا إله إلا الله** وحده لا شريك له, وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله, وأن عيسى عبد الله ورسوله..**أدخله الله الجنة** على ما كان من العمل"[5]. "أي من صلاح أو فساد؛ لأن **أهل التوحيد** لا بد لهم من دخول الجنة"[6]."فهذا الحديث فيه بيان **فضل التوحيد** على أهله"[7].

8) وفي حديث الشيخين "**بُني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا رسول الله وإقام الصلاة.."[8].

---

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (6/ 2519)، صحيح مسلم – عبد الباقي (1/ 96)

2 معالم السنن (2/ 270)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 37/1

3 عمدة القاري (22/ 12)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (3/ 72)

4مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 94)

5 صحيح البخاري (3/ 1267)، صحيح مسلم (1/ 57)

6 فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: 44)، نقلا عن الحافظ في فتح الباري (6/ 475)

7 التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: 26)

8 صحيح البخاري بتحقيق البغا (1/ 12)، صحيح مسلم (1/ 45)

9) وفي حديث البخاري عن البراء بن عازب: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: المسلم **إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله.** فذلك قوله {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة} [1].

10) وعند مسلم عن عثمان مرفوعا: "من مات وهو يعلم أنه، **لا إله إلا الله،** دخل الجنة"[2].

11) وعند مسلم: فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال **لا إله إلا الله.** قال: ليس ذاك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي، **لأخرجن من قال: لا إله إلا الله**[3]. أي "ليس إخراج من ليس معه إلا **كلمة التوحيد** إليك وإنما الذي يفعل ذلك أنا تعظيمًا لاسمي وإجلالًا **لتوحيدي**"[4].

12) ولمسلم عن عبادة بن الصامت مرفوعًا: "من **شهد أن لا إله إلا الله** وأن محمدًا عبده ورسوله، **حرّم الله عليه النار**"[5].

13) وفي حديث مسلم مرفوعا "أشهد أن **لا إله إلا الله** وأني رسول الله، **لا يلقى الله بهما** عبد غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة"[6]. **قال القرطبي**: وقوله: لا يلقى الله بهما..يعني: **كلمتي التوحيد** المتقدمتين[7].

---

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (4/ 1735)، وأخرجه مسلم بلفظ "نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي مُحَمَّد ﷺ، فذلك قوله عز وجل: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت..} انظر صحيح مسلم (4/ 2201).

2 صحيح مسلم (1/ 55)

3 صحيح مسلم (1/ 183)

4 الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (5/ 61)

5 صحيح مسلم (1/ 57)

6 صحيح مسلم (1/ 56)

7 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 198)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (2/ 252)

14) (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) رواه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا[1].

15) وفي حديث مسلم، "يا مُحَمَّد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة..»[2]

16) وفي حديث مسلم:..فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار، فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر..**ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله**. فقال رسول الله ﷺ: «**خرجت من النار**»[3].

17) وروى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا: (**أشهد أن لا إله إلا الله**، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)[4]. **قال الحفيدان** معلِّقَين على هذا الحديث: **فإن حقيقة التوحيد** انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة[5].

18) وفي حديث مسلم: (من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن **لا إله إلا الله** مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة)[6]. **قال الأفغاني**: فهذا الحديث صريح في اشتراط اليقين، وهو يقيّد تلك الأحاديث المطلقة الواردة في فضل كلمة **التوحيد**[7].

19) وفي صحيح مسلم, أن النبي ﷺ سمع مؤذنا يقول: "**أشهد أن لا إله إلا الله**". فقال ﷺ: **خرجت من النار**[1].

---

1 صحيح البخاري (5/ 2402)

2 صحيح مسلم (1/ 37)

3صحيح مسلم (1/ 288)

4 صحيح مسلم (1/ 55)

5 فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: 46)، تيسير العزيز الحميد (ص: 194)

6 صحيح مسلم (1/ 60)

7جهود علماء الحنفية (1/ 169)

20) روى الشيخان من حديث ابن عباس في حديث عبد القيس، وفيه: قال: ‘‘آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: **الإيمان بالله**"، ثم فسّرها لهم، فقال: «**شهادة أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة[2].

21) وفي حديث مسلم: «**الإيمان** بضع وسبعون..شعبة، فأفضلها **قول لا إله إلا الله**..»[3]

22) وفي حديث أسامة: **فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته**..فقال رسول الله ﷺ: «**أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**"قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه** حتى تعلم أقالها أم لا؟»[4].

23) وروى الشيخان في حديث أبي طالب لما حضرته الوفاة، وفيه: يا عم، قل: **لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله** "[5].

24) روى مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله»[6]. **قال النووي**: معناه من حضره الموت، والمراد ذكّروه لا إله إلا الله، لتكون آخر كلامه كما في الحديث: **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**[7]. وقال **القرطبي**: وتلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، **وذلك ليكون آخر كلامه: لا إله إلا الله، فيختم له بالسعادة**[8].

---

1 صحيح مسلم (1/ 288)

2 صحيح البخاري بتحقيق البغا (1/ 195)، صحيح مسلم (1/ 46)

3صحيح مسلم (1/ 63)

4 صحيح البخاري بتحقيق البغا (4/ 1555) صحيح مسلم (1/ 96)

5 صحيح البخاري بتحقيق البغا (1/ 457)، صحيح مسلم (1/ 54)

6صحيح مسلم (2/ 631)

7شرح النووي على مسلم (6/ 219)

8 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (2/ 569)

25) وفي حديث أنس مرفوعا: **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله** وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة. رواه الشيخان[1].

26) وفي حديث جابر "ويشفعون حتى **يخرج من النار** من قال: **لا إله إلا الله** وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة" رواه مسلم[2].

وهكذا نرى أن النبي ﷺ بيّن بشكل واضح في هذه الأحاديث الكثيرة **أن التوحيد الذي جاء به، وقاتل عليه،** وبه عصمة الدم في الدنيا، وبه النجاة في الآخرة، **وبه يدخل إلى الإسلام والإيمان، هو شهادة أن لا إله إلا الله،** ولم يَذكر لأصحابه فيها ولا في غيرها ولو في حديث واحد أن التوحيد ثلاثة أقسام أحدها شهادة أن لا إله إلا الله كما يقول ابن تيمية، بل هذا خلاف الأحاديث السابقة وغيرها ممّا لا يعدّ ولا يحصى!

وإلا "فهل سمعتم أيها المسلمون في الأحاديث والسير أن **رسول الله** ﷺ **إذا قدمتْ عليه أجلافُ العرب ليسْلموا على يده يفصّل لهم توحيدَ الربوبية والألوهية** ويخبرهم أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في دين الإسلام، أو يكتفي منهم بمجرد الشهادتين وظاهر اللفظ ويحكم بإسلامهم"[3]. "**وما كان رسول الله يقول لأحد دخل في الإسلام: إن هناك توحيدين أو ثلاثة،** بل لا تكون مسلما **حتى توحّد توحيدا ثانيا هو توحيد الألوهية،** ولا أشار إلى ذلك بنص واحد أو كلمة واحدة ولا سمع ذلك عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم"[4].

1صحيح البخاري بتحقيق البغا (6/ 2695)، صحيح مسلم (1/ 182)

2 صحيح مسلم (1/ 177)، وانظر مختصر صحيح مسلم للمنذري ت الألباني (1/ 32)

3 مصباح الأنام للحداد ص17.

4 المناقشة العلمية لنظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية ص260، هشام آل قطيط الزبيدي، دار المحجة البيضاء، 2016م.

فيكون هذا التقسيم باطلا لأنه يلزم منه أن النبي بيّن من التوحيد قسما واحدا من ثلاثة أقسام وأهمل قسمين..!! وهذا باطل بل "كان النبي ﷺ يحقّق التوحيد ويعلّمه أمته"[1]، وقد قال **مالك**: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه **علّم أمته الاستنجاء، ولم يعلّمهم التوحيد، والتوحيد** ما قاله النبي ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا **لا إله إلا الله**"[2].

ويقول ابن تيمية أيضا: "ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين – وإن دقّت – أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف..فكيف يتوهم مَن في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة ألّا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟!"[3]. وإذا كان من المحال على الرسول "أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم"؛ فكيف ترك تعليمهم أن التوحيد ثلاثة أقسام، وإنما اكتفى ببيان قسم واحد؛ وهو شهادة أن لا إله إلا الله المسمّى عندكم بتوحيد الألوهية، وأهمل القسمين الآخرين؟! أي أن هذا الباب لم يقع "من الرسول على غاية التمام"، وهو ما لا يقوله "من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة" كما قرر ذلك ابن تيمية نفسه.

المرصد الثالث: إجماع العلماء

فقد أجمع العلماء ـ وفيهم ابن تيمية كما سنرى ـ على أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن بها الإسلام والإيمان، بل نصّوا على أن هذه الشهادة أكملُ التوحيد وأحسنُه وأجمعه، وأن هذا هو التوحيد الذي دعا إليه رسول الله، وأن هذه الكلمة هي رأس الإيمان والإسلام وأُسّ التقوى وعين الحق وأجلُّ الخير، وهي الحسنى وأفضل الحسنات، وأن بها

---

1 مجموع الفتاوى (3/ 397)

2 سير أعلام النبلاء (10/ 26)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 560)

3 مجموع الفتاوى (5/ 7)

عصمة الدم في الدنيا، وبها النجاة يوم القيامة من الخلود في النيران. وإليكم نصوصهم في ذلك، **وهي على ثلاثة أقسام:**

1) نصوص العلماء على أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله.
2) نصوص العلماء على أن الدخول في الإسلام في الدنيا هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن بها تكون عصمة الدم.
3) نصوص العلماء على أن النجاة في الآخرة تكون بشهادة أن لا إله إلا الله.

وإليكم تفصيل ذلك كله بحول الله.

أولا: نصوص العلماء على أن التوحيد والإيمان والإسلام يكون بشهادة لا إله إلا الله

نصّ العلماء سلفا وخلفا على أن التوحيد وكذا الإيمان والإسلام لا يكون إلا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ من مات عليها مات على الإسلام، وأنّ دعوة الرسل كانت إليها، وأن من لا يشهد بذلك فهو كافر، وهذه طائفة من تلك النصوص:

1) أخرج سعيد بن منصور وغيره عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: اِحضَروا موتاكم ولقنوهم "**لا إله إلا الله**"، فإنهم يرون ويقال لهم. وفي رواية: لقنوا موتاكم "**لا إله إلا الله**"واعقِلوا ما تسمعون من المطيعين منكم، فإنه يُجلّى لهم أمورٌ صادقة[1].
2) أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن علي بن أبي طالب ﷺ في قوله "له دعوة الحق" قال: التوحيد لا إله إلا الله[2].
3) وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن ابن مسعود: قوله: وكذّب **بالحسنى**، قال: **لا إله إلا الله**[3].

1الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (14/ 232)، «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» (ص85)، «موسوعة التفسير المأثور» (21/ 295)

2 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (8/ 412)

3الدر المنثور (15/ 470)

4) وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس في قوله والذي جاء **بالصدق، يعني بلا إله إلا الله**[1].

5) وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: **فأوثق إيمان** أهل السماء وأهل الأرض **وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله**[2].

6) وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله: **هل لك إلى أن تزكى** قال: إلى أن **تقول لا إله إلا الله**[3]. وعن عكرمة مثله[4].

7) أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس "إن تكفروا فإن الله غني عنكم'' يعني **الكفار الذين لم يُرد الله أن يطهر قلوبهم فيقولون لا إله إلا الله**.."إن عبادي ليس لك عليهم سلطان": **فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحبَّبها إليهم**[5].

8) وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: "فامتحنوهن": **كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله، فإذا علموا أن ذلك حق منهن لم يرجعوهن إلى الكفار..[6]

9) وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن **الحسن** "وأنه لما قام عبد الله يدعوه''قال: لما قام رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: **لا إله إلا الله** ويدعو الناس إلى ربهم: كادت العرب تلبّدُ عليه جميعا[7].

1الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (12/ 659) وذكر بأنه أخرجه أيضا ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

2 الدر المنثور (13/ 469)

3الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (15/ 230)

4الدر المنثور للسيوطي (15/ 230)

5الدر المنثور (12/ 634)

6الدر المنثور (14/ 417)

7الدر المنثور (15/ 29)

10) وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن **قتادة** في قوله: ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم قال: **أقرّوا بلا إله إلا الله** وأن مُحَمَّد رسول الله **وقلوبهم تأبى ذلك**[1].

11) وأخرج الفريابي وعبد بن حميد عن **مجاهد** قل **إنما أعظكم بواحدة قال: بلا إله إلا الله**[2].

12) أخرج عبد بن حميد وغيره عن **قتادة** في قوله "**ألا لله الدين الخالص" قال: شهادة أن لا إله إلا الله**..[3]

13) وأخرج ابن جرير وغيره عن **طاوس** "يثبت الله الذين أمنوا **بالقول الثابت في الحياة الدنيا**" قال: **لا إله إلا الله**[4].

14) وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم، قال: «**إذا أشار الرجل بإصبعه في الصلاة** فهو حسن **وهو التوحيد**..ولكن لا يشير بإصبعيه فإنه يكره» 5

15) وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم، في السبي يسبى من أرض العدو قال: «**إذا أقرّ بالتوحيد وبالشهادتين صُلّي عليه**»[6]

16) **مالك**: حيث **سئل مالك عن الكلام في التوحيد**، فقال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه **علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد** ما قاله النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا **لا إله إلا الله، فما عصم به الدم** والمال

1الدر المنثور (14/ 497)

2الدر المنثور (12/ 229)

3الدر المنثور (12/ 630)

4الدر المنثور (8/ 531)

5 مصنف ابن أبي شيبة تحقيق عوامة (15/ 336)

6مصنف ابن أبي شيبة تحقيق عوامة (7/ 386)

حقيقة التوحيد[1].اهـ و"بهذا يتبيّن لنا **التوحيد الشرعي لدى الإمام مالك** رحمه الله: هو الإقرار بشهادة **أن لا إله إلا الله**"[2].

17) **ابن القاسم**: "وابن القاسم في هذا كمالك رحمه الله فقد روى عن مالك أنه سأله: **كيف الإسلام** الذي إذا أجابت إليه الجارية حلّ وطؤها والصلاة عليها؟ قال: **قال مالك: إذا شهدت أن لا إله إلا الله**.."[3]. وروى سحنون عن ابن القاسم أن صبيان أهل الشرك "لا يُصلى عليهم حتى **يجيبوا إلى الإسلام**"[4]..قال ابن رشد: وهو مذهب سحنون[5]، فتبين معنى الإجابة عندهم وهو **الإقرار بالشهادة** وبها يحكم بالدخول في الإسلام، **وهو معنى التوحيد الشرعي**.

18) **وكذا أسد بن الفرات** فقد قال ردّا على المريسي حين بلغه أنه ألّف كتاب التوحيد: **أَوَجهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتابا؟! هذه نبوة ادّعاها**[6]. "فهذا يبيّن أن أسدا رحمه الله أراد التوحيد الشرعي **إذ إن الناس لا يجهلون الشهادتين**"[7]

19) وقال الشافعي: ولولا ذلك ما شك عمر في قتالهم ولقال أبو بكر قد **تركوا لا إله إلا الله فصاروا مشركين**[8].

---

1 سير أعلام النبلاء (10/ 26)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 560)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 720)

2 جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص37، وانظر جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 31/1

3 المدونة 1/ 179، وجهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص37

4 المدونة 1/ 179

5 البيان والتحصيل3/ 214

6 رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبي بكر عبدالله بن مُحَمَّد المالكي 1/ 264، دار الغرب الإسلامي.

7 جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص42

8 الأم للشافعي، ت. رفعت فوزي (5/ 516)

20) **وقال الطرطوشي**: اعلموا..**أن لا إله إلا الله هي العروة الوثقى ومركب النجاة**..وهي قطب الإسلام وقاعدة الأديان..**فمفتاح الدخول في الإسلام لا إله إلا الله**[1]. "فذكر أن كلمة **التوحيد هي لا إله إلا الله** وأنها مفتاح الدخول في الإسلام ولا يصح التوحيد إلا بها **مما يجلي المعنى الشرعي للتوحيد**"[2]

21) **قال المازري**: قوله ﷺ : "لَقّنوا موْتاكُمْ: **لا إله إلا الله**". يحتمل أن يكون أمر عليه السلام بذلك لأنه موضع يتعرض الشيطان فيه لإفساد اعتقاد الإنسان، **فيحتاج إلى مذكِّر ومنبِّه له على التوحيد**. ويحتمل أن يريد ﷺ ليكون ذلك آخر كلامه فيحصل له ما وعد به عليه السلام في الحديث الآخر: "أنّ من كان آخر كلامه: **لا إله الا الله، دخل الجنة**".[3]

22) **قال المهلب: إنما يحقن الدم بالأذان؛ لأن فيه الشهادة بالتوحيد لله** والإقرار بالرسول[4]، وفي حديث: "حتى قال أبو طالب، آخر ما كلمهم: هو على ملّة عبد المطلب، **وأبى أن يقول: لا إله إلا الله''، وقال المهلب**: إنما تنفع كلمة **التوحيد** لمن قالها قبل المعاينة للملائكة التي تقبض الأرواح [5].

23) **قال أبو بكر ابن العربي**: "أفضل ما قلته أنا والنبيّون من قبلي **لا إله إلا الله**''الحديث. أفضل الذكر لأنها كلمات **حوت جميع علوم التوحيد**[6].

24) **قال أبو العباس القرطبي في حديث وفد عبد القيس**[1]: إن أول الأربع المأمور بها: هو إقام الصلاة، **وذَكر كلمة التوحيد**؛ تبركا بها، وتشريفا لها..وقيل: إنما

---

1 الدعاء المأثور للطرطوشي ص 185، و187، ط1 دار الفكر المعاصر بيروت.

2 جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص42

3 المعلم بفوائد مسلم (1/ 483)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص47

4 شرح صحيح البخاري لابن بطال (2/ 239)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص46

5 شرح صحيح البخاري لابن بطال (3/ 344)

6 القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: 232)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص49

قصد إلى ذكر الأركان الأربعة التي هي: **التوحيد**، والصلاة، والصوم، والزكاة، ثم ظهر له أنهم أهل غزو وجهاد، فبين لهم وجوب أداء الخمس[2].

25) **وقال ابن جزي**: المقصود الأعظم من هذه الآية: **الأمر بتوحيد الله** وترك ما عبد من دونه..**وذلك هو الذين يترجم عنه بقولنا: لا إله إلّا الله**، فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي **قاعدته التوحيد، وقول لا إله إلّا الله**[3].

26) **وقال القاضي عياض** عند حديث "الإيمان بضع وسبعون فأفضلها قول: **لا إله إلا الله**": وقد نبّه – عليه السلام – **على أفضلها بالتوحيد المُتَعَيّن على كل مسلم**، والذي لا يصحّ شيء من هذه الشعب إلا بعد صحته[4].

27) **وقال البغوي**: وأراد بشهادة الحق قوله **لا إله إلا الله كلمة التوحيد**[5]. **وقال: الكافر** إذا كان وثنيا أو ثنويا لا يقرّ بالوحدانية فإذا **قال "لا إله إلا الله" حُكم بإسلامه**[6].

28) **وقال الشهرستاني**: ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة **التوحيد** ونفي الشريك أمرت أن أقاتل الناس حتى **يقولوا لا إله إلا الله**، ولهذا جعل محلّ النزاع بين الرسل وبين الخلق في **التوحيد**[7].

---

1 ونصه في صحيح مسلم (1/ 47): فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، قال: «أمرهم بالإيمان بالله وحده»، وقال: «هل تدرون ما الإيمان بالله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسا من المغنم»..

2 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 175)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص 52

3 التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 75)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص54

4 إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 272)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص50

5 تفسير البغوي (7/ 224)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 39/1

6 فتح الباري لابن حجر (12/ 279)

7 جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 40/1

29) **وقال ابن الأنباري** (ت 577هـ) "إنما تواردت الملل والشرائع بمعرفة **التوحيد** لا بمعرفة وجود الصانع "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا **لا إله إلا الله**"[1].

30) **وقال عثمان الدارمي ''وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له** "2.

31) **وقوام الدين الأصفهاني،** حيث قال: وقد تواترت الأخبار **أن النبي كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين،** قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: ' ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله[3]. وقال: **'**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**'**[4].

32) **وقال الفخر الرازي: أجمع العقلاء على أن قولنا: «لا إله إلا الله"يوجب التوحيد المحض**[5]. وقال: **أما إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله** فإنه **يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام**[6].

33) **الآجري:** أن الله تعالى بعث **مُحَمَّدا** ﷺ إلى الناس كافة ليُقرّوا **بتوحيده،** فيقولوا: **لا إله إلا الله مُحَمَّد** رسول الله[7].

34) **وقال الغزالي:** ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله[8]. وقال: **ولا إله الا الله كلمة تدل على التوحيد**[1]. **وقال:**

---

1 الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري ص200، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 40/1

2 نقض الدارمي على المريسي(1/ 152)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 32/1

3 الحجة في بيان المحجة (2/ 121)

4 جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 38/1

5 مفاتيح الغيب (1/ 163)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 41/1

[6] مفاتيح الغيب (1/ 170)

7 الشريعة للآجري (1/ 550)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 36/1

8 إحياء علوم الدين مع شرحه إتحاف السادة المتقين (2/ 90)

وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله **هي الكحل** الذي به يحصل أنوار الإبصار والأنبياء هم الكحالون وقد جاؤوا داعين إلى **التوحيد المحض وترجمته قول لا إله الا الله** ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق[2]. وقال:..**وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له**[3].

35) **ابن سريج**[4]: حيث سئل: **ما التوحيد؟ قال: توحيد** أهل العلم وجماعة المسلمين: **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّداً رسول الله،** وتوحيد أهل الباطل من المسلمين الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي بإنكار ذلك[5].

36) **الجويني**: فإن لم يدركني الحق بلطيف برّه، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على **كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله،** فالويل لابن الجويني[6].

37) **الذهبي**: يورد الذهبي قول السلمي: **وأبرأ إليك مما وحّدك به الموحّدون**[7]. ثم يتعقبه الذهبي قائلا: قلت: هذا عين الزندقة، فإنه تبرأ مما وحد الله به **الموحّدون الذين هم الصحابة والتابعون،** وسائر الأمة، **فهل وحّدوه تعالى إلا بكلمة**

---

1 إحياء علوم الدين مع شرحه إتحاف السادة المتقين (9/ 50)

2 إحياء علوم الدين مع شرحه إتحاف السادة المتقين (9/ 58)

[3] إحياء علوم الدين مع شرحه إتحاف السادة المتقين (9/ 390)

4 وهو ممن يرتضيهم ابن تيمية ، جاء في الفتوى الحموية الكبرى (ص: 252): وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلاً منه، مثل: كتاب «السنن» للالكائي.. ثم يسرد عددا من الكتب إلى أن يقول: وقبل ذلك «السنة» للخلال، و «التوحيد» لابن خزيمة، وكلام أبي العباس بن سريج.اهـ

5 الحجة في بيان المحجة (1/ 81)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 34/1

6 سير أعلام النبلاء (18/ 471)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 38/1، ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف ص291، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص76. وذكر القصة ابن تيمية في مجموع الفتاوى (4/ 73) بلفظ: إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وهأنذا أموت على عقيدة أمي أو قال: عقيدة عجائز نيسابور.اهـ

7 سير أعلام النبلاء (14/ 342)

الإخلاص التي قال رسول الله ﷺ: ''من قالها من قلبه **فقد حرم ماله ودمه**''، وهي: **شهادة أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا رسول الله.[1]

38) **ابن كثير**: فقال تعالى ''**الله لا إله إلا هو** وعلى الله فليتوكل المؤمنون''، فالأول خبر عن **التوحيد؛** ومعناه معنى الطلب أي **وحّدوا الإلهية له،** وأخلصوها لديه، وتوكلوا عليه[2].

39) **وقال ابن حجر العسقلاني**: وإنما عرض النبي ﷺ عليه أن يقول **لا إله إلا الله** ولم يقل فيها مُحَمَّد رسول الله لأن الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله، **ولكن لا يقرّ بتوحيد الله**[3]. **وقال**: المراد **بتوحيد** الله تعالى **الشهادة بأنه إله واحد**[4]. وقال: لأن المراد بالتوبة في الآية الرجوع عن الكفر إلى **التوحيد** ففسره قوله ﷺ: حتى يشهدوا **أن لا إله إلا الله** وأن مُحَمَّدا رسول الله[5].

40) **البهوتي،** حيث قال: ومن ثم كان لا إله إلا الله **توحيدا،** أي لا معبود بحقّ إلا ذلك الواحد الحق[6]. وقال: ولخبر ابن السني «من ولد له مولود **فأذن** في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان'' أي التابعة من الجن، **وليكون التوحيد أول شيء يقرع سمعه** حين خروجه إلى الدنيا[7].

---

1 جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 43/1

2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير (14/ 21)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 44/1

3 فتح الباري لابن حجر (7/ 196)

4 فتح الباري لابن حجر (13/ 348)

5 فتح الباري لابن حجر (1/ 75)

6 كشاف القناع عن متن الإقناع (1/ 11)

7 كشاف القناع عن متن الإقناع (1/ 234)

41) **المرداوي، حيث قال:** ولأنه لو كان وصفاً لم يكن قول: **(لا إله إلا الله) توحيداً**[1].

42) **الزركشي الحنبلي:** ومفهوم كلام الخرقي: أنه لا يكتفى بأشهد أن مُحَمَّدا رسول **الله عن كلمة التوحيد**[2].

43) **وقال الزركشي الحنبلي أيضا:** قال علماء التفسير: من شهد بالحق وهو **توحيد** الله، وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان، وجوزوا في الاستثناء الانقطاع، على معنى: لكن من شهد بالحق[3].

44) **ابن النجار الفتوحي:** واستدل لقول الجمهور باللغة وأن قول **القائل "لا إله إلا الله" توحيد**[4].

45) **قال ابن هبيرة:** عند حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله **رب العرش العظيم** لا إله إلا الله..):..ثم أتبعها (بالتعظيم)، **وكان هذا النطق تاليًا لما تقدم من التوحيد، مشعرًا كل سامع بالعظمة..فلما ذكر التوحيد** والعظمة والحلم والعرش العظيم نزل إلى ذِكر السموات والأرض، **فأقر بأنه خالقهما**[5].

46) **وقال ابن هبيرة أيضا:** (خرجت من النار)، قد جاء فيما تقدم **أن الشهادة لله بالتوحيد** من ضرورتها الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة والنبوة[6]. **وقال عند حديث**

1التحبير شرح التحرير (1/ 58)

[2]شرح الزركشي على مختصر الخرقي (6/ 266)

3شرح الزركشي على مختصر الخرقي (7/ 319)

4شرح الكوكب المنير (3/ 328)

5الإفصاح عن معاني الصحاح (3/ 85)

6الإفصاح عن معاني الصحاح (5/ 361)، الحديث بتمامه عن أنس، قال: (كان رسول الله – ﷺ – يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانًا أمسك، وإلا أغار، فسمع رجلًا يقول: الله أكبر، الله أكبر. فقال رسول الله

(من حلف منكم باللات والعزى، فليقل: **لا إله إلا الله**..)..لما حلف بيمين تتضمن إثبات آلهة **كانت كفارته** نفي ما حلف به، **وإثبات التوحيد لله** عز وجل[1].

47) **وقال ابن مفلح في الأذان:..وختم (بلا إله إلا الله) ليختم بالتوحيد** وباسم الله تعالى كما بدأ به، وشرعت المرة إشارة إلى **وحدانية المعبود** سبحانه[2].

48) **ابن قدامة:** حيث قال:..**لا إله إلا الله توحيدا** لله تعالى، وبراءة من الشرك[3].

49) **ملا علي القاري،** حيث قال: ويتيقن (أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله) ؛ أي: **يؤمن بالتوحيد** والرسالة[4]. وقال في حديث الأذان: (**لا إله إلا الله**): ختم به إشارة إلى **التوحيد** المحض اختصارا[5].

50) **العيني، حيث قال:** قوله في الترجمة "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله"فإن ترك الإشراك هو **التوحيد، والقول بلا إله إلا الله هو التوحيد بعينه**[6]. **وقال العيني:** قوله: (**لا إله إلا الله** العظيم الحليم) اشتمل هذا على **التوحيد** الذي هو أصل التنزيهات المسماة بالأوصاف الجلالية، وعلى العظمة التي تدل على القدرة العظيمة[7]. **وقال أيضا:** (أخرجوا من قال **لا إله إلا الله** وعمل من الخير ما يزن كذا)، ثم بعد هذا يخرج منها من لم يعمل خيرا قط غير **التوحيد**[8]. **وقال:** فقال:

ﷺ: (على الفطرة)، ثم قال: **أشهد أن لا إله إلا الله،** أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله – ﷺ –: (**خرجت من النار**)، فنظروا فإذا هو راعي معزى)].

1الإفصاح عن معاني الصحاح (6/ 225)

2المبدع في شرح المقنع (1/ 279)

3المغني لابن قدامة (13/ 438)

4 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 179)

5 مرقاة المفاتيح (2/ 549)

6 عمدة القاري شرح صحيح البخاري (8/ 5)

7 عمدة القاري (22/ 469)

8 عمدة القاري (1/ 275)

{فاعلم أنه **لا إله إلا الله** واستغفر لذنبك} فأمره بالعمل بعد العلم، ويعلم من الآية أن **التوحيد** مما يجب العلم به، ولا يجوز فيه تقليد[1].

51) **الكاساني، حيث قال:** إن الكفرة أصناف أربعة صنف **منهم ينكرون الصانع أصلا وهم الدهرية المعطلة، وصنف منهم**[2]..إلى أن قال بأن من كان من هذين الصنفين "**فقال لا إله إلا الله يحكم بإسلامه** لأن هؤلاء يمتنعون عن الشهادة أصلا فإذا أقرّوا بها كان **دليل إيمانهم**..".

52) **وقال ابن بطال:** فثبت أن الإسلام **لا يكون إلا بالمعاني التي تدل على الدخول في الإسلام** وترك سائر الملل ثم روى حديث: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا **ألا إله إلا الله،** وذكر ابن بطال أيضا في حديث "فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله: **أنه مغفور له بشهادة التوحيد** كما أنت مغفور لك بشهود بدر3، وقال في حديث (من حلف باللات والعزى فليقل: **لا إله إلا الله**): وكفارته بقول: **لا إله إلا الله،** فإنه علّمهم عليه السلام أنه من نسي أو جهل فحلف بذلك أن كفارته أن **يشهد بشهادة التوحيد**[4].

53) النووي: وفيه أن السنّة أن الكفار يدعون إلى **التوحيد** قبل القتال وفيه أنه **لا يُحكم بإسلامه إلا بالنطق بالشهادتين،** وهذا مذهب أهل السنة[5]، وقال عند حديث ‘‘الإيمان بضع وسبعون شعبة، **فأفضلها قول لا إله إلا الله**..": وقد نبّه ﷺ على أن **أفضلها التوحيد** المتعين على كل أحد والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته[6].

---

1 عمدة القاري (2/ 58)

2 بدائع الصنائع (7/ 102)

3شرح صحيح البخاري لابن بطال (8/ 494)

4 شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/ 292)

5 شرح النووي على مسلم (1/ 197)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 42/1

6 شرح النووي على مسلم (2/ 4)

54) **ابن قدامة: وتثبت التوبة من الردة والكفر الأصلي، بأن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**..وإن شهد أن محمدًا رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقط، ففيه روايتان: إحداهما: يحكم بإسلامه؛ لأنه لا يقر برسالته إلا وهو مقرّ بمن أرسله. والثانية: إن كان ممّن يقرّ **بالتوحيد** كاليهود، حكم بإسلامه؛ لأن كفره بجحده لرسالة مُحَمَّد [1].

55) وقال المجد ابن تيمية في المحرر: **وتوبة المرتد وكل كافر إسلامه بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله** إلا من كان كفره بجحد فرض..فتوبته مع الشهادتين إقراره بالمجحود به، ولا يغني قوله أشهد أن مُحَمَّدا رسول الله عن كلمة **التوحيد**، وعنه يغني..[2].

56) **قال الحصكفي3: الكفار أصناف خمسة: من ينكر الصانع كالدهرية،** ومن ينكر الوحدانية كالثنوية، ومن يقرّ بهما لكن ينكر بعثة الرسل كالفلاسفة، **ومن ينكر الكلّ كالوثنية،** ومن يقرّ بالكلّ لكن ينكر عموم رسالة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – كالعيسوية، **فيكتفي في الأولين بقول لا إله إلا الله،** وفي الثالث بقول مُحَمَّد رسول الله، وفي الرابع بأحدهما، وفي الخامس بهما مع التبري عن كل دين يخالف دين الإسلام. بدائع وآخر كراهية الدرر[4].

57) **قال ابن مودود: إذا قال: لا إله إلا الله،** أو قال: أشهد أن مُحَمَّدا رسول الله، أو قال: أسلمت..**فهذا كله إسلام**[5].

58) وقال ابن تيمية: ولهذا يقرن الله بين **التوحيد** والاستغفار في غير موضع. كقوله تعالى: {فاعلم أنه **لا إله إلا الله** واستغفر..}[1] وقال: {كان يقول في آخر

---

1 الكافي في فقه الإمام أحمد (4/ 62)

2المحرر في الفقه (2/ 168)، وقد سبق هذا النص ص (290، 336).

3 الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (4/ 226)

4 بدائع الصنائع (7/ 102)، البحر الرائق (2/ 204) ط2/ دار الكتاب الإسلامي.

5 الاختيار لتعليل المختار (4/ 150)

صلاته: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت..**لا إله إلا أنت**} وهنا قدم الدعاء **وختمه بالتوحيد**..ليختم الصلاة بأفضل الأمرين **وهو التوحيد**[2].

59) وقال أيضا: سئل مالك عن الكلام في التوحيد؟ قال مالك: محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم **التوحيد، والتوحيد**[3] **ما قاله..أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**..[4].

60) **أيضا ذكر ابن تيمية** بأن ابن سريج حين سئل "**ما التوحيد؟ قال توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله**.."[5]. وقال: **وأما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون** من كلّ ملّة فهو كما قال الأئمة **شهادة أن لا إله إلا الله** وهو عبادة الله وحده لا شريك له[6].

61) **وقال ابن تيمية أيضا**: وإنما يصير الرجل مسلما حنيفا **موحدا إذا شهد: أن لا إله إلا الله**[7]. وقال أيضا:**وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إله إلا الله**[8].اهـ

62) قال عبد الله العرفج: "**ومعنى التوحيد** الذي دلّت عليه النصوص الشرعية: **هو أن الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله أصل التوحيد..ودرج على هذا سلف**

1الفتاوى الكبرى (5/ 237)

2الفتاوى الكبرى (5/ 237) و(5/ 336)

3 وقع في المطبوع هنا "بالتوحيد" والصواب: والتوحيد، كما في سير أعلام النبلاء (10/ 26)

4الفتاوى الكبرى (6/ 560)

5الفتاوى الكبرى (6/ 562)

6الفتاوى الكبرى (6/ 564)

7مجموع الفتاوى (8/ 370)

8 مجموع الفتاوى (4/ 74)

الأمة جيلا بعد جيلا، وسلكه العلماء في بيان معنى التوحيد، وأنه **الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله**"[1].

ثانيا: نصوص العلماء على أن شهادة لا إله إلا الله تعصم دم قائلها، ويكون له أحكام المسلمين:

1) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن **قتادة** في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين، **إن المنافق تكلم بلا إله إلا الله فناكح بها المسلمين ووارث بها المسلمين..وحقن بها دمه وماله**[2].

2) وأخرج ابن أبي حاتم عن **ابن جريج** في قوله يخادعون الله قال: **يُظهرون لا إله إلا الله، يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم**، وفي أنفسهم غير ذلك[3].

3) وروى ابن أبي شيبة عن **الحسن**، قال: "**إذا قال: لا إله إلا الله صُلّي عليه**"[4].

4) **وقال الشافعي**: ولو شهد شاهدان أن رجلا **ارتدّ عن الإيمان** أو امرأة سئلا فإن أكذبا الشاهدين قيل لهما **اِشْهَدا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله وتبرأ مما خالف الإسلام من الأديان** فإن أقرّا بهذا لم يكشفا عن أكثر **منه، وكان هذا توبة منهما**، ولو أقرا وتابا **قُبِل منهما**.[5]

5) **وقال ابن الصلاح: وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين**[6]. وقال أيضا: **ولا إله إلا الله في أول درجات الذكر، فإنه التوحيد الناصع الباهر**[7].

---

1 جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة للعرفج ص34

2الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (1/ 174)

3الدر المنثور (1/ 159)

4 مصنف ابن أبي شيبة تحقيق عوامة (7/ 386)

5 الأم للشافعي، ت. رفعت فوزي (7/ 401)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 29/1

6 صيانة صحيح مسلم (ص: 134)،جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 42/1

7 فتاوى ابن الصلاح (1/ 193)

6) **وقال أبو العباس القرطبي:** وقول عمر لأبي بكر . رضي الله عنهما .: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله؟، ظاهره: **أن من نطق بكلمة التوحيد فقط حُكم له بحكم الإسلام**[1].

7) **المروزيّ:** وقد تتابعت الأخبار عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ أنه **سمّى الإقرار باللسان إسلاما**، كما قال الله عز وجل "**شهد** الله أنه **لا إله إلا هو** والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط **لا إله إلا هو** العزيز الحكيم إن الدين عند الله **الإسلام**"، **فجعل شهادتهم دين الإسلام**[2].

8) **ابن المنذر: حيث قال:** "أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم **على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله**، وأن كل ما جاء به مُحَمَّد حق، وأبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام – وهو بالغ صحيح العقل – **أنه مسلم**"[3].

9) **أبو عوانة**، حيث قال: بيان حقن دماء من يقرّ **بالإسلام من الكفار** في المحاربة وإن كان إقراره تقية..**ولا يفتش باطنه** والدليل على أن المؤمن يخرج من إيمانه إذا قتل المقرّ بالإسلام. ثم روى حديث إن قتلته بعد أن يقول **لا إله إلا الله** فأنت مثله قبل أن يقولها[4].

10) **الخطابي:** حيث عند حديث أسامة بن زيد "أفلا شققت عن قلبه": فيه من الفقه أن **الكافر إذا تكلم بالشهادة وإن لم يصف الإيمان وجب الكفّ عنه**..[5]

---

1 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 187)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص51

2 تعظيم قدر الصلاة (2/ 700)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 33/1

3 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (9/ 400)

4 مسند أبي عوانة (1/ 66)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 35/1

5 معالم السنن (2/ 270)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 37/1

11) قال علاء الدين السمرقندي: **فإن سمع رجلا قال لا إله إلا الله** أو قال أشهد أن مُحَمَّدا رسول الله فإن كان من عبدة الأوثان أو من الثنوية أو من الدهرية؛ **فإنه لا يباح قتله** لأنه أتى **بالتوحيد**[1].

12) **قال الجصاص:** النبي ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم"، فعلّق عصمة الدم بإظهار **التوحيد**[2]. **وقال أيضا:** ومن كان من المشركين الجاحدين **للتوحيد والرسالة إذا قال: لا إله إلا الله،** أو قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، أو قال: أنا مسلم: **فهو عند أصحابنا مسلم،** كذا قال مُحَمَّد بن الحسن في السير..فهذه الآثار تدل على صحة قولهم: **في أن المشركين الذين يقاتلون على التوحيد، إذا قالوا: "لا إله إلا الله": صاروا بذلك مسلمين.**[3]

13) جاء في شرح السير للسرخسي: **إذا حَمل مسلم على مشرك ليقتله فلما أرهقه قال: أشهد أن لا إله إلا الله،** فإن كان الكافر من قوم لا **يقولون هذا فعلى المسلم أن يكفّ عنه، لأنه سمع منه ما هو دليل إيمانه.** فإن أخذه وجاء به إلى الإمام **فهو حرّ مسلم** إن كان تكلم **بكلمة التوحيد** قبل أن يقهره المسلم، وإن قال بعد ما قهره فهو فيء، **لأن الإسلام يعصمه من القتل** لا من الاسترقاق بعد القهر..4

14) **وأما القاضي عبد الوهاب المالكي** (فقد بيّن أن المرتد إذا تاب تقبل توبته، واستدل بآيات من الكتاب وبقوله ﷺ "أمرت أن أقاتل الناس..''**فجعل الإقرار**

---

[1] تحفة الفقهاء (3/ 294)

2 شرح مختصر الطحاوي للجصاص (6/ 122)

3 شرح مختصر الطحاوي للجصاص (7/ 36)

4 شرح السير الكبير (6/ 131)

بالشهادة يكفي لعصمة الدم والرجوع مرة أخرى إلى الإسلام بعد الردة، **وهذا يجلّي المعنى الشرعي للتوحيد**)1.

15) **وقال ابن بطال:** (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: **لا إله إلا الله**..)، وحديث هذا الباب إنما قاله عليه السلام في حال قتاله لأهل الأوثان الذين كانوا **لا يقرون بتوحيد** الله2.

16) ويقول ابن تيمية أيضا بأن المنافقين كانت "**دماؤهم وأموالهم معصومة لا يستحلّ منهم** ما يستحلّه من الكفار الذين لا يظهرون أنهم مؤمنون، بل يظهرون الكفر دون الإيمان فإنه ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى **يشهدوا أن لا إله إلا الله**..مع أنه كان **يعلم نفاق كثير منهم**"3.

---

1 جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص44، وانظر: المعونة على مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي (ص: 1362)، المكتبة التجارية.

2 شرح صحيح البخاري لابن بطال (2/ 53)

[3]مجموع الفتاوى (7/ 212)

ثالثا: نصوص العلماء على أن النجاة يوم القيامة بشهادة "لا إله إلا الله"

1) أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس في قوله **إلا من أتى الله بقلب سليم قال: شهادة أن لا إله إلا الله**[1].

2) وأخرج ابن جرير وغيره **عن ابن عباس** في قوله: إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال: **شهادة أن لا إله إلا الله**، وتبرأ من الحول والقوة، ولا يرجو إلا الله[2].

3) وأخرج البيهقي وغيره عن **ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله: إلا لمن ارتضى قال: الذين **ارتضاهم لشهادة أن لا إله إلا الله**[3]

4) أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس في قوله: وقال صوابا قال: **شهادة أن لا إله إلا الله**[4]. والآية محتملة لهذا المعنى وغيره [5]، وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير «وقوله {وقال صوابا} أي: حقا، ومن الحق: "لا إله إلا الله"، كما قاله أبو صالح، وعكرمة»[6].

5) وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان قال: "هل جزاء من أنعمت عليه **ممّن قال: لا إله إلا الله في الدنيا إلا الجنة في الآخرة** "[7]، وعن عكرمة والحسن مثله[8].

6) وأخرج عبد بن حميد عن **عكرمة** من جاء بالحسنة قال **شهادة أن لا إله إلا الله فله خير منها قال: يُعطي به الجنة**[1].

1الدر المنثور (11/ 273)

2الدر المنثور (10/ 139)

3 الدر المنثور (10/ 284)

4 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (15/ 214)

5 آراء أبي جعفر النحاس الاعتقادية (ص: 79)، رسالة ماجستير لحسن العسيري في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، سنة 1430 هـ.

6 «تفسير ابن كثير – ت السلامة» (8/ 310)

7 الدر المنثور (14/ 150)

8 الدر المنثور (14/ 151)

7) وأخرج عبد بن حميد وغيره عن **عكرمة** في قوله: **قد أفلح من تزكى قال: من قال لا إله إلا الله**[2].

8) وأخرج عبد بن حميد عن **الحسن** أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ‘‘**ثمن الجنة لا إله إلا الله**"[3]

9) وأخرج عبد بن حميد عن **الحسن** ﷺ في قوله: **إلا لمن ارتضى قال: قول لا إله إلا الله**[4].

10) **قال ابن خزيمة**: "ثم ما بعدها من الشفاعات في ذلك الموقف إنما هي لإخراج أهل **التوحيد** من النار بشفاعته فرقة بعد أخرى وعودا بعد بدء..ثم روى حديث "فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله "[5]. **وقال ابن خزيمة أيضا**: باب ذكر البيان أن النبي يشفع للشاهد لله **بالتوحيد** الموحد لله بلسانه إذا كان مخلصا ومصدقا بذلك بقلبه..ثم روى حديث "وشفاعتي لمن **شهد أن لا إله إلا الله** مخلصا.."[6]

11) **ابن حبان**، حيث قال: ذِكر إيجاب الجنة لمن شهد لله جل وعلا **بالوحدانية** مع تحريم النار عليه به. ثم روى حديث ‘‘إنه **من شهد أن لا إله إلا الله** حرّمه الله على النار وأوجب له الجنة "[1].

---

1 الدر المنثور (11/ 419)

2 الدر المنثور (15/ 368)

3 الدر المنثور (11/ 419)

4 الدر المنثور (10/ 284)

5 التوحيد لابن خزيمة (2/ 602)

6 التوحيد لابن خزيمة (2/ 696)

1 صحيح ابن حبان (1/ 428)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 36/1

12) **وقال ابن بطّال:** وقال في حديث "من قال: **لا إله إلا الله**، ثم مات على ذلك دخل الجنة وإن زنا وإن سرق": ومعنى الحديث **أن من مات على التوحيد أنه يدخل الجنة** وإن ارتكب الذنوب..1.

13) **وقال القاضي عياض:** مذهب أهل السنة بأجمعهم: أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، **وأن كل من مات على الإيمان، وشهد مخلصا من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة**[2].اهـ

14) **قال النووي** . ونقله عنه الحافظ[3].: كل من مات على الإيمان، **وتَشَهّد مخلصا من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة**[4].

15) وقال ابن تيمية: وتلك الحسنة التي لا بد من **سعادة صاحبها** كما ثبت في الصحيح عنه حديث الموجبتين: موجبة السعادة وموجبة الشقاوة؛ **فمن مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة** وأما من مات يشرك بالله شيئا دخل النار[5].

وهكذا نرى هؤلاء العلماء وغيرهم كثير جدا كلهم نصّوا على أن شهادة لا إله إلا الله هي التوحيد، وبها يُحكم لصاحبها في الدنيا بالإسلام والإيمان، وأنها تعصم دَم قائلها وعرضه وماله في الدنيا، وأنه ناج يوم القيامة بها من الخلود في النار إن قالها صِدقا لا نفاقا، وهذه الأحكام قررها العلماء دون أن يشترط أحد منهم لنفاذها أن يُقرّ المكلف بنوعين آخرين من التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، "بل أئمة السلف كلهم متفقون على **أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان**"1، ولم يقولوا بأن أول المأمور به هو الإقرار بأن التوحيد ثلاثة

---

1 شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/ 105)

2إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 255)

3فتح الباري (11/ 270)

4شرح النووي على مسلم (1/ 220)

5 مجموع الفتاوى (7/ 643)

1 جهود علماء الحنفية (1/ 123)

أقسام، وبذلك يثبت أن التوحيد هو شيء واحد فقط وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن جعْل هذه الشهادة مجرد قسم من أقسام التوحيد الثلاثة هو أمر مخالف للكتاب والسنة وإجماع العلماء.

وهنا قد ترد عدة اعتراضات على إجماع العلماء سلفا وخلفا على أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، وهي:

الأول: فهو أن هذا الإجماع غيرُ مسلّم لأن كثيرا من العلماء قسّموا التوحيد ولم يجعلوه شيئا واحدا.

الثاني: على التسليم بهذا الإجماع فإن ابن تيمية وتقسيمه للتوحيد لا يخالفه.

الثالث: بأن تقسيم التوحيد لا بد منه لحمايته من الوقوع في الشرك

وفيما يلي تفصيل هذه الاعتراضات الثلاثة مع الجواب عليهما:

الاعتراض الأول: أن كثيرا من العلماء قسّموا التوحيد قبل ابن تيمية

وبيانه أن يقال إن هذا الإجماع غيرُ مسلّم لأن كثيرا من العلماء قسّموا التوحيد ولم يجعلوه شيئا واحدا؛ وتفصيل ذلك هو أن يقال كيف تنقل الإجماع على أن التوحيد ليس له أقسام وأنه شيء واحد وهو شهادة أن لا إله إلا الله مع أن تقسيم التوحيد أمر مشهور عند العلماء قبل ابن تيمية وبعده، فالأشاعرة والصوفية وغيرهما قد قسموا التوحيد كما رأينا، وإن كان تقسيمهم للتوحيد على غير تقسيم ابن تيمية.

والجواب: أن المشكلة ليس في تقسيم ابن تيمية للتوحيد إلى قسمين فأكثر، وإنما المشكلة في أنه جعل أحد تلك الأقسام ما سماه بتوحيد الألوهية المعبَّر عنه عنده بلا إله إلا الله، فهذا **سيلزم منه أن التوحيد الذي بلّغه الرسل وأجمع عليه العلماء وهو شهادة أن لا إله إلا الله كان ناقصا**، ونسبة النقص كبيرة جدا، إذ ستكون حينها ثلثين، إذ التوحيد عند ابن تيمية ثلاثة أقسام؛ أحدها توحيد الألوهية أي الثلث وهو الذي جاء به الرسل وهو المعبر عنه **بلا**

إله إلا الله، وفي ذلك يقول ابن تيمية: وقوله: **{لا إله إلا أنت} تحقيق لتوحيد الإلهية**[1]، وبقي الثلثان وهما: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وأما تقسيم الأشاعرة والصوفية للتوحيد فليس على هذا النحو الذي ذهب إليه ابن تيمية، أي أنهم لم يزعموا أن **شهادة لا إله إلا الله** هي مجرد قسم من أقسام التوحيد وثمة أقسام أخرى، بل جعلوا كل حقائق التوحيد وأقسامه نابعة من شهادة لا إله إلا الله ومندرجة فيه، وأن شهادة أن لا إله إلا الله هي المعنى الجامع لكل معاني التوحيد، ونسوق بعض نصوصهم في ذلك:

نصوص الأشاعرة على أن شهادة لا إله إلا الله جامعة لكل معاني التوحيد

يقول **إمام الحرمين:** فيما يصح الإسلام به: لا خلاف أنا لا نشترط أن [يُعرب] من يحاول الإسلام عن جميع قواعد العقائد؛ حتى لا يغادر منها قاعدةً. فالأصل الذي اعتمده الشرع وهو من أبدع البدائع، وأعجب الأمور، وقد ذهل عنها معظم العلماء **الإتيانُ بالشهادتين، وهما على التحقيق يحويان القواعدَ جُمَع؛ [إذ] في التوحيد الاعتراف بالإله والوحدانية،** وفيه التعرض لصفات الإلهية وتفويض الأمور إلى من لا إله غيره. والشهادة بنبوة مُحَمَّد ﷺ تصدّقه في جميع ما أتى به[2].

وقال تلميذ الجويني الغزالي وهو من كبار الصوفية والأشاعرة: ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه، **وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله**[1]. **وقال تلميذه أبو بكر ابن العربي** في حديث"أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله

---

[1] الفتاوى الكبرى (5/ 232)

2 نهاية المطلب في دراية المذهب (14/ 525)

1 إحياء علوم الدين مع شرحه إتحاف السادة المتقين (9/ 424)

إلا الله": أفضل الذكر لأنها كلمات حوت جميع علوم التوحيد[1]. **وقال الفخر الرازي** وهو من كبار متكلّمي الأشاعرة: أجمع العقلاء على أن قولنا: «لا إله إلا الله" يوجب التوحيد المحض[2]. اهـ

وقال الحليميّ تعليقا على حديث: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها": **في هذا بيان أن هذه الكلمة يكفي الإسلام بها من جميع أصناف الكفر بالله عز وجل.** وإذا تأملناها وجدناها بالحقيقة كذلك. لأن من قال: لا إله إلا الله،..ثم بسط ذلك إلى أن قال: فمن أراد التدين بدين الحق وأطلق لسانه **بهذه الكلمة قد استجمعت له هذه المعاني** التي سبق شرحها وتلخيصها ما لم يخطر بقلبه عند التفصيل شيء يخالف الجملة[3].

ولذا فإن بعض العلماء استنبطوا من الشهادتين كل صفات الله، بل كل علم التوحيد، وذكروا بأنها بحر لا ساحل له كما سنرى، ولذا قال **الإمام اللقاني** في جوهرة التوحيد:

وَجَامِعٌ مَعْنَى الّذي تَقَرَّرَا..:**شَهَادَتَا الإِسْلاَمِ** فَاطْرَحِ الْمِرَا[4]

وقال **سيدي الدردير** في الخريدة البهية:

ويَنْطَوي في كِلْمَةِ الإسْلامِ * ما قَدْ مَضى **مِنْ سائِرِ الأَحْكَامِ**

فأَكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَا بالأدَبِ * تَرقى بِهذا الذِّكرِ أَعلى الرُّتَبِ[1]

---

1 القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: 232)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص49

2 مفاتيح الغيب (1/ 163)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 41/1

3المنهاج في شعب الإيمان (1/ 186)، الحسين بن الحسن الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (ت ٤٠٣ هـ)، ت حلمي مُحَمَّد فودة، دار الفكر، ط1/ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

4 جوهرة التوحيد مع شرح الناظم عليها (هداية المريد) (1/ 721)، دار البصائر بالقاهرة، ط1/ 2009م

وكذا قال السنوسي في أمّ البراهين: ويجمع معاني هذه العقائد كلها قول: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، إذ معنى الألوهيّة: استغناء الإله عن كلّ ما سواه، وافتقار كلّ ما عداه إليه.

فمعنى لا إله إلاّ الله: لا مستغني عن كلّ ما سواه، ومفتقرًا إليه كلّ ما عداه إلاّ الله تعالى[2]، "وبهذا التفسير يظهر دخول جميع عقائد الإيمان تحت هذه الكلمة المشرّفة التي هي مفتاح الجنة"[3]؛ لأنه "شمل كلَّ مفردات العقيدة الواجب اعتقادها في صفات الله ـ عزّ وجلّ ـ وفي صفات رسله عليهم الصلاة والسلام..فكان كلام الإمام السنوسي في عقيدته يدور بشمولية دقيقة في فلك كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمّد رسول الله)، وهو أسلوب ندر وقوعه من المؤلفين السابقين..**وقد فصّل الإمام السنوسي ذلك الشمول لجميع العقائد في كلامه على معنى كلمة التوحيد**[4]، "وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون؛ **وهي حقيقة الأمر كله"**[5].

وبالتالي فتقسيم الأشاعرة للتوحيد من أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا يَرد عليه الاعتراض السابق الذي يَرِد على تقسيم ابن تيمية للتوحيد، إذ هذه الأقسام الثلاثة للتوحيد عند الأشاعرة نابعة من شهادة لا إله إلا الله، بمعنى أن الشهادة تدل عندهم على تلك الأقسام الثلاثة مجتمعة كما رأينا نصوصهم على ذلك.

---

1 مجموع الحواشي السنية على شرح الخريدة البهية (ص: 728)، تحقيق د. مُحَمَّد نصار، دار الإحسان بالقاهرة، ط1/ 2018م.

2انظر متن السنوسية في علم التوحيد أم البراهين مع حاشية الدسوقي (ص: 244).

3 شرح أم البراهين (ص:83)، للشيخ مُحَمَّد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني كان حيا سنة 897 هـ، تحقيق الدكتور خالد زهري، دار الكتب العلمية، ط2009/2م.

4 انظر "الإمام السنوسي ومنهجه في شرح أم البراهين" ص190 بالترقيم الآلي، رسالة ماجستير تقدم بها الطالب بشار شعلان عمر النعيمي في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية في بغداد.

[5] مجموع الفتاوى (2/ 256)

وليست شهادة أن لا إله إلا الله قسما من أقسام التوحيد مغايرا للقسمين الآخرين كما هو الحال عند ابن تيمية! لأن هذا سيلزم منه أن الرسل عليهم السلام الذين جاؤوا بالتوحيد المعبر عنه بلا إله إلا الله إنما جاؤوا بقسم واحد من أقسام التوحيد وهو ما يسمى عند ابن تيمية بتوحيد الألوهية، ولم يأتوا بتوحيد كامل مشتمل على قسمين آخرين وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كما سبق بيانه!!

بل لو جعلنا توحيد الألوهية قسما مستقلا ـ كما ذهب إليه بعض الأشاعرة كالكُوْمي[1] ـ لوجب أن تكون كل تلك الأقسام نابعة من قول لا إله إلا الله، **كما جاء في تهذيب شرح السنوسية: التوحيد على أقسام منها: توحيد الألوهية، وتوحيد الأفعال، وتوحيد الصفات، وتوحيد الذات. وتوحيد الألوهية** مرجعه إلى أن الله هو الإله وحده، أي هو المتفرد بوصف الألوهية الذي يرجع كل ممكن لاحتياجه إليه، **وتوحيد الذات** مرجعه إلى أن الله هو الفاعل وحده، **وتوحيد الصفات** مرجعه إلى أن الله هو الحي وحده، وتوحيد الذات مرجعه إلى أن الله هو **الموجود على الحقية**[2].

---

1 تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب ص70، لأبي عبد الله مُحَمَّد البكي الكومي التونسي (ت916هـ)، وانظر ترجمة الكومي في القسم الدارسي من تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب ص 69، و ص92، رسالة دكتوراة بجامعة البنجاب بباكستان للدكتور أحمد الزبيبي، نوقشت سنة 1995م. وانظر أيضا: تهذيب شرح السنوسية، د. سعيد فودة، (ص: 70) وانظر تقسيم التوحيد في الميزان للمكي ص13.

2 تهذيب شرح السنوسية (ص: 70)، للدكتور سعيد فودة حفظه الله. ثم علق د. سعيد فقال: المقصود من الوجود على الحقية هنا أي **أن الله تعالى هو الموجود الذي لا يستمد وجوده من غيره**، وأما كل ما سواه فإنهم يستمدون وجودهم من إيجاده تعالى لهم. فصار كأن وجودهم غير حقيقي لأنه ليس بالذات بل بالغير، ووجود الله تعالى هو الحقيقي لأنه بالذات. وهكذا معنى أنه الحي وحده، فافهم ولا تتوهم منه وحدة الوجود.

ولكن قال في موضع آخر: **قول لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله يجمع معاني هذه العقائد المتقدمة كلها، فمعنى هذا القول هو الجامع لمعنى العقائد**[1].اهـ فتأمل كيف جعل الشهادتين جامعة لكل العقائد وليس لأقسام التوحيد فقط!!

ولو أن ابن تيمية قال بأن أقسامه الثلاثة للتوحيد مندرجة أو متضمَّنة في "لا إله إلا الله" لهان الخطب، ولما ورد عليه الإشكال السابق وهو أن الأنبياء بلغوا من التوحيد ثلثه، وفقا لتقسيم ابن تيمية التوحيد، وقد صرّح فعلا ابن تيمية وأتباعه في بعض الأحيان أن توحيد **الألوهية المعبَّر عنه عندهم بلا إله إلا الله** يتضمن توحيدَي الربوبية والصفات كما سبقت نصوصهم في ذلك[2]، وهذا يؤول إلى نقض تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، والرجوع إلى أنه شيء واحد وهو شهادة لا إله إلا الله، غاية ما هنالك أن شهادة أن لا إله إلا الله ينضوي تحتها هذه الأقسام أو المعاني الثلاثة، وهذا من حيث المبدأ لا ينازَع فيه لأن شهادة أن لا إله إلا الله بحر عميق ينضوي تحتها ما لا يحصى من المعاني والحقائق وليست ثلاثة فحسب كما سبق.

الاعتراض الثاني: أن ابن تيمية لم يخالف الإجماع على أن التوحيد هو نوع واحد وهو شهادة أن إلا إله إلا الله

قالوا: على التسليم بهذا الإجماع السابق، وهو أن التوحيد هو شيء واحد وهو شهادة أن إله إلا الله، فإن ابن تيمية وتقسيمه للتوحيد لا يخالف هذا الإجماع؛ **وبيان ذلك أن يقال:** إن ابن تيمية لم يُرد بتقسيم التوحيد لثلاثة أقسام أنّ على كل من يدخل في الإسلام وعلى كل مكلف أن يُقر بهذه الأنواع الثلاثة للتوحيد كل واحد على حدة، فيصرّح تصريحا وينطق بلسانه بأنه لا رب ولا خالق إلا الله، وأنه لا إله ولا معبود إلا الله، وأن لله الصفات العلى والأسماء الحسنى، وأنه ليس كمثله شيء، وبذلك يسمى موحدا وإلا فلا.

---

1 تهذيب شرح السنوسية (ص: 89)، د. سعيد فودة.

2 انظر: ص (312، و317)

فهذا لم يقصده ابن تيمية ولا صرّح به قط بل صرّح بأن التوحيد الشرعي التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ وأنزل به كتابه **هو شهادة أن لا إله إلا الله**، وهذا ما يسميه بتوحيد الألوهية وهو متضمن عنده لتوحيد الربوبية، فهو يقول: وقوله: {لا إله إلا أنت} تحقيق لتوحيد الإلهية[1].اهـ **وقال أيضا: وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية**[2].اهـ وقال: وهذا يتضمن "عبادة الله وحده لا شريك له **وهو توحيد ألوهيته المتضمن توحيد ربوبيته**[3].

فصرّح ابن تيمية بأن التوحيد الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله وعبادة الله وحده، وصرح بأن هذا يتضمن توحيد الربوبية، أي أن "**من أتى بتوحيد الألوهية *لا يُطلب منه* أن يأتي بتوحيد الربوبية** لأن الثاني داخل فيه"[4]. وبأن من أتى بالشهادة فهو مؤمن، وفي ذلك يقول ابن تيمية: **ولما كان أصل الدين هو الإيمان بالله ورسوله** كما قال خاتم النبيين والمرسلين: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله}[5].

وإنما قصد ابن تيمية من تقسيمه للتوحيد إلى ثلاثة أقسام أمرين: **الأمر الأول**: الرد على من قصر التوحيد على توحيد الربوبية، فلذلك جَعل توحيد الألوهية قسما آخر مباينا لتوحيد الربوبية، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "**ليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف،** ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، ويظن هؤلاء أنهم إذا

---

1 مجموع الفتاوى (10/ 255)

2 بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (4/ 533)، ط1/ مجمع الملك فهد 1426هـ.

وانظر: ص (418) من كتابنا هذا

3 شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية - (1 / 42)

4 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 155)

[5]مجموع الفتاوى (28/ 608)

شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد"[1]. "وهذا من أعظم ما وقع فيه هؤلاء وهؤلاء **من الجهل بالتوحيد الذي بعث الله به الرسل** وأنزل به الكتب، فإن هذا التوحيد – الذي هو عندهم الغاية – قد كان مشركو العرب يقرون به كما أخبر الله عنهم"[2].

ولذا عندما فسّروا الإلهَ بالخالق أو القادر على الاختراع **انتقد ابن تيمية** صنيعهم هذا قائلا: "**فإذا فسّر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتَقدَ أن هذا أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا التوحيد** هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من المتكلمة الصفاتية وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه **لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله** فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين"[3].اهـ

والأمر الثاني: هو الرد على من جعل إثبات الصفات لله ينافي التوحيد، وهو ما يرى ابن تيمية عكسَه، فلذلك جَعل ابن تيمية إثباتَ الصفات من التوحيد وسمى ذلك توحيد الأسماء والصفات، وبيان ذلك أنه قد زعم بعض المتكلمين كالمعتزلة "أن إثبات الصفات ينافي التوحيد ويزعمون أنهم هم الموحدون **فإن من أثبت الصفات فهو مشبه ليس بموحد** وأنه يثبت تعدد القدماء"[4]، لذا قال زعيمهم واصل بن عطاء: **ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد**

---

1 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (1/ 317)

2 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345) و(9/ 377)

(**3**) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 1 / 226. وقال الألباني في رسالته التوحيد أولا يا دعاة الإسلام ص7: ألّف بعضُهم رسالة في معنى " لا إله إلا الله " ففسرها :" لا رب إلا الله!! " وهذا المعنى هو الذي كان المشركون يؤمنون به وكانوا عليه، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم هذا.اهـ

4 بيان تلبيس الجهمية (3/ 94)، وانظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص284، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1091)، وانظر: منهج المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات ص169، رسالة ماجستير للباحث عبد اللطيف العكلوك.

أثبت إلهين[1].اهـ فردّ هذا ابن تيمية، وبيّن أن "الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به"[2]، وبالتالي فإن "الممنوع الذي لا يساير التوحيد الصحيح هو إثبات ذوات قديمة لا إثبات ذات موصوفة بصفات الكمال[3]".

والجواب عن هذين الأمرين: أن قول ابن تيمية **''وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية''** صريح في أن توحيد الربوبية قسم من توحيد الألوهية وليس قسيما له، وهذا كله يتنافى مع أصل نظرية تقسيم التوحيد أن توحيد الربوبية قسيم لتوحيد الألوهية وليس قسما منه، كما يفيده كثير من نصوص ابن تيمية وأتباعه.

ومهما يكن من أمر فإن المحذور هنا هو أن تجعل قسما أو بابا أو نوعا أو شيئا ما من التوحيد لا يدخل تحت شهادة أن لا إله إلا الله، بل تجعله شيئا مغايرا أو قسيما لها؛ فهذا شيء مرفوض، والمحذور في هذا أمران: **الأول**: أن هذا يعني أن التوحيد الذي بلغه الرسل كان ناقصا لأن توحيدهم الذي جاؤوا به هو شهادة أن لا إله إلا الله كما سبق أن أثبتنا ذلك بالكتاب والسنة وإجماع العلماء بما في ذلك ابن تيمية، **الثاني**: أن من يشهد أن لا إله إلا الله فليس موحدا ولا مؤمنا ولا مسلما ولا ناجيا في الآخرة حتى يأتي بقسمين وهما توحيد الربوبية و توحيد الأسماء والصفات، وهذا أيضا خلاف الكتاب والسنة والإجماع كما سبق.

---

1 الملل والنحل للشهرستاني(1/ 46)

2 القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين (ص: 9)، ط3/ بالمدينة المنورة. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1091)، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص285، منهج المعتزلة في توحيد الأسماء والصفات للعكلوك ص175.

3 الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد أمان جامي (ص: 70)، ط1 بالمدينة المنورة.

ثانيا: وهو قولكم بأن قصْد ابنِ تيمية من تقسيمه للتوحيد إلى ثلاثة أقسام أمران: حاصلهما الرد على المتكلمين والصوفية وغيرهم ممّن قصر التوحيد على توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية ودون توحيد الأسماء والصفات، **فالجواب**: أننا **لسنا في معرض الحديث عن مفهوم التوحيد عند المتكلمين ولا عند الصوفية** ولا عند غيرهم، ولا كيف فسروا كلمة لا إله إلا الله، ولا الخوض في قضية الصفات، فهذا كله لا يعنينا هنا، **وإنما نبسطه لاحقا** في الكلام على آثار نظرية تقسيم الوحيد عند ابن تيمية، ولعلنا نخصّص له كتابا أو ربما كتبا مستقلة إن شاء الله.

وإنما الذي **يعنينا هنا أن التوحيد عند ابن تيمية في نهاية المطاف هل هو قسم واحد أو أقسام؟ وإذا كان أقساما فهل هي مندرجة ومتضمنة في شهادة أن لا إله إلا الله**، أو ثمة أقسام من التوحيد غير داخلة في هذه الشهادة؟ فإن كنتم تقولون بالأول وهو أن التوحيد له أقسام وكلها نابعة أو مندرجة أو متضمَّنة في شهادة أن لا إله إلا الله: فهو مسلّم، أي إن قلتم أن هذه الأقسام الثلاثة للتوحيد؛ وهي أنه لا خالق إلا الله، ولا معبود بحق سواه، وأنه له الأسماء الحسنى والصفات العلى: مندرجة تحت شهادة أن لا إله إلا الله، وأن هذه الشهادة تفيد هذه الأمور الثلاثة مجتمعة ومن يأت بالشهادة فقد أتى بهذه الأمور الثلاثة دون إلى الحاجة إلى التصريح بها وتفصيلها واحدة واحدة، فهذا أمر لا نزاع فيه بغض النظر عن المصطلحات التي تستخدمونها للتعبير عن هذه المعاني الثلاثة للتوحيد، وإن قلتم بالثاني وهو أن ثمة أقساما من التوحيد مغايرة للشهادة بمعنى أنها غير داخلة تحتها كتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كما هو ظاهر تقسيمكم للتوحيد إلى ثلاثة أقسام: فهو محل النزاع، وقد قلنا إنّ هذا باطل لما يلزم منه أن الرسل بلغت التوحيد ناقصا، وأن من يشهد أن لا إله إلا الله ليس موحدا توحيدا كاملا، كما سبق بيانه مطولا.

وبيان ذلك أنه قد يقال: سلّمنا بأنّ أقسام التوحيد الثلاثة ـ الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ـ مندرجة تحت شهادة أن لا إله إلا الله، وأن الشهادة تشمل هذه الأقسام الثلاثة للتوحيد، ولكن لما وقع الجهل بشمول الشهادة لهذه الأقسام الثلاثة، وحصل الخلط والدمج بينها بحيث ظنّ المتكلمون أو كثير منهم أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تعني سوى أنه لا خالق إلا الله، أي حَمَلوا شهادةَ التوحيد وقصروها على توحيد الربوبية و"ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية"[1]، **و"أما التوحيد الذى جاءت به الرسل فلم يعرفوه ولم يبينوه..وهو عبادة الله وحده لا** شريك له"[2]. **"وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمورا عظيمة** لم يظنوها من التوحيد وهي أصله **فأكثر هؤلاء المتكلمين** لا يجعلون التوحيد إلا ما يتعلق بالقول والرأي واعتقاد ذلك **دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك"**[3].

فنتج عن ذلك أنهم أجازوا **عبادة غير الله، فوقع بعضهم "في أنواع من الشرك** ظنا منه أن ذلك **لا يناقض التوحيد"**[4]، ولما حصل خلط ودمج بين هذه الأقسام الثلاثة للتوحيد، والذي **نتج عنه الوقوع في الشرك؛ كان لا بد من حماية جناب التوحيد،** وذلك بتقسيمه إلى هذه الأقسام الثلاثة صراحة دون الاكتفاء بتضَمُّن شهادة أن "لا إله إلا الله"لها.

ولذا أوجبنا على المكلف معرفة أقسام التوحيد الثلاثة مع الإيمان بها على وجه التفصيل والتمييز دون خلط أو دمج بينها، إذ **"لا إيمان لمن لم يأت بهذه الأمور الثلاثة ولا توحيد..فمن لم يأت بتوحيد الربوبية فهو معطِّل للخالق** مشرك في ربوبية الله، ومن لم يأت

---

1 اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 386)

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974) وانظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345)

3 الفتاوى الكبرى (566/6).

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 977)

بتوحيد الألوهية فهو مشرك في ألوهية الله وعبادته..**ومن لم يأت بتوحيد الأسماء والصفات فهو كافر ملحد** في أسماء الله وصفاته"[1].

وتفصيل ذلك أن يقال إن كثيرا ممن يشهد أن لا إله إلا الله لا يعلمون معنى هذا اللفظ و"**الحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله** ولا يدبر الأمر إلا الله"2، بل قد ((ألّف بعضُهم رسالة في معنى ''لا إله إلا الله ''ففسرها :لا رب إلا الله!! **وهذا المعنى هو الذي كان المشركون يؤمنون به وكانوا عليه**، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم هذا))[(3)].

وإنما الشهادة تعني لا معبود بحق إلا الله، وأنه "لا معبود بحق إلا إله واحد"[4]، وهي تقتضي "ترك عبادة ما سوى الله، وإفراد الله بالعبادة"5، "وإفراده بالعبادة لا يتمّ إلا بأن الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة، والاستعانة، والرجاء.."[6].

ولذلك فإن "تحرير مفهوم الإله في غاية الأهمية، ذلك لأن التوحيد هو التأله لله عز وجل، والشرك هو اتخاذ غير الله إلها، **فإذا عُرف مفهوم الإله عُرف بالتالي مفهوم التوحيد ومفهوم الشرك**. كما أن الإله هو أساس كلمة التوحيد لا إله إلا الله"[7]، لأنه سينبني عليه التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية و"**الذين لم يفرقوا بين توحيد العبادة وتوحيد**

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 32)

(2) كشف الشبهات لابن عبد الوهاب ص17.

(3) التوحيد أولا يا دعاة الإسلام للألباني ص7.

[4] تيسير العزيز الحميد لحفيد ابن عبد الوهاب ص 177.

[5] تيسير العزيز الحميد لحفيد ابن عبد الوهاب ص148.

6 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 336)، و«صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (ص159)

7 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 349).

الربوبية، وجعلوهما شيئا واحدا وهو الإقرار بوحدانية الله تعالى في الخلق والتدبير لم يروا في صرف الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك لغير الله تعالى مخالفة للتوحيد ما دام الاعتقاد قائما على تفرد الله تعالى بالربوبية، **فانفتحت عليهم أبواب الشرك المطابق لما كان عليه أهل الجاهلية الأولى**"1.

وإنما وقعوا في هذا الشرك في الألوهية لأنهم خلطوا بين الربوبية والألوهية، حيث زعموا أن "**الإلهية عندهم هي القدرة على الاختراع** ولا يعرفون توحيد الإلهية ولا يعلمون أن الإله هو المألوه المعبود"2، فنتج من ذلك أن توحيد الألوهية "لا وجود له عندهم، بل عطلوه وحرفوه إلى توحيد الربوبية"3. لأنهم "ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية..وأن الإلهية هي: القدرة على الاختراع أو نحو ذلك"4.

و"يظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب والغاية، وأنه معنى لا إله إلا الله، **فعطّلوا صفة ألوهية الله تعالى، وحرّفوها إلى صفة الخالقية والقادرية**"5 حتى جعل الأشعريُّ الخالقية "**أخص أوصاف الرب القدرة على الاختراع وزعم أن هذا معنى الإلهية**"6. وأن "**معنى الإله وأن المقصود به: القادر على الاختراع والخلق، ففسر الألوهية بتوحيد الربوبية**..والآية إنما هي في توحيد الألوهية "[7].

---

1 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص203

2 مجموع الفتاوى (8/ 100)، بيان تلبيس الجهمية (3/ 142)

3 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية (2/ 441)

4 اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 386)

5 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 177)

6 بغية المرتاد لابن تيمية (ص: 261)

7 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (1/ 416)، وانظر جهود علماء الحنفية (1/ 231)

والحاصل أنهم "**جهلوا معنى الإله، وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد الربوبية، وهو القدرة على الاختراع**"[1]، ولذلك وقعوا "في **أمور عظيمة هي شرك** ينافي الإسلام لا يحسبونها شركا"2. بسبب أنهم اقتصروا على توحيد الربوبية، **و**"أما التوحيد الذى جاءت به الرسل فلم يعرفوه ولم يبيّنوه..وهو عبادة الله وحده لا شريك له"3.اهـ

وكان هذا الخلط بين توحدي الربوبية والألوهية: "هو السبب الوحيد **لوقوعهم في أنواع من الشرك الأكبر من عبادة القبور وأهلها**"[4]، "**فجوزوا البناء على القبور** والصلاة إليه وشد الرحل إليها **بل الاستغاثة بالأموات والاستغاثة منهم**"[5]، بل "كان من أتباع هؤلاء **من يسجد للشمس والقمر والكواكب**، ويدعوها كما يدعو الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك: **وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا**"[6].

وهكذا "فالمتأمل في مناهج المتكلمين عمومًا يجد: أن التوحيد عندهم اعتقادي فقط، وأن الشرك في الإرادة إذا لم يتضمن الشرك في الاعتقاد لا يكون شركًا عندهم، **فاتخاذ الوسائط بالسؤال والطلب عندهم ليس شركًا بمجرد طلب غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله . مثلاً . بل لابد أن يتضمن ذلك اعتقاد استقلالية المطلوب وقدرته على الاختراع**

1 حاشية فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: 39)

2 الفتاوى الكبرى (566/6).

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974) وانظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345)

4 جهود علماء الحنفية (1/ 178)

5عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 305)

6 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (1/ 318)

الذي هو حقيقة الألوهية عندهم، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ليس شركًا لذاته عندهم إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق العبادة لمن صرفت له"[1].

وهذا كله بسبب أن المتكلمين ولا سيما الأشاعرة لَمّا كان **"جُل اهتمامهم العناية بتقرير توحيد الربوبية غفلوا عن تقرير توحيد الألوهية**، وبيان ما يضاده من الشرك، وكان من آثار ذلك أن **وقع بعضهم في ضلال مبين..في أنواع من الشرك**، ظنا منه أن ذلك لا يناقض التوحيد"[2]، بل "إن الأشاعرة والماتريدية يرون أن توحيد الألوهية لا يدخل في الإيمان، ولا يترتب على تركه كفر، وهذا من **أعظم الأسباب التي دعتهم لإهماله** حيث يرون أن مكان شرح حقيقة هذا التوحيد في كتب الرقاق والآداب والفضائل، أما كتب العقائد فلا مجال لبحث هذا النوع من التوحيد فيها لأنه لا يدخل في الإيمان"[3].

"وهذا المنهج الخطير الذي سلكه الأشاعرة أثّر في كتاباتهم العقدية، فقلما تجد لعالم من علمائهم كتابا أو رسالة في بيان توحيد العبادة، وأنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله، **أو في بيان الشرك وأنواعه، أو حكم السفر لزيارة القبور والدعاء والنذر لها**، بل على العكس من ذلك تجد الكثير منهم يميل إلى مثل هذه الشركيات أو ما هو من وسائله"[4]. وهذا كله بسبب أنهم جعلوا "تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله هو اعتقاد تفرد الله ووحدانيته في ذاته وصفاته وأفعاله، **فلا فرق عندهم بين الإله والرب، ولا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، بل هما بمعنى واحد، بل يظنون أنهما وصفان مترادفان، فبهذا التزموا أنه لا**

---

[1] الشرك في القديم والحديث (1/ 37)

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 977)

3 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 463)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 977)

شرك بالتقرب إلى غير الله بالعبادة إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق المعبود للعبادة من دون الله، **وأن المعبود متفرد بالخلق والتدبير**"[1].

والحاصل أننا لما رأينا ـ نحن معاشر السلفية ـ هذا الخلط في معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، والذي أدى إلى الشرك؛ لم نكتف بالقول بأن التوحيد شيء واحد وهو شهادة أن لا إله إلا الله، بل كان لا بد من تقسيم التوحيد بشكل صريح إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، ولم نكتفِ بالقول بأن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، هذا مع التسليم بأنها شاملة لأقسام التوحيد الثلاثة، وكان لا بد للمكلف من أن يقرّ بهذه الأقسام الثلاثة على وجه التفصيل والتمييز دون خلط أو دمج بينها، ولا يكتفي بشهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنه قد يظن أنها بمعنى لا خالق إلا الله، فيكون قد أتى بقسم واحد من أقسام التوحيد وهو توحيد الربوبية! وأهمل القسم الأهم من التوحيد وهو الذي جاءت به الرسل!! فلا جرم أن تقسيم التوحيد بشكل صريح إلى أقسامه الثلاثة فيه حماية لجناب التوحيد من الشرك والذود عن حياضه!!

قال وليد ـ سدّده الله ـ: كذا قالوا، حاصل هذا الكلام عدة دعاوى، وهي:

الأولى: أن المتكلمين خلطوا بين مفهوم الرب والإله.

الثانية: أنهم بسبب هذا الخلط أخطؤوا في تفسير كلمة التوحيد.

الثالثة: أنه نتج من هذا الخطأ أنهم أجازوا عبادة غير الله ووقعوا في الشرك.

الرابعة: أنهم لم يبحثوا مسائل شرك العبادة في كتب العقيدة.

الخامسة: أن تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية صيانةٌ له من الوقوع في الشرك.

وفيما يلي الجواب عن هذه الدعاوى بشكل مفصل بإذن الله.

---

[1] الشرك في القديم والحديث (1/ 36)

أولا: الزعم بأن المتكلمين خلطوا بين مفهوم الرب والإله.

أمّا أن المتكلمين خلطوا بين مفهوم الإله والألوهية وبين مفهوم الرب والربوبية حيث فسروا أحد المفهومين بالآخر! **فأقول: أولا:** هذه الدعوى مبنية على التباين بين هذين المفهومين، ولكن ليس الأمر كذلك كما بسطنا ذلك في كتابنا "تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله"، وأتينا فيه بشواهد كثيرة من الكتب والسنة والشعر وأخبار العرب على الترادف بين الإله والرب، بل أتينا بإقرار السلفية أنفسهم أن كلمتي الإله والرب ليستا متباينتين.

ثانيا: إذا كان تفسير أحدهما بالآخر خلطا فأنتم ارتكبتم عين هذا الخلط؛ وذلك لأنكم فسرتم الربوبية بالألوهية في بعض الآيات والأحاديث على الأقل كقول ابن عبد الوهاب "فالربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها"[1]، وقد سبق المزيد من هذه النصوص[2]، وقد سبق أن سردنا استخدام ابن تيمية وأتباعه لكلمة الإله والألوهية بمعنى الرب والربوبية وصفاتها[3]، فإذا كان هذا خلطا فلماذا خلطتم؟!

ثالثا: لم يخلط المتكلمون في معنى الإله والألوهية ومعنى الرب والربوبية، غاية ما في الأمر أنهم أحيانا يستخدمون هذه الكلمات على الترادف وأحيانا على التغاير، وهذا لا شيء فيه بل ارتكبه ابن تيمية وأتباعه كما بسطناه في كتاب "تنوير الرب الإله"[4].

وأما أنهم اقتصروا على توحيد الربوبية **و"أما التوحيد الذي جاءت به الرسل فلم يعرفوه ولم يبينوه..وهو عبادة الله وحده** لا شريك له"[1].اهـ فغير صحيح بل نصّوا على هذا في نصوص كثيرة جدا سنأتي عليها[2].

---

1 الدرر السنية في الأجوبة النجدية (72/1، 73)، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 335).

2 انظر: ص (282، 447)

3 انظر: "تنوير الرب الإله" ص (85)

4 انظر "تنوير الرب الإله" ص(159)

زعم السلفية أن الأشاعرة والصوفية حين جهلوا الفرق بين معنى الإله والرب وخلطوا بينهما ترتب على ذلك أنهم جهلوا معنى الشهادة شهادة أن لا إله إلا الله وهو لا معبود بحق إلا الله! والواقع هذا غير صحيح بل الأشاعرة والصوفية نصّوا على هذا المعنى وهو أنه لا معبود بحق إلا الله، وفيما يلي طائفة من نصوصهم:

1) قال الفخر الرازي: ثم قال: لا إله إلا هو يعني أنكم لما عرفتم وجود الإله المحسن المتفضل المتكرم فاعلموا أنه لا إله سواه ولا معبود سواه[3].

2) وقال أبو منصور الماتريدي: وإن"لا إله إلا الله": هو لا معبود سواه، وألا يستحق العبادة غيره[4].اهـ

3) وقال **البيجوري**: ومعنى الإله: المعبود بحق..وإذا كان معنى الإله ما ذكر كان معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله[(5)].

4) وقال البيضاوي عند تفسير آية الكرسي (الله لا إله إلا هو)..والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غيره[6].

5) وقال السيوطي: (الله لا إله) أي لا معبود بحق في الوجود (إلا هو الحي) الدائم بالبقاء[1].اهـ

---

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974) وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345)

2 انظر: ص (272)

3 مفاتيح الغيب (13/ 130)

4 تأويلات أهل السنة (7/ 177)

(5) حاشية البيجوري على متن السنوسية: ص 42 .

6 أنوار التنزيل للبيضاوي (257/1).

1 تفسير الجلالين (1/ 184)، ونقله أيضا في جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 1/ 73.

6) قال الزركشي في معنى لا إله إلا الله:..ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى..ليدل على حصر الإلهية لله تعالى1.

7) وقال القرطبي: قوله تعالى: ''لاإله إلا هو'' نفي وإثبات، أولها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلا الله2. وقال أيضا: (الله لا إله إلا هو) أي لا معبود سواه، ولا خالق غيره، فعليه توكلوا[3].اهـ

8) وقال التفتازاني: قولنا: لا إله إلا الله كلمة التوحيد، أي لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق[4].اهـ وقال: الإله اسما للمعبود5.اهـ وقال: وقوله تعالى "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله''أي معبود[6].

9) وقال القرافي في شرح كلمات الأذان: والإله المعبود..لا معبود مستحق للعبادة إلا الله[7].اهـ ونقله الحطّاب[8].

10) وقال الشيخ زرّوق: "لا إله إلا الله'' أي: لا معبود بحق إلا الله لأنه لا مستحق للاتصاف بالكمالات سواه[1].

11) وقال النفراوي: (أشهد أن لا إله إلا الله) أي أتحقق وأذعن أن لا معبود بحق سواه[1].

---

[1] معنى لا إله إلا الله – الزركشي (ص: 83 و85)

2 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (2/ 489)

3 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (21/ 16)

4 حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (1/ 137)

5 شرح المقاصد للتفتازاني 3/ 257، ت إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية.

6 شرح المقاصد (3/ 460)

7 الذخيرة للقرافي (2/ 57)، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط/ 1994 م.

8 مواهب الجليل للحطاب (1 /439)، ط3/دار الفكر.

1 شرح زروق على متن الرسالة (1/ 32)، ت المزيدي، ط1/ دار الكتب العلمية.

12) وقال الخرشي: (قوله أن لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق موجود[2].

13) وقال العدوي: "قوله: معبود...إلخ"فيه إشارة إلى أن إله معناه معبود أي بحق..والخبر محذوف والتقدير لا معبود أي موجود إلا الله[3].

14) وقال ابن رشد الجد: لا إله إلا هو، ولا معبود سواه[4].

15) قال أبو العباس القرطبي: ((لا إله إلا أنت))؛ أي: لا معبود غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[5].

16) وقال أبو البقاء الكفوي: قولنا: (لا إله إلا الله كلمة توحيد) أي: لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق[6].

17) وقال أبو حامد الغزالي: وحصنه لا إله إلا الله..والمتحصن به لا معبود له سوى الله سبحانه[7]. وقال: كذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقا، ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره[8].

18) وقال ابن عجيبة:..لا إله إلا هو، أي: لا معبود بحق إلا هو، ولا مستحق للعبادة إلا هو، وهو تصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الألوهية به سبحانه، فإن ما أسند إليه تعالى من خلق جميع الموجودات، ومن الرحمانية والمالكية للكل، والعلم الشامل، يقتضي اختصاصه تعالى بالألوهية والربوبية[1].

---

1 الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (1/ 173)، دار الفكر.

2 شرح مختصر خليل للخرشي (1/ 6)، دار الفكر.

3 حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (2/ 481)، ت البقاعي، دار الفكر.

4 البيان والتحصيل لابن رشد (8/ 168)، دار الغرب.

5 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي(2/ 399)، دار ابن كثير.

6 كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص: 172)، عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

[7] إحياء علوم الدين، ط/ دار الشعب (2/ 110)

[8] إحياء علوم الدين، ط/ دار الشعب (16/ 54)

[1] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (3/ 374)

19) وقال المناوي: وأبين (أن لا إله) أي لا معبود بحق في الوجود (إلا الله وحده) تأكيد لتوحيد الذات (لا شريك له)[1]. وقال أيضا: (لا إله) أي لا معبود بحق في الوجود (إلا الله) الواجب الوجود[2]. وقال: (حتى) أي إلى أن (يشهدوا) يقروا ويبينوا (أن لا إله) أي لا معبود بحق (إلا الله) استثناء من كثرة متوهمة وجودها محال[3].

20) وقال الخطيب الشربيني وغيره من شرّاح منهاج النووي: (وأشهد) أي أعلم وأبين (أن لا إله) أي لا معبود بحق في الوجود (إلا الله) الواجب الوجود[4].

21) قال إسماعيل حقي: لا إله إلا هو خبر بعد خبر أي هو مجامع لهذين الوصفين من الربوبية والألوهية فلا مستحق للعبادة سواه ومعنى لا إله إلا هو الواحد المختص بالإلهية[5]. وقال: لا إله إلا هو، وإذا تبين تفرده تعالى بالألوهية والخالقية والرازقية، "فأنى"فمن أي وجه "تؤفكون"تصرفون عن التوحيد الى الشرك وعن عبادته إلى عبادة الأوثان[6]. وقال: لا إله إلا هو..و"لا" في كلمة التوحيد لنفى افراد الجنس على الشمول والاستغراق و"إله"..والمراد به جنس المعبود بالحق لا مطلق جنس المعبود حقا او باطلا[1].

---

[1] التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (1/ 3)

[2] التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (1/ 16)، وانظر: فيض القدير للمناوي(1/ 102)

[3] التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (1/ 238)

[4] مغني المحتاج (1/ 93)، وكذا في نهاية المحتاج (1 /33)، وتحفة المحتاج (1 /8)، وشرح المحلي على المنهاج (1/ 5)، والسراج الوهاج (ص: 3).

5 روح البيان (4/ 375)

6 روح البيان (7/ 317)

1 روح البيان (9/ 454)

22) "واعلم أن كلمة الإسلام (لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسولُ الله)..فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مصاحبا..وأن يستحضر معناها إجمالا وهو أنه لا معبود بحق إلا الله"[1].

فهذه أكثر من عشرين نصّا من نصوص الأشاعرة والمتكلمين والصوفية على أن الإله هو المعبود، وعلى أن لا إله إلا الله تعني أنه لا معبود بحق إلا الله، فأنى يقال إن الأشاعرة والمتكلمين والصوفية جهلوا أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله؟!

ثالثا: أنه نتج من هذا الخطأ أنهم أجازوا عبادة غير الله ووقعوا في شرك العبادة

زعم السلفية أن الأشاعرة حين أخطؤوا في تفسير شهادة أن لا إله إلا الله أجازوا عبادة غير الله! بل وقعوا في عبادة غير الله!! ولذا "كان من أتباع هؤلاء **من يسجد للشمس والقمر والكواكب** ويدعوها كما يدعو الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها"[2]، "**فأجازوا للناس عبادة الملائكة والإنس والجن وغير ذلك فكل هذا عندهم ليس شركاً** حتى يقترن ذلك بشرك الربوبية، **ولذلك تجد الصوفية يجيزون التوجه بالدعاء إلى النبي وإلى آل البيت والصحابة**"[3].

قال وليد: هذه مزاعم باطلة، وهي :

الزعم الأول: أن الأشاعرة أخطؤوا في تفسير شهادة أن لا إله إلا الله حيث فسّروها بلا خالق إلا الله، وليس بأنه لا معبود بحق إلا الله !! وقد سبق أن فنّدنا ذلك، وقلنا بأن هذا غير صحيح لسببين؛ **السبب الأول:** أن الأشاعرة فسّروا شهادة أن لا إله إلا الله بأن معناها

---

1 مختصر شرح الخريدة البهية للشيخ سعيد فودة (ص: 43)

2 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (1/ 318)

3 منشور بعنوان " الجهمية والأشاعرة هم سبب وقوع الصوفية في الشرك والإلحاد "

https://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=189705

لا معبود بحق إلا الله، وقد سبقت نصوصهم الكثيرة في ذلك. **السبب الثاني**: أن عبادة غير الله شرك وكفر بغض النظر عن تفسير شهادة أن لا إله إلا الله.

الزعم الثاني: أن الأشاعرة والصوفية أجازوا عبادة غير الله ووقعوا في عبادة غير الله!! فهذا غير صحيح أيضا بل هذا افتراء عليهم، وذلك لأنهم: **أولا**: نصّوا على أن عبادة غير الله شرك وكفر، وستأتي نصوصهم في ذلك. **ثانيا**: أن العبادة لها مفهوم عند الأشاعرة وجمهور العلماء غير مفهومها عند ابن تيمية وأتباعه، وهذا سيأتي بسطه بعد قليل تحت عنوان "دعوى أنهم لم يبحثوا مسائل شرك العبادة في كتب العقيدة"، وأما الآن فلدينا ثلاثة أمور وهي:

الأمر الأول: نصوص الأشاعرة على أن عبادة غير الله شرك وكفر.

الأمر الثاني: أن عبادة غير الله شرك وكفر بغضّ النظر عن تفسير شهادة التوحيد.

الأمر الثالث: دعوى أن بعض الأشاعرة والصوفية أجازوا عبادة غير الله

ونبدأ بالأمر الأول وبالله التوفيق

الأمر الأول: نصوص الأشاعرة على أن عبادة غير الله شرك وكفر

نسرد فيما يلي نصوصا كثيرةً للأشاعرة وغيرهم من المتكلمين صرّحوا فيها بأن من التوحيد عبادة الله وحده، وأن عبادة غيره تعالى كفر وشرك:

1) قال الإمام الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) :(إن الحكم إلا لله) أي: ما الحكم – في الألوهية والربوبية والعبادة – إلا لله.[1]
2) وقال القاضي أبو بكر الباقلاني (**403** هـ): ويجب أن يُعلم أن صانع العالم جلّت قدرته واحد أحد، ومعنى ذلك **أنه ليس معه إله سواه**، ولا من يستحق العبادة إلا

---

1 «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (6/ 241)

إياه[1]، وقال أيضا: [والتوحيد له هو الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد فرد معبود، ليس كمثله شيء] [2].

3) وقال **الحليمي(403 هـ)**: ولله جل ثناؤه أسماء سوى ما ذكرنا تدخل في أبواب مختلفة: منها ذو العرش: ومعناه الملك الذي يقصد الصافون حول العرش لتعظيمه وعبادته، فهذا قد يتبع إثبات الباري جل ثناؤه على معنى أن للعباد ملكا وربا يستحق عليهم أن يعبدوه، وقد يتبع التوحيد على أن المعبود واحد والملك واحد وليس العرش إلا لواحد، وقد يتبع إثبات الإبداع والاختراع له لأنه لا يثبت العرش إلا لمن ينسب الاختراع إليه، وقد يتبع التدبير له، على معنى أنه هو الذي رتب الخلائق ودبر الأمور مقلا بالعرش[3].

4) وقال أيضا القبول عن رسول الله قبول عن الله، والطاعة طاعة الله عز وجل، وإذا كان الله هو المعبود دون رسوله، وهو المرغوب إليه، والمرهوب منه دونه من سواه، فمن ثبت له أنه رسوله وجبت الطاعة لأوامره لأنها أوامر المرسل[4].

5) وقال إمام الحرمين الجويني **(478 هـ)**: قال الله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}، وفي الآية لطيفة لا يتفطّن لها إلا موفق، وهي أنه تعالى أبان أنه لا معبود غيره.

6) قال **البيهقي(458 هـ)**: ومنها الكافي لأنه **إذا لم يكن في الإلهية شريك صحّ أن الكفايات** كلها واقعة به وحده، **فلا ينبغي أن تكون العبادة إلا** له، والرغبة إلا إليه، والرجاء إلا منه[1].

---

(1) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل للباقلاني به ص 33، تحقيق الكوثري، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3/1993م.

2 الإنصاف: ص 32 .

3 المنهاج في شعب الإيمان (1/ 209)

4 المنهاج في شعب الإيمان (1/ 238)

1الأسماء والصفات للبيهقي (1/ 50)

7) وقال الراغب الأصبهاني (**502 هـ**): العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل **ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال** وهو الله تعالى، ولهذا قال { ألا تعبدوا إلا إياه}[1].

8) **وقال** أبو حامد **الغزالي** (**505هـ**) بأن لباب التوحيد هو "أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، **وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره**"(2). وقال **أيضا**: فهذا مُراءٍ، معه أصل الإيمان بالله، يعتقد أنه لا معبود سواه، ولو كلّف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل .

9) **وقال القشيري** (**514 هـ**): الشرك الجلي ـ الأكبر ـ **هو اعتقاد معبود سوى الله** وهو عبادة الأصنام..[3]. وقال: أمر بإفراده- سبحانه- بالعبادة، وذلك بالإخلاص فيما يستعمله العبد منها،[4]

10) وقال ابن السيد **البطليوسي** (**521 هـ**): لا رب سواه ولا معبود حاشاه[5].

11) وقال **الزمخشري** (**538هـ**): أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ولا معبودا سواه[1]. وقال: أي إذا صحّ أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده، لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها[2].

---

1 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: 319)

(2) إحياء علوم الدين (1/ 56)

3 لطائف الإشارات 2/ 196، وانظر آراء القشيري العقدية والصوفية عرض ونقد ص105

4 تفسير القشيري (2/ 343)

5 التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف (ص: 32)، عبد الله بن مُحَمَّد بن السيد البطليوسي، دار الفكر – بيروت، ط2/ 1403هـ.

1 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 568)

2 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 31)

12) وقال القاضي أبو بكر **ابن العربي (543هـ)**: لا رب غيره ولا معبود إلا إياه[1].

13) وقال الإمام **الرازي (606هـ)**: لأنه لا معنى للشرك إلا أن يتخذ الإنسان مع الله معبودا[2]. وقال: [سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ: أي سبحانه من أن يكون له شريك في الأمر والتكليف، وأن يكون له شريك في كونه مسجوداً له ومعبوداً، وأن يكون له شريك في وجوب نهاية التعظيم والإجلال][3].

14) وقال **الرازي أيضا**:..وهو أن يشتغل الإنسان بعبادة الله تعالى على سبيل الإخلاص، **ويتبرأ عن عبادة غير الله تعالى بالكلّية**، فأما اشتغاله بعبادة الله تعالى على سبيل الإخلاص فهو المراد من قوله تعالى [فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً]، **وأما براءته من عبادة غير الله تعالى** فهو المراد بقوله [أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ] [(3)]، لأن قوله [ألا لله] يفيد الحصر[4].اهـ **ونصوص الرازي** رحمه الله كثيرة جدا في ذلك، ولذا سنأتي بالمزيد منها لاحقا في مبحث خاص ولاسيما أنه أثير حوله شبهات في ذلك.

15) وقال الآمدي **(631هـ)**: وأما الفائدة في خلق الجمادات، وغيرها فالعناية بنوع الإنسان لأجل انتظام أحواله في مهماته وأفعاله، والاستدلال بما في طيّها من الآيات، والدلائل الباهرات **على وجود واجب الوجود، ووحدانية المعبود ليعبد** ويعظم فيستحق على عبادته وتعظيمه الثواب الجزيل[1].

16) **وقال الإمام العز ابن عبد السلام (660هـ)** بعد ذكر الصفات الواجبة لله تعالى: [فإن الألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية، ولا يستحق العبودية إلا من

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي (3/ 470)

[2] مفاتيح الغيب: 33/16 ، الآية 30 من سورة التوبة .

3 مفاتيح الغيب: 38/16 ، الآية 31 من سورة التوبة .

4 مفاتيح الغيب (26 /241)

1أبكار الأفكار في أصول الدين (2/ 156)

اتصف بجميع ما ذكرناه]. ثم قال: [ولا يستحق الإلهية إلا من اتصف بجميع ما قررناه][1].

17) وقال الإمام المفسر القرطبي (**671هـ**) في مقدمة كتابه [التذكرة في أحوال الموتى]:جعله الله خالصاً لوجهه..لا رب سواه، ولا معبود إلا هو، سبحانه[2].

18) ويقول الإمام النووي (**676هـ**) عن كلمة لا إله إلا الله: [وأفضل الأذكار بعد القرآن لا إله إلا الله، ومعناها: لا معبود بحق في الوجود إلا الله][3].

19) وقال القرافي (**684 هـ**): (إياك نعبد وإياك نستعين) أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك[4].

20) **وقال البيضاوي (691هـ)**: أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الأقدام. خير أم الله الواحد المتوحد بالألوهية. القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره[5]. وقال أيضا :ألا تعبدوا إلا الله أي لا تعبدوا، أو بأن لا تعبدوا فإن النهي عن الشيء إنذار من مضرته. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم.اهـ وقال: قالوا أجئتنا لتأفكنا لتصرفنا. عن آلهتنا عن عبادتها. فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك[1]. وقال: لا تعبدون إلا الأسماء المجردة. والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة، ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما

---

1 العقائد للعز ابن عبد السلام: ص 11 ، 13 .

2 التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة 110/1، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، ت الصادق بن مُحَمَّد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، ط1425/1هـ.

[3] المقاصد للإمام النووي: ص 9 .

4 نفائس الأصول في شرح المحصول (3/ 1034)

5 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 164)

1 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 115)

تطلقون عليها. إن الحكم ما الحكم في أمر العبادة. إلا لله لأنه المستحق لها بالذات من حيث إنه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لأمره[1].

21) قال النسفي (**ت710هـ**) عند قوله تعالى {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: 65]: {فاعبده} فاثبت على عبادته..{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} شبيها ومِثلاً، أو هل يسمى أحد باسم الله غيره؟ لأنه مخصوص بالمعبود بالحق؛ أي إذا صح **أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده** لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها[2].

22) قال أبو حيان (**745 هـ**): وإذ أخذ ربك من ظهور ذريات بني آدم ميثاق التوحيد لله وإفراده بالعبادة[3]. "وقال بعض أهل الإشارات: الأسباب المتقرَّب بها إلى الله تعالى: اعتقاد وقول وعمل ونية. فنبه بقوله: لا تعبدون إلا الله، على مقام التوحيد[4].

23) وقال **التفتازاني** (**792هـ**)): {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} معناه **نخصّك بالعبادة**[5]. وقال: **حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية** وخواصها، ولا نزاع لأهل الإسلام في أن تدبير العالم وخلق الأجسام **واستحقاق العبادة**، وقِدم ما يقوم بنفسه كلها من الخواص6. وقال: الإشراك هو **إثبات الشريك في الألوهية**، بمعنى وجوب الوجود، كما للمجوس، **أو بمعنى استحقاق العبادة كما لعبدة الأصنام**1. وقال: والمعتزلة إنما

1أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 164)

2مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 345)

3 البحر المحيط في التفسير (5/ 220)

[4] البحر المحيط في التفسير (1/ 465)

5 شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه (1/ 123)

6 شرح المقاصد للتفتازاني (3/ 320)

1 شرح النسفية للتفتازاني (ص55)، ت أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

يبالغون في نفي تعدد القديم وأهل السنة في نفي تعدد الخالق **والكل متفقون على نفي تعدد الواجب المستحق للعبادة** والموجد للجسم[1].

24) وذكر أيضا أنه قد جاء قوله تعالى "((أفمن يخلق كمن لا يخلق)) في مقام التمدح بالخالقية، **وكونها مناطاً لاستحقاق العبادة**"2، "سبحانه الخالق الذي يستحق العبادة لا غيره"3. ولذا جاءت "الآيات البينات الواضحات في مقام **إبطال رأي المشركين في تجويز الألوهية لغيره** سبحانه"4

25) وقال الزركشي (**794 هـ**): نحو: {إياك نعبد وإياك نستعين} أي: نخصك بالعبادة والاستعانة5، وإنما جاء هذا في {إياك نعبد} **للعلم بأنه لا يعبد غير الله**[6].

26) وقال **البيجوري** (825 هـ): **التوحيد: هو إفراد المعبود بالعبادة** مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفات وأفعالا، فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى [(7)].

27) وقال الإمام **السنوسي** (895 هـ) رحمه الله: [وأنواع الشرك ستة: شرك استقلال، وهو إثبات إلهين مستقلين، كشرك المجوس، وشرك تبعيض، وهو تركيب إله من آلهة، كشرك النصارى، وشرك تقريب، وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب إلى الله تعالى زلفى، كشرك متقدمي الجاهلية، وشرك تقليد، وهو عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير، كشرك متأخري الجاهلية، وشرك الأسباب، وهو إسناد التأثير للأسباب العادية، كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك، وشرك الأغراض، وهو

1شرح المقاصد (3/ 320)

2 شرح النسفية للتفتازاني (ص55)، ت حجازي السقا.

3 الجواهر البهية على شرح العقائد النسفية (2/ 149)

4 الجواهر البهية على شرح العقائد النسفية (2/ 148)

5 تشنيف المسامع بجمع الجوامع (1/ 313)

6 تشنيف المسامع بجمع الجوامع (1 /326)

(7)حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص38.

العمل لغير الله تعالى، وحكم الأربعة الأُوَل الكفر بإجماع ،وحكم السادس المعصية، وحكم الخامس التفصيل،...] [1]

28) قال **السنوسي** أيضا: "وحقيقة الإله هو الواجب الوجود المستحق للعبادة،..والمعنى على هذا لا مستحق للعبودية له موجوداً . أو في الوجود . إلا الفرد الذي هو خالق العالم جلّ وعلا،..لأنه لا يستحق أن يعبد . أي يذل له كل شيء . إلا من كان مستغنياً عن كل ما سواه ومفتقراً إليه كل ما عداه"[2].

29) **وقال الإمام السيوطي (911 هـ)** في مقدمة كتابه [البدور السافرة في أحوال الآخرة]، قال رحمه الله عن كتابه هذا: [جعله الله خالصاً لوجهه،..، لا رب سواه، ولا معبود إلا هو، سبحانه] 3.

30) وقال الجلال الدواني (**918 هـ**): "واعلم أن التوحيد إما بحصر وجوب الوجود أو بحصر الخالقية أو بحصر المعبودية''ثم تكلم عن الأول والثاني..وقال: "والثالث وهو حصر المعبودية فيه وهو ألا يشرك بعبادة ربه أحداً، فقد دلت عليه الدلائل السمعية، وانعقد عليه إجماع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ كلهم قد دعوا المكلفين أولا إلى التوحيد، ونهوهم عن الإشراك في العبادة[4] اهـ.

31) قال **القسطلاني (923 هـ)**:..فبيده جميع الأمور والعمل له سبحانه **لأنه المستحق للعبادة وحده**[1]. وقال: {أتدعون بعلاً} أي أتعبدون صنمًا أو تطلبون الخير منه..والمستحق للعبادة وحده لا شريك له.

---

1 شرح المقدمات للسنوسي: ص 33 ، 40 .

2 شرح أم البراهين للسنوسي: ص 206 – 207 ، المطبوع مع حاشية الدسوقي .

3 البدور السافرة في أحوال الآخرة ص3، للحافظ جلال الدين السيوطي، ت مُحَمَّد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية،ط1/1996م .

4 حاشية الكلنبوي على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية ص212، ت أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. ونقله الزبيدي في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ج2/203، دار الكتب العلمية.

1إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (3/ 115)

32) وقال الشهاب **الخفاجي** (**1069 هـ**): إذا كان لا يليق الثناء والتعظيم بشيء سواه لأنه المنعم لا أحد غيره لزم أنْ لا معبود ولا إله سواه بالطريق الأولى[1]، وقال أيضا: إنّ الإنكار إنما استفيد من قيام الدليل على أنه لا معبود إلا الله[2].

33) وقال عبد السلام **اللقاني** (1078 هـ): التوحيد: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا[(3)].

34) وقال الكفوي (**1094 م**): الإشراك: هو إثبات الشريك لله في الألوهية، سواء كان بمعنى وجوب الوجود أو استحقاق العبادة[4]. وقال: إنه لما كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله، كان أمرهم بالشرك كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة[5].

35) قال **الصفاقسي** (**1118 هـ**): "هو الله" الواجب الوجود، الحي المعبود، الموصوف بصفات الألوهية، المختص بها، التي لا يشاركه فيها غيره6.اهـ

36) وقال إسماعيل حقي (**1127 هـ**): "وإلهكم" خطاب عام لكافة الناس أي المستحق منكم للعبادة إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها، ولا يصح أن يسمى غيره إلها فلا معبود إلا هو..فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا إلا إياه[1].

---

1 حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (4/ 14)

2 حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (4/ 319)

(3) إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ص14.

4 الكليات (ص: 121)

5 حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (1/ 229)

6 تقريب البعيد إلى جوهرة التوحيد (ص: 37)، علي بن مُحَمَّد الصفاقسي (كان حيا سنة 1118هـ) ، ت: الشيخ الحبيب بن طاهر.

1 روح البيان (1/ 266)، إسماعيل حقي الحنفي الخلوتي (ت: 1127هـ)، دار الفكر – بيروت.

وقال: لا إله إلا هو، إذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله، فادعوه: فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى، مخلصين له الدين: أي الطاعة من الشرك الجلي والخفي[1]. **وقال:** "الرحمن الرحيم" أي المولى لجميع النعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه مستحق هذه الصفة فإن كل شيء سواه إما نعمة وإما منعم عليه، فثبت أن غيره لا يستحق العبادة فلا يكون إلها فقوله "الرحمن الرحيم"كالحجة على الوحدانية[2].

37) **وقال ابن عجيبة (1224 هـ):** "ويقولون هؤلاء الأوثان شفعاؤنا عند الله" تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا، أو في الآخرة إن يكن بعث، وكأنهم كانوا شاكّين فيه، وهذا من فرط جهالتهم، حيث تركوا عبادة الموجد للأشياء، الضار النافع، إلى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع[3].اهـ وقال عن المشركين عند قوله تعالى "إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها": حيث تركوا عبادة ربها، ونصبوا الأوثان، وعكفوا على عبادتها، قاتلهم الله أنّى يؤفكون[4].اهـ وقال في قوله {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: 42]: وهو العزيز الغالب الذي لا شريك له، الحكيم في ترك المعاجلة بالعقوبة، وفيه تجهيل لهم، حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة، وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء، الحكيم الذي لا يفعل إلا لحكمة وتدبير[5].اهـ وقال: والذين اتخذوا من دونه أولياء أي: لم يخلصوا في عبادتهم، بل شابوها بعبادة غيره، كالأصنام، والملائكة، وعيسى[1].

---

1 روح البيان (8/ 206)

2روح البيان (1/ 267)

(3)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (2/ 459)، وتقسيم التوحيد في الميزان للمكي ص23

(4) البحر المديد (4/ 227)

(5) البحر المديد (4/ 304)

(1) البحر المديد (5/ 49)

38) وقال الحفيد في فتح المجيد (**1285هـ**): وقال أبو عبد الله **القرطبي** في تفسير (لا إله إلا الله) أي: لا معبود إلا هو، وقال الزمخشري: الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس، يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق...وقال **البقاعي**: ''لا إله إلا الله "، أي: انتفاء عظيما أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم...وقال **الطيبي**: (الإله) فِعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله إلهة أي: عبد عبادة. انتهى كلامه[1].

39) وقال الشيخ باي بلعالم (**1430**هـ) في منظومته:

وواجب علينا أن نعتقدا ... أن الإله واحد تفردا

بالملك لا معبود بالحق سواه ... جل عن النظير والند الإله[2]

40) **وقال الشيخ د.سعيد فودة في تهذيب شرح السنوسية:** دلّ النقل والعقل أن الإله الحق هو الله وحده الواجب الوجود، المستحق جميع العبادة وعبادة غيره باطلة وكفر[3].

فهذه أكثر من أربعين نصّا من نصوص الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة من متكلمين ومفسرين ومحدثين وفقهاء ولغويين وصوفيين (صوفية) وغيرهم، والتي تنص على أن الله هو وحده المعبود بحق، وأن هذا معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، وهذا يردّ زعم ابن تيمية وأتباعه من أن المتكلمين لم يعرفوا "**التوحيد الذى جاءت به الرسل..ولم يبيّنوه..وهو عبادة الله وحده**"1.

---

1 «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص37):

2 الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية (ص: 5)، مُحَمَّد عبد القادر القبلوي الجزائري المالكي الشهير بالشيخ باي بلعالم (ت: 1430 هـ)، مطبعة دار هومه، 2002 م.

(3)تهذيب شرح السنوسية، د. سعيد فودة (ص: 90)

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 463)

فلا جرم أن بعض السلفية أنفسهم أقرّ بخلاف ذلك قائلا **"وللأمانة العلمية لا بد أن نسجل أن بعض الأشاعرة أشار إلى توحيد الألوهية**[1]"ثم استشهد ببعض النصوص السابقة عن الأشاعرة أنفسهم التي يقرّرون فيها وجوب عبادة الله وحده، ثم قال: **لا نعتقد أن الأشاعرة لا يرون استحقاق الله تعالى للعبادة..والذي نراه هو أنهم يرون أن توحيد الألوهية من الدين والإسلام عموما"**[2].

ولكنه استدرك بقوله "لكنهم لا يرون أنه **من حقيقة التوحيد الذي يقع فيه الشرك**"[3]. **وهذا استدراك عجيب** ولا نطيل بنقضه وإنما نشير إلى بطلانه بما قاله **القشيري: الشرك الجلي ـ الأكبر ـ هو اعتقاد معبود سوى الله**[4].اهـ وبما قاله **الفخر الرازي** عند قوله تعالى "قل أندعوا من دون الله": أي **أنعبد من دون الله** النافع الضار ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضرنا، ونرد على أعقابنا **راجعين إلى الشرك** بعد أن أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام؟[5] وستأتي مزيد من نصوص الرازي في ذلك[6].

وبما قاله التفتازاني أيضا: **حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية** وخواصها، ولا نزاع لأهل الإسلام في أن تدبير العالم وخلق الأجسام **واستحقاق العبادة**

(1) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص124

(2) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص126

(3) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص126

(4) تفسير لطائف الإشارات للإمام القشيري – ج 2 ص 212.

5 مفاتيح الغيب (13/ 25)

6 انظر: ص (399)

وقِدَم ما يقوم بنفسه كلها من الخواص، ونعني القدم بمعنى عدم المسبوقية بالعدم، وأما بمعنى عدم المسبوقية بالغير فهو نفس الألوهية ووجوب الوجود1.

وبما جاء في تهذيب شرح السنوسية:..الله وحده الواجب الوجود، **المستحق جميع العبادة، وعبادة غيره باطلة وكفر**.اهـ وقد سَبقت هذه النصوص وغيرها وفيها تصريح واضح بأن عبادة غيره تعالى كفر وشرك عند الأشاعرة خلافا لما نسبه هذا الزاعم إليهم من أنهم لا يرون عبادة غير الله شركا!!

الأمر الثاني: بيان أن عبادة غير الله شرك بغض النظر عن تفسير شهادة أن لا إله إلا الله

إن ما ذكرتم من ضرورة تحديد معنى الإله ولاسيما في شهادة أن لا إله إلا الله، وأنه المعبود بحق لئلا يقع المكلف في الشرك في العبادة إذا ظن أن الإله هو الخالق، ومن ضرورة التفريق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية بحجة أن الخلط بينهما أدى ببعض الناس من الصوفية والأشاعرة وغيرهم إلى الوقوع في الشرك وعبادة غير الله ظنا منهم أن هذا لا ينافي التوحيد بسبب أنهم فسّروا الإله بالخالق في شهادة أن لا إله إلا الله إلى آخر ما ذكرتم!!

أقول: هذا الذي ذكرتموه كله غير مسلّم، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن الأشاعرة والصوفية نصّوا على خلاف هذا الزعم، حيث نصوا على أن التوحيد هو شهادة لا إله إلا الله، وأنه لا معبود بحق سواه، وقد سبقت نصوصهم في ذلك.

السبب الثاني وهو الأهم: من قال لكم إن وجوب عبادة الله وحده والحكم بشِرْكِ من يَعبُد غيرَه: متوقفٌ على تفسير كلمة الإله أو تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ؟! هذا كلام عجيب غريب تضحك منه الثكلى، لأنه قد جاءت به آيات كثيرة جدا صريحة قاطعة الدلالة على وجوب عبادة الله وحده، وكفْر مَن يَعبد سواه، هذا فضلا عن دلالة السنة والإجماع والمعقول على ذلك، وإليكم بيان ذلك بحول الله.

---

1 شرح المقاصد للتفتازاني (3/ 320)

نسرد فيما يلي طائفة من الآيات في ذلك:

1) {وَقَضَى رَبُّكَ **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**} [الإسراء: 23]، أمر بإفراده سبحانه بالعبادة، وذلك بالإخلاص فيما يستعمله العبد منها[1]. **"لأن غاية التعظيم لا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام"**[2]. هذه الآيات سمّيت محكّمة؛ لأن فيها توحيدًا وإيمانًا بالله وغيره من المتشابه[3]. **ألا تعبدوا إلا إياه** لأن غاية التعظيم لا يكون إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام، **وهو الله وحده**[4].

2) {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** } [الكهف: 110] أي لا يلاحظ عمله، ولا يستكثر طاعته، ويتبرأ من حوله وقوّته[5]. جعل الإشراك في الألوهية والربوبية، والإشراكَ في العبادة واحدًا؛ كله شرك بالله[6].

3) {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف: 40] أمر ألا تعبدوا إلا إياه، وذلك لأن العبادة نهاية التعظيم والإجلال فلا تليق إلا بمن حصل منه نهاية الإنعام، وهو الإله تعالى لأن منه الخلق والإحياء والعقل والرزق والهداية[7].

4) وقال الباري: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} [هود: 2]، قال **البيضاوي: مبتدأ للإغراء على التوحيد،** أو الأمر بالتبري من عبادة الغير كأنه

---

[1] لطائف الإشارات = تفسير القشيري (2/ 343)

2 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 252)

3 تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (2/ 304)

4 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (3/ 192)

5 لطائف الإشارات = تفسير القشيري (2/ 417)

6 تأويلات أهل السنة (3/ 362)

7 مفاتيح الغيب (18/ 145)

قيل: ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوها تركا. "إنني لكم منه" من الله. نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد[1]. "**هو المستحق للعبادة** ويحتمل (**أَلَّا تَعْبُدُوا**) **ألا توحدوا إلا الذي في شهادة خلقتكم وحدانيته.**"[2]. أي اتركوا الأصنام فلا تعبدوها، وأطيعوا الله وحده[3]. وأن قوله: ألا تعبدوا إلا الله مشتمل على المنع عن عبادة غير الله، وعلى الترغيب في عبادة الله تعالى[4].

5) وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ **لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ** } [البقرة: 83]، فالآية فيها "تبيين ما أخذ عليهم من ميثاق العبادة لله، **وإفراده تعالى بالعبادة**"[5]. أي: "لا تجعلون الألوهيةَ إلا لله. **ويحتمل: نفس العبادة، أَي: لا تعبدون غير اللَّه،** من الأَصنام والأَوثان وغيرهما"[6]. و"هذا الميثاق يدل على تمام ما لا بد منه في الدين **لأنه تعالى لما أمر بعبادة الله تعالى، ونهى عن عبادة غيره،** ولا شك أن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه"[7].

6) {**اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**} [النساء: 36]، "هو الأمر **بتخصيص العبادة به تعالى** المترتبُ على أصلها كأنه قيل اعبدوه فخُصُّوها به"[1]، "أي

---

1 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 127)

2 تأويلات أهل السنة (6/ 95)

3 الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ط/ الرسالة (11/ 97)

4 مفاتيح الغيب (17/ 188)

5 البحر المحيط في التفسير (1/ 455)

6 تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (1/ 502)

7 مفاتيح الغيب (3/ 176)

1 تفسير أبي السعود المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (1/ 62)

لاتشركوا به شيئاً من الأشياء صنماً أو غيرَه، أو على أنَّه مصدرٌ أي لاتشركوا به شيئاً من الإشراك جلياً أو خفياً"[1].

7) وقال: {قُلْ إِنَّمَا **أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ**} [الرعد: 36]، "**والمراد قصرُ الأمر بالعبادة على الله تعالى،** لا قصر الأمر مطلقا على عبادته تعالى خاصة، أي قل **إنما أمرت فيما أنزل إلي بعبادة الله وتوحيده**"[2].

8) وقال: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**} [الأعراف: 59]، ''أي **اعبدوه وحده،** وترك التقييد به؛ للإيذان بأنها العبادة حقيقة، وأما **العبادة بالإشراك فليست من العبادة في شيء،** وقوله تعالى {ما لكم من إله غيره} أي **من مستحق للعبادة**"[3]. وكذا قال سيدنا هود وصالح وشعيب ـ عليهم السلام ـ في السورة نفسها[4]، "**كأنه قيل خُصّوه بالعبادة** ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم إله سواه"[5].

9) وقال تعالى: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ** وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } أي "يا من هذا شأنه **نخصك بالعبادة** والاستعانة"6، وقد "انتقل إلى طريق الخطاب لكونه **أدل على اختصاص العبادة** والاستعانة به تعالى"[1]، "لما على العبد أن **يوحد اللَّه – تعالى – في كل عبادة** لا يُشرك فيها أحدًا، بل **يخلصها فيكون موحّدًا لله تعالى**

---

1 إرشاد العقل السليم (2/ 175)

2 إرشاد العقل السليم (5/ 25)

3 إرشاد العقل السليم (3/ 235)

4 الآيات من سورة الأعراف رقم: 65، 73، 85.

5 إرشاد العقل السليم (3/ 237)، «تفسير الألوسي = روح المعاني» (4/ 393)

6 تفسير البيضاوي مع حاشية الشيخ زادة على (1/ 39)

1 حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي(1 /39)

بالعبادة والدِّين جميعًا"[1]. "لما ذكر أنه مستحق للمحامد كلها..**ذكر أنه لا يستحق أن يعبد سواه** إذ لا منعم على الحقيقة إلا الله، **فهو أحق أن يعبد،** وأولى أن يفرد بالوجهة والقصد، لأنه مستبد وغير مستمد"[2]. فكأن الحق- سبحانه- يقول: **يا عبادي احمدوني ومجدوني وأفردوني بالقصد وخُصّوني بالعبادة،** وكونوا في ظاهركم مشتغلين بعبادتي، وفي باطنكم مستعينين بحولي وقوتي3. قوله "إياك نعبد" **يدل على أنه لا معبود إلا الله،** ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله، فقوله: إياك نعبد وإياك نستعين **يدل على التوحيد المحض**4.

10) وقال تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163] أي ''وإلهكم **يا معشر العباد الذي يستحق أن يعبد إله واحد** لا شريك له..**إذ لا يستحق العبادة غيره**..فكل ما سواه مكوَّن مخلوق، إما منعَم عليه أو نعمة، **فلم يستحقّ العبادة غيره"**[5].

11) وقال تعالى: { إِذْ جاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ**} [فصلت: 14] ''يأمرونهم **بعبادة الله وحده"**[1].

12) وقال تعالى:{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} [هود: 2]، قال الرازي: قد ذكرنا أن هذه **الآية تدل على وجوب عبادة الله تعالى وتدل على المنع عن عبادة غير الله تعالى وهذا هو الحق،** وذلك لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية

---

1 تأويلات أهل السنة (1/ 363)

2 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (1/ 60)

3 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (1/ 62)

4 مفاتيح الغيب (1/ 248)

5 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (1/ 190)

1 روح البيان (8/ 242)

التعظيم، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام..**لا جرم كان المستحق للعبادة هو الله تعالى لا غيره، فثبت بالدليل العقلي صحة قوله: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**[1].

13) وقال عز وجل: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** } [الكهف: 110]، أي لا يلاحظ عمله، ولا يستكثر طاعته، ويتبرأ من حوله وقوّته. جعل الإشراك في الألوهية والربوبية، والإشراكَ في العبادة واحدًا؛ كله شرك بالله[2].

14) وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: 59] قال الرازي:"**المعنى اعبدوا الله ما لكم من معبود غيره** حتى يتطابق النفي والإثبات، ثم ثبت **بالدليل أن الإله ليس هو المعبود، وإلا لوجب كون الأصنام آلهة**، وألا يكون الإله إلها في الأزل لأجل أنه في الأزل غير معبود، فوجب **حمل لفظ الإله على أنه المستحقّ للعبادة**". و"قيل: قوله: (اعبدوا الله).، أي: **وحّدوا الله، سموا التوحيد عبادة لأن العبادة، لا تكون ولا تصح إلا بالتوحيد فيها لله خالصا** سُمّي بذلك مجازا، إذ يجوز أن يكون عبادة. وقوله – عز وجل –: (ما لكم من إله غيره).أي: **ما لكم من الإله الحق الذي ثبتت ألوهيته وربوبيته** بالدلائل والبراهين من إله غيره[1].اهـ

وقيل المعنى ''أرسل نوحاً إلى قومه: منذراً بأسة ومخوفاً من عقاب، فقال لمن كفر منهم {اعبدوا الله مَا لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرُهُ} **تعبدونه إلا الله، فاعبدوه ولا تشركوا به**"[2]، "فقال يا قوم

---

1 مفاتيح الغيب (20/ 185)

2 «لطائف الإشارات = تفسير القشيري» (2/ 417)

1 مفاتيح الغيب (14/ 296)، «التفسير المنير – الزحيلي» (8/ 256)

2 «الهداية الى بلوغ النهاية» (4/ 2413)

اعبدوا الله، **أي اعبدوه وحده** لقوله تعالى: ما لكم من إله غيره"[1]. ‘‘كأنه قيل مالكم إله غيره **فلا تعبدوا معه غيره**"[2]. "**ما لكم من إله غيره يستحق أن يعبد،** إني أخاف عليكم، إن لم تؤمنوا **وتوحّدوا الله** عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة، أو يوم نزول الطوفان"[3]. ‘‘{يا قوم اعبدوا الله } **وحده فان العبادة بالإشراك** ليس من العبادة في شيء { وما لكم من اله .غيره } أي من **مستحق للعبادة**"[4]

ثانيا: الأدلة من السنة على وجوب عبادة الله وحده وكفر من يشرك في عبادته

وأما الأدلة من السنّة المطهرة على وجوب عبادة الله وحده فثمة أحاديث كثيرة منها ما يلي:

15) حديث الشيخين: "فإن حقّ الله على **عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا،** وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا‘‘[5]. هو أن تعبد الله؛ أي: تطيعه في أوامره ونواهيه؛ لأنَّ العبادة هي الطاعة.وقيل: أي: توحده؛ لأنَّ التوحيد أصل العبادة، ويؤيد هذا قوله: "**ولا تشرك به شيئًا،** وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت"[1].

16) وحديث الشيخين أيضا "**الإسلام أن تعبد الله** ولا تشرك به"[2].

17) وحديثهما "أرجو أن يخرج الله من أصلابهم **من يعبد الله وحده لا يشرك به** شيئا"[1]. وقد "اقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء"[2].

---

1 «تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (3/ 17)

2 «تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (1/ 576)

3 «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لابن عجيبة (2/ 228)

4 «روح البيان» للشيخ إسماعيل حقي (3/ 182)

5 صحيح البخاري بتحقيق د.البغا (3/ 1049)، صحيح مسلم – عبد الباقي(1 /58).

1شرح المصابيح لابن الملك (1/ 63)

2 صحيح البخاري (1/ 27)، صحيح مسلم (1/ 39)

18) وعندهما أيضا:..دُلّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: "**تعبد الله ولا تشرك به شيئا**"[3].

19) ولهما أيضا:..دُلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار. قال: **تعبد الله لا تشرك به شيئا**[4]. "أي **اعبدْه غير مشرك به شيئا صنما ولا غيره** أو شيئا من الإشراك جليا أو خفيا"[5]، "وأعم من ذلك **البراءة من الشرك العظيم** بألا يتخذ مع الله إلها آخر **لأن الشرك في الإلهية لا يصحّ معه المعاملة بالعبادة،** وأخصّ منه **الإخلاص بالبراءة من الشرك الخفي** بأن لا يرى لله فيه شريكا في شيء من أسمائه الظاهرة **لأن الشرك في سائر أسمائه الظاهرة لا يصح معه القبول**"[6]. وقيل "(تعبد الله) أي: توحده، وفسره بقوله: (ولا تشرك به شيئا) قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. أي: ليوحدوني"[1]. وقيل "أي: توحده في إلهيته، وتخلص له في عبادته"[2].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة في أن عبادة غير الله شرك، فبطل ما ذكرتم من أن الخلط بين مفهوم الرب والإله وتفسير أحدهما بالآخر يؤدي إلى الشرك وعبادة غير الله: فهذا غير صحيح لأن وجوب عبادته تعالى وحده وكفر عبادة غيره أمر مبين في صريح القرآن والسنة الصحيحة بعيدا عن تفسير كلمتي الرب والإله كما سبق. وقد سردنا

---

[1] صحيح البخاري (3 /1180)، صحيح مسلم (3/ 1420)

2فتح الباري لابن حجر (1/ 228)، إرشاد الساري للقسطلاني (1 /221)

3 صحيح البخاري (2/ 506)، صحيح مسلم (1 /44).

4 صحيح البخاري (2/ 505)، صحيح مسلم (1/ 43) واللفظ له.

5التيسير بشرح الجامع الصغير (1/ 167)

6فيض القدير (1/ 701)

1عمدة القاري شرح صحيح البخاري (8/ 345)

2 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6/ 530)

تلك الآيات والأحاديث مقرونة بتفسير الأشاعرة والصوفية الذين اتهمتموهم بأنهم أجازوا عبادة غير الله وأنهم وقعوا في ذلك بسبب خلطهم بين الرب والإله، وقد بيّنا بطلان هذا الزعم مرتين، الأولى: حين سردنا نصوص الأشاعرة والصوفية وسائر المتكلمين على أن عبادة الله شرك، وقد سبقت نصوصهم في ذلك. الثانية: حين أتينا بتفسيرهم للآيات والأحاديث السابقة.

/الأمر الثالث: دعوى أن بعض الأشاعرة والصوفية أجازوا عبادة غير الله

قد يقال: ولكن ذكر ابن تيمية أن بعض المتكلمين والصوفية أجازوا عبادةَ غير الله، فهو يقول: وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره، **بل يجوّزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون: {لو شاء الله ما أشركنا}..ومنتهى متكلّميهم وعبادهم تجويز عبادة الأصنام..وأما عبادة الأصنام فباح بها متأخروهم كالرازي صنف فيها مصنفا وابن عربي وابن سبعين وأمثالهما، يصرّحون بجواز عبادتها** وبالإنكار على من أنكر ذلك وهم متناقضون في ذلك1.اهـ

قلنا: أما ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما ممّن يصنَّفون من فلاسفة المتصوفة فهؤلاء حولهم جدل طويل حتى بين الأشاعرة بل بين الصوفية أنفسهم، فمنهم يرتضيهم ومنهم لا يرتضيهم[1]، هذا فضلا عن الجدل حول بعض الكتب المنسوبة إليهما مثل نسبة فصوص

---

1 مجموع الفتاوى (13/ 213)

1 بالنسبة للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي فقد ارتضاه عدة من العلماء مثل ابن حجر الهيتمي والفيروزآبادي والشعراني والنابلسي وابن عابدين وغيرهم، ولم يرتضه عدد من العلماء مثل ابن خلدون وأبي حيان والسبكي وابن تيمية والذهبي وابن حجر العسقلاني، ومنهم من سكت عنه كالمناوي والشوكاني، ومنهم من توسط فيه كالسيوطي فاعتقد ولايته مع تحريم النظر في كتبه، ومنهم من اختلف قوله فيه كالعز بن عبد السلام .

ولا يتسع المقام لبسط الكلام هنا ونقل نصوص هؤلاء العلماء كلهم، ولكن نكتفي ببعضها، جاء في «الفتاوى الحديثية لابن حجر **الهيتمي**» (ص210): «**أن الشيخ محيي الدين بن عربي من أولياء الله تعالى** العارفين ومن العلماء العاملين وقد اتفقوا على أنه **كان أعلم أهل زمانه** بحيث أنه كان في كل فن متبوعا لا تابعا وأنه في التحقيق والكشف والكلام على الفرق والجمع بحر لا يجارى **وإمام لا يغالط ولا يمارى وأنه أورع أهل زمانه وألزمهم**

الحكم لابن عربي، فالكلام في ذلك طويل الذيل جدا، وحسبك أن تعلم أنه قد ألفت في ابن عربي كتب من الطرفين المادحين والقادحين، وليس المقام هنا لبسط ذلك، ولكن ما يهمنا قوله هنا هو أن هؤلاء الصوفية يصنفون من جملة القائلين بوحدة الوجود، واستتبع ذلك قولهم بوحدة الأديان أي أن كل الأديان على حق حتى الوثنية التي تعبد الأصنام!! طبعا هذا من وجهة نظر القادحين فيهما، وأما من يرتضيهم فينزههم من ذلك . فالمسألة ليست مرتبطة بقضية الفرق بين الرب والإله ونحو ذلك.

للسنة وأعظمهم مجاهدة»، وقال **ابن قاضي شهبة (٧٩٨ - ٨٧٤ هـ)** في «بداية المحتاج في شرح المنهاج» (2/ 617): «**قال السبكي: وكذا الصوفية ينقسمون إلى هذين القسمين**، وذكر في ذلك كلامًا نفيسًا، وقال في آخره: **ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين؛ كابن عربي وابن سبعين** والقطب القونوي والعفيف التلمساني .. **فهؤلاء ضلال جهال خارجون** عن طريق الإسلام؛ فضلًا عن العلماء». انظر: **https://ar.wikipedia.org/wiki/محيي_الدين_بن_عربي#cite_note-47**

وأما بالنسبة لابن سبعين فأيضا فيه خلاف، فالسبكي ضلّله كما سبق، والذهبي لوّح بتكفيره، حيث قال في «تاريخ الإسلام» (15/ 169 ت بشار): «ذكر شيخنا قاضي القضاة **تقيّ الدّين بن دقيق العيد قال: جلست مع ابن سبعين من ضحوةٍ** إلى قريب الظهر وهو يسرد كلامًا تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته قلت: واشتهر عنه أنه قال: لقد تحجر ابن آمنةٍ واسعًا بقوله: لا نبي بعدي. وجاء من وجهٍ آخر عنه أنه قال: لقد زرب ابن آمنةٍ حيث قال: لا نبي بعدي. **فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام**، مع أن هذا الكلام في الكفر دون قوله في رب العالمين أنه حقيقة الموجودات، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وذكره الشريف عز الدّين فقال: **له تصانيف عدة ومكانة مكينة عند جماعةٍ من الناس**. وأقام بمكة سنين عديدة.اهـ

وأما ابن عجيبة فقد ارتضاه وارتضى ابنَ عربي أيضا، حيث قال في «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (2/ 21):«**قد رمي كثير من الأولياء المحققين بالاتحاد والحلول كابن العربي الحاتمي، وابن الفارض، وابن سبعين،** والششتري والحلاج، وغيرهم- رضى الله عنهم- **وهم برآء منه. وسبب ذلك أنهم لما خاضوا بحار التوحيد، وكوشفوا بأسرار التفريد**»، وانظر رسالة دكتوراه «آراء ابن عجيبة العقدية عرضا ونقدا» لعبد الهادي العمري (ص804 ت/ش).

على أن ابن تيمية وقع في نحو ذلك فهو يزعم أن كل البشرية وحّدَته في الربوبية ومنها فرعون القائل أنا ربكم الأعلى، كما أن كل الناس عند ابن عربي موحّدون في الألوهية بمن فيهم من عبد الأصنام!! وهذا بسطته في كتاب"ولئن سألتهم"[1].

أما بالنسبة للفخر الرازي فنقول ما اسم مصنَّفه الذي دعا فيه إلى الشرك وعبادة غير الله؟ **قد يقال:** هو كتاب "**السر المكتوم في مخاطبة النجوم**"، وهو وإن أثار "جدلاً حول صحة نسبته إليه، واختلف حوله بين **نافٍ وشاكٍ ومثبتٍ**، وقد عرض الزركان الخلاف حوله، واستقصى أقوال العلماء في ذلك"[2]، إلا أنه "**رجح صحة نسبته** إليه، وممّن رجّح ذلك شيخ الإسلام **ابن تيمية** في مواضع متفرقة من كتبه[3]، وكتاب السر المكتوم أشار إليه الرازي وأحال عليه في بعض كتبه"[4] ولا سيما في كتابه المطالب العالية وهو من أواخر كتبه حيث قال حينما تكلم عن السحر إنه لم ير فيه "كتاباً مشتملاً على أصول معتبرة في هذا الباب إلا أنّا لما تأمّلنا حصّلنا فيه أصولاً وجملاً"[5]، وهذا "يدل دلالة قاطعة على صحة نسبة هذا الكتاب"[1]. وكتاب السر المكتوم هذا **هو كتاب "في الشرك"**2، فضلا عن أنه "**سحر صريح**"3. ونحوه ما ذكره في المطالب العالية من "إطباق مِن قديم الدهر على **التمسك بعلم**

---

1 انظر: "ولئن سألتهم" ص84.

2 انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 665)

3 انظر: درء التعارض (311/1) ، ومجموع الفتاوى (55/18)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 666).

4 انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 666)

5 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 666) نقلا عن المطالب العالية – جزء النبوات – (ص: 199).

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 666)

2 انظر منهج الأشاعرة في العقيدة – الكبير لسفر الحوالي (ص: 159).

3 ميزان الاعتدال للذهبي: 3 / 340

النجوم"[1]، و"أن الاستقراء يدل على حصول النفع العظيم فيه، وإذا كان كذلك **وجب الاشتغال بتحصيله** والاعتناء بشأنه"[2].

"وقد كان من آثار **هذا الشرك الصريح** أنه ذكر أن من الأنواع المعتبرة في هذا الباب **اتخاذ القرابين وإراقة الدماء..بل قال بتعظيم المزارات والقبور،** وأن الدعاء عندها فيه فائدة"[3]، بحجة أنه "لما دلت التجارب عليها وجب المصير إليها"[4]، وأنه "جرت عادة العقلاء بأنهم **يذهبون إلى المزارات المشرفة، ويصلّون ويتصدقون عندها، ويدعون في بعض المهمات** فيجدون آثار النفع ظاهرة، ونتائج القول لائحة..ولولا أن النفوس باقية بعد البدن، وإلا لكانت **تلك الاستعانة بالميت الخالي** من الحس والشعور عبثاً، وذلك باطل"[5]، كما أن ابن تيمية "ذكر أن قول **الفلاسفة في الشفاعة أعظم شركا** من قول غيرهم من مشركي العرب، وأن الرازي والغزالي- لدخولهم في الفلسفة- قد تأثروا بالفلاسفة في هذا الباب"[6].

قال وليد ـ نصره الله ـ: الرد على هذا من وجوه: **أولا:** في ثبوت كتاب السر المكتوم عن الرازي جدل طويل كما أقر بذلك الخصم نفسه، قال السبكي: وقد عرّفناك أن الكتاب مختلق عليه، **وبتقدير صحته إليه ليس بسحر، فليتأمله من يحسن السحر**[1].اهـ

---

1 انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 666) نقلا عن المطالبة العالية (ص: 210) .

2 انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 667) نقلا عن المطالبة العالية (ص: 216) .

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 667) نقلاً عن الزركان (ص: 477-478) نقلا عن المطالبة العالية (2/301-306) ، مخطوط.

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 667) نقلا عن المطالبة العالية (ص: 243) .

5 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 667)

6 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 980)

1 انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 8 / 87 .

ثانيا: وإن صح نسبة الكتاب وأنه في السحر، فقد ألّفه للحكاية و"جمْع ما **كَتبه أدعياءُ السحر**، وبيان حججهم بعبارته، حتى يستطيع المناظر لهم أن يدرك مذهبهم"[1]، ولم يؤلّفه للتبني **بل تبرأ فيه "عن كل ما يخالف الدينَ** فيه كما في مقدمته لكتاب السر المكتوم"[2]، حيث قال في مقدمته "فهذا كتاب يجمع فيه ما وصل إلينا من علم الطلسمات والسحريات والعزائم **ودعوة الكواكب مع التبرّي عن كل ما يخالف الدين وسُلم اليقين، والتكلان على إحسان الرحمن**"[3]، فهذا "**تبرّؤ صريح من الإمام** من كل ما يشتمل عليه الكتاب ولم يقصد فضيلته **إلا بيانا لمذهب ما من المذاهب الكفرية وبيان أدلتهم واستقصائها للرد عليها** أو معرفتها على الأقل والتجهيز للرد عليها، **لا يقصد الاعتقاد بكل ما جاء فيه**"[4].

ثالثا: أين في هذا كله أن الرازي دعا في كتابه السر المكتوم، أو في كتاب المطالب العالية، أو في غيرهما إلى الشرك وعبادة غير الله كما يزعم الخصم؟! لم يذكر لنا الخصم نصا واحدا يدل على مدّعاه، ونحن سنذكر نصوصا كثيرة للرازي بخلاف ذلك حيث ينص فيها على أن الشرك وعبادة غير الله كفر وسفه، ويطيل في بيان ذلك والاستدلال عليه بالأدلة العقلية والنقلية، أقصى ما ذكره الخصم أن كتاب"السر المكتوم'' و"المطالب''العالية تضمن أمرين، الأول: السحر، والثاني: قضية المزارات وما يفعل عندها، ونرد على ذلك فيما يلي:

أما قضية السحر وعلم النجوم وأن الرازي دعا إلى تعلمها لما فيها من الفائدة ونحو ذلك، فليس محل بحثنا ونظرنا في هذا الكتاب ما للرازي وما عليه، وما حقيقة ما نسبه الخصم

---

1 انظر على النت على موقع الأصلين "السر المكتوم في مخاطبة النجوم للإمام فخر الدين الرازي"

http://www.aslein.net/showthread.php?t=7973

2 الإمام الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ص53، مُحَمَّد صالح الزركان، دار الفكر.

3مقال "السر المكتوم في مخاطبة النجوم للإمام فخر الدين الرازي".

4 "السر المكتوم في مخاطبة النجوم للإمام فخر الدين الرازي".

إليه، فهذا قد نبحثه في كتاب آخر، وإنما نتكلم هنا بما له علاقة بقضية تقسيم التوحيد ومقدماتها ونتائجها.

ومع ذلك فلا يخلو المقام من التعريج هنا على المرام، فنقول: إن **غاية ما في الأمر أن الرازي تكلّم عن السحر وأنواعه وكيفية تأثيره** ونحو ذلك من وجهة نظر فلسفية أو من وجهة نظر أصحاب السحر أنفسهم، أي أنه حاكٍ عنهم وغير متبنٍّ لكلامهم، وكلامه يدل على ذلك حيث بدأ بالقول: **مقدمة في بيان أنواع السحر**: النوع الأول: وهو أعظمها قوة، **وأشدها تأثيرا على ما يقال** السحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم. وتقرير الكلام فيه: **أنه ثبت بالدلائل الفلسفية**: أن مبادي حدوث الحوادث في هذا العالم، هو الأشكال الفلكية..**فهذا شرح هذا النوع من السحر**[1].اهـ فتأمل قوله: "وأشدها تأثيرا **على ما يقال**''أي هكذا يقال، والقائل طبعا السحرة أو الفلاسفة ويؤكده قوله "إنه ثبت بالدلائل الفلسفية".

ثم إن **الرازي** نفسه، صرح بأن السحر وكذا اعتقاد أن الكواكب خالقة أو مدبرة كفر، فقال في تفسيره "..اختلف الفقهاء في أن الساحر هل يكفر أم لا؟..واعلم أنه لا نزاع بين الأمة في أن من اعتقد أن الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور، **فإنه يكون كافراً على الإطلاق وهذا هو النوع الأول من السحر**..أما النوع الثاني: وهو أن يعتقد أنه قد يبلغ روح الإنسان في التصفية والقوة إلى حيث يقدر بها على إيجاد الأجسام والحياة والقدرة وتغيير البنية والشكل، فالأظهر إجماع الأمة أيضا على تكفيره"[1]، **نعم الرازي لم يجعل كل أنواع السحر كفرا**، مثل "النوع الثالث: وهو أن يعتقد الساحر أنه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى..إلى حيث **يخلق الله تعالى عقيب أفعاله على سبيل العادة** الأجسام والحياة والعقل وتغيير البنية والشكل، فههنا المعتزلة اتفقوا

---

1 المطالب العالية من العلم الإلهي (8/ 143)، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 666).

[1] مفاتيح الغيب (3/ 232)

على تكفير من يجوّز ذلك، قالوا لأنه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه أن **يعرف صدق الأنبياء والرسل**، وهذا ركيك من القول"[1].

كما أن الرازي يرى أن علم السحر وممارسته لا شيء فيه، فهو يقول: في أن العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور: **اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف** وأيضا لعموم قوله تعالى: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون..[2] إلى آخر ما ذكره.

وأما قضية المزارات فلم يَدعُ إليها **الرازيُّ**، وإنما تكلم عليها عرضا في سياق كلامه عن مسألة أن "**الدلائل السمعية على أن النفس غير البدن" ثم ذكر دلائل** وحججا على ذلك من الكتاب والسنة من ضمن ذلك ما جاء فيهما **من أن الروح حية تتنعم أو تتألم في حياة البرزخ الحجة الثالثة:** إنه جرت عادة العقلاء **بأنهم يذهبون إلى المزارات المتبركة**..وكل ذلك يدل على **أن النفوس باقية بعد موت الأجساد**[3].اهـ

فإذن ذكر الرازي لقضية المزارات وما يفعل عندها أتى به دليلا على أن **الناس العقلاء يعتقدون أن النفس باقية بعد موت الجسد**، تماما كما ذكر في الحجة الثانية أن جميع الفرق والطوائف تترحم على الإنسان الخيّر وتلعنه إن كان شريرا، "ولو قدّرنا أن الإنسان لم يبق حيا بعد موت البدن، لكان هذا الكلام عبثا باطلا"[1]، فأين الدعوة إلى الشرك في ذلك؟

---

[1] مفاتيح الغيب (3/ 232)

[2] مفاتيح الغيب (3/ 231)

3 المطالب العالية من العلم الإلهي (7/ 129)

1 المطالب العالية من العلم الإلهي (7/ 129)

وأين **الدعوة إلى قضية المزارات** وما يفعل عندها؟! كيف؟ ودمشقية قد نقل ـ كما سبق[1] ـ عن الرازي في تفسيره أن **المشركين وضعوا هذه الأصنام على صور أنبيائهم** وعبدوها لتكون شفعاء لهم "ونظيره في هذا الزمان: اشتغال كثير من **الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله**" ثم علّق دمشقية: وهو نفيس جدا، وصدور مثل هذا الكلام **من رجل من عظماء الأشاعرة** هو حجة على متأخريهم[2].

رابعا: وعلى فرض أن الرازي قال بجواز اتخاذ القرابين وإراقة الدماء وبتعظيم المزارات والقبور! وأنه تأثر هو والغزالي بقول الفلاسفة في الشفاعة، فإن هذا ليس شركا ولا عبادة لغير الله، لأن هذا الأفعال ـ كالشفاعة بالقبور والذبح لها والطواف حولها والاستغاثة بها ـ لا تُعدُّ عبادة لغير الله ما لم تقترن **باعتقاد ربوبية أو ألوهية** من تُفعل له من دون الله، وحينها تكون شركا لا لذاتها، ولكن من أجل ذلك الاعتقاد الذي هو بحدّ ذاته شرك، سواء اقترن بتلك الأفعال أو لا.

وهذا سبق بيانه[3]، ودلّلنا عليه بالسجود الذي أمر الله به لآدم كما في قوله {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } [البقرة: 34]، فهذا لم يكن أمرا من الله للملائكة بعبادة آدم، وإنما كان ذلك السجود على وجه التكريم له لا العبادة[4]. هذا في السجود الذي هو أعظم الخضوع والتذلل، فما بالك بقضية الشفاعة بالأموات التي نقلنا جوازها عن فقهاء المذاهب الأربعة كما رأينا من نصوصهم الكثيرة[1]، نعم هذه الأفعال ـ أي قضية الشفاعة بالأموات وما

---

1 انظر: مناقب المشركين ومثالبهم وحقيقة شركهم في الألوهية ص (565)

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 39)

[3] انظر: مناقب المشركين ومثالبهم وحقيقة شركهم في الألوهية ص (417)

[4] انظر: المصدر السابق.

[1] انظر: مناقب المشركين ومثالبهم وحقيقة شركهم في الألوهية ص (598)

يفعل عند المزارات . صارت بمجردها شركا عند ابن تيمية وأتباعه كنتيجة وأثر من آثار نظريتهم في تقسيم التوحيد التي هي أصلا محل النزاع والتي لم يثبت منها شيء حتى الآن.

خامسا: إن الرازي صرّح مرارا وتكرارا بوجوب عبادة الله وحده، وأن العبادة لا تنبغي إلا له، وزيف عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله وأبطلها، وقد نقلنا بعض نصوصه في ذلك[1]، وفيما يلي ننقل المزيد منها:

1) قال الرازي: إنه تعالى زيّف في الآية الأولى عبادة الأصنام بسبب أنه لا قدرة لها على الخلق والإنعام، **وزيّف في هذه الآية أيضا عبادتها** بسبب أن الإله يجب أن يكون عالما بالسر والعلانية، وهذه الأصنام جمادات لا معرفة لها بشيء أصلا **فكيف تحسن عبادتها؟2**

2) وقال أيضا: تبين أن لا معبود إلا الله من حيث إن غيره لم يخلق من الأشياءَ[3].

3) وقال: "ما لكم من إله غيره"وذلك يدل على أن المقصود من هذا الكلام منعهم عن الاشتغال بعبادة الأصنام..."إن أنتم إلا مفترون"يعني أنكم كاذبون في قولكم إن هذه الأصنام تحسن عبادتها، أو في قولكم إنها تستحق العبادة، وكيف لا يكون هذا كذبا وافتراء وهي جمادات لا حس لها ولا إدراك، والإنسان هو الذي ركّبها وصوّرها فكيف يليق بالإنسان الذي صنعها أن يعبدها، وأن يضع الجبهة على التراب تعظيما لها، ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما أرشدهم إلى التوحيد ومنعهم عن عبادة الأوثان..[1].

---

1 انظر: ص (265)

[2] مفاتيح الغيب (20/ 195)

[3] مفاتيح الغيب (26/ 33

[1] مفاتيح الغيب (18/ 363)

4) وقال: "وأعتزلكم وما تدعون من دون الله"..وأفارقكم في طريقتكم أيضا، وأبعد عنكم وأتشاغل بعبادة ربي الذي ينفع ويضر، والذي خلقني وأنعم عليّ، فإنكم بعبادة الأصنام سالكون طريقة الهلاك، فواجب عليّ مجانبتك1.

5) وقال: فوجب أن يقال المستحق للتعظيم والثناء والعبودية ليس إلا الله تعالى، وذلك يدل على أن عبادة الأصنام طريقة باطلة فاسدة2.

6) وقال: اعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة القاهرة على فساد القول بعبادة الأصنام؛ بيّن السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد، والمقالة الباطلة، فقال: وما كان الناس إلا أمة واحدة..أن المقصود من هذه الآيات بيان كون الكفر باطلا، وتزييف طريق عبادة الأصنام، وتقريرِ أنّ الإسلام هو الدين الفاضل..فلهذا السبب ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما يدل على قبح عبادة الأصنام، ليبيّن أن تحقيرها والاستخفاف بها أمر حق وطريق متيقن3.

7) وقال: وهذا الافتراء يحتمل وجوها: الأول: أن كفار مكة كانوا يقولون هذه الأصنام شركاء الله، والله سبحانه وتعالى أمرهم بعبادتها والتقرب إليها[4].

8) وقال: "قل أندعو من دون الله إلى قوله إذ هدانا الله"اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام، وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك: قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، فقال: قل أندعو من دون الله، أي أنعبد من دون الله النافع الضار ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضرنا، ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد أن أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام؟[1].

---

1 مفاتيح الغيب (21/ 547)

2 مفاتيح الغيب (12/ 536)

[3] مفاتيح الغيب (17/ 227)

4 مفاتيح الغيب (12/ 501)

1 مفاتيح الغيب (13/ 25)

9) وقال: إن المعبود لا بد وأن يكون أكمل قدرة من العابد، وهذه الأصنام لا تنفع ولا تضر البتّة، وأما هؤلاء الكفار فهم قادرون على التصرف في هذه الأصنام تارة بالإصلاح وأخرى بالإفساد، وإذا كان العابد أكمل حالا من المعبود كانت العبادة باطلة[1].

إلى غير ذلك من أمثال هذه النصوص الكثيرة، وكلها يصرّح فيها الرازي ببطلان عبادة الأصنام أو الكواكب أو غيرها من دون الله، ويبيّن وجوبَ تخصيص العبادة بالله، بل يقيم الأدلة على ذلك، وهذا كله يدحض زعمَ ابنِ تيمية أن الرازي أجاز عبادة الأصنام، وحاشا الرازي أو غيره من علماء المسلمين أن يقول مثل هذا القول الشنيع الذي هو كفر بواح والذي لا يقوله بعضُ جهلة العوام، فما بالك بالعلماء الكبار؟

نصوص الفخر الرازي على وجوب عبادة الله وحده وأن الشرك في عبادته كفر

1) قال الفخر الرازي: "كذلك قوله [إيّاك نعبد] يدل على أنه **لا معبود إلا الله**، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله، فقوله [إيّاك نعبد وإيّاك نستعين] يدل على التوحيد المحض.."[(2)]. وقال: إن العبادة أعظم أنواع التعظيم، فهي لا تليق إلا بمن صدر عنه أعظم أنواع الإنعام..فإذا كانت المنافع والمضار كلها من الله سبحانه وتعالى، **وجب أن لا تليق العبادة إلا بالله سبحانه**[(3)]. وقال أيضا: وإذا كان تعالى هو المختص بهذا الإنعام **وجب أن يخص بالعبادة**[4].اهـ

---

1 مفاتيح الغيب (17/ 227)

(2) مفاتيح الغيب: 1/ 244 ، 245 .

(3) مفاتيح الغيب (17/ 62)، وانظر تقسيم التوحيد في الميزان ص21، بقلم عبد الله بن عبد الرحمن المكي، دار النور المبين.

[4] مفاتيح الغيب (24/ 251)

2) وقال: وذلك لأن قولنا: «**الله"معناه: أنه الذي يستحق العبادة، واستحقاق العبادة لا يكون إلا لمن يكون مستقلا بالإيجاد والإبداع** وذلك لا يحصل، إلا لمن كان موصوفا بالقدرة التامة والحكمة التامة[1].

3) والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، فإن أولئك الآلهة تكون متنازعة متغالبة، كما قال تعالى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا [الأنبياء: 22] وقال: ولعلا بعضهم على بعض [المؤمنون: 91]، **فيبقى ذلك المشرك متحيرا ضالا، لا يدري أيّ هؤلاء الآلهة يعبد وعلى ربوبية أيِّهم يعتمد، وممن يطلب رزقه**، وممّن يلتمس رفقه، فهمّه شفاع، وقلبه أوزاع. **أما من لم يثبت إلا إلها واحدا، فهو قائم بما كلّفه عارف بما أرضاه وما أسخطه**، فكان حال هذا أقرب إلى الصلاح من حال الأول، وهذا مثل **ضُرب في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد** 2.

4) وقال: إنه تعالى إنما ذكر هذه الآية توبيخا لهم على عبادة الأصنام، لأنه تعالى بيّن أنه خالقهم وخالق لتلك الأصنام، والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق، فلما تركوا عبادته سبحانه مع أنه خالقهم. ثم عبدوا الأصنام، لا جرم أنه سبحانه وبّخهم على هذا الخطأ العظيم[3].

5) وقال **الرازي** أيضا: قوله [إيّاك نعبد] يدل على أنه لا معبود إلا الله، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله، فقوله [إيّاك نعبد وإيّاك نستعين] يدل على التوحيد المحض. ثم قال: [كل من اتخذ لله شريكا فإنه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه، إما طلباً لنفعه، أو هرباً من ضرره؛ وأما الذين أصروا على التوحيد، وأبطلوا القول بالشركاء والأضداد، ولم يعبدوا إلا الله، ولم يلتفتوا إلى غير

1المطالب العالية من العلم الإلهي (3/ 260)

2 مفاتيح الغيب (26/ 279)

3المطالب العالية من العلم الإلهي (9/ 155)

الله؛ فكان رجاؤهم من الله، وخوفهم من الله، ورغبتهم في الله، ورهبتهم من الله، فلا جرم لم يعبدوا إلا الله، ولم يستعينوا إلا بالله] [1].

6) وقال أيضا: وحصل اليقين في أنه لا يستحق للعبادة إلا هو، ولا معبود للمخلوقات والكائنات إلا هو[2].

7) وقال أيضا: اعلم أنه تعالى لما بيّن بالدلائل المتقدمة أنه لا معبود إلا الله سبحانه، وأنه لا يجوز عبادة غيره تعالى البتة حكى عن إبراهيم عليه السلام مبالغته في إنكار عبادة الأوثان[3].

8) ثم قال: واعبدوه أي اعبدوه لكونه مستحقا للعبادة لذاته، واشكروا له أي لكونه سابق النعم بالخلق وواصلها بالرزق وإليه ترجعون، أي اعبدوه لكونه مرجعا منه يتوقع الخير لا غير[4].

9) ثم قال: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، وفيه وجهان: الأول: أن الله تعالى يعلم ما عليكم من العقاب العظيم، بسبب عبادة هذه الأصنام وأنتم لا تعلمون ذلك، ولو علمتموه لتركتم عبادتها. الثاني: أن الله تعالى لما نهاكم عن عبادة هذه الأصنام فاتركوا عبادتها، واتركوا دليلكم الذي عوّلتم عليه، وهو قولكم الاشتغال بعبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك، لأن هذا قياس، والقياس يجب تركه عند ورود النص، فلهذا قال: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون[5].

10) وقال: قولهم: وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وهذا أيضا ركيك، لأنهم كانوا يعترفون بأن النافع والضار هو الله تعالى وأن الأصنام لا تنفع ولا تضر، ومتى كان

---

1 مفاتيح الغيب (1 /249).

2مفاتيح الغيب (18/ 144)

3مفاتيح الغيب (19/ 134)

4 مفاتيح الغيب (25/ 46)

5 مفاتيح الغيب (20/ 85)

الأمر كذلك فقد ظهر في بديهة العقل أنه لا تجوز عبادتها، وتركهم آلهتهم لا يكون عن مجرد قوله بل عن حكم نظر العقل وبديهة النفس[1].

11) وقال: "ومن يدعُ مع الله إلها آخر، لا برهان له به.."والمعنى: أن المعبود الأول معلوم الثبوت، وما سواه غير معلوم. والاقتصار على المعلوم أولى من الذهاب إلى غير المعلوم[2].

فهل يقال بعد كل هذه النصوص أن الرازي كان يجهل التوحيد، وأنه كان يدعو إلى عبادة غير الله كما زعم ابن تيمية ومن قلده؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!!

رابعا: دعوى أن الأشاعرة لم يبحثوا مسائل شرك العبادة في كتب العقيدة

حيث "لم يروا في صرف الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر، ونحو ذلك، لغير الله تعالى مخالفة للتوحيد ما دام الاعتقاد قائما على تفرد الله تعالى بالربوبية"3، وهذا "هو السبب الوحيد **لوقوعهم في أنواع من الشرك الأكبر** من عبادة القبور وأهلها"[4]، "فجوّزوا البناء على القبور والصلاة إليها وشدّ الرحل إليها، بل الاستغاثة بالأموات والاستغاثة منهم"[5]، ولذلك وقعوا "في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شركا"6.

ولذا قال بعض الأشاعرة "(اجتمعت الأمة على أن الذبح والنذر لغير الله حرام، ومن فعلها فهو عاص لله ورسوله، والذي منع العلماء من تكفيرهم أنهم لم يفعلوا ذلك باعتقاد أنها أنداد لله). ويقول الآخر: (من أين لكم: أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إذا دعا غائبًا أو ميتًا أو نذر له، أو ذبح لغير الله أن هذا هو الشرك الأكبر

---

1 مفاتيح الغيب (18/ 13)

2المطالب العالية من العلم الإلهي (7/ 16)

3 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص203

4 جهود علماء الحنفية (1/ 178)

5 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 305)

6 الفتاوى الكبرى (566/6).

الذي من فعله حبط عمله، وحلّ ماله ودمه؟ ولم يقل أهل العلم: من طلب من غير الله فهو مرتد، ولم يقولوا: من ذبح لغير الله فهو مرتد)"[1].

ولذا "**فاتخاذ الوسائط بالسؤال والطلب عندهم ليس شركًا** بمجرد طلب غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ـ مثلاً ـ بل لابد أن يتضمن ذلك اعتقاد استقلالية المطلوب وقدرته على الاختراع الذي هو حقيقة الألوهية عندهم، **وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ليس شركًا لذاته عندهم** إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق العبادة لمن صرفت له"[2].

وهكذا "فالمتأمل في مناهج المتكلمين عمومًا يجد: أن التوحيد عندهم اعتقادي فقط، وأن الشرك في الإرادة إذا لم يتضمن الشرك في الاعتقاد لا يكون شركًا عندهم.."[3]. وهذا كله بسبب أن المتكلمين لا سيما الأشاعرة لَمّا كان "جُلّ اهتمامهم العناية بتقرير توحيد الربوبية غفلوا عن تقرير توحيد الألوهية، وبيان ما يضادّه من الشرك، وكان من آثار ذلك أن وقع بعضهم في ضلال مبين..في أنواع من الشرك، ظنّا منه أن ذلك لا يناقض التوحيد"[4].

بل "إن الأشاعرة والماتريدية يرون أن توحيد الألوهية لا يدخل في الإيمان، ولا يترتب على تركه كفر، وهذا من أعظم الأسباب التي دعتهم لإهماله حيث يرون أن مكان شرح حقيقة هذا التوحيد في كتب الرقاق والآداب والفضائل، أما كتب العقائد فلا مجال لبحث هذا النوع من التوحيد فيها لأنه لا يدخل في الإيمان"[5].

---

1 الشرك في القديم والحديث (1/ 37)

[2]الشرك في القديم والحديث (1/ 37)

[3]الشرك في القديم والحديث (1/ 37)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 977)

5 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 463)

"وهذا المنهج الخطير الذي سلكه الأشاعرة أثّر في كتاباتهم العقدية، فقلّما تجد لعالم من علمائهم كتابا أو رسالة في بيان توحيد العبادة، وأنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله، أو في بيان الشرك وأنواعه، أو حكم السفر لزيارة القبور والدعاء والنذر لها، بل على العكس من ذلك تجد الكثير منهم يميل إلى مثل هذه الشركيات أو ما هو من وسائله"[1].

قال وليد . وفقه الله .: كذا زعموا، والجواب بشكل مجمل هو ما سبقت الإشارة إليه، وهو أن العبادة لها مفهوم عند الأشاعرة وجمهور العلماء غير مفهومها عند ابن تيمية وأتباعه، وأما الجواب بشكل مفصل هو أن الأشاعرة قد أصابوا حين لم يطرحوا هذه المسائل في كتب العقيدة، ولا جعلوها شركا؛ لأنها مسائل فرعية، وإدراج ابن تيمية وأتباعه لهذه المسائل في كتب العقيدة وجعلها شركا كان من آثار نظرية تقسيم التوحيد التي هي أصلا محل النزاع، وقد بيّنا أنها قائمة على أصول ودعاوى باطلة كما سبق بسط ذلك.

ثم إنه ليس الأشاعرة والصوفية وحدهم لم يدرجوا تلك المسائل في مسائل الشرك، بل معهم المحدثون والحنابلة الذين يرتضيهم ابن تيمية، ويعوّل على كتبهم في العقيدة، أمثال الإمام أحمد وعثمان الدارمي وابن خزيمة وابن بطة وابن مندة وغيرهم، فلا تجد في كتبهم ما تجده في كتب ابن تيمية وأتباعه أن هذه المسائل شرك! أي لن تجد عندهم أن التبرك بالقبور أو السفر إليها أو الاستغاثة بها أو نحو ذلك: شرك! كما لن تجد عندهم تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام؛ ربوبية وألوهية وأسماء وصفات!

إن أول من حظر مسائل القبور وغلا فيها فجعلها من مسائل العقيدة، وعدّها شركا أو ذريعة إليه، هو: ابن تيمية! فالأشاعرة والماتريدية والصوفية ليسوا وحدهم الذين لم يدرجوا تلك المسائل في الشرك، بل معهم السلف والمحدثون والحنابلة الذين يرتضيهم ابن تيمية، ويُعوّل على كتبهم في العقيدة أمثال الإمام أحمد ومن معهم ممّن سبق ذكرهم، وكذا السجزي والطلمنكي وابن عبد البر والطحاوي وابن جرير الطبري وابن قدامة وابن خويزمنداد والآجري

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 977)

وابن أبي عاصم وغيرهم، فلا تجد في كتبهم ما تجده في كتب ابن تيمية وأتباعه من تقسيم التوحيد، ولن تجد عندهم أن التبرك بالقبور أو السفر إليها أو الاستغاثة بها أو نحو ذلك: شرك، بل لن تجد ذكرًا لمسائل القبور قط، لا من قريب ولا من بعيد.

(إحصاء حول ورود كلمة القبور ومشتقاتها في كتب السلف والسلفية)

ولئلا يكون كلامنا السابق نظريا فقط، فقد قمت بإحصاء كلمة "قبر"ومشتقاتها التي وردت في كتب العقائد التي يرتضيها ابن تيمية ويحض عليها، ويرى أنها احتوت على عقائد السلف، وقارنتها مع ورودها في كتب ابن تيمية وأتباعه، وقارنت بين العددين، فتبين الفرق الشاسع كما وكيفا! بما يثبت أن كلام ابن تيمية وأتباعه حول مسائل القبور لا يمت إلى كتب عقائد السلف لا من قريب ولا من بعيد !

وإليك تفصيل ذلك: إنه لدى الاستعانة بالحاسوب وبعد البحث عن كلمة "قبور"ولواصقها في الكتب التالية: الإبانة ومقالات الإسلاميين للأشعري، والإبانة لابن بطة، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي، وكتاب السنة لكل من ابن أبي عاصم والخلال وعبد الله بن الإمام أحمد والمروزي، والتوحيد لابن خزيمة، والإيمان لابن منده، خرجت (47) سبع وأربعون نتيجة، وهذه النتائج كلها ليس فيها أي مسألة من مسائل القبور التي تكلم عنها ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأتباعهما وجعلوها من قوادح الإيمان وأنها شرك أكبر، بل هذه النتائج إنما فيها كلمة "قبور"ولواصقها في سياق الكلام عن عذاب القبر، أو في سياق السلام على أهل القبور حين زيارتهم، أو لورودها في قوله تعالى {وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج: 7]، أو قوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ } [فاطر: 22]، وهذه الآية الأخيرة وردت عند اللالكائي لا لنفي سماع أهل القبور، وإنما وردت عنده تحت باب"سياق ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام في أن الموتى في قبورهم لا يعلمون مما عليه الأحياء إلا إذا رد الله عليهم الارواح"[1]، ثم ساق حديث "ابن عمر يقول وقف رسول

1 «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (6/ 1229)

الله على قليب بدر فقال: **هل وجدتم ما وعد ربكم حقا.."، فاللالكائي أثبت سماع الأموات من حيث الجملة،** وإليه ذهب ابن تيمية وابن القيم خلافا للألباني[1]، فإذن حتى هذا الموضع هو ضد الألباني ومن وافقه.

هذا مع العلم أن كلمة قبور لم ترد في بعض هذه الكتب أصلا ولا مرة واحدة، مثل كتاب السنة للمروزي، وبعضها ذكرت فيه مرة واحدة مثل كتاب أصول السنة للإمام أحمد حيث وردت فيه هذه العبارة "وأن هذه الأمة **تفتن في قبورها**"، وكتاب السنة للخلال حيث وردت فيه هذه العبارة ‘‘التسليم على أهل القبور"، وهذا خارج عن مسائل القبور محل النزاع.

ولدى البحث في الكتب السابقة نفسها عن كلمة "قبر’’ولواصقها ورد 99 (تسع وتسعون) نتيجة، جاءت كلها في سياق الحديث عن عذاب القبر ونحو ذلك، وليس فيها حديث قط عن أن شد الرحال لزيارة القبور أو الطواف بها أو البناء عليها أو النذر لها أو الاستغاثة بها أو الدعاء والصلاة عندها أو التبرك بها: شرك أو ذريعة إليه، وليس فيها ذِكر لهذه المسائل قط لا من قريب ولا من بعيد.

ولكن تعالوا بنا نبحث في كتاب واحد من كتب أتباع ابن الوهاب لنجد كم تتكررت كلمة "القبور’’ومشتقاتها في سياق التكفير والرمي بالشرك!! فلدى البحث في كتاب "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد’’للشيخ سليمان حفيد ابن عبد الوهاب، فقد وردت فيه كلمة "قبور’’ولواصقها في هذا الكتاب وحده (98) ثمانٍ وتسعون مرةً، هذا مع العلم أن الحاسوب يعطي فقط رقم عدد الصفحات التي وردت فيها تلك الكلمة أو مشتقاتها، وقد تتكرر الكلمة في الصفحة ذاتها مرات عديدة ولكن لا يحسبها الحاسوب ويعدّها مرة واحدة، طبقا لبرنامج المكتبة الشاملة، فإذن العدد في الواقع أضعاف الرقم الآلي الذي يعطيه الحاسوب!

---

1 «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (3/ 60)، «الروح – ابن القيم» (1/ 8 ط عطاءات العلم) مقدمة الألباني لكتاب "الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات" (ص 98)

عِلما أنه من أصل 98 نتيجة في كتاب تيسير العزيز الحميد، هناك 52 نتيجة جاءت بلفظ "عُبّاد القبور"، ومعظم ورود كلمة "قبور"فيه جاء في سياق مسائل القبور مثل شدّ الرحال لزيارتها أو الطواف بها أو البناء عليها أو النذر لها أو الاستغاثة بها أو الدعاء والصلاة عندها، أو التبرك بها على اعتبار أنها هذه من مسائل الشرك الأكبر أو ذريعة إليه على الأقل! مع **أن عبارة "عبّاد القبور"لم ترد أصلا في الكتب السابقة التي تدون "عقائد السلف"**والتي يدعي ابن تيمية وأتباعه أنهم لا يخرجون عنها، بل إن ابن تيمية تحدى أن يأتي له أحد منها بحرف واحد عن السلف يخالف عقيدته**!!** فأين مصداق هذا هنا؟!

وليس هذا فحسب، بل إن عدد ما ورد في كل كتب "عقائد السلف"السابقة الذكر . من كلمة "قبور"ولواصقها هو 47 مرة! وليس فيها تعرض لمسائل القبور هذه التي تعرض لها ابن عبد الوهاب ومن قبله ابن تيمية، **وهذا كله يؤكد أن زجّ هذه المسائل المتعلقة بالقبور في كتب العقائد هي بدعة من ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأتباعه!**

إحصاء لكلمة القبور في كتاب "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية"

وتعالوا بنا إلى كتاب "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" البالغ (1679) صحيفة، وهو لأحد المتحمسين جدا لنظرية تقسيم التوحيد وهو ابن قيصر الأفغاني، فقد وردت فيه كلمة "قبور" ولواصقها في كتابه هذا في 1023 (ألف وثلاث وعشرين) صحيفة!! أي أن كلمة القبور ومشتقاتها تكررت في ثلثي صفحات الكتاب! طبعا المؤلف يجعل كلامه عن القبور من قبل الكلام عن العقائد كما يظهر من عنوان كتابه! مع الإشارة إلى أن كل صفحة من 1023 قد تتكرر كلمة قبر ومشتقاتها ثلاث أو أربع مرات أو أكثر للسب الفني الذي سبق ذكره، يعني صار المجموع حوالي ثلاثة آلاف مرة وردت كلمة القبر ومشتقاتها في هذا الكتاب وحده!

فقارن هذا العدد الذي يقدر بالآلاف الوارد في هذا الكتاب وحده، مع العدد الذي أحصيناه في كتب عقائد السلف السابقة لكلمة "قبر"وكلمة "قبور"ولواصقهما وهو لا

يتعدى 150 (مئة وخمسين) مرة، وكلها واردة حول عذاب القبر والبعث من القبور ونحو ذلك مما هو في غير محل النزاع!

خامسا: الدعوى بأن تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية صيانةٌ له من الوقوع في الشرك.

وأما قولكم: والحاصل أننا لما رأينا هذا الخلط في معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"والذي أدى إلى الشرك لم نكتف بالقول بأن التوحيد قسم واحد، فلا جرم أن تقسيم التوحيد بشكل صريح إلى أقسامه الثلاثة فيه حماية لجناب التوحيد من الوقوع في الشرك وعبادة غير الله.

فالجواب أن نقول هل هذا التقسيم للتوحيد جاء الشرع به لحماية جناب التوحيد وصيانته من الشرك، أو أنتم الذين أتيتم به لهذا الغرض؟ فإن كان الأول . وهو أن الشرع أتى بتقسيم التوحيد . فغير مسلّم، بل هو محل النزاع وقد بيّنا بشكل مطول أن **التوحيد الذي جاء به الشارع هو فقط شهادة أن لا إله إلا الله،** وأن كل أركان التوحيد وأقسامه ومكملاته وتفصيلاته ودقائقه مندرجة تحت شهادة التوحيد هذه!

كما قال **مالك:** محالٌ أن نظن بالنبي ﷺ أنه **علّم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد** ما قاله النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا **لا إله إلا الله**"[1]، ولو كان في **تقسيم التوحيد خير لبيّنه النبي لنا إذ ما من خير** إلا دلنا عليه، لأنه "صح عنه أيضا: { ما بعث الله من نبي إلا كان **حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم** وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم }"[2].

وإن كان الثاني . وهو أن تقسيم التوحيد من عندكم . فهذا مزايدة على الشرع بل اتهام للشارع بالتقصير في حماية خلاصة الدين وغايته وهو التوحيد، فإن توحيد الله و"معرفته

1 سير أعلام النبلاء (10/ 26)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 560)

2 مجموع الفتاوى (5/ 7)، والحديث في «صحيح مسلم» (3/ 1473 ت عبد الباقي)

غايةُ المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب"[1]. طبعا هذه تهمة خطيرة جدا، ولعل خير من يعلم خطورتها هو الخصم نفسه حيث يعدّها .كما سيأتي[2]. اتهاما للرسول بالخيانة مستشهدا بقول مالك "من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة"[3].

ونزيد الأمر الثاني بيانا فنقول وبالله التوفيق: إن الشرع الذي جاء بالتوحيد وبيّنه وحمى جنابه "**فأوجب الله ورسوله حماية حمى التوحيد** وسدّ كل ذريعة تفضي إلى الشرك؛ ونهى الله ورسوله عن كل ما يضادّ التوحيد من الشرك ووسائله"[4]. "**ولذا اشتد نكير القرآن على الشرك،** وصدّر إحدى كبريات سوره ببراءة الله ورسوله من المشركين وتوعدهم بما لم يتوعد به سواهم"[5].

أقول: إن الشرع الذي جاء بالتوحيد وبيّنه أحسن بيان، وحمى حياضه من **الشرك ومن ذرائعه لم يقسّم التوحيد!** وإنما اكتفى بشهادة أن لا إله إلا الله، ولو كان عدم تقسيمه سيؤدي إلى الشرك لكان الشرع أولى بذلك، أي لكان الشرع أولى بأن يقسم التوحيد بعبارات واضحة، ولا يترك هذا التقسيم لأي شخص يأتي من بعده، حتى لو كان من الصحابة فما بالك بمن بعدهم؟! وذلك لأن النبي جاء لبيان التوحيد كما سبق ذكره فكيف يترك ذلك لغيره أن يبيّنه؟ وهل إذا بيّنه غيره سيكون حجة على من سواه؟ وأيضا لو كان تحقيق التوحيد لا يتم إلا بتقسيمه لما اكتفى الشارع من المكلف بشهادة أن لا إله إلا الله.

---

1 مجموع الفتاوى (5/ 7)

2انظر: ص (418، و537)

3حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 78)، و موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 317)

4 جهود علماء الحنفية (2/ 602)

5 المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ص203، رسالة دكتواره في كلية الشريعة بجامعة دمشق، إعداد الباحث إحسان مير علي.

ولنقرأ كلام الإمام **الزركشي** وهو يقرر ذلك فيقول: والحق أن خطاب المكلفين بهذه الكلمة الشريفة وتكليفهم إياها **ليس إلا لإثبات إلهية الله تعالى وحده لاكتفاء الشارع ﷺ بها من غير اعتبار لفظ زائد عليها، ولولا إفادتها التوحيد لوجب بيان الواجب الزائد عليها فإن التوحيد هو المقصود الأصلي من بعثة الرسل،** واتفاق الخاصة والعامة سلفا وخلفا أن مدلولها إثبات التوحيد وإطلاقهم عليها كلمة التوحيد إجماع منهم **فدعوى زائدٍ[1] على ذلك تشغيب على الشرع بالمصطلحات الجدلية وهو غير معتبر ولا جائز**[2].اهـ فتأمل ما تحته خط لتدرك أن شهادة أن لا إله إلا الله جامعة للتوحيد وكل معانيه وأقسامه وليست قسما منه.

حتى بعض السلفية الذين ينتصرون لتقسيم التوحيد ويردّون على من يقول بأنه بدعة، يقول أحدهم ردا على ذلك "أو يريد أن الرسول ما نص لفظا أن التوحيد ينقسم إلى الربوبية والألوهية، **فهذا حقّ، ولكن لا يلزم منه ألا يكون قد بيّن معنى التوحيد**"3

فلاحظ قوله ‘‘ولكن لا يلزم منه ألا يكون قد بيّن معنى التوحيد’’ فهذا إقرار بأن النبي بيّن التوحيد دون أن يقسمه طبعا، إذن لا حاجة لتقسيمه **إذ لو كان ثمة حاجة إلى تقسيمه لكان النبي هو الأولى بأن يقسمه لأنه جاء ببيان التوحيد فكيف يترك بيانه لغيره؟!**

وحاصل هذه الأدلة الاكتفاء من المكلف بشهادة أن لا إله إلا الله دون تفصيل لما يندرج تحتها من معان وحقائق وأقسام، نعم يشترط على المكلف ألا يصرح بخلاف ما يندرج تحتها، أي إن شهد أنه لا إله إلا الله فلا يشترط أن يصرح أيضا بأنه لا خالق ولا معبود بحق

---

1 كذا في المطبوع (زائد) بالتذكير، والمراد أن دعوى من يزيد عليها، وليس المراد أنها دعوى زائدة على ذلك، وإلا لقال (زائدة) وليس (زائد)، فضلا عن أن السياق لا يسمح بذلك كما هو ظاهر. والله أعلم

2 معنى لا إله إلا الله – الزركشي (ص: 87) ، تحقيق د.علي القره داغي، ط/الاعتصام.

3 منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص184.

إلا الله، وأن الله متصف بصفات الكمال ومنزه عن صفات النقصان وأنه ليس كمثله شيء، ولكن إن صرّح بخلاف ذلك مع شهادته أن لا إله إلا الله، فهذا لا عبرة حينها بشهادته حينئذ، أي إنه شهد أن لا إله إلا الله ثم صرح بأن ثمة خالقا للعالم معه أو أن عبادة سواه لا تنافي التوحيد، أو وصف الله بنقص كأن قال مثلا بأن الله عاجز ـ تعالى الله عن ذلك ـ ونحو ذلك: **فلا عبرة حينئذ بشهادته أن لا إله إلا الله، لأنه صرّح بخلاف ما تضمنته.**

وإنما قلنا إنه لا يشترط أن يصرح بما تضمنته شهادة التوحيد، وإنما يشترط ألّا يصرح بخلافها؛ لأن الإيمان يجزئ فيه الإجمال دون التفصيل. أي أن على المكلف الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر على سبيل الإجمال ولا يشترط أن يصرح به واحدا واحدا، وفي ذلك ابن تيمية يقول: فإن قيل "كيف يقع الإيمان بما لا يحيط من يدعي الإيمان به علما بحقيقته؟" فالجواب: كما يصح الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والنار والجنة. ومعلوم أنّا لا نحيط علما بكل شيء من ذلك على جهة التفصيل وإنما كلفنا الإيمان بذلك في الجملة. ألا ترى أنّا لا نعرف عدة من الأنبياء وكثيرا من الملائكة ولا نحيط بصفاتهم، ثم لا يقدح ذلك في إيماننا بهم؟ وقد قال النبي ﷺ في صفة الجنة: {يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين **ما لا عين رأت ولا أذن سمعت** ولا خطر على قلب بشر}"[1].اهـ

فالواجب "أن يؤمن بمن اختارهم الله لنبوته واصطفاهم لرسالته، والإيمان بهم على درجتين: إيمان مجمل: بأن يؤمن بكل نبي من أنبياء الله إجمالا، سواء من علم اسمه أو جهله..فمن لم يؤمن بهم على الإجمال، أو شكّ في نبوة بعض المجمع على نبوتهم فهو كافر..قال ابن عابدين: لما كان عدد الأنبياء غير معلوم على القطع فينبغي أن يقول: آمنت بجميع الأنبياء أولهم آدم، وآخرهم مُحَمَّد عليه وعليهم الصلاة والسلام"[2].

1مجموع الفتاوى (16/ 409)

[2] الموسوعة الفقهية الكويتية (40/ 44)

وكذلك الإيمان بالقرآن فلا يجب أن يؤمن به بالتفصيل بأن يتلو آيات القرآن آية آية ويقول عند كل منها أنا أؤمن بها، وإنما يكفي أن يقول أؤمن بالقرآن كله، وكذلك الإيمان بما جاء به الرسول فلا "ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا عاما مجملا، **ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية**"[1]. نَعم "من بلغه القرآن والأحاديث وما فيهما من **الأخبار والأوامر المفصلة** فيجب عليه من التصديق المفصّل بخبر خبر وأمر أمر **ما لا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر**"[2].

بل ذكر الفقهاء أن الإيمان يكفي فيه شهادة أن لا إله إلا الله ولا يشترط تفصيل الإيمان بأركانه، وفي ذلك يقول **ابن عابدين فقال:** (قوله أي ابن سبع سنين) تفسير للعاقل الذي يصحّ إسلامه بنفسه..وفسّره في الفتح بأن يعقل صفة الإسلام، وهو ما في الحديث «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» قال: وهذا دليل على أن مجرد قول ‘‘لا إله إلا الله’’ لا يوجب الحكم بالإسلام ما لم يؤمن بما ذكرنا..أقول . القائل ابن عابدين .: والظاهر أن مراده أن يؤمن بذلك إذا فُصّل له وطلب منه الإيمان به بقرينة ما يأتي، فلو أنكره أو امتنع من الإقرار به بعد الطلب لا يكفيه قول لا إله إلا الله للعلم بأنه ﷺ كان يكتفي من المشركين بقول "لا إله إلا الله ‘‘وبالإقرار برسالته من غير إلزام بتفصيل المؤمَن به[3].اهـ

فتأمل قوله: فلو أنكره أو امتنع من الإقرار به..وقوله: كان يكتفي من المشركين بقول لا إله إلا الله من غير إلزام بتفصيل المؤمَن به. **فهو صريح في أن تفصيل الإيمان بالله وملائكته وكتبه**..لا يشترط بل يكفي قول لا إله إلا الله، **هذا مع أن أركان الإيمان هذه**

1شرح الطحاوية لابن أبي العز ت الأرناؤوط (1/ 7)

2مجموع الفتاوى (7/ 196)

3 الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (2/ 230)

جاءت هكذا مجموعة ومصرّح بها على التفصيل في حديث ابن عمر عند مسلم أن جبريل قال للنبي "فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1].

بل أركان الإيمان جاءت في القرآن أيضا هكذا مجموعة ولكن بدون ذكر الإيمان بالقدر كما في قوله {وَمَنْ يَكْفُرْ **بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 136]، وإنْ ذُكر القدر في آيات أخرى منفصلا كقوله {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49]، فما بالك **بأقسام التوحيد الثلاثة عند ابن تيمية التي لم تأت هكذا مجموعة لا في آية ولا في حديث**، فلم يأت في أي منهما بشكل صريح أن التوحيد ثلاثة معان أو أقسام؛ وهي اعتقاد أن الله وحده هو المستحق للعبادة، وأنه لا خالق سواه، وأن له الصفات العلى والأسماء الحسنى، وإن كانت هذه المعاني الثلاثة موجودة مفرّقة في القرآن بكثرة، فمن باب أولى أن يكون الإيمان بهذه الأمور الثلاثة على سبيل الإجمال لا التفصيل.

ثمّ إنّ هذه المعاني متضمَّنة في شهادة أن لا إله إلا الله، فمن آمن بالقرآن فقد آمن بهذه المعاني بشكل ضمني، ومن جاء بالشهادة فقد آمن بها ضمنيا أيضا، ولا يشترط أن يصرح بها **بشكل مفصل لأنه يكفي الإيمان الإجمالي**، ولكن بشرط ألا يصرح بخلافها وبشرط ألا يأباها إن طُلب منه أن يصرح بتلك المعاني الثلاثة، كما سبق.

وكذلك يفترض الأمر عند من قسّم التوحيدَ تقسيمات أخرى كالأشاعرة، فهم لا يقولون بأن المكلف ينبغي أن يصرح بأن الله واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فيصرح بها

---

1 «صحيح مسلم» (1/ 37 ت عبد الباقي)

واحدة واحدة حتى يدخل في الإسلام والإيمان والتوحيد، بل يقولون يجزئه عن ذلك شهادة أن لا إله إلا الله لأنها "**حوت جميع علوم التوحيد**"[1]. بل هي جامعة لـ"العقائد كلها"[2].

وقال إمام الحرمين: **الإتيانُ بالشهادتين، وهما على التحقيق يحويان القواعدَ جُمَع؛ إذ في التوحيد الاعتراف بالإله والوحدانية**، وفيه التعرض لصفات الإلهية وتفويض الأمور إلى من لا إله غيره[3].اهـ ولو فرضنا أن أحدا من الأشاعرة قال بأن شهادة أن لا إله إلا الله لا تكفيه بل يجب أن يصرح بأن تعالى واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله: فقوله مردود كائنا من كان لمخالفته للأدلة السابقة.

وهكذا أكون قد انتهيت ـ بحمد الله ـ من تقرير الوجه الثالث في الرد على الزعم بأن الاستقراء للقرآن دل على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، وحاصل هذا الوجه هو: لو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما كان من أقرّ بالشهادة موحدا، والتالي ــ وهو: لَمَا كان من أقرّ بالشهادة موحدا ــ باطل؛ لأن النبي شهد بالتوحيد لما أقر بالشهادة كما سبق، فالمقدَّم ــ لو كان استقراؤكم هذا صحيحا ــ باطل كذلك، أي أن استقراءكم للقرآن وزعمكم أن التوحيد فيه على ثلاثة أقسام هو استقراء باطل، وأنتقل الآن إلى الوجه الرابع بحول الله.

---

1 القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: 232)، جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص49

2متن السنوسية في علم التوحيد أم البراهين (ص: 5)

3 نهاية المطلب في دراية المذهب (14/ 525)

المطلب الثاني: أن هذا الاستقراء لو كان صحيحا لكان الأولى أن يعلمه الصحابة الكرام

أن هذا الاستقراء لو كان صحيحا لكان الأولى أن يُعلّمه رسولُ الله ﷺ للصحابة ﷺ، والتالي باطل فالمقدَّم باطل؛ وبيان ذلك أن استقراءكم للقرآن الذي دلّكم على أن التوحيد ثلاثة أقسام: لو كان صحيحا لكان الواجب أن يُعلّمه رسولُ الله لأصحابه، بل لكان هذا أول ما يجب على النبي بيانُه لكل من أسلم فورَ إسلامه، فيعلّمه أنه لا يكون موحدا ولا مسلما ولا مؤمنا ولا ناجيا إلا بالإقرار بهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد بالتفصيل والتصريح بها، ولا يكتفي منه بشهادة أن لا إله إلا الله إذ هي لا تعبر إلا عن قسم أو ركن واحد من أقسام التوحيد وأركانه، بل وجب على النبي أن يقول لكل مكلف يجب عليك أن تصرّح أيضا بالإقرار بقسمي توحيد الربوبية والصفات لتكون بذلك قد أقررت بأقسام التوحيد الثلاثة، ولوجب ذلك على جميع الرسل أيضا.

بيد أن هذا لم يحدث، أي لم يحدث أن علّم الرسول لأصحابه أن التوحيد ثلاثة أقسام، وهو ما عنيناه بقولنا "والتالي باطل"، وإنما التوحيد الذي علّمهم إياه هو فقط شهادة أن لا إله إلا الله كما سبق بيانه مطولا[1]، "**وما كان رسول الله يقول لأحد دخل في الإسلام: إن هناك توحيدين أو ثلاثة**، بل لا تكون مسلِما حتى توحّد توحيدا ثانيا هو توحيد الألوهية، ولا أشار إلى ذلك بنص واحد أو كلمة واحدة ولا سمع ذلك عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم"[2].

"والحق أن خطاب المكلفين بهذه الكلمة الشريفة ـ أي كلمة أن لا إله إلا الله ـ وتكليفهم إياها ليس إلا لإثبات إلهية الله تعالى وحده **لاكتفاء الشارع ﷺ بها من غير اعتبار لفظ زائد عليها، ولولا إفادتها التوحيد لوجب بيان الواجب الزائد عليها، فإن التوحيد هو المقصود الأصلي من بعثة الرسل واتفاق الخاصة والعامة سلفا وخلفا**، أن

---

1 انظر: ص (326)

2 المناقشة العلمية لنظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية ص260.

مدلولها إثبات التوحيد، وإطلاقهم عليها كلمة التوحيد إجماع منهم، فدعوى زائد على ذلك تشغيب على الشرع بالمصطلحات الجدلية وهو غير معتبر ولا جائز"[1].

وما دام التالي قد بطل، وهو أن الرسول لم يبلغ أصحابه أن التوحيد ثلاثة أقسام، فيبطل المقدّم وهو صحة تقسيم التوحيد وأن القرآن دل عليه بالاستقراء، أي أن هذا الاستقراء الذي استدللتم به على التقسيم: غير صحيح.

وأما الدليل على المقدَّم وهو أن التوحيد لو كان ثلاثة أقسام لوجب على الرسول أن يبلغها لنا فهو ما أصّلتم من أنه ﷺ "ما ترك خيراً إلا دلنا عليه ولا شراً إلا نهانا عنه"[2]، وأنه "**ما من شيء فيه خير أو يقرب إلى الجنة** ويباعد عن النار إلا **وبيّنه رسول الله**"3، لحديث الطبراني «**ما بقي شيء يقرب من الجنة** ويباعد عن النار إلا **وقد بيّن لكم**»4 وكما نقلتم عن مالك بن أنس "من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة"[5].

هذا كله لو كان الشيء الذي فيه خير لنا مندوبا أي لوجب على النبي أن يبلغه لنا، فما بالك لو كان واجبا أصلا؟! فما بالك لو كان أوجب الواجبات وأولها وهو التوحيد وبيان أقسامه الثلاث؟! **فكيف وجب على النبي بيان المندوبات حتى في الاستنجاء** ولا يجب أن

---

1 معنى لا إله إلا الله – الزركشي (ص: 85)

2حقيقة البدعة وأحكامها للغامدي (1/ 78).

3 انظر: علم أصول البدع للحلبي ص19. والبراهين على ألا بدعة حسنة في الدين والرد على شبه المخالفين ص4، لأبي معاذ السلفي. والبدع والمخالفات في الحج (ص: 22)، عبد المحسن السميح ورفاقه، وزارة الأوقاف بالسعودية.

4 انظر: المعجم الكبير للطبراني (2/ 155) وصححه الألباني في السلسلة (4 / 416) .

5حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 78)، و موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 317)

يبيّن لكل مكلّف وبأصرح العبارات **وأبينها أن التوحيد ثلاثة أقسام؟!** هذا محال، كما قال مالك: محال أن نظن **بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد**[1].

وأما الدليل على التالي وهو أن الرسل لم يبلغوا أقوامهم أن التوحيد ثلاثة أقسام وإنما بلّغوهم أن التوحيد شيء واحد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله فحسب، وهذا خيرُ من قرره ابنُ تيمية نفسه، وأكّد عليه مرارا وتكرارا، وقد سبقت[2] نصوصه في ذلك واستشهاده بآية **{وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}** وغيرها، ونأتي هنا بمزيد من نصوصه ونصوص أتباعه أن التوحيد الذي جاء به الرسل هو توحيد الألوهية.

فهو يقرر: أن "من أعظم ما وقع فيه هؤلاء وهؤلاء من الجهل **بالتوحيد الذي بعث الله به الرسل** وأنزل به الكتب"[3]. و"هو عبادة الله وحده لا شريك له **وهو توحيد ألوهيته المتضمن** توحيد ربوبيته"[4]. فتوحيد الألوهية هو "**التوحيد الذي أمر الله به العباد**"، وهو توحيد "الرسل والمؤمنين **هو عبادة الله وحده**"5. وقد "تضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن **يشهد أن لا إله إلا هو** ولا يعبد إلا إياه"[6]. "ولا يتوكل إلا عليه ولا يخاف إلا إياه ولا يرجو إلا إياه ويكون الدين كله لله"[7]. "وذلك **يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات**"[8]، "وتنزيهه عن النقائص وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته"[1]. وأما

---

1 سير أعلام النبلاء (10/ 26)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 560)

2 انظر: ص (307)

3 وفي درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345)، وانظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974)

4 شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية - (1 / 42)

5 بيان تلبيس الجهمية (1/ 478)

6 درء تعارض العقل والنقل(1/ 316)

7 الصفدية (2/ 228)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 976).

8 درء تعارض العقل والنقل(1/ 316)

توحيد الربوبية فقد "كان المشركون مقرين به، وهو نهاية ما يثبته هؤلاء المتكلمون إذا سلموا من البدع فيه **أما التوحيد الذى جاءت به الرسل فلم** يعرفوه ولم يبينوه..**وهو عبادة الله وحده لا شريك له"**2. "فعلم أن **التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية، الذي يتضمن توحيد الربوبية"**3.

وهكذا نرى ابن تيمية وأتباعه يقررون أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وبعث به رسله هو توحيد الألوهية، وهذا يُعبَّر عنه في الشرع عند ابن تيمية بشهادة لا إله إلا الله، فهو يقول: وقوله: **{لا إله إلا أنت} تحقيق لتوحيد الإلهية**4. ورأينا أن ابن تيمية قرر أيضا أن قسمي التوحيد الآخرين، **وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، متضمَّنان في توحيد الألوهية،** وقد سردنا سابقا المزيد من هذه النصوص له ولأتباعه في ذلك، وأنّ من أقر بتوحيد الألوهية فقد أقرّ بكل من القسمين الآخرين5.

وهذا عين ما قررناه سابقا من أن **شهادة أن لا إله إلا الله هي المعنى الجامع لكل حقائق التوحيد وأقسامه عند الأشاعرة**6، وليست الشهادة قسما من أقسام التوحيد الثلاثة كما هي أصل نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، **وبالتالي بطل تقسيم ابن تيمية للتوحيد من أصله** ما دام أنه أقرّ أن شهادة التوحيد تجمع كل معاني التوحيد وأقسامه وليست قسيمة له، كما سبق بيانه. والله الموفق

---

1 الصفدية (2/ 228)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 976).

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974) وانظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345)

3 شرح الطحاوية لابن أبي العز، ط الأوقاف السعودية (ص: 31)، وانظر جهود علماء الحنفية (1/ 130).

[4] الفتاوى الكبرى (5/ 232)

[5] انظر: ص (313)

[6] انظر: ص (332، و 351)

المبحث الثاني: نقض هذا الاستقراء من ستة وجوه

وهذا المبحث يضم الوجوه الستة الباقية ونبسط كلا منها في مطلب، وبالله التوفيق

المطلب الأول: أن الاستقراء دل على نقض نظرية تقسيم التوحيد

وبيان ذلك أن نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية قامت على مقدمات كثيرة، وكلها منقوضة باستقراء الكتاب والسنة، وفيما يلي سرد أهم هذه المقدمات مع بيان كونها منقوضة بالاستقراء:

1) التباين بين لفظي الرب والإله، وقد بيّنا فيما سبق أن استقراء الكتاب والسنة[1] فضلا عن الشعر والنثر[2] يبين أنهما لفظان مترادفان، أو على الأقل يستخدم أحدها مكان الآخر في كثير من الأحيان بإقراركم.
2) أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية، وقد نقضنا هذا باستقراء الكتاب والسنة، فاستخرجنا منهما عشرين دليلا ونيّفا على ذلك[3]، وكثير منها أقر به السلفية، وذكرنا أيضا أن القول بأن "المشركين كانوا يقولون إن الله وحده هو الخالق" يردّه على الأقل خمس آيات قرآنية صريحة[4].
3) أن الناس كافة متفقون على إثبات وجود الله وعلى توحيده في الربوبية، وإنما اختلفوا في توحيده في الألوهية، وقد أطلنا في إبطال هذا، وذكرنا أن استقراء الكتاب والسنة يدل على وجود من أشرك في الربوبية بل على وجود من أنكر وجود الله أصلا[5].
4) أن الرسل لم تُبعث بالإيمان بالله وبتوحيده في الربوبية، وإنما بعثت بتوحيد الألوهية، وقد أبطلنا ذلك باستقراء الكتاب والسنة، وبيّنا أن الرسل جاءت بالدعوة إلى الإيمان بوجود الله وبتوحيده في الربوبية والألوهية معا، كما جاءت ببقية العقائد والشرائع[1].

---

1 وذلك في كتابنا: "تنوير الرب الإله في دعوى التباين بين كلمتي الرب والإله".

2 انظر: تنوير الرب الإله ص (157)

3 وذلك في كتابنا: "البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية".

4 انظر: ولئن سألتهم ص (255)

5 انظر: ص (96)

5) أن توحيد الربوبية لا ثواب عليه، بل لا يكفي للنجاة في الدنيا ولا في الآخرة ما لم يقترن بتوحيد الألوهية، وقد بيّنا أنه قد جاءت آيات كثيرة تبين الثواب العظيم على الإيمان بالربوبية وأنها تُنجي صاحبها يوم القيامة[2].

6) أن سبب كفر المشركين الوحيد هو التشفع بالأنبياء والأولياء والملائكة، وهذه المقدمة تنقضها عشرات بل مئات الآيات التي تبيّن أوجه الكفر الكثيرة للمشركين وهي لا علاقة لها بقضية التشفع ولا علاقة لها بالأصنام أصلا، وقد بسطنا كل ذلك[3].

7) أن المعنى الصحيح لكلمة التوحيد لا إله إلا الله: لا سجود ولا ذبح ولا طواف ولا نذر ولا دعاء إلا لله، وقد بيّنا أن هذا المعنى لا يصح وذلك باستقراء الكتاب والسنة[4].

8) أن المشركين كانوا يعلمون المعنى الصحيح لكلمة التوحيد، وأنهم لذلك لم ينطقوا بها، ورددنا هذا بالكتاب والسنة[5].

9) أن المشركين كانوا يتشفعون بالأنبياء والأولياء والملائكة وأن أصنامهم كانت ترمز لهم، وأثبتنا بطلان ذلك باستقراء الكتاب والسنة وأن المشركين كانوا يعبدون الحجارة[6].

وهكذا نرى أن المقدمات التي قامت عليها نظرية تقسيم التوحيد باطلة باستقراء الكتاب والسنة، وهذا كله بسطناه مفصّلا في موضعه، فهل يقال بعد ذلك إن نظرية تقسيم التوحيد دل عليها استقراء الكتاب والسنة؟!

---

[1] انظر: ص (196) من هذا الكتاب.

2 انظر: ص (272)

3 وذلك في كتابنا: (مناقب المشركين ومثالبهم وحقيقة شركهم في الألوهية أو ثناء الوهابية على المشركين...)

4 انظر: ص (343)

5 انظر: تنوير الرب الإله ص (481)

6 انظر: ص (234، و268)

المطلب الثاني: أن استقراءكم منقوض بزعمكم أن توحيد الربوبية ليس في القرآن أصلا

أي أن ما زعمتم من أن استقراءكم للقرآن متضمن لثلاثة أقسام للتوحيد وهي الربوبية والألوهية والصفات، ينافيه ما ذكرتموه قبلا من أن توحيد الربوبية ليس مذكورا في القرآن أصلا، ولا في غيره من الكتب السماوية ولا بُعث به الرسل عليهم السلام قط!

وقد سبق[1] أن أتينا بمزيد من نصوص لابن تيمية وأتباعه التي يؤكدون فيها "أن **الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم**..فإن هذا يقرّ به كل مشرك قبل بعثة الرسل"(2). **بل** "الرسل بُعثوا بالدعوة إلى توحيد العبادة، **لا بالدعوة إلى توحيد الربوبية، فليس هناك آية واحدة قالت أقرّوا بالربوبية**..لأن الفِطَر تقتضيه "3. "**فتوحيد الربوبية** كان يعتقده المشركون، **ولذلك *لم يدعهم إليه الرسل* لعِلْمهم أن الله فطرهم عليه**"4. بدليل حديث "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، **لم يقل حتى يقولوا إن لهم ربا، إذ هم عارفون بذلك**.."(5). **فإذا كان الأمر كذلك فكيف دلّ استقراء القرآن على أن التوحيد ثلاثة أقسام أولها توحيد الربوبية** الذي أنتم تقولون لا توجد ولو آية واحدة في القرآن تدل عليه؟!

ولا يقال: ليس المقصود من تلك النصوص خلوّ القرآن من توحيد الربوبية، فهذا غير مراد، بل القرآن مليء بآيات تتضمن توحيد الربوبية، ولكن لم تأت تلك الآيات لتقريره وإنما هي "للاستدلال به على توحيد الألوهية"[6]. إذ توحيد الربوبية هو "من الدلائل التي يستدل

---

1 انظر: ص (188)

(2) صيانة الإنسان ص164، وانظر أيضا: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 336)

3 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (1/ 52)

4 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 95)

(5) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – (8 / 510).

[6] إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد للفوزان (1/ 70)

بها على وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة"[1]. **لأننا نقول: إن هذا غير مسلّم كما سبق بسطه**[2].

المطلب الثالث: لم يأت في القرآن ذكر للفظ التوحيد فضلا عن أقسامه

إن استقراءكم هذا لا يخلو من أن تقصدوا أن ألفاظه أو معانيه أو كليهما معا موجودة في القرآن، وعلى الاحتمالات الثلاثة فالاستقراء باطل، وبيان ذلك أنكم إن كنتم تقصدون أنكم استقرأتم القرآن فوجدتم فيه أن التوحيد فيه **ثلاثة أقسام بألفاظه** التي ذكرها ابن تيمية فهذا غير صحيح، فإن لفظ "التوحيد"لم يأت نص صريح في الكتاب ولا في السنة بتقسيمه إلى الأقسام التي قسمها ابن تيمية ولا إلى الأقسام التي قسمها إليها غيرُه كتقسيم الصوفية والأشاعرة والمعتزلة والشيعة للتوحيد مما سيأتي، وإذا كان لفظ "التوحيد"لم يذكر أصلا في القرآن، فمن أين تُذكر أقسام التوحيد في القرآن؟!!

(آيات فيها وصف الله بأنه بلفظ "واحد" أو "الواحد" أو "وحده" ونحو ذلك)

وإنما **وصف الله نفسه بأنه واحد وبأنه أحدٌ وبأنه وحدَه**؛ وبأنه لا إله إلا هو، أي جاء بصيغة الحصر؛ أما وصفه تعالى بأنه أحد فهو قوله تعالى {قُلْ هُوَ **اللَّهُ أَحَدٌ**} [الإخلاص: 1]، **وجاء بلفظ "واحد" أو "الواحد" في 22 آية** منها:

1) {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ **إِلَهًا وَاحِدًا** وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 133]
2) {وَإِلَهُكُمْ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 163]
3) { إِنَّمَا اللَّهُ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** } [النساء: 171]
4) {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا **إِلَهٌ وَاحِدٌ**} [المائدة: 73]

---

1 جهود الإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: 193)، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى لخالد الأحمدي.

2 انظر: ص (225) فاحتج على تفرده بالإلهية .

5) { قُلْ إِنَّمَا هُوَ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** } [الأنعام: 19]

6) {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا **إِلَهًا وَاحِدًا** لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [التوبة: 31]

7) {يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ **الْوَاحِدُ** الْقَهَّارُ} [يوسف: 39]

8) { قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ **الْوَاحِدُ** الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]

9) {وَبَرَزُوا لِلَّهِ **الْوَاحِدِ** الْقَهَّارِ } [إبراهيم: 48]

10) {وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** } [إبراهيم: 52] [1]

وأما بلفظ "وحده" **فقد جاء في** ست آيات وهي ما يلي:

1) {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ **وَحْدَهُ** وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} [الإسراء: 46]

2) {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ **وَحْدَهُ** اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر: 45]

---

1 والباقي هي:

1) {إِلَهُكُمْ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** } [النحل: 22]

2) {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ **إِلَهٌ وَاحِدٌ**} [النحل: 51]

3) {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** } [الكهف: 110]

4) {قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [الأنبياء: 108]

5) { فَإِلَهُكُمْ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج: 34]

6) {وَإِلَهُنَا **وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ** وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [العنكبوت: 46]

7) { إِنَّ **إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ**} [الصافات: 4]

8) {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ **إِلَهًا وَاحِدًا** إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص: 5]

9) {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ **الْوَاحِدُ** الْقَهَّارُ} [ص: 65]

10){لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ **الْوَاحِدُ** الْقَهَّارُ } [الزمر: 4]

11){يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ **الْوَاحِدِ** الْقَهَّارِ} [غافر: 16]

12){ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ **إِلَهٌ وَاحِدٌ** } [فصلت: 6]

3) {ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ **وَحْدَهُ** كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } [غافر: 12]

4) {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ **وَحْدَهُ** وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} [غافر: 84].

5) { وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ **وَحْدَهُ**} [الممتحنة:4].

6) {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ **وَحْدَهُ** وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا } [الأعراف: 70].

وأما بصيغة الحصر فقد جاء في عدة آيات منها يلي بعضها:

1) {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 163]

2) { أَمْ لَهُمْ **إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ** سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الطور: 43]

3) {فَاعْلَمْ أَنَّهُ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** } [مُحَمَّد: 19].

4) { قُلْ **أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا** وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: 164].

5) { قَالَ **أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا** وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 140].

6) {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } [فاطر: 3].

وأما في السنة

فقد وردت كلمة التوحيد مرتين في صحيح البخاري مرة معرفة جاءت كترجمة لكتاب وهي قوله "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كتاب **التوحيد**"[1]، ومرة جاءت نكرة ضمن ترجمة لباب، وهي قوله: "باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم أمته إلى **توحيد** الله تبارك وتعالى"[2]، أي أنه لم ترد كلمة التوحيد قط في أحاديث صحيح البخاري، وإنما وردت مرتين كترجمة كما تقدم.

---

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (6/ 2683)

2 صحيح البخاري بتحقيق د.البغا (6/ 2683)

وأما في صحيح مسلم فلم تذكر كلمة التوحيد فيه إلا مرة واحدة في سياق الحديث الطويل الذي رواه جابر في الحج: "فأهل **بالتوحيد** لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك"[1]. نعم ذكرت فيه كلمة التوحيد مرة أخرى في إحدى تراجم أبوابه وهو قوله "باب الدليل على أن من مات على **التوحيد** دخل الجنة قطعا"ثم روى حديث "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"[2]، ولكن من المعلوم أن الإمام مسلما "لم يذكر تراجم الأبواب فيه؛ لئلا يزداد بها حجم الكتاب، أو لغير ذلك"[3] ولذلك فإن هذه الترجمة السابقة لا توجد في شرح المازري "المعلم بفوائد مسلم"ولكن توجد في شروح أخرى كشرحي القاضي عياض[4] والإمام النووي[5].

إحصاء كلمة "التوحيد"في كتب الحديث

فقد أحصيت الأحاديث التي ورد فيها كلمة (التوحيد) في كتاب الجامع الصغير للسيوطي وزياداته فوجدتها لا تعدو خمسة أحاديث وهي _ كما جاء في كتاب صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني الذي يضم "14587"حديثا _ ما يلي:

1) الإيمان بالقدر نظام **التوحيد** (فر)[6].
2) قال الله تعالى: إني أنا الله لا إله إلا أنا فمن أقر لي **بالتوحيد** دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي. (الشيرازي عن علي)[7].

---

1 صحيح مسلم – عبد الباقي (2/ 887)، قال ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح (8/ 362): وقوله: (أهل بالتوحيد راكبا) الظاهر أن المراد بالتوحيد توحيد الله عز وجل؛ لأنه لو أراد إفراد الحج لقال: الإفراد ..

2 صحيح مسلم – عبد الباقي (1/ 55)

3شرح النووي على مسلم (1/21)

4 إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 253)

5 شرح النووي على مسلم (1/ 217)

6 صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: 512)، قال الشيخ الألباني: (ضعيف).

7صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: 848): قال الألباني: (ضعيف).

3) القدر نظام **التوحيد**، فمن **وحّد** الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى. (طس) عن ابن عباس[1].

4) يعذب ناس من أهل **التوحيد** فيطرحون في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون..(حم ت) عن جابر[2].

5) وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم **بالتوحيد** ولي بالبلاغ ألا يعذبهم. (ك) عن أنس[3].

وأضيفُ أحاديث أخرى سوى ما سبق وجدتها في مسند أحمد والدر المنثور للسيوطي، ورَدَ فيها لفظ "التوحيد"وهي ما يلي:

1) روى أحمد في مسنده مرفوعا بلفظ "أما أبوك، فلو كان **أقر بالتوحيد**، فصمت، وتصدقت عنه، نفعه ذلك"ولكن روي عند أبي داود بلفظ "**لو كان مسلما** "[4].

2) وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رجلا لم يعمل من الخير شيئا قط إلا **التوحيد** فلما حضرته الوفاة..[5]

3) وعن أبي رافع قال ضحّى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين..فقال: أحدهما **عمّن شهد بالتوحيد** وله بالبلاغ، والآخر عنه وعن أهل بيته[1].

---

1 صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: 857) قال الألباني: (ضعيف).

2 صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: 1407)، قال الألباني: (صحيح).

3 صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: 1428) قال الشيخ الألباني : (ضعيف جدا) انظر حديث رقم : 6123 في ضعيف الجامع

4 مسند أحمد ط الرسالة (11/ 307)، قال محققوه: إسناده حسن.اهـ سنن أبي داود (4/ 508) قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

5 مسند أحمد – الرسالة (6/ 326)، ورواه أحمد أيضا من مرسل الحسن وابن سيرين. انظر: مسند أحمد (13/ 408)

4) وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: في قوله: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ قال: "ما جزاء من أنعمت عليه **بالتوحيد** إلا الجنة "[2].

5) وأخرج ابن شاهين في السنة والديلمي من طريق أبان عن أنس قال: قال رسول الله "**التوحيد** ثمن الجنة و الحمد لله ثمن كل قطعة ويتقاسمون الجنة بأعمالهم"[3].

وخلاصة ما سبق أن لفظ "التوحيد"لم يرد في القرآن أصلا، وأما في السنة فلم يرد في أحاديث صحيح البخاري وإنما ورد في بعض تراجمه، وورد في حديث واحد في صحيح مسلم، وورد في خمسة أحاديث في الجامع الصغير وزياداته، وقد ضعّف الألباني أربعة منها، ووردت أيضا في خمسة أحاديث أخرى في مسند أحمد والدر المنثور للسيوطي كما وضحنا، **ثم كل الأحاديث التي ورد لفظ التوحيد فيها قد ورد مطلقا دون تقسيم أو تنويع أو تقييد، وبالتالي يبطل القول بأن تقسيم التوحيد مأخوذ باستقراء الكتاب والسنة**، فهذا لا يصح لأن القرآن لم يرد فيه لفظ التوحيد أصلا، وأما في السنة فورد في بعض الأحاديث ولكن مطلقا دون تقسيم.

وأما إن كنتم تقصدون أن هذا "التقسيم وإن لم يرد في الكتاب والسنة بألفاظه إلا أن معناه صحيح وحق لا شك فيه.."[4]. "فقد ذكر الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه ***مفهومَ***

---

1 مسند أحمد – الرسالة (39/ 285)، ورواه أحمد أيضا من حديث عائشة بلفظ" فيذبح أحدهما عن أمته **ممن أقر بالتوحيد** وشهد له بالبلاغ .." مسند أحمد (43/ 37)، ورواه في مسند أحمد (43/ 66) من حديث أبي هريرة بلفظ "ممن **شهد بالتوحيد**"

2 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (14/ 149)

3 الدر المنثور للسيوطي (1/ 60)، وأخرجه المحاملي في " الأمالي – رواية ابن مهدي الفارسي " (362) ، و أبي مُحَمَّد الطامذي في " الجزء من فوائده " (27) ، و كلاهما عن الحسن مرفوعا "ثمن الجنة لا إله إلا الله".

4 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص89

هذا التقسيم" [1]، وبالتالي فإن "**عدم ورود لفظ التقسيم** بأن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية و توحيد الألوهية، **فهذا لا يضر، إذ العبرة بالمعاني**"[2].

أقول إن كنتم تريدون هذا وهو أن أقسام التوحيد الثلاثة موجودة في القرآن بمعانيها لا بألفاظها؛ حيث إن القرآن دلّ على أن الله هو الخالق وحده، وأنه هو وحده المعبود بحق، وأنه متصف بالصفات العلى ومنزه عن صفات النقص وأنه ليس كمثله شيء؛ فهذا القدْر لا نزاع فيه، وآيات القرآن الدالة على هذه المعاني الثلاثة كثيرة جدا، والإيمان بها واجب لا لأنه نتيجة لاستقرائكم بل لوجوب الإيمان بالقرآن كله، أي سواء أقُمتم بهذا الاستقراء أم لم تقوموا به، وسواء أقسَمتم التوحيد أم لم تقسموه، فالأمران سيان، إذ هذه المعاني الثلاثة حقائق ثابتة لا ريب في ذلك، بغض النظر عن التقسيمات والمصطلحات التي تعبرون بها عنها، فليس النزاع في ثبوت هذه الحقائق الثلاثة ولا في تلك التقسيمات والألفاظ، ولكن النزاع هو في ثلاثة أمور:

الأول: أن هذه المعاني الثلاثة هل هي متضمَّنَة ـ كما نرى ـ في شهادة أن لا إله إلا الله ومتفرّعة منها، بحيث إن من أتى بلا إله إلا الله فقد أتى تلقائيا بهذه الحقائق الثلاثة، ويُعدّ مؤمنا ومسلما وموحدا كامل التوحيد؟ أو أن هذه الشهادة تعبِّر فقط ـ كما هو أصل نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد ـ عن حقيقة واحدة من هذه الحقائق الثلاثة، وهي أنه لا معبود بحق إلا الله، ومن ثَمّ فمن أتى بلا إله إلا الله فلم يأت إلا بحقيقة واحدة منها وهي ما يسميه ابن تيمية بتوحيد الألوهية التي هي أحد أقسام التوحيد عنده، ولا بد حينئذ من أن يأتي بما يعبر عن الحقيقتين الأخريين، وهما القسمان الآخران للتوحيد، فيشهد أن لا خالق إلا هو، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإلا فهو ناقص التوحيد بمعنى أن من أتى بتوحيد الألوهية فقد أتى بثلث التوحيد فقط، ولا بد من أن يأتي بالثلثين الآخرين وهما توحيد

---

1 منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ص609

2 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص230

الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؟! إلا أن تقولوا بأن توحيد الألوهية متضمِّن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كما سبق من نصوص ابن تيمية وأتباعه وحينها فلا نزاع هنا إلا في الألفاظ، والخطب يسير.

الثاني: أن المقدمات التي بنيتم عليها نظرية تقسيم التوحيد ـ كالتباين بين الإله والرّبّ، وأن المشركين موحّدون في الربوبية، وغير ذلك ـ كلها غير مسلمة كما سبق مفصلا، وكما سيأتي بيانه مختصرا[1].

الثالث: في النتائج التي رتّبتموها على تقسيم التوحيد كالمفهوم الجديد للعبادة والشرك والتوحيد، وتحويلكم لبعض المسائل الفقهية الفرعية كبعض مسائل القبور إلى مسائل عقدية، وهذا سنبسطه في كتب مستقلة نخصصها لنتائج نظرية تقسيم التوحيد إن شاء الله.

---

1 انظر: ص (484)

المطلب الرابع: أن الاستقراء الذي تدعونه ما هو إلا مجرد اصطلاح لكم يمكن أن يعارَض بمثله

وبيان ذلك أن حاصل استقرائكم الذي أدى بكم إلى تقسيم التوحيد هو أنكم أتيتم إلى الآيات التي فيها أن الله هو الخالق والرازق والمدبر وحده، فجمعتموها تحت عنوان واحد سميتموه: توحيد الربوبية، ثم أتيتم إلى الآيات التي فيها وجوب عبادة الله وحده فجمعتموها تحت عنوان سميتموه: توحيد الألوهية، وأتيتم إلى الآيات التي فيها صفات الله وأسماء الله الحسنى فجمعتموها تحت عنوان سميتموه: توحيد الأسماء والصفات.

وهذا ليس من الاستقراء في شيء، ولا يعجز أحد عن أن يأتي بمثله فيجمع آيات من القرآن تحت اسم معين وأخرى تحت اسم آخر، وهكذا، بل يمكن لكل من قسّم التوحيد تقسيمات مغايرة لتقسيم ابن تيمية أن يجمع آيات من القرآن تدل على كل قسم من أقسام التوحيد ويعارض بذلك تقسيمكم واستقراءكم!

فيمكن مثلا للأشاعرة الذين قسموا التوحيد إلى"ثلاثة أقسام: الأول: توحيد الذات، والثاني: توحيد الصفات. والثالث: توحيد الأفعال"[1]؛ يمكن لهم مثلا أن يجمعوا آيات من القرآن تدل على أن الله واحد في ذاته .كقوله {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } [البقرة: 163]. ويضعوها تحت عنوان توحيد الذات، ثم يأتوا إلى الآيات التي تدل على أن الله واحد في أفعاله .كقوله تعالى { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: 62]. فيضعوها تحت عنوان توحيد الأفعال، ويأتوا إلى الآيات التي تدل على أن الله واحد في صفاته .كقوله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11]. فيضعوها تحت

---

1 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 121)، وانظر منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (ص: 566). قال **الشهرستاني** في نهاية الإقدام في علم الكلام (ص: 90): فالباري تعالى واحد في ذاته لا قسم له وواحد في صفاته لا شبيه له واحد في أفعاله لا شريك له.اهـ وقال **البيجوري** في حاشيته على جوهرة التوحيد ص114، دار السلام: والحاصل أن الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الأفعال تنفي كموما خمسة..اهـ

عنوان توحيد الصفات، ثم يزعموا بعد ذلك أن القرآن دل بالاستقراء على أن الله واحد في ذاته وأفعاله وصفاته، وما هو جوابكم هو جوابهم.

(تقسيمات الصوفية للتوحيد)

وعلى هذا المنوال يمكن للصوفية أن يستدلوا على تقسيماتهم المختلفة للتوحيد، وهي تقسيمات كثيرة نورد منها ما يلي:

1) تقسيم أبي إسماعيل الهروي في منازل السائرين[1]، ونصّه فيه (والتوحيد على ثلاثة وجوه؛ الوجه الأول توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق، والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة)2.
2) ومنها تقسيم الغزالي للتوحيد حيث قال: للتوحيد أربع مراتب..فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله، وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين، والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبُه..والثالثة أن يشاهد ذلك

---

1 وقد أشار إليه ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية – ت الأرناؤوط» (1/ 53) ورده وسفّهه فقال: «وإذا عرف أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، كما تقدمت إليه الإشارة – **فلا يلتفت إلى قول من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع**، وجعل هذا النوع توحيد العامة، والنوع الثاني توحيد الخاصة، وهو الذي يثبت بالحقائق، والنوع الثالث توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة... فملة إبراهيم: التوحيد، ودين مُحَمَّد ﷺ: ما جاء به من عند الله قولا وعملا واعتقادا. **وكلمة الإخلاص: هي شهادة أن لا إله إلا الله...فهذا توحيد خاصة الخاصة، الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء**. قال تعالى: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين – إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين}»

2 منازل السائرين (ص: 135) وانظر: التصوف الإسلامي أنصاره وخصومه، (ص: 173)، رسالة دكتوراة بالأزهر سنة 1974 للباحث مُحَمَّد فوقي مُحَمَّد حسن حجاج. وموقف الصوفية من التكاليف الشرعية، (ص: 108)، رسالة ماجستير بالأزهر سنة 1987 لأحمد علي عجيزة .

بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين..والرابعة ألا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصدّيقين..[1].

3) ومنها "أن التوحيد لا يتحقق إلا بنفي ثلاثة أشياء، وهي "نفي القسيم لذاته، ونفي التشبيه عن حقّه وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته"[2].

4) ومنها أن "التوحيد ثلاثة: توحيد الحق للحق، وهو علمه بأنه واحد، وخبره عنه بأنه واحد، والثاني: توحيد الحق سبحانه للخلق، وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحِّد وخلْقُه توحيدُ العبد، والثالث: توحيد الخلق للحق سبحانه وهو علم العبد بأن اللّه عز وجل واحد وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد"[3].

5) ومنها أن "أصول التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة"[4].

6) ومنها قول الشعراني: "التوحيد: أن نخلص التوحيد لله تعالى في الأفعال، والأقوال، والملك، والوجود"[5].

7) ومنها قول الشعراني أيضا أن التوحيد ثلاثة أقسام "توحيد الفعل لله تعالى، وتوحيد الملك لله تعالى، وتوحيد الوجود لله تعالى"[1].

---

1 إحياء علوم الدين (13 /2486) ط الشعب ، إتحاف السادة المتقين (9 /390)، موسوعة أهل السنة لدمشقية (ص: 143).

2 انظر: الرسالة القشيرية 2/ 463، ت د. عبد الحليم محمود، دار المعارف. ونتائج الأفكار القدسية في شرح الرسالة القشيرية 3/ 74، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، دار الكتب العلمية. والآراء العقدية لأئمة التصوف في كتاب الرسالة القشيرية (7/ 4)، رسالة ماجستير للطالب سعد السامرائي.

3 انظر: الرسالة القشيرية 2/ 463، ت د. عبد الحليم محمود، دار المعارف. ونتائج الأفكار القدسية في شرح الرسالة القشيرية 3/ 74، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، دار الكتب العلمية. والآراء العقدية لأئمة التصوف في كتاب الرسالة القشيرية (7/ 4)، رسالة ماجستير للطالب سعد السامرائي.

4 طبقات الصوفية للسلمي(ص: 100)

5 البحر المورود في المواثيق والعهود، للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ص77

8) ومنها أن "التوحيد قسمان: توحيد شهودي..وتوحيد وجودي"[2].

9) ومنها قول ابن عربي: التوحيد: هو علم ثم حال ثم علم. فالعلم الأول: توحيد الدليل وهو توحيد العامة، وأعني بالعامة علماء الرسوم. وتوحيد الحال: هو أن يكون الحق نعتك، فتكون هو لا أنت في أنت. والعلم الثاني بعد الحال: توحيد المشاهدة، فترى الأشياء من حيث الوحدانية[3].

10) ومنها تقسيم صاحب التأويلات النجمية حيث قال في تفسير سورة الفاتحة: إنها هي فاتحة فتوحات هذا الكتاب بأن الله تعالى ضمَّن فيها: حقائق مراتب الربوبية ومراتب العبودية..فمراتب الربوبية عشرة:

أولها: مرتبة الاسم؛ بأن له تعالى أسماء.

والثاني: الذات.

والثالث: الصفات.

فهذه المراتب الثلاثة حاصلة في {بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}.

والرابع: الثناء.

والخامس: الشكر.

وهما حاصلان في {الْحَمْدُ}.

والسادس: الألوهية بمعنى الخالقية، وهي حاصلة في {للَّهِ}.

والسابع: الربوبية بالوحدانية في الخالقية، وهي حاصلة في {رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

والثامن: الملكية بالمالكية، وهي حاصلة في {مَالِكِ}.

والتاسع: المعبودية بالألوهية والوحدانية، وهي حاصلة في {يَوْمِ الدِّينِ}.

---

1 المنح السنية على الوصية المتبولية، للشعراني، ص38. وانظر: الرؤية الصوفية لقضايا العقيدة في فكر الإمام الشعراني، عرض ونقد (1/ 152)، رسالة دكتوراة في جامعة الأزهر لحذيفة الميسر.

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 144) نقلا عن البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، وسيأتي الكلام أكثر عن هذا التقسيم.

3 موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان (76/ 200) نقلا عن: الشيخ ابن عربي – مخطوطة رسالة التجليات – ورقة 62 ب (بتصرف).

والعاشر الهداية بالحق والإنعام من الأزل إلى الأبد، وهي حاصلة في {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[1].

وكذا المعتزلة يمكن أن يستدلوا بهذه الطريقة على تقسيمهم للتوحيد حيث قال أبو علي الجبائي بأنّ الله "واحد على وجوه ثلاثة: **أحدها** بمعنى أنه لا يتجزأ..، **الثاني**: بمعنى أنه منفرد بالقدم، **الثالث**: أنه منفرد بسائر ما يستحق به الصفات النفسية"2، وذكر ابنه أبو هاشم أن التوحيد قسمان: الأول: بمعنى أنه لا يتجزأ، والثاني: بمعنى أنه يختص بصفات لا يشاركه فيها غيره3.

ويعلّق بعض السلفية على هذا فيقول: «ومن هنا كان موقف **المعتزلة الجافي إزاء التوحيد حيث أقاموه على ثلاثة أصول: الأول**: بمعنى أنه لا يتجزأ ولا يتبعض. **الثاني**: أنه منفرد بالقدم لا ثاني له. **الثالث**: أنه منفرد بسائر ما يستحق من الصفات النفسية، من كونه قادرًا حيًا، ويقول القاضي عبد الجبار في تعريفه: "هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه والإقرار به، ولا بد من اعتبار **هذين الشرطين**: العلم والإقرار جميعًا؛ لأنه لو علم ولم يقرّ، أو أقرّ ولم يَعلم لم يكن موحدًا"»[4].

---

1 التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، للإمام أحمد بن عمر المعروف بنجم الدين الكبرى (ت618 هـ) 1/ 61، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. وانظر أيضا في المجلد الأول من رسائل صوفية مخطوطة، رسالة في تفسير فاتحة الكتاب وأسرار "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" ص97، 98، للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، تحقيق سعيد عبد الفتاح.

2 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص120 نقلا عن المغني لعبد الجبار 1/ 241.

3 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص120 نقلا عن المغني لعبد الجبار 1/ 241.

4 «آراء الصاوي في العقيدة والسلوك» (ص171)، أسماء مُلا حسين، مكتبة النافذة، الجيزة – جمهورية مصر العربية.

ويمكن للشيعة أيضا أن يستدلوا على تقسيمهم للتوحيد، فقد قسموه عدة تقسيمات فمنهم من بلغ به أربعة عشر قسما، واستدل على كل منها بآية من القرآن وقد سبق ذلك1. ومنهم من قسمه إلى ستة أقسام وهي: أولاً :التوحيد الذاتي، ثانياً :التوحيد في الصفات، ثالثاً: التوحيد في الخالقية؛ بمعنى: أن لا خالق إلاّ الله، رابعاً: التوحيد في الربوبية؛ بمعنى: أنّ الله هو مدبّر الكون والإنسان، خامساً: التوحيد في الحاكمية والتقنين. سادساً: التوحيد في العبادة2.

ومن الشيعة من قسّم التوحيد إلى سبعة أقسام، وهي: الأوّل: التوحيد في الذات، الثاني: التوحيد في الخالقية، الثالث: التوحيد في الربوبية، الرابع: التوحيد في التشريع والتقنين، الخامس: التوحيد في الطاعة، السادس: التوحيد في الحاكمية، السابع: التوحيد في العبادة3.

ويمكن لكل أصحاب فرقة من فرق المسلمين أن يقسموا التوحيد تقسيمات أخرى، ولن يعجزوا أن يأتوا باستدلالات واستقراءات أخرى مماثلة لاستقراء السلفية الذي استدلوا به على تقسيمهم للتوحيد،"فلا تَعدم الخرقاءُ حُجة"4، وما كان جوابكم عن هذه التقسيمات للتوحيد فهو جوابهم.

---

1 انظر: ص (447)

2 انظر مقالا بعنوان "بعض أقسام التوحيد ونواقضها"على موقع شيعي وهو موقع مركز الأبحاث العقائدية.

/http://www.aqaed.com/faq/2998

3 انظر: مقالا بعنوان " التوحيد عند الشيعة ، وما هو عند الوهابية ؟" على موقع "منتديات مدرسة الإمام الحسين عليه السلام الدينية".

4 ويقال: لا تعدم خرقاء عِلّة، قال الزمخشري أي "إن الْعِلَل يسيرَة مَوْجُودَة تحسنها الخرقاء فضلا عَن غَيرهَا فَلَا تشبثوا بهَا وَلَا ترضوا بهَا لأنفسكم.. يضْرب في النهي عَن المعاذير". المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (2/ 256).

فإن قلتم مثلا: إن تقسيم الأشاعرة للتوحيد بدعة، بخلاف تقسيم ابن تيمية للتوحيد، فقد دل عليه استقراء الكتاب والسنة. فما أنكرتم أن تعارِضوا بمثل هذا فيقال: إن تقسيم الأشاعرة قد دل عليه استقراء الكتاب والسنة، وأما تقسيم ابن تيمية للتوحيد فبدعة.

وإن قلتم: تقسيم ابن تيمية واجب و"الصواب والحق في هذا التقسيم والتفريق، والزيغ والضلال في الإعراض عنه"[1]، فما أنكرتم أن يقال لكم: إن تقسيم الأشاعرة للتوحيد واجب، والصواب والحق فيه، والزيغ والضلال في الإعراض عنه[2]؟!

وإن قلتم: لو كان تقسيم الأشاعرة للتوحيد خيرا لسبق إلى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وبيّن لنا أن التوحيد هو توحيد الله في ذاته وأفعاله وصفاته، ولفَعل ذلك السلف من بعده. **فما أنكرتم أن يقال**: وكذا يقال في تقسيم ابن تيمية للتوحيد لو كان خيرا لسبقنا إلى ذلك رسول الله ولَبيّن لنا أن التوحيد ثلاثةَ أقسام وهي توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، ولبيّن ذلك أيضا السلف من بعده.

و**إن قلتم**: هذه الأقسام "من التوحيد كانت معروفة لدى السلف، حتى إن العرب كانوا **يعرفونها بسليقتهم** فلم يحتاجوا أن يبينوا هذه الأقسام على حدة"[3]، **فما أنكرتم أن**

---

1 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

2 طبعا هذا الجواب من باب المعارضة فقط، وإلا فنحن لا نُلزم أحدا بتقسيم الأشاعرة للتوحيد ولا بتقسيم الصوفية، ولا نضلّل ولا نبدّع أحدا بعدم اتباع تقسيمهم للتوحيد كما يفعل الوهابية حيث يلزمون الناس بتقسيم ابن تيمية للتوحيد! فلا هذا يلزم ولا ذاك، وإنما الأمر اللازم للكل هو شهادة أن لا إله إلا الله، فهذا هو التوحيد الواجب على العالمين أجمعين أكتعين أبصعين، وما سوى ذلك من كل التقسيمات السابقة للتوحيد سواء تقسيم الأشاعرة أو الصوفية أو المعتزلة أو الشيعة أو السلفية، فكلها في أحسن أحوالها اجتهادات بشرية وآراء مستنبطة وأقوال للرجال وتفسيرات للتوحيد لا تلزم أحدا، وإن كنت أنا أرى أن أقربها للصواب هو تقسيم الأشاعرة لأنه مذهب جمهور المسلمين ولكن لا ألزم به أحدا كما سبق. والله أعلم

3 الشرك في القديم والحديث ص84

يقال: وأقسام التوحيد عند الأشاعرة أيضا كانت معروفة لدى السلف، والعرب يعرفونها بالسليقة، فلذلك لم يبيّنها السلف؟! وما كان جوابكم فهو جواب الأشاعرة.

وإن قلتم: لم ينفرد ابن تيمية بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، بل ثمّة من سبقه إلى ذلك كأبي يوسف وابن بطة وابن منده. **قلنا: أولا:** ليس النزاع هنا فيمن سبقه أو من تبعه أو من خالفه في هذا التقسيم، وإنما النزاع هو في أن تقسيم ابن تيمية للتوحيد هل هو فريضة شرعية على العالمين أجمعين أم هو مجرد تقسيم اصطلاحي اجتهادي لا يلزم أحدا؟! الظاهر أنكم تقولون بالأول لأنكم قلتم عن تقسيم ابن تيمية للتوحيد "الصواب والحق في هذا التقسيم والتفريق، والزيغ والضلال في الإعراض عنه"[1]، فهذا يعني أنه واجب على العالمين ومعهم السلف، لأنكم رفضتم أن يكون تقسيما اصطلاحيا اجتهاديا كما سبق[2]!

ثانيا: يمكن أن يقال بأن الأشاعرة لم ينفردوا بتقسيم التوحيد إلى ما قسموه بل سبقهم إلى ذلك من سبقهم، بل قد ذكرنا سابقا بأن نصوص أبي يوسف وابن بطة وابن منده التي تستدلون بها على أن فيها تقسيما للتوحيد إلى ما قسمه إليه ابن تيمية: ممكن أن يُستدل بها نفسِها على أنها ترمز لتقسيم الأشاعرة للتوحيد، وتُنزّل على أقسام التوحيد الثلاثة عندهم على ما سبق بيانه.

وإن قلتم: لو كان تقسيم الأشاعرة للتوحيد واجبا ويضلّ من لا يعرفه لوجب على رسول الله أن يبيّن ذلك، وإلا كان كاتما للوحي حاشاه ﷺ. **قلنا:** وكذا يقال في تقسيم ابن تيمية للتوحيد لو كان واجبا لبيّنه لنا رسول الله. **فإن قلتم:** أقسام التوحيد الثلاثة التي ذكرها ابن تيمية مبيَّنة في الكتاب والسنة في نصوص كثيرة، وإنما الجديد قد يكون في التسميات والاصطلاحات لا في المعنى، **قلنا:** وكذلك يمكن أن يقال في تقسيم الأشاعرة بأن الأقسام

---

1 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

2 انظر: ص (461)

الثلاثة التي ذكروها مبيّنة في الكتاب والسنة في نصوص كثيرة، والجديد هو في التسميات، فإن اعترضتم على استدلالهم ولم تسلموه: اعترضنا على استدلالكم..وهكذا.

فإن قلتم "فأين قال الرسول هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة.."[1]. **قلنا:** وأين قال الرسول هذا توحيد ألوهية وهذا توحيد ربوبية؟! **وإن قلتم** تقسيم الأشاعرة للتوحيد هو "**تقسيم قاصر**"[2]. **قلنا:** وكذا تقسيمكم قاصر فإنه يمكن أن يقال إن استقراء أقسام التوحيد في القرآن يفيد أن أقسامه ربما تبلغ العشرين قسما أو أكثر وليس هي فقط ثلاثة أقسام وسيأتي بيان ذلك.

وهكذا فكل ما يَرد على تقسيم الأشاعرة مثلا للتوحيد يمكن أن يَرد مثله على تقسيم ابن تيمية وأزيد، وما هو جوابكم عن تلك الإيرادات هو جوابهم، **والحق أن كل هذه التقسيمات** للتوحيد سواء تقسيم ابن تيمية أو تقسيم الأشاعرة أو المعتزلة أو الصوفية أو غيرهم إنما هي تفسيرات وتفصيلات واجتهادات لا نصّ صريحا عليها من الكتاب والسنة، ويمكن أن يَرِد عليها كثير من الأسئلة، فتبقى محل أخذ ورد وجدل لا ينتهي، ولذلك فهي لا تلزم أحدا، ولكن من اقتنع بواحد من تلك التقسيمات ولم يره مخالفا لأي من نصوص الشرع فليأخذ به دون أن يُلزم به غيرَه، وإنما الشيء الملزِم للجميع هنا هو فقط شهادة أن لا إله إلا الله وما تضمنته وما تفرع عنها كما سبق بسطه.

---

1 شرح الطحاوية، لابن أبي العز، ص56، ط الرسالة.

2 مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (1/ 84)، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص184.

المطلب الخامس: أن نتيجة استقرائكم هذا يخالف الأصل الذي بُنيت عليه نظرية تقسيم التوحيد

وبيان ذلك أنكم انطلقتم في تقسيمكم للتوحيد من التغاير الذي ادعيتموه بين كلمتي الرب والإله، فقلتم بأن الرب والإله مختلفان في الاشتقاق، "**فالربوبية** مشتقة من اسم الله الرب، والألوهية مشتقة من اسم الإله"1، وإنّ "لكل واحد منهما مفهوما مغايرا للآخر في لغة العرب وفي القرآن الكريم، فالإله فِعال بمعنى مفعول أي مألوه، والتأله التعبد. والربّ مأخوذ من التربية والرعاية والسيادة. **وعلى هذا فهما مفهومان متغايران وليسا مترادفين**"2. وبالتالي فإن "اللغة دالة على المغايرة بين كلمتي الرب والإله..**وعليه فإن المغايرة واقعة بين الربوبية والألوهية، ولذا فإن الفرق متقرّر بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية**"3.

ومن جملة ما استدللتم به على التغاير بين الرب والإله: قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ} [الناس: 1 – 3]، ووجّهتم الدلالة بأنه تعالى "ذَكر الربَّ ثم المالك ثم الإله، **فلو كان الرب والإله شيئا واحدا. لكان في الآية تكرار ينبو بها عن حد البلاغة**"[4]. **وإنما هنا "الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، والرب هو الذي يربّ عبدَه فيدبره**"[5].

وكان المفروض ـ وفقا لهذا التوجيه لسورة الناس ـ أن ثمة قسما للتوحيد يسمى "توحيد المالكية"أو توحيد "الْمَلكية"ويكون مستقلا عن توحيد الربوبية، ولكن هذا خلاف ما أنتم عليه حيث دمجتم توحيد الربوبية وتوحيد المالكية فجعلتم منهما شيئا واحدا أو على الأقل

---

1 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص220، وأصله في حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص109.

2 حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص109.

3 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص216.

4دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 344)، وانظر موسوعة أهل السنة لدمشقية (ص: 85).

5 الفتاوى الكبرى (5/ 253)، مجموع الفتاوى (10/ 283)، ونقله البدر في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 81)

جعلتم توحيد المالكية جزءا من توحيد الربوبية كما سبقت نصوصكم في ذلك[1]، ولكن **يُفترض أن يكون توحيد المالكية قسما مستقلا عن توحيد الربوبية لنفس السبب الذي جعلتم به توحيد الألوهية قسما منفصلا عن توحيد الربوبية**، وهو أن الإله والرب لو كانا بمعنى واحد لكان في سورة الناس تكرارٌ تنبو عنه البلاغة، وكذلك يقال في كلمتي الرب والملك، فلو أنهما بمعنى واحد لكان في السورة تكرار ينبو عن البلاغة، **وعليه فإما أن تجعلوا توحيد المالكية قسما مستقلا عن توحيد الربوبية وفاءً باستدلالكم بسورة الناس**، ولكن حينها تكون أقسام التوحيد أربعة لا ثلاثة، وإما أن تدمجوا بين توحيد الربوبية وتوحيد المالكية، وحينها تبطلون استدلالكم بسورة الناس على التباين بين لفظي الإله والرب، ومن ثَمّ فليس لكم أن تُنكروا على من دمج توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية، لأنكم أيضا دمجتم توحيد الربوبية بتوحيد المالكية.

ولن يقف الأمر عند أربعة أقسام للتوحيد بل سيفوق العشرين قسما لو اطّردنا والتزمنا بالأصل السابق الذي انطلقتم منه للتفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وهو "**الاختلاف في الاشتقاق فالربوبية** مشتقة من اسم الله الرب، والألوهية مشتقة من اسم الإله"[2]، لأن الله لم يوحّد نفسه في الربوبية وفي الألوهية فحسب، بل وحّد نفسه في الولاية والحاكمية والناصرية إلى غير ذلك، وبالتالي فيمكن أن يكون كل من ذلك قسما مستقلا للتوحيد، فيقال بـ:

1) توحيد الولاية لقوله{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي **مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ**} [الكهف: 102]، وقوله: {وَالَّذِينَ **اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [الزمر: 3].
2) وتوحيد الحاكمية لقوله { **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** } [الأنعام: 57].

1انظر: تنوير الرب الإله ص (176)

2 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص220، وأصله في حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص109

3) وتوحيد الناصرية لقوله { **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**} [آل عمران: 126]

4) وتوحيد العبادة لقوله {وَقَضَى رَبُّكَ **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** } [الإسراء: 23]

5) وتوحيد الألوهية لقوله {**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ** إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 163].

6) وتوحيد الخالقية لقوله {**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [فاطر: 3].

7) وتوحيد المشيئة لقوله {وَمَا تَشَاءُونَ **إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29]

8) وتوحيد الرازقية لقوله {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ **إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**} [هود: 6]

9) وتوحيد الدعاء لقوله {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء: 67].

10) وتوحيد الشفاعة لقوله {**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**} [الزمر: 44].

11) وتوحيد القوة لقوله {**لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ** } [الكهف: 39].

12) وتوحيد العزة والذلة لقوله {إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [يونس: 65] وقوله {وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} [آل عمران: 26]

13) وتوحيد التوفيق لقوله { **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**} [هود: 88]

14) توحيد المالكية لقوله {**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ**} [الإسراء: 111].

15) وتوحيد الصبرية لقوله {وَاصْبِرْ **وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**} [النحل: 127].

16) وتوحيد الغافرية لقوله {**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ** } [آل عمران: 135]

17) وتوحيد الخشية لقوله { **وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ** } [التوبة: 18]، {وَلَا يَخْشَوْنَ **أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ**} [الأحزاب: 39].

18) وتوحيد عالِمية الغيب لقوله {**قُلْ لَا يَعْلَمُ** مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ **إِلَّا اللَّهُ**} [النمل: 65]

19) وتوحيد الهداية والإضلال لقوله {**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ** وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } [الكهف: 17] وقوله {**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** } [الرعد: 33].

20) وتوحيد الراحمية لقوله {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ **مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ** } [فاطر: 2].

21) وتوحيد الصفات لقوله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: 11]، { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 4].

22) وتوحيد التوكل لقوله {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } [يوسف: 67] "فَمن عبد غَيره **أَو توكل عَلَيْهِ فَهُوَ مُشْرك بِهِ**"[1].

23) توحيد المحبة: لقوله{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165] فدلت على أن "**الإشراك في الحب** والعبادة والدعاء والسؤال **غير الإشراك في الاعتقاد** والإقرار..**فمن أحب مخلوقا كما يحب الخالق فهو مشرك به**"[2].

فهذه عشرون قسما ونيف من أقسام التوحيد! جاءت من اطّرادٍ وتطبيق لقاعدتكم السابقة التي منها انطلقتم لتقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وهي اختلاف الاشتقاق بينهما، "**فالربوبية** مشتقة من اسم الله الرب، والألوهية مشتقة من

---

1 الاستقامة (1/ 344)

2 مجموع الفتاوى (10/ 265)

اسم الإله"[1]، حيث يمكن أن يقال مثله في هذه الأقسام الكثيرة، فيقال: ثمة فرق بين توحيد الولاية وتوحيد الرازقية وتوحيد الصبرية، والتوفيقية، والعالِمية..إلخ، ويقال مثلا: الولاية مشتقة من اسم الله الولي، والرازقية مشتقة من اسم الله الرازق..وهكذا يقال في سائر الأقسام الأخرى التي زادت على العشرين، بل هذه الأقسام أولى، إذ هي مأخوذة من الآيات السابقة التي فيها أسلوب الحصر والقصر، فهي دالة قطعا على التوحيد في الحاكمية والناصرية وغيرها مما سبق، بخلاف آيات الباب الثماني . ولئن سألتهم من خلق..التي استنبطتم منها توحيد المشركين في الربوبية، إذ لا توحيد فيها ولا قصر ولا حصر كما بيناه مطولا.

قد ذهب فعلا بعض الشيعة إلى تقسيم التوحيد إلى أربعة عشر قسما، فقال: والتوحيد على أقسام :١ . توحيد الذّات، أي الواحد الذي لا شبيه له ولا نظير، والأحد الذي لا يقبل القسمة العقليّة ولا القسمة الوهميّة، وليست وحدانيّته وحدانيّة عدديّة «واحدٌ لا بالعدد»، (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ).

٢ . توحيد الصّفات: والمراد هنا صفات ذاته المتعالية، دون صفات الفعل.

٣ . التّوحيد في الأُلوهيّة: (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ).

٤ . التّوحيد الرّبوبي: أو التّوحيد في الربوبيّة . (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ).

٥ . التّوحيد في الخلق: (قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ).

٦ . التوحيد في العبادة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا).

٧ . التّوحيد في الأمر والحكم: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).

٨ . التّوحيد في الخوف والخشية: (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ).

---

1 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص220، و حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص109

٩ ـ التّوحيد في الملك: (وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ).

١٠ ـ التّوحيد في النّفع والضّرر: (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا).

١١ ـ التّوحيد في الرّزق: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ).

١٢ ـ التّوحيد في التوكّل: (اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

١٣ ـ التّوحيد في العمل: (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ).

١٤ ـ التّوحيد في التّوجّه: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)[1].اهـ

وهكذا نرى أن التوحيد صار أربعة عشر قسما عند هذا الباحث! نعم لكم أن تقوموا بدمج بعض هذه الأقسام في بعض، ولكن بمجرد أن تبدؤوا بدمج هذه الأقسام ببعضها لتؤول عندكم إلى ثلاثة أقسام فحسب تكونون قد نقضتم القاعدة التي انطلقتم منها لتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وهي الاختلاف في الاشتقاق بين الربوبية والألوهية.

فضلا عن أنه ما هو جوابكم أو اعتذاركم عن دمج هذه الأقسام هو جوابنا عن دمج توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية وجعلهما شيئا واحدا؛ **وبيان ذلك أنكم إن قلتم**: بأن هذه الأقسام الكثيرة متداخلة تعود في آخر المطاف إلى الأقسام الثلاثة، فمثلا توحيد الحاكمية "**إما داخل في توحيد الربوبية، وإما داخل في توحيد العبادة، وإما داخل في**

---

1 انظر: مقال على النت "مراتب التوحيد وأقسامه" لمحمد مهدي المؤمن، اقتباسا منه من كتاب كيف نفهم الرسالة العمليّة. **https**://**research**.**rafed**.**net**/عقائد-الشيعة/81-التوحيد/2976-مراتب-التوحيد-وأقسامه

توحيد الأسماء والصفات، ولسنا بحاجة إلى نوع زائد، لأنه إذا فتح الباب كلّ من رأى مسألةً قد غفل عنها كثير من الناس زادها، **حينئذٍ يصبح التوحيد مئة قسم**"[1].

فالجواب: أن توحيد الربوبية أيضا إما داخل في توحيد الألوهية أو العكس، وبالتالي فلا داعي لجعلهما قسمين مستقلين ولاسيما أنكم أقررتم بأن توحيد الربوبية هو جزء من توحيد الألوهية كما قال ابن تيمية "والرسل دعوا الخلق إلى **توحيد الإلهية وذلك متضمن لتوحيد الربوبية**"2. وأيضا فقد جَعل ابنُ تيمية توحيدَ الألوهية متضمنا "إثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن النقائص"3 أي متضمنا لتوحيد الأسماء والصفات كما سبق، وبالتالي فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعليه فالتوحيد يؤول عندكم إلى قسم واحد وهو ما تسمونه بتوحيد الألوهية، وهو الذي تشير إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا ما قلناه أصلا بأن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، وهي تتضمن الشهادة بأن الله وحده هو الخالق، وأنه وحده المعبود بحق، وأنه هو الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

وإن رجعتم إلى الإنكار على من يدمج بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، كما فعل عبد الرزاق البدر حين أنكر على من قال "ليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات"1. فجعل البدرُ هذا القول تماديا في الباطل2، وكما فعل الأفغاني فقال فإن: "تفسير الألوهية بالربوبية أو المالكية أو الخالقية تعطيل لهذه الصفة العظيمة وتحريف لنصوصها

---

1 شرح كتاب التوحيد لأحمد الحازمي (3/ 4، ت.ش)

2 درء تعارض العقل والنقل (9/ 344)

3 الصفدية (2/ 228)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 976).

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 28)

2 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 28)

الكثيرة بتلك الكثرة الكاثرة، لأن تأويل صفة بأخرى إبطال لها وهو مذهب الجهمية الأولى"1. بل "أم الطامات"هو اعتقاد "أن الألوهية بعينها هي الربوبية"2، بل هذا "تحريف واضح وتخريف فاضح"(3).

أقول: إن رجعتم إلى هذا الإنكار على من قال بهذا الدمج وهذا التداخل بين أقسام التوحيد، **فجوابه من وجوه:**

الأول: إن كان تفسير الألوهية بالربوبية تعطيل وتحريف وتجهم، فأيضا العكس صحيح، وهو ما ارتكبتموه، فإنكم فسّرتم الربوبية ـ في كثير من نصوص الكتاب والسنة ـ بالألوهية، فهذا ابن عبد الوهاب يقول: "فالربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها"4، وكثير من أتباعه قالوا هذا الكلام5، وهذا تحريف وتخريف وتعطيل وأم الطامات طبقا لما قلتم فيمن فسّر الألوهية بالربوبية، أو أنه حلال لكم حرام على غيركم؟! كما قال أحمد شوقي:

يا ابنةَ اليمِّ، ما أبوك بخيلٌ	ماله مولعاً بمنعٍ وحبسِ

1 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3/ 217، وص178

2 جهود علماء الحنفية (1/ 178)

(3) عداء الماتريدية للعقيدة السلفية لابن قيصر الأفغاني 185/3. باختصار.

4 الدرر السنية في الأجوبة النجدية (72/1، 73)، ونقله عن ابن عبد الوهاب عدد من أتباعه. انظر: جهود علماء الحنفية (1/ 239)، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 335)، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 82)، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ط (ص: 482).

5 انظر: جهود علماء الحنفية (1/ 239، و241)، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 335)، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 82)، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ط (ص: 482)، شرح كتاب التوحيد للحازمي (3/ 15، ت.ش).

أحرامٌ على بلابله الدوح	**حلالٌ للطير من كل جنس؟**[1]

فإن قلتم: ليس في تفسير الربوبية بالألوهية تعطيل ولا تحريف لأن الربوبية عندنا داخلة في الألوهية، إذ إن "**توحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية،** فإنه من لم يعبد إلا الله يندرج في ذلك أنه لم يقر بربوبية غيره بخلاف توحيد الربوبية"[2]، لأننا نعارضكم بالقول: وليس في تفسير الألوهية بالربوبية تعطيل ولا تحريف **لأن الألوهية عندنا داخلة في الربوبية،** وعليه فإن "**توحيد الألوهية داخل في عموم توحيد الربوبية**"3، إذ "**لا يستحق العبادة والتأليه إلا من كان ربا، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه ربّ ينفع ويضر..**"4.

الثاني: أنكم قد أقررتم بالتضمن والتداخل والتلازم بين الأقسام الثلاثة للتوحيد فقلتم بتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فهذه "**الأنواع الثلاثة كلها متلازمة يعني داخل بعضها في بعضٍ، ولا يمكن أن يتصور أنه يوجد نوعٌ دون الآخر،** بمعنى أن من وَحَّدَ الله تعالى في ربوبيته على وجه الكمال، لزم منه أن يُوحّد الله تعالى في أُلوهيته على وجه الكمال والعكس بالعكس..**فهي متلازمة من حيث الوجود،** ومتلازمة من حيث الانتفاء"1.

---

[1] «المرشد إلى فهم أشعار العرب» للمجذوب (4/ 816)، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» للدكتور مُحَمَّد قاسم ورفيقه (ص246).

2 بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية(4/ 533)، ط1/ مجمع الملك فهد 1426هـ.

3 "مصباح الأنام" للحداد، ص17.

4 مجلة نور الإسلام، المجلد الرابع، مقال بعنوان "توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية" للعلامة يوسف الدجوي ص256،255.

1 شرح كتاب التوحيد لأحمد الحازمي، وهو عبارة عن دروس مفرغة له. انظر النص أعلاه على الرابط:

https://al-maktaba.org/book/31683/1292

والحاصل أن نوعي التوحيد الربوبية والألوهية، بل أنواع التوحيد الثلاثة "**كلها بينها علاقة تلازم، وتضمن وشمول، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية**..وأما توحيد **الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية**..وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه شامل للنوعين السابقين..وبالجملة **هذه الأنواع الثلاثة متكافئة متلازمة يكمل بعضها بعضا**، ولا ينفع إحداها بدون الآخرين.."1.اهـ

الثالث: إن قولكم بتداخل أقسام التوحيد المذكورة في القرآن التي زادت على العشرين التي سبقت إلى ثلاثة أقسام: هو أيضا أمر منكر؛ **لأن تفسير الحاكمية والناصرية** والمالكية والراحمية وغير ذلك **بالربوبية** أو الألوهية "**تعطيل لهذه الصفات** العظيمة وتحريف لنصوصها الكثيرة بتلك الكثرة الكاثرة..إلخ"، تماما كما قلتم في تفسير الألوهية بالربوبية سواء بسواء، وما هو جوابكم هو جوابنا.

وهكذا نرى أن كل اعتراض يُوجّه إلى من قسّم التوحيد إلى تلك الأقسام الكثيرة التي تعدت العشرين يمكن أن يوجه مثله إلى تقسيم ابن تيمية للتوحيد إلى ثلاثة أقسام، ولعل هذا ما حدا بأحد السلفية وهو الدكتور ناصر العقل أن يعترف بأنه "**يجوز تقسيم التوحيد إلى ثلاثة، *أو إلى خمسة***، ممكن نقول: توحيد الذات، توحيد الأسماء، توحيد الصفات، توحيد الأفعال، توحيد الأخلاق، ما فيه مانع"1.

ونحن لو أطلقنا العنان لأنفسنا فربما تصل أقسام التوحيد إلى مئة قسم، ولن يقف الأمر عند عشرين قسما لو طبّقنا على أسماء الله الحسنى القاعدةَ السابقة وهي "**الاختلاف في الاشتقاق، فالربوبية** مشتقة من اسم الله الرب، والألوهية مشتقة من اسم الإله"؛ لأن أسماء

---

1 الشيخ مُحَمَّد بن أنور شاه الكشميري وآراؤه الاعتقادية ص 106، مُحَمَّد عبد الله فاروق أنصاري، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى،1420 هـ.

[1] انظر موضوع بعنوان " متى بدأ تقسيم التوحيد الى ألوهية ربوبية أسماء وصفات؟"، على موقع الألوكة الالكتروني، على الرابط http://majles.alukah.net/t5501/

الله الحسنى كثيرة جدا، جاء في حديث الشيخين عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (**إن لله تسعة وتسعين اسما** مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة)[1]، قال ابن عثيمين: وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسما مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. فمن كتاب الله تعالى:

الله..الأحد..الأعلى..الأكرم..الإله..الأول

الآخر..الظاهر..الباطن..البارئ..البر..البصير

التواب..الجبار..الحافظ..الحسيب..الحفيظ..الحفي

الحق..المبين..الحكيم..الحليم..الحميد..الحي

القيوم..الخبير..الخالق..الخلاق..الرؤوف..الرحمن

الرحيم..الرزاق..الرقيب..السلام..السميع..الشاكر

الشكور..الشهيد..الصمد..العالم..العزيز..العظيم

العفو..العليم..العلي..الغفار..الغفور..الغني

الفتاح..القادر..القاهر..القدوس..القدير..القريب

القوي..القهار..الكبير..الكريم..اللطيف..المؤمن

المتعالي..المتكبر..المتين..المجيب..المجيد..المحيط

المصور..المقتدر..المقيت..الملك..المليك..المولى

المهيمن..النصير..الواحد..الوارث..الواسع..الودود

الوكيل..الولي..الوهاب..اه

---

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (2/ 981)، صحيح مسلم (4/ 2063)

. وهذه عدّتها واحد وثمانون اسما، **ثم قال ابن عثيمين:** ومن سُنة رسول الله ﷺ: الجميل، الجواد، الحكم الحييُّ الربّ الرفيق السُّبوح السيد الشافي الطيب القابض الباسط المقدم المؤخر المحسن المعطي المنان الوتر[1].اهـ وهذه عدتها ثمانية عشر اسما.

فلدينا إذن 81 اسما من أسماء الله الحسنى في القرآن أضف إليها 18 جاءت في السنة في أحاديث متفرقة، فصار المجموع 99 اسما كما ذكرها ابن عثيمين، وهذا العدد يوافق العدد الإجمالي المذكور في حديث أبي هريرة السابق، طبعا هذا كله بعيدا عن حديث الترمذي الذي عيّنها وأوصلها إلى تسع وتسعين، لأن هذا ضعفه ابن عثيمين تبعا لابن تيمية وغيره[2].

وهكذا يكون لدينا تسعة وتسعون قسما من أقسام التوحيد إن اشتققنا من كل اسم من أسماء الله قسما من أقسام التوحيد مستقلا عن الآخر، وذلك وفقا لعين القاعدة السابقة التي فرّقت بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وهي أن الأول مشتق من الرب والثاني مشتق من الإله! فهذا يمكن أن يقال مثله فيقال مثلا: توحيد القيّوميّة وتوحيد القدّوسيّة؛ فالأول مشتق من القيّوم، والثاني مشتق من القدوس، وهكذا.

ولن يقف حصر الأقسام على تسع وتسعين باعتبار أن أسماء الله الحسنى لا تنحصر في هذا العدد، وأما حديث أبي هريرة "**فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد**، ولو كان

---

1 القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين (ص: 15)، المدينة المنورة، ط3 /2001م.

2 حيث قال ابن عثيمين في القواعد المثلى (ص: 14): ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، **والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف**.اهـ ثم نقل عن ابن تيمية في الفتاوى (ص 382، ج 6) (**تعيينها ليس من كلام النبي** صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثه) وقال قبل ذلك (ص 379) : (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين). ونقل عن ابن حجر في "فتح الباري" (ص 215، ج 11) : (ليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، **بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج**).

المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك"[1].

لا يقال: إنه لا داعي لهذه الأقسام التسعة والتسعين وما فوقها لأنها كلها داخلة تحت قسم توحيد الأسماء والصفات. **لأننا نقول**: وأيضا الإله والرب هما من أسماء الله الحسنى فكان المفروض أن يكون قسمًا توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية المشتقان من هذين الاسمين: منضَوِيين تحت قسم توحيد الأسماء والصفات، وبالتالي يكون التوحيد قسما أو شيئا واحدا وهو توحيد الأسماء والصفات فهو "**شامل للنوعين السابقين . يعني توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية**، فهو يقوم على إفراده بكل ما **له من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له، ومن جملتها كونه ربا واحدا لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلها واحدا** لا شريك له في ألوهيته"[2] طبعا هذا يخالف أقوالكم الأخرى كالقول بأن توحيد الألوهية متضمِّن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات[3]، ولكم أقوال أخرى عديدة في العلاقة بين أقسام التوحيد؛ هل هي التضمن أو التلازم أو الترادف أو التباين، وقد سبق بسطها[4].

بل قلتم بأن "**اسم «اللَّه"دالٌّ على جميع الأسماء الحُسنى والصفات العُلا** بالدلالات الثلاث المطابقة، والتضمن، واللزوم. **فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له**، مع نفي أضدادها عنه. وصفات الإلهية – **يعني أن اللَّه الإله الحق وحده** لا شريك له – هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والتمثيل، وعن العيوب والنقائص"[1].

---

1 القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: 14)

2 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص255 نقلا عن دعوة التوحيد للهراس ص73، وكذا في مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ (ص: 366).

3انظر: «منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين» (ص61 ت.ش)

4 انظر: تنوير الرب الإله ص (558)

1 شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص: 43)، د. سعيد القحطاني ، دار السفير بالرياض.

فإذا كان لفظ الجلالة "الله"بمفرده يدل على جميع أسمائه وصفاته ولاسيما ألوهيته وربوبيته، فما بالك بسائر أسماء الله الحسنى لا سيما اسم "الإله"و"الربّ"؟! فكان المفروض أن يكون التوحيد عندكم هو فقط توحيد الأسماء والصفات فهو شامل لتوحيد الربوبية ولتوحيد الألوهية وليس قسيما لهما كما هي نظريتكم في تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام!

وهكذا نرى أن اطّراد القاعدة التي انطلقتم منها يُفضي لا محالة إلى أن أقسام التوحيد تزيد على المئة قسم، وهذا ما تفطن إليه أحد السلفية وهو أحمد الحازمي حيث اكتفى بتقسيم ابن تيمية الثلاثي للتوحيد قائلا "ولسنا بحاجة إلى نوع زائد، لأنه إذا فتح الباب، كل من رأى مسألةً قد غفل عنها كثير من الناس زادها، **حينئذٍ يصبح التوحيد مائة قسم**"[1].

أقول: ليكن ذلك، وليُفتح الباب على مصراعيه لكل من شاء، ولتكن أقسام التوحيد مئة قسم بل ألفا! ما المانع؟! ماذا يضير في ذلك ما دامت تنسجم بل تنطلق من القاعدة التي انطلقتم منها؟ وهي الاختلاف في الاشتقاق بين الربوبية والألوهية، فهذا يمكن أن يَطّرد في سائر أسماء الله كما سبق بيانه.

ثم من هو الذي فتح الباب لتقسيم التوحيد؟! أليس أنتم مَن فتح الباب لتقسيم التوحيد، وذلك حين قسمتم التوحيد إلى ثلاثة أقسام؟! فإذا أردتم أن توصدوا هذا الباب فقولوا إن التوحيد شيء واحد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله كما ثبت ذلك في آيات وأحاديث كثيرة جدا فضلا عن إجماع أهل العلم وبينهم ابن تيمية!! أمّا أن تفتحوا الباب لأنفسكم لتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام فقط، وتوصدوه على غيركم وتلزموه بتقسيمكم وتجعلوه منزّلا، وتمنعوه من تقسيم التوحيد إلى تقسيمات أخرى أو إلى أنواع أخرى، فتحللوا لأنفسكم ما تحرمونه على غيركم فلعمري إن هذه قسمة ضيزى!!

---

1 شرح كتاب التوحيد لأحمد الحازمي (3/ 4، ت.ش)

المطلب السادس: عدم صحة تقسيم التوحيد على تقسيم الكلمة عند النحاة ونحو ذلك

إن قياسكم لتقسيم التوحيد على تقسيم النحاة للكلمة، وعلى تقسيم الأصوليين للأحكام، ونحو ذلك1، فقياس لا يصحّ لأنه قياس مع الفارق كما سيأتي، فضلا عن أنكم أنكرتم كثيرا من التقسيمات الاصطلاحية في شتى العلوم الشرعية، ونبيّن ذلك كله في المرصدين التاليين.

المرصد الأول: الفروق بين تقسيم التوحيد وبين تقسيم الكلمة ونحوه:

كما قلنا آنفا إن هذا قياس مع الفارق، وليس هو فارقا واحدا بل أربعة فروق، وهي الآتي:

الفرق الأول: أن النبي لم يأت لبيان النحو والصرف وسائر علوم الآلة، والعرب أصلا لم يكونوا بحاجة إلى ذلك لأنهم كانوا يتكلمون العربية الفصيحة بالسليقة حيث "**ينطق العربي بالعربية بدون النحو**"[2]، وإنما احتيج لوضع قواعد النحو والصرف والمصطلحات المتعلقة بذلك بعد أن كثرت الفتوحات فدخلت العُجمة، وقد روي أنه "جاء أبو الأسود الدؤلي إلى زياد، وهو أمير البصرة، فقال: **إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها**، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ فقال له زياد: لا تفعل، قال: فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، **توفي أبانا وترك بنونا**، فقال له زياد: توفي أبانا وترك بنونا! ادع لي أبا الأسود، فلما جاءه قال له: **ضع للناس ما كنت نهيتك عنه**، ففعل"[1].

---

[1] انظر: ص (305)

2 مجموع الفتاوى (9/ 9)

[1] نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة (ص: 23)، للشيخ علي الطنطاوي، دار إحياء التراث الإسلامي ط1 2005م. والراوية في تاريخ دمشق لابن عساكر 25 /190.

فلم يكن النبي مبعوثا لبيان النحو والصرف ونحوها، ولا كانت العرب تحتاج ذلك أصلا، ولكن النبي "**مبعوث لبيان الشرعيات**"[1]، "لا لبيان **موضوعات اللغة**"[2]، ولذلك "إذا تردّد اللفظ الصادر من الشارع بين أمور فيحمل أولا على المعنى الشرعي لأنه عليه الصلاة والسلام **بعث لبيان الشرعيات**"[3].

والتوحيد هو على رأس الدين والشرع الذي أرسل النبي وسائر الأنبياء لتبليغه وبيانه للناس فردا فردا بيانا واضحا قاطعا للعذر كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**} [الأنبياء: 25] وقال {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } [النساء: 165]، وقد سبقت نصوص ابن تيمية الكثيرة في تقرير هذا[4].

فهل يجوز والحال هذه أن يترك النبيُّ ـ وسائر الأنبياء ـ بيانَ أن التوحيد ثلاثة أقسام ولاسيما أن"**الصواب والحق في هذا التقسيم والتفريق، والزيغ والضلال في الإعراض عنه**"[5]، **و**يترك ذلك لرجل جاء بعده بستة قرون، أو يتركه لأبي يوسف والطبري وابن منده وابن بطة أو غيرهم ممن قيل إنهم سبقوا ابنَ تيمية إلى تقسيم التوحيد مع أنه عليه الصلاة والسلام "**ما ترك خيراً إلا دلّنا عليه** ولا شراً إلا نهانا عنه"[1]**؟!**

---

1 التحبير شرح التحرير للمرداوي (3/ 1433)

2 تشنيف المسامع(2/ 271)، البحر المحيط كلاهما للزركشي (3/ 474)

[3] التمهيد للأسنوي (ص: 228)، وانظر أيضا شرح الكوكب المنير" (180/2 - 183) ، و"أضواء البيان" (68/5، 69)، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني (ص: 127)

[4] انظر: ص (307)

5 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

1حقيقة البدعة وأحكامها للغامدي (1/ 78).

هذا كله لو سلّمنا جدلا بأن هؤلاء العلماء سبقوا ابنَ تيمية إلى تقسيم التوحيد، وإلا فهو غير مسلّم أصلا كما سيأتي بسطه[1]، بل لو سلّمنا جدلا بأن العلماء أجمعين اتفقوا على تقسيم التوحيد وفق ما قسّمه ابنُ تيمية فسيبقى الإشكال قائما، وهو أن النبي كيف ترك بيانَ أقسام التوحيد الذي جاء من أجله، وترك ذلك البيان للعلماء من بعده ليقسّموه حين تدوّن العلوم بعد وفاته بمئات السنين كما قسّم النحاة الكلمة إلى ثلاثة أقسام؟!

فأحد أمرين؛ إما أن التوحيد فعلا ثلاثة أقسام، والنبي لم يبلّغ ذلك وكتمه . حاشاه .، أو أن التوحيد قسمٌ واحد وهو قول لا إله إلا الله، أما الأول وهو أن التوحيد فعلا ثلاثة أقسام ولم يبلّغه: فهو باطل قطعا وبالاتفاق، لأن النبي بلّغ ما أرسل به ولاسيما التوحيد بإقرار ابن تيمية حيث قال "كان **النبي ﷺ يحقق التوحيد** ويعلمه أمته"2 وقال أيضا نقلا عن مالك: "**محال أن نظن بالنبي ﷺ** أنه علم أمته الاستنجاء، **ولم يعلمهم التوحيد**"[3]، **وقال في الحموية:** "..فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور..**وقد أخبر أنه أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته . محال مع هذا وغيره . أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا**"[4].

وأما الثاني وهو أن التوحيد قسم واحد وهو قول لا إله إلا الله: فهذا هو الصحيح الذي أقمنا عليه أدلة متكاثرة من الكتاب والسنة[1]، وإجماع العلماء[2]، وبينهم ابن تيمية[3]، نعم

---

[1] انظر: ص () فليس هذا التقسيم وليد القرن السابع

2 مجموع الفتاوى (3/ 397)

3 الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 560)

4 الفتوى الحموية الكبرى (ص: 177)، ط دار الصميعي.

1 انظر: ص (307)

2 انظر: ص (328)

[3] انظر: ص (345)

يندرج تحت قول لا إله إلا الله ليس فقط ثلاث حقائق أو ثلاثة معانٍ أو ثلاثة أقسام من التوحيد ولا عشرة ولا مئة ولا ألف، بل يندرج تحته ما لا يحصى من المعاني والحقائق والأقسام المتعلقة بالتوحيد الذي هو بحار عميقة، وكلها متضمَّنة في قول لا إله إلا الله كما نقلنا ذلك من كلام الجويني والغزالي وابن العربي والرازي وابن تيمية أيضا[1]، ولذلك هذا الإشكال لا يرد على تقسيم الأشاعرة للتوحيد بأنه ثلاثة أقسام في ذاته وصفاته وأفعاله، لأنهم نصّوا على أن تلك الأقسام تتضمنها شهادة أن لا إله إلا الله الذي بلغها رسول الله للناس كافة، وهذا بخلاف تقسيم ابن تيمية للتوحيد حيث جعل شهادة أن لا إله إلا الله قسما سماه توحيد الألوهية، وجعله مغايرا لقسمين آخرين من التوحيد، وقد سبق بسط ذلك.

الفرق الثاني . وهو متمّم للأول . وهو: أن تقسيمات النحاة والأصوليين وغيرهم: هي تقسيمات اصطلاحية محضة، بمعنى أنها ليست شرعية ولا دينية، فمثلا **قال الأسنوي**: الفرض والواجب عندنا مترادفان. وقالت الحنفية: إن ثبت التكليف بدليل قطعي مثل الكتاب والسنة المتواتِرة فهو الفرض كالصلوات الخمس، وإن ثبَت بدليل ظنِّي كخبر الواحد والقياس فهو الواجب، ومثَّلوه بالتواتر على قاعدتهم، فإن ادَّعوا أن التفرقة شرعية أو لغوية **فليس في اللغة ولا في الشرع ما يقتضيه، وإن كانت اصطلاحية فلا مُشَاحَّة في الاصطلاح**2.اهـ وحين نفى الإمام الرازي وقوع الترادف في الأسماء الشرعية اعتُرض عليه بالفرض والواجب وبالسنة والتطوع، فأجاب المحلّي "**بأنها أسماء اصطلاحية لا شرعية**"1، أي "اصطلح عليها أهل الشرع **من غير أن يكون وضعها الشارع**"2.

---

[1] انظر: ص (352)

2 نهاية السول 43/1.

1 البدر الطالع في حل جمع الجوامع للجلال المحلي (1/ 237)، مؤسسة الرسالة ناشرون.

2 حاشية العطار على جمع الجوامع (1/ 379)

وهذا كله يفيد أن مثل هذه الاصطلاحات المحدثة عند النحاة والأصوليين ليست شرعية، وعليه فلا يترتب عليها ثواب أو عقاب فضلا عن أن يترتب عليها كفر أو إيمان، فلو أن المسلم عاش ومات ولم يعرف حرفا من تلك التقسيمات النحوية والأصولية فهذا لا يضره في دينه ولن يحاسبه الله على جهله بها.

وهذا بخلاف تقسيمكم للتوحيد فأنتم تجعلون "هذا التقسيم حقيقة شرعية"[1]، وليس تقسيما اصطلاحيا، ألا ترون إلى الدكتور صلاح الصاوي حين قال: "إنَّ هذا التقسيم ابتداءً على هذا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنَّة متبعة، **والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني** "كيف ردّ عليه الشيخ عبد الرزاق البدر بالقول: فجَعل (أي الصاوي) أصلحه الله هذا التقسيم تقسيماً اصطلاحياً، **وليس حقيقة شرعية** مأخوذة بالتتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، **بل تمادى في الباطل** عندما قال: "وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية"[2].اهـ

فتأمل كيف أنكر عليه مجرد القول بأن هذا التقسيم تقسيم اصطلاحي، وأن العبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، مع أن د. صلاح الصاوي يقول بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية من حيث المبدأ، ومع ذلك أنكر عليه البدر، وأراد منه أن يقول بأن هذه تقسيمات شرعية بنصّها وفصّها موجودة في الكتاب والسنة! وأراد منه أن يقول أيضا بأن هذه الأقسام متمايزة ليست متداخلة مع أن بعض السلفية أنفسهم أقرّوا بأن "الأنواع الثلاثة كلها متلازمة يعني داخل بعضها في بعضٍ، ولا يمكن أن يتصور أنه يوجد نوعٌ دون الآخر..فهي متلازمة من حيث الوجود، ومتلازمة من حيث الانتفاء"[1]، هذا فضلا عن أن السلفية مضطربون في

---

1 شرح كتاب التوحيد للحازمي (3/3، ت.ش)

2 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 28)

1 شرح كتاب التوحيد لأحمد الحازمي، وهو عبارة عن دروس مفرغة له. انظر النص أعلاه على الرابط:

https://al-maktaba.org/book/31683/1292

بيان العلاقة بين أقسام التوحيد الثلاثة هل هي التباين أو التضمن أو التلازم، وقد سبق بسط ذلك[1]!

ثم أنتم لم تتركوا شتيمة إلا قذفتم بها من جعل التوحيد قسما واحدا وأنكر تقسيم ابن تيمية للتوحيد، فقد جعلتموه قد بلغ الغاية القصوى من الضلال و"الجهالة والعماية"وذلك لأنه حَكم "باتحاد التوحيد"، و"لم يفرّق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ فلذا خبط خبط عشواء"[2]، "فصار توحيد الألوهية عندهم هو توحيد الربوبية، وهذا من أبطل الباطل"[3]، "**بل الصواب والحق في هذا التقسيم والتفريق، والزيغ والضلال في الإعراض عنه**"[4]، بل جعلتم من أنكر هذا التقسيم للتوحيد قد أصيب "**بطامّة كبرى، هي أم الطامات**"**وهي** "جهل القبورية **بحقيقة توحيد الألوهية وجعلهم إياه عينًا لتوحيد الربوبية**"، وأن هذا: "هو السبب الوحيد **لوقوعهم في أنواع من الشرك الأكبر من عبادة** القبور وأهلها"[5].

وأين هذه التشنيعات والشتائم والتضليل من تقسيم النحاة الكلمة إلى فعل واسم وحرف؟! **فهل قال أحد من النحاة بأن من جهل أقسام الكلمة فقد وقع في الضلال** والزيغ والعماية، وأصيب بأم الطامات، وجهل التوحيد ووقع في الشرك؟! **فلا جرم أن قياس تقسيمكم** للتوحيد على تقسيم النحاة للكلمة: **قياس من أبعد الأقيسة**، نعم لو كنتم تقولون: إن تقسيم ابن تيمية للتوحيد مجرد تقسيم اصطلاحي، **لا نُلزم أحدا به، لربما صح قياسكم هذا.**

---

1 انظر: تنوير الرب الإله ص (558)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 204).

3 ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1 / 92.

4 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

[5]جهود علماء الحنفية (1/ 178).

الفرق الثالث: أن تقسيم النحاة مثلا للكلمة إلى فعل واسم وحرف[1] هو تقسيم حاصر منضبط، كل قسم منها قسيم للآخر ومغاير له، فكلٌ من الحرف والاسم والفعل مغاير للآخر ولا يتضمنه البتة، بخلاف تقسيمكم للتوحيد؛ فأنتم أصلا مختلفون في العلاقة بين أقسام التوحيد الثلاثة؛ هل هي التغاير أو التضمن أو التلازم أو الترادف، فتارة تقولون بعض أقسام التوحيد يتضمن الآخر وتارة تقولون إن بعض تلك الأقسام للتوحيد يلزم منه الأقسام الأخرى للتوحيد، وتارة..,تارة.. كما سبق بيانه2، هذا فضلا عن أنكم اختلفتم في عدد أقسام التوحيد وأسماء تلك الأقسام إلى غير ذلك مما سبق بيانه، وأين هذا الاضطراب من تقسيم النحاة للكلمة؟!

فهل النحاة اختلفوا في عدد أقسام الكلمة وأسماء تلك الأقسام؟! وعلى فرض أنه اختلفوا في ذلك، فهل اختلفوا واضطربوا أيضا في العلاقة بين تلك الأقسام؟ أي تارة يقولون مثلا: الاسم قسيم للحرف والفعل، وتارة يقولون: الفعل والحرف قسمان من الاسم، كما قلتم تارة بأن توحيد الألوهية قسيم لتوحيد الربوبية وتوحيد الصفات، وتارة قلتم بأن الربوبية والصفات قسم من الألوهية! وهل النحاة حين قسموا الكلمة إلى اسم وفعل حرف قالوا مثلا: الحرف يتضمن الاسم، والاسم يتضمن الفعل، والفعل يلزم منه الحرف، والحرف يلزم منه الاسم، كما تقولون أنتم بأن توحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية، وأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتارة تقولون العكس كما سبق بسطه، ولو سلّمنا بأن النحاة اختلفوا في العلاقة بين الاسم والفعل والحرف، واختلفوا في كل شيء؛ فهل قال أحد منهم بأن معرفة

---

1 علق هنا بعض الفضلاء فقال: ويمكن أن يأتي نحوي فيقسم الكلمة إلى أربعة أقسام! وهي: اسم وفعل واسم فعل وحرف، ثم يمكن أن يقسم اسم الفعل إلى ثلاثة أقسام، وهي: اسم فعل ماض، واسم فعل مضارع، واسم فعل الأمر. **فلا بأس بذلك لأن هذه تقسيمات اصطلاحية.**

2 انظر: تنوير الرب الإله ص (558)

هذه الأمور النحوية أو اللغوية هو فرض عين وأن الجهل بها زيغ وضلال وشرك كما قلتم فيمن لم يَعرف أقسام التوحيد عندكم؟!

الفرق الرابع: أن النحاة حين وضعوا تلك التقسيمات والاصطلاحات الكثيرة في النحو والصرف والبلاغة وغيرها من علوم العربية **لم يزعموا أن تلك التقسيمات والاصطلاحات كان العرب الأوائل يعرفونها**، وإنما أقروا بأنها اصطلاحات حادثة، بخلاف تقسيمكم للتوحيد والاصطلاحات التي استخدمتموها فيه حيث زعمتم أن "**تقسيم التوحيد هو تقسيم نظري شرعي دليله الاستقراء**، وسار عليه السلف والخلف"[1]، وأنه "**لقد تضافرت النقول عن سلف الأمة الأبرار من الصحابة** ومن تبعهم بإحسان بما هو دال **على التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة**"[2]، بل زعمتم أنه "**تقسيم يدل عليه القرآن الكريم نفسه**"3.

المرصد الثاني: إنكار السلفية لكثير من المصطلحات والتقسيمات في العلوم الشرعية

فأنتم أنكرتم كثيرا من المصطلحات والتقسيمات الاصطلاحية في فنون شرعية شتى بحجة أنها بدعة لم تكن في عهد السلف! وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، ويمكن تقسيمها إلى قسمين، الأول: قسم ينكره السلفية بإجماع تقريبا، والثاني: مختلفون في إنكاره! وإليكم أمثلة على كل من القسمين:

---

1 منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص: 249)، تامر متولي، دار ماجد عسيري، ط1/ 2004م.

2 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص 216

3 حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد للغامدي (ص: 207).

المثال الأول: تقسيم النحويين واللغويين والأصوليين الكلام إلى حقيقة ومجاز، فقد أنكر ذلك ابن تيمية فقال "**تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث..باطل**"[1] وأضاف ابن القيم بأنه "لا ينضبط بضابط صحيح"[2].

المثال الثاني: قسّم العلماء الدين إلى أصول وفروع فرده ابنُ تيمية وقال: "**بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا في الصحابة والتابعين**"[3]، **بل** هذا التقسيم "**بدعة محدثة** في الإسلام[4]."وهو "**مقدمة لبدعة** المرجئة الذين أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان"[5].

المثال الثالث: تقسيم الفقهاء الماء إلى طهور وغير طهور، أنكره ابن تيمية وجعله بدعة وقال بأن **النبي ﷺ لم يقسم الماء "إلى قسمين: طهور وغير طهور، فهذا التقسيم مخالف للكتاب والسنة"**[1].

1مجموع الفتاوى - (7 / 113)

2مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: 708)

3 وأضاف في «مجموع الفتاوى» (13/ 125): «ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين إن المجتهد الذي استفرغ وسعه في طلب الحق يأثم لا في الأصول ولا في الفروع ولكن هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسن العنبري أنه قال: كل مجتهد مصيب ومراده أنه لا يأثم»

4 منهاج السنة النبوية 88/5،

5أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة، عرض ونقد 80/1، منيف العتيبي، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى. وانظر: المنهج المقترح لفهم المصطلح للشريف العوني (ص: 144) دار الهجرة ط1.

وانظر المزيد على في مقال: تقسيم الدين إلى أصل وفرع

http://www.saaid.net/Doat/ALbasha/3.htm

1 مجموع الفتاوى 236/19

المثال الرابع: تقسيم المتكلمين المخلوقات إلى جواهر وأعراض، فقد أنكرتم ذلك كما أنكرتم أيضا جُلَّ[1] مصطلحات المتكلمين إن لم يكن كلّها، وذلك لأن "**الصحابة ماتوا وما عرفوا ذلك ولا تذاكروه**"[2]، **وإنما** "هي مصطلحات **دخيلة ذمها السلف**"[3]. فكان مثلا "أبو حنيفة يلعن عمرو بن عبيد **ابتدع بدعة الكلام**".[4]

نعم قيل بأن منهج ابن تيمية "**جواز استعمال المصطلحات الحادثة**، ومخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم إذا احتيج إلى ذلك"5، **وأنه كان يفرق بين "المصطلح الحادث المخالف للكتاب والسنة**، والمصطلح الحادث الذي لا يخالفهما"1، وأن "السلف ذمّوا من الكلام الكلام المخالف للكتاب والسنة ولم يذمّوا جنس الكلام، **كما لم يذمّوه لما فيه من الاصطلاحات الحادثة**"2.

---

1 كألفاظ : الأجسام، والأبعاض، والحوادث، والمكان والحيز والجهة والحدّ ونحوها فهذه الألفاظ ونحوها هي عند ابن تيمية: "**ألفاظ مجملة، ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسول الله**، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى، لا نافيا ولا إثباتا، وحينئذ فإطلاق القول بنفيها أو إثباتها ليس من مذهب أهل السنة والجماعة بلا ريب، ولا عليه دليل شرعي، بل الإطلاق من الطرفين مما ابتدعه أهل الكلام الخائضون في ذلك. فإذا تكلمنا معهم بالبحث العقلي استفصلناهم عما أرادوه بهذه الألفاظ .. فإن كان حقا قُبل – ولا يُمنع من قبوله تسميته بهذه المصطلحات الحادثة – وإن كان باطلا رُدّ".اهـ انظر مجموع الفتاوى (305/5) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1218، 1220، 1233).

2 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 48)، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (**2/ 789**)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 730) نقلا عن ابن عقيل الحنبلي.

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 729)

4 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 731)

5 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (1/ 297)

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (1/ 290)

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 787)

ولكن هذا كله لا ينفي ما قررتم من أن "**التزام الألفاظ الشرعية..هو منهج السلف، وهو المذهب الحق**"[1]، بل إن ابن تيمية قال "ظن بعض الناس أنهم إنما ذمّوا **الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة كلفظ الجوهر** والجسم والعرض..وليس الأمر كذلك **بل ذمّهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمّهم لحدوث ألفاظه**"[2]، **إذن فالسلف في نهاية المطاف ذمّوا الكلام لحدوث ألفاظه**، وهو عين ما نحن فيه وهو حدوث ألفاظ تقسيم التوحيد عند ابن تيمية ومصطلحاته.

المثال الخامس: تقسيمُ كثير من العلماء البدعة إلى بدعة حسنة وأخرى قبيحة(3)، فمثلا قال الشافعي: "البدعة بدعتان **بدعة محمودة وبدعة مذمومة؛** فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم"(1)، وقد أنكر ذلك السلفية، وقالوا بأن "**البدعة كلها ضلال**"[2]. وأن "المحافظة على عموم قول النبي ﷺ {كل بدعة ضلالة} متعين، وأنه يجب

---

1 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1103)

2 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (1/ 324)

(3) وممن ذهب إلى ذلك الشافعي وابن حزم والغزالي والقاضي أبو بكر بن العربي وابن عساكر والعز بن عبد السلام والنووي والسيوطي. انظر: حلية الأولياء - (113/9)، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 47/1، دار الحديث بالقاهرة، ط1/ 1404هـ. «الحجة في بيان المحجة» لقوام السنة (1/ 393)، «الانتصار لأصحاب الحديث» للسمعاني، (ص34)، إحياء علوم الدين للغزالي 3/2، دار المعرفة ببيروت. عارضة الأحوذي لابن العربي 147/10، دار الكتب العلمية في بيروت. تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص97، دار الكتاب العربي ببيروت، 1979م، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 106/1، قواعد الأحكام للعز ابن عبد السلام (204/2) ط/ دار الكتب العلمية. وتهذيب الأسماء واللغات للنووي 20/3، دار الفكر ببيروت، ط1/ 1996م. فتح الباري لابن حجر 253/4، الحاوي للفتاوي للسيوطي 181/1، دار الكتب العلمية، ط2000/1م. وهذا وقد ذكر العلامة اللكنوي علماء آخرين. انظر: الأخيار بإحياء سنة سيد الأبرار للعلامة اللكنوي، ص123، ت أبو غدة، ط1، 1992م، وانظر أيضا: مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة ص72، لعبد الإله العرفج، دار الفتح، ط2/ 2012.

(1)حلية الأولياء (9/ 113)، فتح الباري (13 /253).

[2] شرح الأربعين النووية – عبد المحسن العباد (26/ 28، ت.ش)

العمل بعمومه، وأن من أخذ **يصنف البدع إلى حسن وقبيح**، ويجعل ذلك ذريعة إلى ألا يحتج بالبدعة على النهي **فقد أخطأ**"[1]، وأن "غالبية الذين يعتمدون على هذا التعريف **هم من أهل البدع**"[2]، وأما ما قاله الشافعي فلا يثبت عنه وإن ثبت فهو مؤول وإلا فهو "كلام بشر لا يمكن أن **يُعارض به النصوص الشرعية**"[3]!!!

وقد توسعتُ في الرد على هذا الكلام في رسالتي للدكتوراة .كما سيأتي الإشارة إليها . وبيّنت صحةَ تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، وصحة ذلك التقسيم عن إمامنا الشافعي وغيره من السلف والخلف.

ولكن ما يهمّنا هنا هو الجواب عمّا قاله دمشقية من أن تقسيم التوحيد: "دليله من كتاب الله **كتقسيم الأحكام** إلى فرض وواجب ومسنون ومباح ومكروه ومحرم، وليس في ذلك نص، وإنما هو مستفاد من نصوص الشرع **بخلاف التقسيمات المخالفة للنصوص الشرعية كتقسيم البدعة إلى بدعة واجبة وبدعة مستحبة**، وقد قصرها النبي صلى الله عليه وسلم على واحدة "**كل بدعة ضلالة** وكل ضلالة في النار"[4].

فأقول في الجواب عنه: أما قوله بأن تقسيم التوحيد: دليله من كتاب الله كتقسيم الأحكام إلى فرض وواجب..فقد سبق أن رددنا على ذلك مطوّلا فلا معنى لإعادته[1]، وأما قوله: وإنما هو مستفاد من نصوص الشرع، فغير مسلّم، بل على العكس تماما؛ فإننا أثبتنا على مدار كتابنا هذا **أن استقراء نصوص الشارع في الكتاب والسنة ينقض المقدمات**

---

1 مجموع الفتاوى (10/ 370)

2حقيقة البدعة وأحكامها للغامدي (1/ 355) و(1/ 430) و(1/ 437).

3حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 437)

4موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 146)

1انظر: ص (306، و457)

الكثيرة التي قامت عليها نظريةُ تقسيم التوحيد واحدة تلو الأخرى، فأنّى يقال بعد ذلك إن تقسيم التوحيد مستفاد من استقراء نصوص الشرع؟!!

وأما قوله بأن تقسيم البدعة مخالف لعموم حديث "كل بدعة ضلالة"فالجواب عنه من وجوه: **أولا**: إن ظاهر هذا الحديث هو ذمُّ كلِ شيء جديد إذ "كل جديد بدعة من حيث اللغة[1]"؛ "وذلك أن **البدعة في اللغة تعمّ كل ما فُعل ابتداءً** من غير مثالٍ سابق"[2]، **وهذا العموم ليس مرادا عندنا وعندكم**، أما عندنا فهو عام مخصوص بدلالة الأحاديث الأخرى كما سيأتي، **وأما عندكم فهو عام أُريد به الخصوص**، حيث ذكرتم أن "محل الكلام هنا هو في **البدعة الشرعية التي حذر منها الشارع ونهى عنها**، وذمّها السلف"[3]، وهي ما استُحدث من أمور الدين والعبادات، إذ "**باب العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله**، فليس لأحد أن يجعل شيئاً عبادة أو قربة؛ إلا بدليل شرعي"[4]، وعليه "فمن ابتدع عبادة من عنده..فهي ضلالة ترد عليه؛ لأن الله وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يتقرب بها إليه"[1]، "**فالأصل في العبادات البطلان** حتى يقوم دليل على الأمرِ، **والأصل في العقود والمعاملات الصحة** حتى يقوم دليل على النهي"[2].

فإذن ما استُحدث من أمور الدنيا ليس ضلالة عندكم؛ بناء على اعتمادكم لتعريف البدعة بأنهما كما قال الشاطبي: "**البدعة طريقة في الدين** مخترعة تضاهي الشرعية

---

[1] حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 440)

2 اقتضاء الصراط المستقيم 589/2، حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 419)

3 حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 440)

4 مجموع الفتاوى (35/31)

1 البراهين على ألا بدعة حسنة في الدين والرد على شبه المخالفين (ص: 7)

2 إعلام الموقعين (344/1)

يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"1..فقوله "في الدين": "**تقييد للطريقة المسلوكة بأنها في الدين؛** لأنها فيه تخترع وإليه تنسب، وبه يلصقها مخترعها، **فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تُسَمّ بدعة**"[2]، إذ "**أمور الدنيا ليس فيها بدع،** وإن سُميت بدعا، مثل اختراع الناس السيارات أو الطائرات، أو الحاسب الآلي، أو شبه ذلك مما اخترعه الناس، أو الهاتف أو البرقية، كل ذلك **لا يسمى بدعا وإن سمي البدع من حيث اللغة، فهو غير داخل في بدع الدين**"[3] بل إن "الحادث الذي لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم ـ كثيراً، **يشمل أمور الدين والدنيا..لا يكون بدعة شرعية، إلا إذا اقترن به قصد التعبد،** وليس له أصل في الدين يدل على ذلك"[4].

ولذا فإن "**تقسيم العز بن عبد السلام للبدع إلى خمسة أقسام،** وإدخال كل قسم منها تحت حكم من الأحكام الشرعية الخمسة، وتمثيله على ذلك يدل على أنه لم يفرق بين البدعة الشرعية التي لا تكون إلا مذمومة، والبدعة اللغوية التي قد تكون مذمومة، **وقد تكون محمودة، وقد تكون مباحة،** وسبب ذلك أنه إنما نظر إلى العمل من حيث وجه الإحداث فيه، وكونه أمراً مبتدأً، وليس هذا هو مناط النهي عن البدع من الناحية الشرعية"[1].

بل هذا "**الخلط بين البدعة اللغوية والشرعية** قد يؤدي إلى ضرر ولبس، فيظن أن ما ليس ببدعة بدعة والعكس"[2]، فإن "البدعة على قسمين: **تارة تكون بدعة شرعية** كقوله: (فإن كل محدثة بدعة..)، **وتارة تكون بدعة لغوية،** كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن

---

[1] الاعتصام للشاطبي (1 /43)، وحقيقة البدعة وأحكامها (1 /254)

2 حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 254)

3 فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (3/ 21)

4 حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 439)

1 حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 439)

2 حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 440)

جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: **نعمت البدعة هذه**"[1]، و"..أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، **وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية**، وذلك أن **البدعة في اللغة تعم** كل ما فُعل ابتداءً من غير مثال سابق، و**أما البدعة الشرعية فما لم يدل عليه دليل شرعي..وقد عُلم أن قول النبي ﷺ لم يرد به كل عمل مبتدأ**، فإن دين الإسلام بل كل دين جاء به الرسل فهو عمل مبتدأ، **وإنما أراد ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها** هو ﷺ"[2].

وعليه فكل "ما لم يشرع من الدين فهو ضلالة، **وما سمي بدعة وثبت حسنه** بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم: إما أن **يقال ليس ببدعة في الدين، وإن كان يسمى بدعة من حيث اللغة**، كما قال: نعمت البدعة هذه"[3]، فالبدعة في قول عمر إنما هي "بدعة في اللغة"[1]، إذ قول "**عمر متعلق بالبدعة اللغوية لا الشرعية**، ومراده ﷺ أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، **ولكن له أصل في الشريعة يُرجع إليه**"2.

قال وليد ـ ختم الله له بالحسنى ـ: فكما ترى من نصوص الخصم هذه، ومن نصوص من ارتضاهم من العلماء أن فيها **إقرارا بأن ظاهر الحديث يشمل كل بدعة لغوية أو شرعية**، دينية أو دنيوية لقوله "**كل جديد بدعة من حيث اللغة**"، "**وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فُعل ابتداءً** من غير مثالٍ سابقٍ" وأن "البدعة على قسمين: تارة تكون

---

1 حقيقة البدعة وأحكامها (1 /419)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (2/ 38)

2 اقتضاء الصراط المستقيم 589/2، حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 419)

3 مجموع الفتاوى 10/ 371، حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 419)

1 مجموع الفتاوى 224/22، حقيقة البدعة وأحكامها للغامدي (1/ 419)

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 322) نقلا عن ابن رجب في العلوم والحكم.

بدعة شرعية..وتارة تكون بدعة لغوية"، وأن "**الخلط بين البدعة اللغوية والشرعية** قد يؤدي إلى ضرر ولبس، فيظن أن ما ليس ببدعة بدعة والعكس".

وأقر الخصم بأن هذا العموم غير مراد من الحديث لقوله "وقد عُلم أن قول النبي ﷺ **لم يرد به كل عمل مبتدأ**"، وإنما مراده "**البدعة الشرعية التي حذر منها الشارع ونهى عنها** "، وأن النهي عن الابتداع ليس مناطه كونه حادثا إذ "**العمل من حيث وجه الإحداث فيه، وكونه أمراً مبتدأً، وليس هذا هو مناط النهي عن البدع من الناحية الشرعية** "، وأقر بأن المراد بالبدعة هو البدعة الدينية الشرعية "التي لا تكون إلا مذمومة"، لا اللغوية ولا الدنيوية "التي قد تكون مذمومة، وقد تكون محمودة، وقد تكون مباحة".

فهل بقي شك بعد كل هذا من أن عموم الحديث . أي حديث كل بدعة ضلالة . غير مراد؟! وبالتالي ليس كل بدعة ضلالة، بل قد تكون بعض البدع محمودة بنصّ الخصم، وبنص حديث عمر "**نِعْم البدعة هذه**"1، ونحن لا نقول بأكثر من هذا، ولا العلماء الذين قسّموا البدع إلى محمودة ومذمومة، فهم لم يقولوا بأكثر من هذا بدءا من الشافعي الذي حار الخصمُ كيف يتعامل مع كلامه السابق في تقسيم البدع إلى محمودة ومذمومة، فتارة راح يضعّفه وتارة راح يؤوله[1]، وتارة راح يردّه بالقول بأنه "كلام بشر لا يمكن أن يعارض به النصوص الشرعية"[2]، والمفارقة أن الخصم في آخر المطاف أقر رغما عنه بهذا الذي أنكره على الشافعي حيث قال الخصم عن البدع التي سماها لغوية بأنها "قد تكون محمودة"!!

فأين الخلاف إذن؟! الخلاف في أمرين، **الأمر الأول**: في الألفاظ والتسميات وذلك في موضعين، **الموضع الأول**: هل حديث "كل بدعة ضلالة"عام مخصوص، أو هو عام أريد

---

1 صحيح البخاري بتحقيق البغا (2 /707).

1 البدعة للغامدي 433/1.

[2] حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 437)

به الخصوص [1]؟! فالجمهور يقولون بأن الحديث "عام مخصوص والمراد غالب البدع"(2) مما"أُحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا"(3)، وبالتالي "فما وافق أصلا من السنة يقاس عليها فهو محمود، وما خالف أصول السنن فهو ضلالة"(4).

وأما الخصم فرفض القول بأن الحديث عام مخصوص فقال بأن حديث "كل بدعة ضلالة، من العام الظاهر الذي لم يَرد على الشرع كله، ما يدل ولا بمفهوم المخالفة على تخصيص شيء منه"(1)، **ثم اختار بأنه عامّ أُريد به الخصوص** فقال "وقد عُلم أن قول النبي ﷺ لم يرد به كل عمل مبتدأ..إنما أراد ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ"[2].

ولكن هذا الذي اختاره الخصم ليس من ورائه طائل، إذ سواء قلنا إن الحديث من قبيل العام المخصوص أو العام الذي أريد به الخصوص، فالحديث ليس عاما على كلا القولين، لأن كليهما قول بالتخصيص، وذلك كقوله تعالى{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ} [البقرة: 275] فليس على عمومه قطعا وإنما هو عام مخصوص أو أريد به الخصوص كما سيأتي.

---

(1) فرّق العلماء بين العام المخصوص وبين العام الذي أريد به الخصوص، قال السبكي: العام المخصوص أريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها، لا من جهة الحكم، والذي أريد به الخصوص لم يرد شموله لجميع الأفراد لا من جهة التناول ولا من جهة الحكم6 بل هو كلي استعمل في جزئي، ولهذا كان مجازا قطعا، لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلي، بخلاف العام المخصوص. انظر: جمع الجوامع والمحلي عليه 5/2، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب – (110/3)، شرح الكوكب المنير – (168/3).

(2) شرح النووي على مسلم – (154/6)، الديباج على مسلم للسيوطي (445/2)، شرح الزرقاني على الموطأ (340/1)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (396/8)، فيض القدير – (217/2).

(3) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: 206)، حلية الأولياء (113/9)، فتح الباري (13/ 253) كلهم نقلا عن إمامنا الشافعي رضي الله عنه.

(4) مشارق الأنوار على صحاح الآثار – (81/1)

(1)حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 436)

2 اقتضاء الصراط المستقيم 589/2، حقيقة البدعة وأحكامها (1/ 419)

بل إن قول الخصم بأن الحديث عامّ أريد به الخصوص أبعد عن عموم الحديث ممّن يقول بأن الحديث عام مخصوص كما وضح ذلك الأصوليون، لأن القول بأنه عام أريد به الخصوص أقلّ عموما ممن يقول بأنه عام مخصوص، لأن "العام المخصوص ما يكون المراد باللفظ أكثر، وما ليس بمراد باللفظ أقل، والعام الذي أريد به الخصوص ما يكون المراد باللفظ أقل، وما ليس بمراد باللفظ أكثر"(1)..وهكذا"يجب أن يُتنبه للفرق بين قولنا: هذا عام أريد به الخصوص، وبين قولنا: هذا عام مخصوص، فإن الثاني أعم من الأول"(2).

والموضع الثاني: الخصم يقسّم البدعة إلى بدعة شرعية وهي عنده تكون مذمومة دائما، **وبدعة لغوية قد تكون عنده مباحة وقد تكون محمودة كما رأينا**، والجمهور على تقسيمها إلى بدعة محمودة وبدعة مذمومة، **وبعبارة أخرى البدعة المحمودة عند الجمهور يسميها الخصم بدعة لغوية، والبدعة المذمومة عندهم يسميها الخصم بدعة شرعية!** ويقول **الخصم بأن حديث الباب عام أريد به الخصوص، والجمهور يقولون هو عام مخصوص**، يعني مناكفة الخصم في الألفاظ فحسب! ولكن العبرة بالمعاني وليست بالألفاظ والمباني كما سبق(1).

والأمر الثاني الذي فيه الخلاف: ما هي البدعة المذمومة عند الجمهور؟ وما هي البدعة الشرعية عند الخصم؟ قال الجمهور بأن البدعة المذمومة هي"ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا''كما قال الشافعي ووافقه الجمهور كما سبق، وأما الخصم فالبدعة الشرعية هي "ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ''كما قال ابن تيمية وتبناه أتباعه كما سبق.

---

(1)البحر المحيط للزركشي (3/ 249) نقلا عن الماوردي في الحاوي، ونقل نحوه عن ابن أبي هريرة والشيخ أبي حامد.

(2)البحر المحيط للزركشي (3/ 249) نقلا عن ابن دقيق العيد.

(1) انظر: ص (461)

وكلا هذين الأمرين وغيرهما مما يتعلق بحديث الباب قد بسطتهما في غير هذا الكتاب[1]، والذي يعنينا هنا هو فقط بيان أن عموم الحديث ليس مرادا، **وذلك ردا على دمشقية الذي زعم أن تقسيم البدعة إلى مذمومة ومحمودة مخالف لعموم الحديث**، بخلاف تقسيم التوحيد، فها نحن أولاء أثبتنا من كلام الخصم نفسه، ومن كلام من يرتضيهم من العلماء، أن عموم الحديث ليس مرادا، **وأن ثمة بدَعا محمودة بغضّ النظر عن تسمية الخصم لها بأنها بدعة لغوية، وبالتالي فتقسيم البدع إلى حسنة وسيئة ليس مخالفا لحديث الباب**، لأن عمومه غير مراد اتفاقا حتى عند الخصم، وأما نظرية تقسيم التوحيد فقد قامت على مقدمات كثيرة مخالفة لنصوص الكتاب والسنة بالاستقراء كما بسطناه في هذا الكتاب، **وبالتالي بطلت مقارنة دمشقية السابقة بين تقسيم البدع وتقسيم التوحيد.**

المثال السادس: علم المنطق فهو "**آلةٌ قانونيةٌ تعصم مراعاتُها** الذهنَ عن الخطأِ في الفكر"[1]، **يعني أنه من علوم الآلة ويتضمن** مصطلحات وقواعد لضبط التفكير والقياسات العقلية واستخراج النتائج الصحيحة والاحتراز عن الخطأ، كما ذكر الإمام ابن حجر الهيتمي بأن منزلة علم المنطق أنه آلة للعلم الشرعي فقال: "..**ككتب العلم الشرعي وآلته**، كالمنطق الموجود اليوم"[2].

قال الأخضري في السلم المنورق:

وبعـد فالمنطـق للجنـان نسبتـه كالنحـو للسـان

فيعصم الأفكار عن غي الخطا وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

---

1 انظر رسالتي للدكتوراة بعنوان "ضوابط الاجتهاد واتجاهاته المعاصرة" ص576، رسالة دكتوراة إعداد وليد بن صلاح الدين الزير، وقد نوقشت في جامعة دمشق بكلية الشريعة قسم الفقه وأصوله، لعام 2011م.

1 تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية: ص 12، ط. الأزهرية المصرية. **وعرفه ابن عابدين** في رد المحتار1/ 43 فقال: "**المنطق**، وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه، وهما داخلان في علم الكلام".

2 المنهاج القويم لابن حجر الهيتمي (1/ 45)

وقد بدأ الغزالي به كتابه المستصفى فقال: نذكر في هذه المقدمة مدارك العقول وانحصارها في الحد والبرهان..إلى أن يقول: وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدماته الخاصة به **بل هي مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه** أصلا[1]. وما قاله الإمام الغزالي قال به عدد من **المتأخرين بعده؛ كالآمدي، والبيضاوي، وابن الحاجب،** وعدد من أئمة الإسلام. وقوله في السلم: (ينبغي) ذكر الشيخ الملوي في شرحه: أنه يحتمل أن يكون بمعنى يجب كفاية، ويحتمل أن يكون بمعنى يستحب[2]. **و**اشترط الغزالي والرازي في المجتهد العلم بكيفية النظر، وذلك بمعرفة شرائط البراهين والحدود وكيفية تركيب المقدمات، لتنتج نتائجها ويأمن من وقوع الخطأ في نظره[3]. وقد نقل ابن حجر الهيتمي في فتاويه عن القرافي المالكي جعله علم المنطق شرطا من شرائط الاجتهاد، وأن المجتهد متى جهله سلب عنه اسم الاجتهاد[1].

ولكن كان لابن تيمية موقف آخر من علم المنطق، وشن عليه حملة عنيفة وجعله بدعة محدثة، وألّف كتابا في نقضه، وذكر أنه "**ما زال علماء المسلمين وأئمة الدين يذمّونه ويذمّون أهله، وينهَون عنه وعن أهله**..إلى أن يقول: فإنهم **يزعمون "أنه آلة قانونية تمنع مراعاتها الذهن أن يزل في فكره"وفساد هذا مبسوط مذكور في موضع غير هذا**[2] .

---

1 المستصفى طبعة الجامعة الإسلامية (1/ 112)

2 شرح السلم للملوي ص 40/ط مصطفى البابي الحلبي.

3الإبهاج 2899/7، نهاية السول 310/3، البحر المحيط 233/8

1ينظر الفتاوى الفقهية الكبرى 1/ 51، ط. المكتبة الإسلامية.

2 مجموع الفتاوى (9/ 9)

فثمة أمثلةٌ على إنكار بعض السلفية تقسيمات أخرى ولكن لم يوافقهم على هذا الإنكار كثير من السلفية الآخرين لكون ابن تيمية لم ينكر هذه التقسيمات، نورد منها ما يلي:

المثال الأول: تقسيم العلماء الأحاديث إلى متواترة وآحاد، فقد أنكر بعض السلفية ذلك وعدّ "هذا التقسيم للأحاديث إلى متواتر وآحاد، إنما نشأ من فكرٍ أثيم، وعقليةٍ فاسدة، وبيدِ البدعة، وعلى عين أعداء السنة..إنما نشأ..على يد بشر المريسي ومن على شاكلته من جهمية ومعتزلة[1]. وبالتالي "فهو تقسيم مبتدع"[2]، بيد أن معظم السلفية ردّوا هذا لأن "شيخ الإسلام ابن تيمية..يقسم الأخبار إلى متواتر وآحاد"3.

المثال الثاني: وأنكر بعضهم تقسيم الأشاعرة للصفات فقال "ويجب على المسلم أيضا أن يحترز..من **بدع الأشعرية** حيث ابتدعوا تقسيما عجيبا في صفات الله على أهوائهم، فقالوا: الوجود **صفة نفسية** والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية **صفات سلبية**.."[1] ولكن ابن تيمية وأتباعه قسموا الصفات، فقالوا مثلا تتنوع "صفات الله تعالى من حيث ثبوتها إلى نوعين: النوع الأول: **الصفات الشرعية العقلية**..**النوع الثاني**: **الصفات الخبرية**"..ثم قسموا "الخبرية إلى قسمين: **صفات الأفعال** التي تتجدد حسب مشيئته تعالى مثل النزول..**صفات ذاتية** قائمة بذاته تعالى، وهي قديمة قدم ذاته تعالى كالوجه.."2.

---

1 المنهج المقترح لفهم المصطلح للعوني ص 100 ، وانظر: ص: 94.

2 المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح للوادعي (ص: 145)

3 شرح الورقات – عبد الكريم الخضير (12/ 8، ت.ش)

1 مختصر القواعد السلفية في الصفات الربانية لمؤلفه محمود الرضواني (ص: 44)

2 الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه،مُحَمَّد أمان جامي علي (ت: 1415هـ)،المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1408هـ (ص: 399). وانظر أيضا مجموع الفتاوى (217/6) ودرء التعارض

المثال الثالث: إنكار التصوف ومصطلحاته، وأحد الأسباب أن التصوف "اصطلاحٌ دخيلٌ على الإسلام والمسلمين"1، وكذلك فإن "مصطلحات الصوفية، وما لهم من العبارات، والإشارات، وبخاصة غلاتهم فلهم: مخاريق، وأباطيل، وشطح، ومشهد، بألفاظ كُفرية، وأخرى بدعية، وقفتُ على ما يتجاوز ألفي لفظ"[2]، ومن هذه الألفاظ و"المصطلحات البدعية..: الأبدال، الأوتاد، القطب، الغوث..الفناء: الجمع، المحو، الاصطلام، السكر..الكشف"[3].اهـ

ولكن ردّ هذا بعض السلفية4 مستشهدا بقول ابن تيمية: واعلم أن لفظ "الصوفية"وعلومهم تختلف فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسئ وحسير[1].

(10/2)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1200)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (1/ 124) قوله: تنقسم صفات الله باعتبار لزومها لذاته المقدسة وعدم لزومها إلى ثلاثة أقسام..اهـ

1 منشور على موقع ملتقى أهل الحديث بعنوان " الفرق بين الزهد والتصوّف"، ورابطه

152043**http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=**

2 معجم المناهي اللفظية ومعه فوائد في الألفاظ للشيخ بكر أبو زيد (1/ 12)، دار العاصمة ط3.

3الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية لآمال بنت عبد العزيز العمرو (ص: 7)

4 فقال: لم يكن شيخ الإسلام ممن يؤثر عنه القول ببدعية لفظ الصوفية كما يجنح إلى ذلك كثير من متأخري أهل السنة.. فعرّف شيخ الإسلام التصوف بأنه حقائق وأحوال معروفة للوصول تهدف في نهاية الطريق إلى صفاء النفس من أجل الوصول لمرتبة الصديقية. انظر: موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ومنهجه في الحكم عليهم، غنيم غنيم عبدالعظيم

: http://www.alukah.net/publications_competitions/0/40429/#ixzz4RSZuI0Mw

[1] مجموع الفتاوى (5/ 79)

المثال الرابع: إنكار تقسيم الصوفية التوحيد إلى توحيد خواص وتوحيد عوام، حيث قال ابن أبي العز''فأين قال الرسول هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة؟"1، فهنا ابن أبي العز قد "ذَكَر أن هذه الاصطلاحات لم يأت بها كتاب ولا سنة، يعني كلماتهم الاصطلاحية التي يتغالون فيها، كتقسيم التوحيد إلى ثلاثة"[2].اهـ قلنا: وأين قال الرسول: هذا توحيد ألوهية وهذا توحيد ربوبية؟! وجوابكم جوابهم.

المثال الخامس: إنكارهم على المتكلمين تقسيم التوحيد، فقالوا عنه "تقسيم قاصر"[3] لأنه "**لا يوجد عندهم توحيد الألوهية**"[4] "مع أنه أهم أنواع التوحيد إذ هو الغاية"[5] فضلا عن أن توحيد الصفات عندهم ''فيه تلحيد وإلحاد وتخريف وتعطيل وتحريف..''[6].

وفي ذلك يقول ابن تيمية: "وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث[1] معان وهو: **واحد في ذاته لا قسيم له أو لا جزء له وواحد في صفاته** لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له". ثم تعقّب ذلك بقوله: "وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما **يوافق ما جاء به الرسول ﷺ وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول**"[2]، **وبالتالي** "فقول **المتكلمين إن الله واحد في ذاته لا قسيم له**، وإنه لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعّض: **من الشبهات العقلية**

---

1 شرح الطحاوية، لابن أبي العز، ص56، ونقله في شرح الطحاوية لسفر الحوالي (ص: 1140، ت.ش).

2شرح الطحاوية لابن جبرين (7/ 8، ت.ش)

[3] موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 946)، وانظر أيضا شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص231

4 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3/ 177

[5] عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (2/ 441)

6 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3/ 177

1 كذا في المطبوع من «درء تعارض العقل والنقل» (1/ 225) والصواب أن يقال: ثلاثة معان. وذلك لأن المعدود يخالف العدد في التأنيث والتذكير من ثلاثة إلى عشرة كما هي القاعدة النحوية.

2 درء تعارض العقل والنقل (1/ 317)

والأقوال المجملة المبتدعة التي قصدوا بها تلبيس الحق بالباطل حتى يقبل مذهبهم الفاسد في توحيد الله مَن لا يعرف أصولهم وأقيستهم التي عارضوا بها صحيح المنقول"[1].

وهكذا نرى كيف أن ابن تيمية وأتباعه ينكرون على المتكلمين تقسيم التوحيد تقسيما مغايرا لتقسيم ابن تيمية، وهذه مفارقة عجيبة!! إذ كيف يجيزون لأنفسهم تقسيم التوحيد ويحرّمون ذلك على غيرهم بحجة أن تقسيمهم للتوحيد لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن أبي العز الحنفي! وكأن تقسيم ابن تيمية للتوحيد قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ونقله عنه الصحابة ﷺ!!

1 منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (ص: 596)، لجابر أمير، أضواء السلف، ط 1/ 1998 م. وانظر أيضا: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 120)

ذكر السلفية أن تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية ليس "وليد القرن السابع، وليس وليد كلام ابن تيمية، بل هو مذكورٌ في كتب العلماء معروفٌ في أقوالهم.."[1] "قبل شيخ الإسلام ابن تيمية بمئات السنين"[2]، فالتقسيم موجود "قبل شيخ الإسلام – عند أئمة الحنفية الكبار الأعلام"[3] بل موجود "في كلام الإمام أبي حنيفة.."[4]، بل"لقد تضافرت النقول عن سلف الأمة الأبرار من الصحابة ومن تبعهم بإحسان بما هو دالّ على التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة"[5]، ومن زعم خلاف ذلك "فهذا دليل على قصور علمه وقلة خبرته ومعرفته بكتب السلف الصالح، إذ هي مليئة بالتصريح تارة والإشارة تارة إلى هذه الأقسام[6]. والحاصل أنه "ليس تقسيما مبتدعا..استحدثه ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب"[7]. و"أن أقوال الأئمة من سلف الأمة ومن سار على نهجهم جلية في تقرير هذا التفريق بين نوعي التوحيد (الألوهية والربوبية) سواء كان ذلك بالتنصيص على التفريق والتقسيم أو بما هو المفهوم الواضح الذي لا يتطرق إليه الاحتمال من أقوالهم"[8].

قال وليد: وحاصل نصوص السلفية هذه هي أن ابن تيمية مسبوق إلى تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وقد سرد السلفية أسماء كثيرٍ من السلف والخلف

---

1 الرد الشامل للموجان (ص: 103).

2 منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ص614، وانظر أيضا: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (481، 482).

3 جهود علماء الحنفية (1/ 219)

4 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 179)

5 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص216

6 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 31)

7 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

8 شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص216

ادعوا أنهم سبقوا ابنَ تيمية في هذا التقسيم، وسوف أسردهم فردا فردا مع المناقشة، والله الموفق.

المبحث الأول: أقوال السلف

نسرد في هذا المبحث أقوالا للسلف من الصحابة ﷺ والتابعين وأتباعهم رحمهم الله مما احتج به السلفية على أن ابن تيمية استقى تقسيم التوحيد منها، وسوف نسردها أولا ثم نجيب عنها، ونبين ذلك في مطالب:

المطلب الأول: سرد أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم

(1) أقوال الصحابة

لم يذكر السلفية سوى الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، احتجوا[1] بما رواه الطبري في تفسيره[2] أنه قال في قوله تعالى{وما يؤمن أكثرهم بالله} "من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض، ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون". واحتجوا[3] أيضا بما رواه الطبري أيضا عنه في الآية نفسها قال: ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض؟ ليقولن الله، وهم مع ذلك يشركون به، ويعبدون غيره، ويسجدون للأنداد دونه"[4].

واحتجوا[5] أيضا بما رواه الطبري[6] عنه أنه قال في قوله تعالى "فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون": "أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنَّه لا رب

---

[1] آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (6/ 160)، الشرك في القديم والحديث ص81، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 59)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)، الرد الشامل للموجان (ص: 104)

2 جامع البيان ط هجر (13/ 373)

3 الشرك في القديم والحديث ص81

4 جامع البيان ط هجر (13/ 375)

5 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 58)، الشرك في القديم والحديث. ص81.

6 جامع البيان ط هجر (1/ 393)

لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه".

(2) أقوال التابعين

وقد ذكروا عددا من التابعين واستشهدوا بآثارهم، وفيما يلي ذكرهم بالتفصيل:

أولا: مجاهد

احتجوا[1] بما رواه الطبري عنه: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} [يوسف: 106] "إيمانهم قولهم: الله خالقنا، ويرزقنا، ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"[2]

واحتجوا[3] بما رواه الطبري[4] عن عكرمة، ومجاهد، وعامر، أنهم قالوا في هذه الآية: «ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه، وخلق السموات والأرض، فهذا إيمانهم، ويكفرون بما سوى ذلك»[5]

ثانيا: عكرمة

فاحتجوا بالإضافة إلى أثره السابق الذي رواه الطبري عنه وعن الشعبي وعن مجاهد معا، احتجوا6 أيضا بما رواه الطبري عن عكرمة، أنه قال في آية يوسف: "تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض، فيقولون: الله، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره"[1].

---

1 الشرك في القديم والحديث ص82، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 59)، الرد الشامل للموجان (ص: 104).

2 جامع البيان ط هجر (13/ 374)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)

4 جامع البيان ط هجر (13/ 375)

5 الشرك في القديم والحديث ص82

6 الشرك في القديم والحديث ص83، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 59)، الرد الشامل للموجان (ص: 104)

1 جامع البيان ط هجر (13/ 373)

واحتجوا[1] بما رواه الطبري أيضا عنه في نفس الآية قال: ‘‘من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السموات؟ قالوا: الله، وإذا سئلوا: من خلقهم؟ قالوا: الله وهم يشركون به بعد "[2].

ثالثا: عامر الشعبي

احتجوا3 بأثر الشعبي السابق الذي رواه الطبري عنه وعن مجاهد وعكرمة معا4.

رابعا: قتادة

احتجوا[5] بما رواه الطبري عن قتادة أنه قال في آية يوسف: «في إيمانهم هذا، إنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه، ورزقه، وهو مشرك في عبادته»6. واحتجوا7 أيضا بما رواه الطبري عن قتادة أنه قال في آية البقرة السابقة: "أي تعلمون أنَّ الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أنداداً".8

خامسا: عطاء

احتجوا بما رواه الطبري[9] بسنده عن عطاء أنه قال في آية يوسف «**يعلمون أن الله ربهم، وهم يشركون به بعد**’’، وبقوله في الآية نفسها: «**يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم، وهم يشركون به**»[1].

---

1 الشرك في القديم والحديث ص83

2 جامع البيان ط هجر (13/ 373)

3 الشرك في القديم والحديث ص83

4 انظر: ص (203، 483)

5 الشرك في القديم والحديث ص82، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)

6 جامع البيان ط هجر (13/ 375)

7 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 58)

8 جامع البيان ط هجر (1/ 393)

[9] جامع البيان ط هجر (13/ 376)

1 الشرك في القديم والحديث ص82

سادسا: الضحاك

احتجوا بما رواه الطبري عن الضحاك أنه قال في آية يوسف: كانوا يشركون به في تلبيتهم[1].

(3) أقوال أتباع التابعين

احتجوا2 بما رواه الطبري وابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم3 أنه قال في آية يوسف: "ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويي**عرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به..**"4.

ووجه الدلالة هذه من الآثار السابقة كلها "**أن هؤلاء العلماء من أئمة السلف كانوا عارفين بنوعي التوحيد..فهذه الأنواع من التوحيد كانت معروفة لدى السلف**، حتى إن العرب كانوا **يعرفونها بسليقتهم فلم يحتاجوا أن يبينوا هذه الأقسام على حدة**"[5].

المطلب الثاني: الجواب عن الآثار التي احتجوا بها عن السلف

والجواب عن هذه الآثار المروية عن السلف من وجوه:

---

1 جامع البيان ط هجر (13/ 376)

2 رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله – ضمن «آثار المعلمي» (3/ 680)، الشرك في القديم والحديث ص84، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 59)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)، الرد الشامل للموجان (ص: 104) ولكن الموجان ذكره عن "ابن زياد" والصواب هو ابن زيد.

3 كذا وقع اسمه في «تفسير ابن أبي حاتم» (7/ 2208)، وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (13/ 347):«وكذلك أهل الكوفة منه أصحاب ابن مسعود ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل **زيد بن أسلم** الذي أخذ عنه مالك التفسير وأخذه عنه **أيضا ابنه عبد الرحمن** وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب»

4 جامع البيان ط هجر (13/ 376)، «تفسير ابن أبي حاتم» (7/ 2208)، «موسوعة التفسير المأثور» (11/ 801).

5 الشرك في القديم والحديث ص84

أولا: لم يذكر السلفية هنا أحدا من الصحابة سوى ابن عباس، وهنا نذكّر بما ذكره ابن تيمية عن سعيد بن جبير أنه قال "ما لم يعرفه البدريّون فليس من الدين"[1]، وبناء عليه فالمفروض ألا يكون تقسيم التوحيد من الدين ما دام لم يعرفه أحد من البدريين باعترافكم، وإلا لسارعتم لذكره ولما اقتصرتم على ابن عباس.

ونَذكر ونُذكِّر أيضا بقول ابن تيمية في سياق جوابه عن آيات الصفات فاستهله بقوله: قولنا فيها ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون: من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ وما قاله أئمة الهدى..وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره"[2].اهـ

فأين قال المهاجرون والأنصار بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية؟! لم تذكروا لنا أحدا منهم ولو برواية ضعيفة، وأما ابن عباس فقد "ولد قبل الهجرة بثلاث سنين"[3] و"انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال:كنت أنا وأمي من المستضعفين"[4]، ومع ذلك فإن ما روي عن ابن عباس هنا فحجة عليكم لا لكم كما سنرى.

ثانيا: أصل نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية تتضمن مقدمات كثيرة، وليس في الآثار السابقة أي منها، ونذكر من هذه المقدمات:

1) التباين بين لفظي الرب والإله.
2) أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية.
3) أن توحيد الربوبية فطري، وأما توحيد الألوهية فهو كسبي.

---

1 مجموع الفتاوى (4/ 5)

2 مجموع الفتاوى - (5 / 7)

3 تقريب التهذيب - عوامة (ص: 309) تهذيب الكمال (15/ 161)

4 سير أعلام النبلاء (3/ 333)

4) أن الناس كافة متفقون على توحيد الربوبية، وإنما اختلفوا في توحيد الألوهية.
5) أن توحيد الربوبية لم تبعث به الرسل، وإنما بعثت بتوحيد الألوهية.
6) أن توحيد الربوبية لا ثواب عليه، بل لا يكفي في النجاة في الدنيا ولا في الآخرة ما لم يقترن بتوحيد الألوهية.
7) أن سبب كفر المشركين الوحيد هو التشفع بالأنبياء والأولياء والملائكة.
8) أن المعنى الصحيح لكلمة التوحيد لا إله إلا الله: لا سجود ولا ذبح ولا طواف ولا نذر ولا دعاء إلا لله، وأنه لو كان معناها: لا خالق إلا الله لما كان هناك خلاف بين النبي والمشركين.
9) أن المشركين كانوا يعلمون المعنى الصحيح لكلمة التوحيد وأنهم لذلك لم ينطقوا بها.
10) أن المشركين كانوا يتشفعون بالأنبياء والأولياء والملائكة، وأن أصنامهم كانت ترمز لهم.

فكلّ هذه المقدمات وغيرها هي من مقدمات نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، وقد سبق أن ناقشناها كلها، فأين في الآثار السابقة أيا من هذه المقدمات؟!

ثالثا: هذه الآثار هي حجة عليكم فقد سبق أن استدللنا بها عليكم، وقلنا حينها إن أحدا من هؤلاء الصحابة والتابعين لم يقل بأن المشركين كانوا موحدين في الربوبية، ولا قال أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من أتباعهم إن المشركين كانوا يقولون بأن الله هو الخالق والرب وحده لا شريك له في ذلك، ولا يوجد في كل الآثار السابقة ذلك، بل قلنا بأن هذه الآثار السابقة الواردة تُبطل فهمكم لآيات الباب الثمانية ـ لئن سألتهم من خلق... حيث إنه لم يفهم أحد من مفسري السلف أن هذه الآيات تدل على أن المشركين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية، وغاية ما في تلك الآثار أن المشركين يقرّون بأن الله ربٌّ خالقٌ، ولكن ليس فيها أنهم يقرّون بأن تعالى الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا خالق سواه، كما تنقلون ذلك عن

المشركين بأنهم ‘‘كانوا **يؤمنون بأنه لا رب إلا الله؛ أي: لا خالق ولا مربي ولا رازق إلا الله**"[1] وأنهم "يشهدون أن الله **هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو**.."[(2)].

وهذا غير صحيح البتة، بل الله عند المشركين هو مجرد خالق ورب من جملة الخالقين والأرباب الكثيرة، تماما مثلما كانوا يقولون بأن الله إله من جملة آلهة كثيرة، كما قال ابن تيمية: فكانوا يعرفون أنّ لهم ربا وإلها ولكنهم ينكرون توحيد الإله[3].اهـ وقال أيضا: والقرآن كله يثبت توحيد الإلهية..والمشركون لم يكونوا ينازعونه في الإثبات بل في النفي فكان الرسول والمشركون متفقين على إثبات إلهية الله، كان الرسول ينفي إلهية ما سوى الله وهم يثبتون..والمشركون كانوا يثبتون إلهية ما سواه مع إلهيته[4].اهـ وقال: ألا ترى أنه لم يقع من الكفار التعجب والإنكار من أنه سبحانه رب وإله ؟ وإنما تعجبت وأنكرت التوحيد بالإلهية فقالوا: {أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب}[5].اهـ

إذن ليست مشكلة المشركين ـ في الغالب لأن منهم معطّلة منكرين للصانع كما سبق ـ أن يقولوا عن الله إله أو رب، ولكن مشكلتهم في أن يقولوا هو الرب وحده أو هو الإله وحده، وليست مشكلتهم فقط في توحيد الإله كما يقول ابن تيمية بل أيضا في توحيد الرب؛ لأن المشركين يفرّون ويستكبرون ويرفضون مجرد ذِكر الله **وحده**؛ سواء ذُكر إلهًا كما قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا **قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**} [الصافات: 35]، أو ذُكر رَبًّا كقوله تعالى {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ **وَحْدَهُ** وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} [الإسراء: 46]،

---

1 موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 80)

(2) كشف الشبهات للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ص14، وانظر أيضا معنى لا إله إلا الله، مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 2، ت.ش)، وشرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص: 30).

3 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 511)

4 مجموع الفتاوى (20/ 456)

5 درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 523)

أو ذكره باسمه تعالى وهو الله {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ **وَحْدَهُ** اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر: 45] وقد سبق بسط ذلك.

رابعا: وأما قولكم بأن تقسيم التوحيد معروف عند السلف والعرب من قبلهم بالسليقة فلم يحتاجوا لأن يبيّنوا كل قسم على حدة، فنعارضكم فنقول: إن تقسيم الأشاعرة للتوحيد إلى توحيد الذات والصفات والأفعال هو معروف عند السلف بسليقتهم، فلم يحتاجوا لأن يبيّنوا كل قسم على حدة، وجوابكم جوابنا.

خامسا: وأما الجواب عن قول قتادة "إنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه، ورزقه، وهو مشرك في عبادته"فليس فيه أنه ما من أحد إلا وهو يعتقد أن الله **وحده** ربه، أي أن كلمة "وحده"والتي هي محل النزاع ليست في كلام قتادة، ومن ثَمّ هذا لا يدل على أن الناس جميعا موحدون في الربوبية كما تزعمون، لا يقال إن قوله بعد ذلك: "وهو مشرك في عبادته"يُرجِّح أن مراده من قوله "أنبأك **أن الله ربه**"هو توحيد الربوبية، وأن الإشراك إنما وقع من الناس في توحيد العبادة. **لأننا نقول**: هذا متوقف على معنى "العبادة"فهل العبادة هي التي تفعل لمن يُعتقد فيه الربوبية أو أحد صفاتها، فهذا مسلّم ولكن هذا إشراك في الربوبية كما ترى، أم أن العبادة هي التي تُفعل سواء بهذا الاعتقاد أو بدونه؟! فهذا محل نزاع وسنبسطه في رسالة خاصة إن شاء الله.

المطلب الثالث: هل قسم أبو حنيفة وأبو يوسف التوحيد كما زعم السلفية ؟!

أولا: أبو حنيفة

فقد ذكر السلفية "أن تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية يوجد في كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله.."[1]، وذلك أنه قال "في كتابه الفقه الأبسط: "والله يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأنَّ الأسفل **ليس من وصف الربوبية والألوهية** في شيء"[2]. ووجه الدلالة: ((قوله:

1 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 179)، وانظر: جهود علماء الحنفية (1/ 219)

2 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 42)، عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 179)

"من وصف الربوبية''فيه إثبات توحيد الربوبية. وقوله: "والألوهية''فيه إثبات توحيد الألوهية)).اهـ[1]

قال وليد: والجواب من وجوه:

مدى صحة كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة

الوجه الأول: نطالبكم بصحة السند إلى أبي حنيفة، فكتاب الفقه الأبسط ويسمى الفقه الأكبر[2] في نسبته إلى أبي حنيفة شك لعدة أمور كما أقر بذلك بعض السلفية أنفسهم، وهي ما يلي:

الأول: إن هذا الكتاب أو الرسالة "**ليست من تأليف الإمام** مباشرة، بل من تأليف تلميذه أبي مطيع البلخي، جمع فيها أماليَ الإمام وأقواله.لذا يقول الذهبي عن أبي مطيع البلخي: "صاحب كتاب الفقه الأكبر"، **فهذه إشارة منه إلى أن الكتاب ليس من تأليف الإمام رحمه الله تعالى، وإنما هو من تأليف أبي مطيع البلخي**"[3]. **وقال الألباني:** وفي قول المؤلف: "صاحب الفقه الأكبر''**إشارة قوية إلى أن كتاب "الفقه الأكبر"ليس للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى**، خلافا لما هو المشهور عند الحنفية[4].

الثاني: أن أبا مطيع البلخي هذا مطعون فيه بل متّهَم بالكذب، فقد ((قال عنه ابن معين: "ليس بشيء". وقال أحمد بن حنبل: "لا ينبغي أن يروى عنه شيء"، وقال أبو داود: "**تركوا حديثه وكان جهميا**"، وقال أبو حاتم: "**كان مرجئا ضعيف** الحديث، وضعفه البخاري والنسائي"، وقال ابن حبان: "**كان من رؤساء المرجئة ممّن يبغض السنن**

---

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 42)

2 قال د.خميس في "أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة" (ص: 115) وهو يعدد كتب أبي حنيفة في أصول الدين: .. **الفقه الأكبر برواية أبي مطيع البلخي، ويسمى بالفقه الأبسط.**

3 أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة – (ص: 119)

4 مختصر العلو للعلي العظيم (ص: 136)

ومنتحليها"، وقال ابن عدي: "**هو بيّن الضعف عامة ما يرويه لا يتابع عليه**، وقال الذهبي، وابن حجر: "كان ابن المبارك يعظّمه ويجلّه لدينه وعلمه". قلت: فقوله لدينه أي لعبادته وزهده، وأما قوله: "لعلمه"فالظاهر أنه يعني فقهه، **وإلا فأهل العلم متفقون على أنه لا يُحتجّ به في الرواية لكونه متهما، *بل كذبه أبو حاتم*، وتتابع أهل العلم على تضعيفه، فمثله لا يعتمد عليه**))1.

الثالث: أن في سند الكتاب ضعفاء ومجاهيل ومتهمين بالكذب :

فأولهم: ((الحسين بن علي الألمعي الكاشغري الواعظ. قال عنه الذهبي: "**متهم بالكذب**"[2]))[3].

وثانيهم: ((أبو مالك نصران بن نصر الختلي: ذكره الذهبي في المشتبه، وقال عنه: "..روى الفقه الأكبر"))4، و((لم يذكر عنه شيئا، **وهذا يشبه أن يكون مجهولا** لأنه لا يعرف إلا بورود اسمه في سند كتاب الفقه الأكبر))[5]

وثالثهم: ((أبو الحسن علي بن أحمد الفارس: "لم أقف على ترجمته"))[6] بل هو"**مجهول** ليس له ترجمة مطلقا في كتب الرجال"[7].

---

1 أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: 122)

2 انظر ميزان الاعتدال (1/ 544)، ولسان الميزان 305/2، 306.

3 أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة – (ص: 121)، وانظر أيضا كتاب براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة ص69، للشيخ عبد العزيز الحميدي طبعة دار ابن عفان.

[4] أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: 122)

[5] براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة ص69

6 انظر أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: 122)

[7] براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة ص 70

ورابعهم: نصر بن يحيى البلخي، وهو ((مجهول أيضا، ليس له ترجمة إلا في الجواهر الْمُضِيّة للقرشيّ، ولم يذكر عنه شيئا سوى أنه توفي سنة 268هـ وأنه تفقّه على رجل اسمه أبو سليمان الجوزجاني))[1].

والحاصل ما خرج به أحد السلفية أنفسهم من أن سندا "**هذا حاله، مسلسل بالمتهمين والمجهولين ومنتهى إلى أبي مطيع البلخي المتهم، *كيف يقبل أن ينسب إلى الإمام أبي حنيفة كتاب يُروى بهذا السند الواهي الساقط*؟!**"[2]

الوجه الثاني: على التسليم بصحة نسبة الكتاب لأبي حنيفة وبصحّة النص السابق الوارد فيه فلا دلالة فيه البتة على تقسيم التوحيد، إذ لا ذِكر فيه للتوحيد أصلا، فالتوحيد لا بد فيه من نفي وإثبات سواء في الربوبية أو الألوهية وما لم يقترن بذلك فلا عبرة به كما قرّرتم أنفسكم بذلك كما سبق[3]، وغاية ما في نص أبي حنيفة السابق ذكر كلمتي الربوبية والألوهية، وليس النزاع في ذلك، فنحن لا ننكر ورود هاتين الكلمتين أو استخدامهما في اللغة على سبيل الاشتقاق أو حتى عن طريق السماع، وإنما النزاع في العلاقة بينهما هل هي الترادف أو التغاير أو التداخل؟! ليس في عبارة أبي حنيفة بيان لشيء من ذلك، ولا فيها أن توحيد الربوبية لا يكفي دون أن يقترن بتوحيد الألوهية، ولا فيه أن المشركين موحدون في الربوبية دون الألوهية، ولا فيه أي شيء من مقدمات نظرية تقسيم التوحيد التي سبق ذكرها وقد بلغت تلك المقدمات اثنتي عشرة مقدمة[4]، فهذه النظرية ليست مجرد لفظي الربوبية والألوهية، فهذا تقزيم وتسخيف لها، هذا كله فضلا عن الآثار العملية المترتبة عليها كمسائل القبور التي سنناقشها واحدة واحدة في كتب مستقلة لاحقا إن شاء الله.

---

[1] براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة ص 70

[2] براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة ص 70

3 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 22)

[4] انظر: ص (484)

والحاصل أن نصّ أبي حنيفة السابق لا دلالة فيه من قريب ولا من بعيد على تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ولا على أيّ من المقدمات التي بُنيت عليها نظرية تقسيم التوحيد، ولم يذكر أبو حنيفة كلمة التوحيد أصلا في نصه السابق، هذا كله لو سلّمنا بصحّة النص عنه وإلا ففيه شكوك كثيرة كما سبق بيانه.

ثانيا: الإمام أبي يوسف ت 182هـ.

فقد "ذكر أبو يوسف كلاماً نفيساً في باب التوحيد **هو ظاهر في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات**"[1]، وذلك أنه قال: "**ليس التوحيد بالقياس**..ولا يعرف إلا **بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته**..وإنما دلّ الله عز وجل خلقه بخلقه ليعرفوا **أنَّ لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه**[2].."[3] إلخ، فكلامه "**مشتمل على أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات**"[4].

والجواب من وجهين: مجمل، ومفصّل.

أما الجواب المجمل فأقول: إن نص أبي يوسف السابق في ثبوته نظر لما سيأتي هذا أولا، ثانيا: على التسليم بصحته فلا علاقة له بتقسيم التوحيد لا من قريب ولا بعيد، وإنما يتكلم فيه على مسألتين لا صلة لهما بقضية تقسيم التوحيد، وهما:

---

1 من كلام د.الفقيهي في تحقيقه لكتاب التوحيد لابن منده (310/3) .

2 الأصل أن يقال يعبدونه ويطيعونه ويوحدونه، لأنها أفعال مضارعة مرفوعة، وعلامة رفعها ثبوت النون، ولا موجب لحذفها هنا إلا على تقدير حذف فاء السببية أو لام التعليل ، وهو خلاف الأصل. والله أعلم

3 «التوحيد لابن منده» (ص806 ت الوهيبي والغصن)، «التوحيد لابن منده» (3/ 304 ت الفقيهي)، «الحجة في بيان المحجة» (1/ 123)، «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد» (ص38)، «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية» (ص21)، «الشرك في القديم والحديث» (1/ 87)

4 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 39)، وانظر: الرد الشامل للموجان ص106.

الأولى: أن التوحيد لا يثبت بالقياس، وهذا ما يدل عليه مَطلع كلامه ''ليس التوحيد بالقياس..".

الثانية: أن الله يُعرّف خلقَه على أنه خالقهم بآياته في الكون، وهو ما يدل عليه قول أبي يوسف: ''يُعرّف اللهُ بآياته وبخلقه ".

فكلام أبي يوسف ـ إن صح عنه كما سيأتي بحث ذلك ـ يدور كله حول إثبات هاتين القضيتين، فما علاقتهما بتقسيم التوحيد؟! وعلى الرغم من ذلك سنسرد في الجواب المفصل كلامَ أبي يوسف فقرة فقرة لنرى من أين استنبط عبد الرزاق البدر ومن تبعه أن أبا يوسف يقسم التوحيد إلى تلك الأقسام.

وأما الجواب المفصل: فأولا: نطالب بصحة السند إلى أبي يوسف، ولذا سوف ننظر في السند:

قال ابن منده في كتابه التوحيد[1]: أخبرنا مُحَمَّد بن أبي جعفر السرخسي ثنا مُحَمَّد بن سلمة البلخي ثنا بشر بن الوليد القاضي عن أبي يوسف القاضي أنَّه قال: **ليس التوحيد بالقياس..، وأخرجه** أيضا قوام السنة الأصفهاني في الحجة في بيان المحجة من نفس الطريق[2].

قلت: هذا السند فيه رجلان فيهما كلام:

الأول: بشر بن الوليد، وثقه الدارقطني ومسلمة، وتكلّم فيه آخرون كما يلي:

1) فقد قال صالح جزرة: "هو صدوق، ولكنه لا يعقل، **كان قد خرف**''ولذلك ذكروه في كتب المختلطين[3].
2) وقال السليماني: **منكر الحديث**.

---

[1] التوحيد لابن منده 3/ 304

2 انظر: الحجة في بيان المحجة للتميمي (1/113،111)

3 الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط (ص: 72)

3) وقال الآجري: سألت أبا داود: أبشر بن الوليد **ثقة؟ قال: لا**.

4) قلت: ذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحًا.

5) وقال البرقاني: **ليس هو من شرط الصحيح**.

وقد ساق ذلك الذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان[1]، وقال الذهبي في آخر المطاف: ‘‘وفي آخره أمره يقال: إنه وقف في القرآن، **فأمسك أصحاب الحديث عنه وتركوه لذلك**"[2].اهـ

الثاني: مُحَمَّد بن سلمة البلخي، لا وجود له في كتب الجرح والتعديل، وإنما هو مترجَم في طبقات الحنفية للقرشي، ولم يورد فيه جرحا أو تعديلا، وذكر أنه ‘‘تفقّه على أبي سليمان الجوزجاني "[3]، فهو مجهول الحال على أقل تقدير.

فإذن السند مقدوح فيه كما ترى لوجود رجلين فيه؛ الأول: متكلم فيه، والثاني: مجهول الحال، وبذا فالأثر مشكوك في صحته أصلا.

ثانيا: على التسليم بصحة النص إلى أبي يوسف فلا دلالة فيه على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، وبيان ذلك أنه تكلم في أول الأمر على قضية أنه ‘‘**لا يجوز القياس في التوحيد** ‘‘فقال: "**ليس التوحيد بالقياس**؛ ألم تسمع إلى قول الله عز وجل، في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم، قادر، قوي، ولم يقل: إني قادر عالم لعلّة كذا، أقدِر بسبب كذا أعلم وبهذا المعنى أملك، **فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يُعرف إلا بأسمائه ولا يوصف إلا بصفاته**.

---

1 لسان الميزان ت أبي غدة (2/ 317)

2 ميزان الاعتدال (1/ 327)

3 الجواهر المضية في طبقات الحنفية (2/ 56)

ثم قال أبو يوسف: لم يقل الله: **انظر كيف أنا العالِم، وكيف أنا القادر وكيف أنا الخالق،** ولكن قال: انظر كيف خلقت، ثم قال: {وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ}، وقال: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} أي: **تعلم أن هذه الأشياء لها ربٌّ** يقلّبها ويبديها ويعيدها **وأنك مكوَّن ولك من كونك.** وإنما دل الله عز وجل خلقه بخلقه ليعرفوا أنَّ لهم رباً **يعبدوه** ويطيعوه ***ويوحدوه***[1]، ليعلموا أنه مكونهم، لا هم كانوا، ثم تسمّى فقال: أنا الرحمن وأنا الرحيم وأنا الخالق وأنا القادر وأنا المالك، أي: هذا الذي كوّنكم يسمى المالك القادر الله الرحمن الرحيم بها يوصف.

قال وليد: هذه الفقرة ذَكر فيها كلمة "ويوحدوه"مطلقة، **دون أن يتكلم على أقسام التوحيد، وإنما يتكلم على أن** الله يدل عباده عليه بخلقه ومخلوقاته ليعلموا "**أن هذه الأشياء لها ربٌّ** يقلّبها ويُبديها ويعيدها "ويعرّفك أيها الإنسان بذلك لتعلم "**أنك مكوَّن، ولك مَن كوّنك**"[2]، **ثم ذَكر أبو يوسف** لماذا يُعرِّف الله عباده به فقال "**ليعرفوا أنَّ لهم رباً** يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه، ليعلموا أنه مكونهم"، وكذا قوله بعد ذلك "**وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً**"فصرح بأن الله ينقل خلقه من حال إلى حال ويقلبها من حال إلى آخر **ليعلموا أن لها ولهم رب يقلّبها** ويكوّنها، ***وهذا عكس نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية*** تماما، لأن من أصولها أن الناس جميعهم يعرفون توحيد الربوبية بالفطرة، ولذلك فإن

---

1 كذا في الأصل والمفروض أن يقول: "يعبدونه، ويطيعونه، ويوحّدونه". وذلك لعدم وجود الناصب أو الجازم، كما قال ابن مالك: "رفع مضارعاً **إذا يُجرّد** ... من ناصبٍ وجازمٍ كتسعد". ولكن ربما يُخرّج قوله على أنها على تقدير ناصب محذوف، كما في رواية المثل «"**تسمعَ** بالمعيديّ خير....." بنصب المضارع بـ "أن" محذوفة»، انظر: حاشية يوسف البقاعي على «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» (1/ 187).

2 ونحوه ما جاء في جامع البيان ط هجر (9/ 338): وأن الذي ابتدع ذلك غير متعذر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه، فقال: وهو الذي خلق أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء، السموات والأرض بالحق، حجة على خلقه، **ليعرفوا بها صانعها وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه،** فيخلصوا له العبادة. {ويوم يقول كن فيكون}.اهـ

"**الرسل بعثوا بالدعوة إلى توحيد العبادة، *لا بالدعوة إلى توحيد الربوبية*، فليس هناك آية واحدة قالت: أقِرّوا بالربوبية**[1]، أو أَقِرُّوا أن الله هو الخالق الرازق"، وذلك "**لأنهم كانوا معترفين به**؛ وإنما دعوا الأمم إلى توحيد العبادة؛ لأن إشراكهم إنما كان في العبادة؛ دون الربوبية والخالقية والرازقية"[2]. ولذلك فإن"**القرآن الكريم لم ينشغل بإقامة الأدلة على وجود الله**، وإنه لم يأمر بالاستدلال على ذلك، **وإن الرسول ﷺ لم يطلب من أحد من الناس** كما أن أحدا لم يطلب منه **دليلا على وجود الله**، إذ المسألة..ضرورية وأن الناس وكل الكائنات **قد فُطروا على معرفة الله والإقرار بوجوده**[3]"، وإنما كان القرآن يقيم الحجة على المشركين حين يقرر توحيد الألوهية الذي ينكرونه بتوحيد الربوبية الذي يقرون به[4]، **وبذلك كان توحيد التوحيد** "هو الحجة عليهم"[5].اهـ

وقد سبق المزيد من هذه النصوص[6]، **ولكن كلام أبي يوسف هنا عكس ذلك**، فهو يقرر أنه تعالى يُعرّف عباده بأنه الخالق عن طريق النظر بالأنفس ونحو ذلك كما سيأتي، لماذا؟ يجيب: "ليعرفوا أنَّ لهم رباً **يعبدوه** ويطيعوه **ويوحدوه**"، إذن فالله عرّف عباده بأنه ربهم

---

1 إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (1/ 52)

[2] جهود علماء الحنفية (1/ 134)، وانظر (1 / 124)

3 منهج المتكلمين الفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله تعالى (عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)، ج2، ص829، وبالترقيم الآلي ص344، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى ليوسف الأحمد. وقد عزا إلى مجموع الفتاوى 16/ 332

[4] انظر مثلا: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ط (ص: 271) ، المبحث الثاني: الاستدلال ببرهان الربوبية المستقر في الفطر والعقول على توحيد الألوهية 271

5 إغاثة اللهفان (1/ 30)، ونقله البدر في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 57)

[6] انظر: ص (189، 497)

وخالقهم، وليس هذا فحسب بل أقام لهم الدليل على ربوبيته!! وهذا يخالف نظرية تقسيم التوحيد على الوجه الذي ذكرناه للتو.

ثم قال أبو يوسف: يُعرّف اللهُ بآياته وبخلقه، ويوصف بصفاته ويسمى بأسمائه كما وصف في كتابه، وبما أدى إلى الخلق رسوله. **ثم قال أبو يوسف:** إن الله عز وجل خلقك **وجعل فيك آلات وجوارح عجز بعض جوارحك عن بعض وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً** وجعل فيك نفسك عليك **حجة بمعرفته تتعرف بخلقه،** ثم وصف نفسه فقال: أنا الرب وأنا الرحمن وأنا الله وأنا القادر وأنا المالك فهو يوصف بصفاته ويسمى بأسمائه، قال الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا **فَلَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى**}..فقد **أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس؛ لأنَّ القياس يكون في شيء له شبه ومثل،** فالله تعالى وتقدس **لا شبه له ولا مثل له** تبارك الله أحسن الخالقين[1].

قال وليد: يمضي أبو يوسف هنا في بيان **كيفية دلالة المخلوقات على الخالق،** فيذكر أن جوارح الإنسان وتغيره من ‘‘حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً "، وهذا كما قلنا عكس مذهب ابن تيمية وبخلاف نظريته في تقسيم التوحيد، فنظرية ابن تيمية تُعبِّر في هذا المقام بالقول: "إن الله يُعرّفك بما تُقرّ به من أن الله خلقك لتَعرِف أنَّ لك إلها واحدا تعبده’’أي لتوحده في العبادة فلا تعبد سواه، هكذا هي أدبيات نظرية ابن تيمية، بدليل أن البدر نفسه ذكر وجه الدلالة من كلام أبي يوسف على تقسيم التوحيد نقلا عن شيخه الفقيهي قوله "وقد ذكر أبو يوسف كلاماً نفيساً في باب التوحيد هو ظاهر في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات..**تجد فيه الردَّ على الملحدين في الربوبية** وفي الأسماء والصفات مستدلاً بذلك على توحيد العبادة والطاعة لله وحده "، فقوله ‘‘**تجد فيه الردَّ على**

1 كذا وقع بحروفه في التوحيد لابن منده (305/3)، الحجة في بيان المحجة 112/1، وفيه جمل غير واضحة كقوله: " عجز بعض جوارحك عن بعض ... وجعل فيك نفسك عليك حجة بمعرفته تتعرف بخلقه" وقد أشار إلى ذلك المدخلي في تحقيقه لكتاب المحجة. والله أعلم

الملحدين في الربوبية ''يشير إلى قول أبي يوسف ''**وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً** "، ولكن قول الفقيهي بعد ذلك: "مستدلاً بذلك ـ أي بتوحيد الربوبية ـ على توحيد العبادة ": غير صحيح، إذ كيف يَستدل أبو يوسف بتوحيد الربوبية وهم ينكرونه ويلحدون فيه كما أقر الفقيهي بذلك في قوله "**الملحدين في الربوبية** "، وإنما يقرّر أبو يوسف أن الله يقيم الأدلةَ العقلية لعباده على أنه خالقهم كما سبق بيانه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أبا يوسف قال ''ليعرفوا أنَّ لهم رباً **يعبدوه** ويطيعوه **ويوحدوه** ''فعطف التوحيد على العبادة والطاعة، والعطف يقتضي المغايرة، أي أن التوحيد شيء والعبادة شيء آخر، ولو كان يريد تقسيم التوحيد لقال ''ليعرفوا أنَّ لهم رباً فيوحدوه في الربوبية و**يوحدوه** أيضا في الألوهية أو العبادة ويفردوه بها''ولو أنه قال ذلك لسلّمنا تماما بأنه يقسم التوحيد.

قد يقال: ولكن مصطلح توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والعبادة لم يكن معروفا حينها، فكيف تريد أن يصرح أبو يوسف بذلك بهذه الألفاظ والمصطلحات، وإنما يكفي هنا المعنى أو الفحوى أو الإشارة.

قلنا: أولا: نحن لم نركّز على هذه المصطلحات بألفاظها التي اصطَلح عليها أو وضعها ابن تيمية، وإنما نركز على معناها بغضّ النظر عن العبارة التي تؤدى بها، فمثلا ما تسمونه توحيد الألوهية أو توحيد العبادة أين نجد في كلام أبي يوسف معناه أو فحواه أو الإشارة إليه، وليس لفظه المستحدث هذا؟ هل ذكر قط في كلامه ما يشير مجرد إشارة إلى أن ثمة قسما في التوحيد هو عبادة الله وحده؟! وأن هذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل، وأن به النجاة، وأنه لا يكفي أن تعتقد أن الله هو الخالق وحده بحجة أن المشركين كانوا يقرون بأن الله هو الخالق وحده وإنما أشركوا وكفروا بسبب عبادتهم غير الله؟!

أين ذَكر أبو يوسف هذه المعاني أو ما يشير إليها؟ لا نريد أن نتعسّف ونطالبكم بعين المصطلحات التي تستخدمونها والتي تؤدي هذه المعاني أن تأتونا بها من كلام أبي

يوسف، وإنما نكتفي بالمعاني وبالإشارة إليها، لأنه كما قيل "لا مشاحّة في الألفاظ بعد معرفة المعاني"1 فإن "من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه ومن قرر المعاني أولا في عقله ثم أتبع المعاني الألفاظ فقد اهتدى"2.

ثانيا: ما دمتم أقررتم بأن هذه اصطلاحات حادثة فكيف تَحمِلون كلامَ المتقدمين من السلف عليها، كما فعلتم هنا مع كلام أبي يوسف فحملتم كلامه على تقسيم ابن تيمية للتوحيد الذي جاء بعده بخمسة قرون تقريبا، مع أنكم ترون أن "**حملَ نصوص الكتاب والسنة على المصطلحات – التي اصطُلح عليها بعد عهد التنزيل بدهور – زيغٌ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكّب عن سبيل السلف** الصالح، ومنابذة للغة التخاطب"[3]؟!

ثالثا: إذا كانت الإشارات تكفي فنحن لا نعجز أن نأخذ إشارة من كلام أبي يوسف هذا أنه يقسم التوحيد إلى توحيد الله في ذاته وفي أفعاله، وفي صفاته، وبيان ذلك أن قوله "ليعرفوا أنَّ لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه"هو إشارة إلى توحيده في الذات، وقوله "..تعلم أن هذه الأشياء لها ربٌّ يقلبها ويبديها ويعيدها وأنك مكون ولك من كونك"إشارة إلى توحيد الأفعال، وقوله "فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له"هو تصريح بتوحيده في الصفات.

هذا فضلا عن أن أبا يوسف هنا يستدل على وجود الله بدليل الحدوث والتغير وهو قوله "ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً"، وابن تيمية يعدّ دليلَ الحدوث بدعة، وأطال في ذلك وكان مما قال: "هذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن مُحَمَّدا لم يدع الناس بها إلى

---

1 المستصفى للغزالي طبعة الجامعة الإسلامية (1/ 167)

2 المستصفى (1/ 148)

3 جهود علماء الحنفية (3/ 1489)

الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه"[1]. وقول أبي يوسف بعد ذلك: ''فقد **أمرنا الله أن نوحّده**"، فيه ذكر التوحيد مطلقا بدون تقسيم كما ترى.

وقولُ أبي يوسف بعد ذلك: "**وليس التوحيد بالقياس؛ لأنَّ القياس يكون في شيء له شبه ومثل**، فالله تعالى وتقدس **لا شبه له ولا مثل له** تبارك الله أحسن الخالقين''عودٌ على بدء من أن التوحيد لا يؤخذ بالقياس. **ثم قول أبي يوسف هنا"فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له"**فيه تصريح بنفي المثل والشبيه عن الله، وهذا يخالف مذهبَ ابن تيمية من جهة أخرى وهو أن ابن تيمية ينفي عن الله المثيل لا الشبيه، ويرى أن هناك شبها بين الله وخلقه ولولا هذا الشبه لكان الله عدما وبالتالي فإن "**نفي التشبيه من كل وجه هو التعطيل والجحود لرب العالمين** كما عليه المسلمون متفقون"[2]. ويرى "أن القرآن الكريم ورد بنفي التمثيل وما في معناه كالند والشريك والكفو، أما التشبيه فلم يرد نفيه ولا ذمّه في الكتاب والسنة"3..ويرى أيضا أن "ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك"4.!!

ثم قال أبو يوسف: وكيف يُدرَك التوحيد بالقياس وهو خالق الخلق بخلاف الخلق ليس كمثله شيء تبارك وتعالى. وقد أمرك الله عز وجل أن تؤمن بكلِّ ما أتى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: {..فَآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ **وَاتَّبِعُوهُ** لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، فقد أمرك الله عز وجل بأن تكون تابعاً سامعاً مطيعاً **ولو يوسّع على الأمة التماس التوحيد وابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذاً لضلوا**، ألم تسمع إلى قول الله

---

1 مجموع الفتاوى (3/ 303) وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1005)

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 962) نقلا عن ابن تيمية في التدمرية، وانظر أيضا حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: 333).

3 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 962)

4 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 962)

عز وجلَّ: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ}؟ فافهم ما فسّر به ذلك".

هذا آخر كلام أبي يوسف، وكما ترى فإنّه يمضي في بيان أنه لا ''**يُدرَك التوحيد بالقياس**''وأن التماس التوحيد بالرأي والقياس ضلالٌ. **قال وليد: فأين في كل ما تقدم** من كلام أبي يوسف بطوله ما زعمه البدر وشيخه الفقيهي من أن أثر أبي يوسف "مشتمل على أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات[1]"؟!

أين هذه الأقسام للتوحيد في كلام أبي يوسف السابق وخاصة توحيد الألوهية أو توحيد العبادة؟! أين ذكر في كلامه توحيد العبادة؟ غاية ما ذكره هو كلمة "العبادة''وما اشتق منها نحو ''**يعبدوه**''ولم يذكر ما يشير مجرد إشارة إلى أنّ مِن التوحيد عبادة الله وحده وعدم صرف العبادة إلى غيره، فإن زعمتم أنه أشار إلى ذلك فبيّنوه لنا، طبعا هذا **مع التسليم التام بأن عبادة الله وحده هو أمر واجب وهو من صلب التوحيد،** وذلك للآيات الصريحة الكثيرة الدالة على ذلك.

ثم أين ذَكر أبو يوسف أن توحيد العبادة هو الذي أرسلت به الرسل وأن به النجاة يوم القيامة دون توحيد الربوبية؟! وأين في كلامه أن توحيد الربوبية فطري لا حاجة لأن تدعوَ الرسلُ إليه أصلا؟ فقد رأينا أنه يقول العكس وذلك في قوله مثلا ''**وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً** ''وقد سبق بيانه، وأين في كلامه أن المشركين موحدون في الربوبية مشركون في الألوهية، وأين سائر المقدمات الكثيرة التي تتضمنها نظرية تقسيم التوحيد التي سبق ذكرها؟!!! **أين كل هذا ؟!! أما مجرد التهويل** بالقول بأن كلام أبي يوسف مشتمل على أقسام التوحيد الثلاثة التي ذكرها ابن تيمية، وأنه ليس "وليد القرن السابع، وليس وليد

---

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 39) و(ص: 40)

كلام ابن تيمية، بل هو مذكورٌ في كتب العلماء معروفٌ في أقوالهم.."[1]، فهذا يُحسنه كل أحد.

قد يقال: ولكن أبا يوسف ذكر توحيد الربوبية في قوله ‘‘أي تعلم أن هذه الأشياء **لها رب** يقلبها ويبدئها ويعديها وأنك مكون ولك من كونك "، وذكر توحيد الألوهية في قوله ‘‘ليعرفوا أن لهم ربا **يعبدوه** ويطيعوه ويوحدوه "، وذكر توحيد الأسماء والصفات: "أي هذا الذي كونكم يسمى **المالك القادر الله الرحمن الرحيم** بها يوصف".

قلنا: أولا: هذا غير صحيح، لأن أبا يوسف ذكر كلمة التوحيد عدة مرات مطلقة كما سبق دون أن يقسم التوحيد إلى قسمين ولا إلى ثلاثة، فمثلا قوله هذا "ليعرفوا أن لهم ربا **يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه** ‘‘نجد أنه يعطف فيها التوحيد على الطاعة على العبادة، و"العطف يقتضي المغايرة"[2] كما هو معلوم.

ثانيا: نعارضكم بالقول: بأن كلام أبي يوسف فيه تقسيم التوحيد إلى أنه تعالى واحد في ذاته وأفعاله وصفاته على الوجه الذي سبق بيانه.

وحاصل ما سبق أن كلام أبي يوسف ـ إن صح ـ لا علاقة له بقضية تقسيم التوحيد وإنما يتكلم عن قضية أن التوحيد لا يؤخذ بالقياس وأنه تعالى لا مثيل ولا شبيه له، وعن قضية أن الله عرّف خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم ربا فيوحدوه ويعبدوه، وبالمناسبة فهاتان القضيتان يخالف فيهما ابن تيمية كما سبق بيانه[3].

---

1 الرد الشامل ص103

2 حاشية الصبان على شرح الأشموني (ص: 1941) ، وفي النحو الوافي (3/ 497): والعطف يقتضي المغايرة المعنوية، غالبًا، إلا إذا كان العطف للتفسير الذي يراد به إيضاح الغامض، أو المجهول، كما قد يحصل أحيانًا.اهـ

3 انظر: ص (501)

المطلب الرابع: هل قسّم الطبري التوحيد كما زعم بعض السلفية؟

زعم السلفية بأن "**الإمام ابن جرير قد قسم التوحيد إلى قسمين**، وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وفرّق بين هذين النوعين تفريقا واضحا، عبّر عنه في مواطن كثيرة من تفسيره.."[1]. ولدى النظر في **نصوص الطبري** التي استدلوا بها وجدت أنها لا تدل على أنه يرى ذلك التقسيم، فضلا عن أن نظرية تقسيم التوحيد تقوم على مقدمات أو دعاوى كثيرة لا يقول بها الطبري، وإليكم بيان ذلك كله في مرصدين.

المرصد الأول: نصوص الطبري التي استدلوا بها على أنه يقول بتقسيم التوحيد

النص الأول: قول الطبري (كانت أي العرب تقر بالوحدانية غير أنّها كانت تشرك في عبادته)

استدلوا بقول الطبري عن عرب الجاهلية بأن "الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنَّها **كانت تُقرّ بالوحدانية غير *أنَّها كانت تشرك في عبادته*** ما كانت تشرك فيها "[2]. **والجواب**: أن هذا قاله الطبري وهو يفسر قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، فيذكر الطبري أن هذه الآية فيها قولان، الأول أن بعضهم قال "عُني بها جميع المشركين، من مشركي العرب وأهل الكتاب". والثاني قول "بعضهم: عني بذلك أهل الكتابين: التوراة، والإنجيل"[3].اهـ ثم يسرد الطبري القائلين بذلك، **فينقل الطبري** بسنده عن ابن عباس، قال: ‘‘نزل ذلك في الفريقين جميعا من الكفار والمنافقين. وإنما عنى بقوله: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، **وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده** هو الحق لا شك فيه ‘‘**ثم نقل** بسنده عن قتادة، في قوله: ‘‘{وأنتم تعلمون} أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض، ثم تجعلون له **أندادا** "، **ثم نقل** عن

---

1 ابن جرير ودفاعه عن عقيدة السلف ص322. وانظر: ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الالهيات 1 / 88، آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني (6/ 158)

2 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 58)، ونص الطبري في تفسيره (1/ 394) " أنها كانت تقر بوحدانيته".

3 جامع البيان /ط هجر (1/ 392)

مجاهد: ‘‘{..وأنتم تعلمون} أنه إله واحد في التوراة والإنجيل"، وينقل عنه أيضا قوله "وأنتم تعلمون أنه لا ند له في التوراة والإنجيل"[1].

ثم يعقّب الطبري على كلام مجاهد هذا فيقول: ‘‘وأحسب أن الذي دعا مجاهدا إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم، الظن منه **بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها بجحودها وحدانية ربها**، وإشراكها معه في العبادة غيره. وإن ذلك لقولٌ، ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها **أنها كانت تُقرّ بوحدانيته**، غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جل ثناؤه: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله}[2]..**إلى أن يقول:** فالذي هو أولى بتأويل قوله: {وأنتم تعلمون} **إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله**، وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم، **نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين**. ولم يكن في الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عنى بقوله: {وأنتم تعلمون} أحد الحزبين، بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم، لأنه تحدى الناس كلهم بقوله: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم} **أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة، من أنه يعني بذلك كل مكلف عالم بوحدانية الله، وأنه لا شريك له في خلقه، يشرك معه في عبادته غيره**، كائنا من كان من الناس، عربيا كان أو أعجميا، كاتبا أو أميا، وإن كان الخطاب لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالي دار هجرة رسول الله ﷺ، وأهل النفاق منهم وممّن بين ظهرانيهم ممّن كان مشركا فانتقل إلى النفاق بمقدَم رسول الله ﷺ.اهـ

فالطبري هنا وبعد أن نقل الأقوال في تفسير آية {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، وأشهرها قول ابن عباس وقتادة أنها نزلت في كل الكفار، وقول مجاهد إنها في أهل الكتاب خاصة، ثم انتقد قولَ مجاهد بما حاصله أن العرب أيضا تعلم بوحدانية الله كعلم أهل

---

1 جامع البيان /ط هجر (1/ 393) وما بعدها.

[2] جامع البيان /ط هجر (1/ 394)

الكتاب، وأيّد ذلك بأن الآية ''وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ''الخطاب فيها ''عام للناس كافة لهم''ويستدل على ذلك بأن الآية التي قبلها فيها "تحدى الناس كلهم بقوله: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم}". **ثم يرجح قولَ ابن عباس** هنا حيث قال الطبري: ''**أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة..**".

ونحن إذا رجعنا إلى قول ابن عباس لَتَكَشّف لنا المقصودُ حيث قال "**وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره**''نعم **واضح من** كلام ابن عباس هذا أن الكفار ومنهم العرب كانوا يعلمون بأن الله واحد في ربوبيته، ولكن قوله "**وقد علمتم أن الذي *يدعوكم إليه الرسول* من توحيده هو الحق لا شك فيه**''لا يخلو من أنه يريد به توحيد الربوبية أو يريد به توحيد الألوهية، وعلى كلا الاحتمالين فهو خلاف نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد، وبيانه:

أنه إن كان المقصود بالتوحيد الذي دعاهم إليه الرسول هو توحيد الربوبية فهذا خلاف نظرية ابن تيمية القائلة بأن التوحيد الذي جاء به الرسل هو توحيد الألوهية إذ "توحيد الربوبية كان يعتقده المشركون، ولذلك لم يدعهم إليه الرسل لعِلْمهم أن الله فطرهم عليه..**وإنما كانت أول دعوتهم إلى :توحيد الألوهية**"[1]. وإن كان المقصود بالتوحيد الذي دعاهم إليه الرسول توحيد الألوهية وحينها يكون العرب على علم بأن توحيد الألوهية حق لا شك فيه لأنه قال ''وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول هو الحق لا شك فيه".

وعليه فالعرب كانت تعلم بأنه لا إله ولا ربّ إلا هو، فإن كان علْم العرب بأنه لا ربّ إلا الله يُعدّ إقرارا منهم بتوحيد الربوبية فيجب أن يكون علْمهم بأنه لا إله إلا الله إقرارا بتوحيد الألوهية، وهذا خلاف النظرية أيضا لأن المقرر فيها أن العرب أقرّت بتوحيد الربوبية

---

1 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 95)

وأنكرت توحيد الألوهية، **قال ابن تيمية: أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون** وكانوا يعبدون مع الله غيره[1].

ولا يقال: إن العرب كانوا يعلمون أنه لا إله إلا هو، ولكن لم يُقروا ولم يذعنوا لذلك، لأنهم عبدوا غير الله. **لأننا نقول: أولا**: هذا إقرار منكم بأن مجرد العلم لا يعني الإقرار والإذعان، وبالتالي فكيف تستدلون بأثر ابن عباس هذا "وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره "على أن العرب كانت تقر وتذعن بتوحيد الربوبية؟! إن كان الأمر كذلك فهي إذن تُقر وتُذعن لتوحيد الألوهية لقول ابن عباس في نفس الأثر "وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه".

ثانيا: مثلما أنهم لم يذعنوا لتوحيد الألوهية مع علمهم بأنه حق، فكذلك هم كانوا يعلمون أنه لا رب ولا خالق سواه ثم لم يذعنوا لذلك بل نقضوا توحيد الربوبية بكثير من الأمور التي سبق بسطها في كتاب خاص[2]، وقد نقلنا إقرار كثير من السلفية أن توحيد المشركين في الربوبية كان منقوصا بل منقوضا[3]، فهم لم يذعنوا لا لتوحيد الربوبية ولا لتوحيد الألوهية مع علمهم بأن كلا التوحيدين حق لا شك في ذلك، وهذا كله خلاف نظريتكم في تقسيم التوحيد.

النص الثاني: (ولا تجعلوا لي شريكا فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني)

احتجّوا[4] بقول الطبري عند قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا} [البقرة: 22]: فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئا وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له ندّا وعدلا في الطاعة، فقال: **كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم**، وملكي إياكم، ونعمتي التي أنعمتها

---

1 مجموع الفتاوى (14/ 380)

[2] وهو كتاب: (البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية) .

[3] انظر: ولئن سألتهم ص (479)

[4] موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 80) و(ص: 129)، الشرك في القديم والحديث ص123

عليكم، فكذلك **فأفردوا لي الطاعة، وأخلصوا لي العبادة،** ولا تجعلوا لي شريكا وندا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني[1].

والجواب: ليس فيه تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، وإن كنتم تعوّلون على قوله "**وأخلصوا لي العبادة،** ولا تجعلوا لي شريكا''وأنه يقصد بالشريك هنا الشريك في العبادة لا في الخَلق لقوله بعد ذلك ''فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني "، أي أن المشركين لم يؤمروا بالتوحيد في الربوبية وإنما أُمروا بالتوحيد في العبادة، فهذا الذي تعوّلون عليه لا يصمد كثيرا إذا استحضرنا النص السابق للطبري نفسه الذي يقول فيه: **وَذِلّوا لله بالطاعة , واخضعوا له بها, وأفردوه بالربوبية** , وأخلصوا له الخضوع والذلّة , بالانتهاء إلى أمره , والانزجار عن نهيه, **ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا تعظمونه تعظيمكم إياه**[2].اهـ ففي هذا النص يبيّن الطبري أن الله نهى المشركين عن الشرك في الألوهية والربوبية، وأمرهم بالإخلاص لله في الربوبية وفي الألوهية، وهذا خلاف نظرية ابن تيمية من أن توحيد الربوبية لم يؤمروا به لأنه تحصيل حاصل كما سبق بيانه للتو.

و**لا يقال:** إن هذا بحدّ ذاته إقرار بأن الطبري يفرّق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بغضّ النظر عن قضيةِ أنه مأمور بكليهما أو بأحدهما. **لأننا نقول:** لدينا معنيان يُعبَّر عنهما بلفظين مختلفين: **الأول:** كون الله هو الخالق وحده (وهذا ما تسمونه بتوحيد الربوبية)، **والثاني:** كون الله هو المعبود وحده بحق (وهذا ما تسمونه بتوحيد الألوهية)، ولكن النزاع ليس هنا، وإنما النزاع هل هذان الأمران متلازمان أو لا؟! وبعبارة أخرى: هذان الأمران المختلفان لفظا هل مصداقهما شيءٌ واحد أو شيئان؟ الذي نراه أنهما متلازمان ومصداقهما شيء واحد، فالمرء لا يعبد إلا من يخلق، والخالق هو الذي ينبغي أن يُعبد دون سواه، وأنتم مضطربون أصلا في تصوّر العلاقة بين أقسام التوحيد هل هي التلازم أو التضمن أو الترادف

---

1 جامع البيان ط هجر (1/ 392)

[2] جامع البيان (7/ 5)

أو التغاير أو التداخل كما سبق بيانه[1]، والمشهور عندكم "أن **توحيد العبادة متضمّن ومستلزم وقوعًا لتوحيد الربوبية دون العكس**"[2].اهـ ولكن أين هذا في كلام الطبري؟! لا يوجد في كلام الطبري تحديد للعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ هذا إن سلّمنا أصلا أنه يقسِم التوحيد إلى هذين القسمين.

ولا يقال أيضا بأن قول الطبري "**كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم**، وملكي إياكم..فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني"فيه إشارة إلى أن المشركين موحدون في الربوبية. **لأننا نقول: هذا خلاف ما صرح به الطبري مرارا من أن المشركين اتخذوا الأصنام أربابا وآلهة كما سبقت نصوصه الكثيرة بذلك**[3].

فضلا عن أن الطبري ذكر مرارا أن الكفار والمشركين جحدوا وحدانية الله، هكذا بإطلاق دون أن يقيدها بالألوهية، أي لم يقل إنهم جحدوا توحيد الألوهية، وإنما ذكر أنهم جحدوا وحدانية الله، وكذا حينما يتكلم عن المؤمنين يقول بأنهم أثبتوا وحدانية الله، ولم يقيّدها بالألوهية، وهذا كثير جدا في كتابه، وفيما يلي طرفٌ من ذلك:

1) قال الطبري: {وقال الكافرون هذا ساحر كذاب} **وقال المنكرون وحدانية الله**[4].

2) وقال: ولا نكلّف نفسا إلا ما يسعها ويصلح لها من العبادة؛ ولذلك كلفناها ما كلفناها **من معرفة وحدانية الله**، وشرَعنا لها ما شرعنا من الشرائع[5].

---

[1] انظر: تنوير الرب الإله ص (558)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 147)، شرح الطحاوية لابن أبي العز ت الأرناؤوط (1/ 41)

3 انظر: ص (527)

[4] جامع البيان ط/ هجر (20/ 17)

[5] جامع البيان (17/ 73)

3) ولقد مثّلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم، **وتنبيها لهم عن وحدانية الله**[1].

4) وهم الذين يشهدون شهادة الحق **فيوحدون الله، ويخلصون له الوحدانية**[2].

5) **والذين جحدوا وحدانية الله** عن إنذار الله إياهم معرضون[3].

6) **قال الذين جحدوا وحدانية الله،** وكذبوا رسوله للحق..{هذا سحر مبين}[4].

7) {وهم يكفرون بالرحمن} يقول: **وهم يجحدون وحدانية الله،** ويكذبون بها[5].

8) يا أيها الذين **أقرّوا بوحدانية الله،** وبنبوة نبيه مُحَمَّد ﷺ[6].

9) ثم لم يرتابوا، **يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله**[7].

10) {كل كفار عنيد} يعني: **كل جاحد وحدانية الله**[8].

11) وقوله: {مريب} يعني: **شاكّ في وحدانية الله،** وقدرته على ما يشاء[9].

12) وما شأنكم أيها الناس **لا تقرّون بوحدانية الله،** ورسوله مُحَمَّد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته[1]

---

[1] جامع البيان (18/ 528)

[2] جامع البيان (20/ 663)

[3] جامع البيان (21/ 111)

4 جامع البيان (21/ 117)

5 جامع البيان (13/ 530)

6 جامع البيان (21/ 335)

[7] جامع البيان ط هجر (21/ 395)

[8] جامع البيان ط هجر (21/ 438)

9 جامع البيان ط هجر (21/ 439)

13) **والذين أقرّوا بوحدانية الله** وإرساله رسله..أولئك هم الصديقون[2]

14) **والذين جحدوا وحدانية الله،** وكذبوا بأدلته وحججه..{أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}[3]

15) هو الذي أنعم عليكم، فخلق لكم ما في الأرض جميعا وسخره لكم تفضلا منه..**ودليلا لكم على وحدانية ربكم**[4].

16) وقوله: {وأتوني مسلمين} يقول: وأقبِلوا إلي مذعنين لله **بالوحدانية** والطاعة[5].

17) وقوله {لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية}**لا يصدقون بحجج الله، ولا يُقرون بوحدانية ربهم**[6].

18) {وما آمن معه إلا قليل} يقول: **وما أقرّ بوحدانية الله** مع نوح من قومه إلا قليل[7].

19) فكذب فرعون وملؤه موسى، **وجحدوا وحدانية الله**[8].

20) فاتقوه أن يطَّلع عليكم وأنتم تضمرون في أنفسكم **من الشك في وحدانية الله،** أو في نبوة مُحَمَّد غير الذي تبدونه بألسنتكم[1].

---

1 جامع البيان ط هجر (22/ 389)

[2] جامع البيان ط هجر (22/ 412)

[3] جامع البيان (23/ 11)

[4] جامع البيان (1/ 465)

[5] جامع البيان (18/ 49)

6 جامع البيان (12/ 290)

7 جامع البيان (12/ 410)

8 جامع البيان (12/ 561)

21) {كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون} يقول تعالى ذكره: كما قد صرف **هؤلاء المشركون** عن الحق إلى الضلال..{أنهم لا يؤمنون} يقول: **لا يصدّقون بوحدانية الله**، ولا بنبوة نبيه ﷺ[2].

22) وقل يا مُحَمَّد للذين لا يصدقونك، **ولا يقرّون بوحدانية الله**: {اعملوا على مكانتكم}[3]

23) وقوله: {إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله} يقول: إني برئت من ملّةِ مَن لا يصدق بالله، **ويُقرّ بوحدانيته.** {وهم بالآخرة هم كافرون} يقول: وهم مع **تركهم الإيمان بوحدانية الله** لا يُقرّون بالمعاد والبعث ولا بثواب ولا عقاب[4].

24) وقال في قوله تعالى {وارتابت قلوبهم} [التوبة: 45]: **وشكّت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله**، وفي ثواب أهل طاعته، وعقابه أهل معاصيه[5].

25) وقال الطبري في التبصير: فتوحيد الله تعالى ذكره، والعلم بأسمائه وصفاته وعدله، وذلك أن كل من بلغ حد التكليف من أهل الصحة والسلامة فلن يعدم دليلاً دالّاً وبرهاناً واضحاً يدلّه على **وحدانية ربه جلّ ثناؤه**[6].

فهذا ما يزيد على عشرين نصا للطبري يُطلق فيها كلمةَ الوحدانية دون تقسيم أو تقييد بألوهية أو ربوبية، وأما المواضع التي ذَكر فيها الطبريُّ **كلمةَ "التوحيد"مطلقا دون تقسيم أو تنويع: فقد فاقت مئتين أو ثلاث مئةِ موضع**، وليس هذا فحسب بل من يتأمل

---

1 جامع البيان (19/ 388)

2 جامع البيان (12/ 177)

3 جامع البيان (12/ 648)

4 جامع البيان (13/ 160)

5 جامع البيان (11/ 480)

6 التبصير في معالم الدين للطبري (ص: 117)

كثيرا من تلك المواضع فسيرى الطبريَّ يخالف فيها أصولَ نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، وفيما يلي بعض المواضع التي توضح ذلك:

1) "كانوا يجحدون **حجج الله على توحيده** وتصديق رسله، ويدفعون حقيتها، ويكذبون بها"[1].

2) "والله عز وجل على العفو عمّا أخفته نفس هذا المؤمن من الهمّة بالخطيئة، وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته **نفسه من الشك في توحيد الله عز وجل**، ونبوّة أنبيائه"[2].اهـ **فتأملْ** هذا النصّ والذي قبله كيف جعل الطبريُّ **الكفارَ شاكّين جاحدين لتوحيد الله مطلقا**، وليس كما يزعم ابن تيمية في نظريته بأن الجحد أو الشك وقع من الكفار والمشركين في توحيد مقيّد، وهو توحيد الألوهية دون توحيد الربوبية، بحجة أن الأخير أقر به الخلق كافة كما زعم!

3) "ولا ينبغي لله أن يكلّم إلا أولياءه، ولا يؤتي أيّة معجزة على دعوى مدّعٍ إلا لمن كان مُحقّا في دعواه **وداعيا إلى الله وتوحيده**"[3].

4) "وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدّق بعضهم بعضا على منهاج واحد في **الدعاء إلى توحيد الله** والعمل بطاعته"[4].

5) "ثم عرّفهم..على حقيقة ما **نبّههم عليه من توحيده** وحججه الواضحة القاطعة عذرهم"[5].اهـ **فتنبّهْ** كيف جعل الطبريُّ في هذا النص والنصيّن قبله أن الله ورسله

---

1 جامع البيان ط هجر (2/ 29)

2 جامع البيان ط هجر (5/ 147)

3 كذا وقع "ولا ينبغي **لله**..." في «تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث» (2/ 552)، ووقع في «تفسير الطبري جامع البيان – ط هجر» (2/ 475): «ولا ينبغي **الله** ..» والأول أصح، والله أعلم

4 جامع البيان (2/ 596)

5 جامع البيان (2/ 746)

وأولياءه دعوا إلى التوحيد مطلقا، وليس كما يزعم ابن تيمية أن الدعوة كانت فقط إلى توحيد الألوهية دون توحيد الربوبية.

6) "يعني جل ذكره: اذكروا الله بالتوحيد والتعظيم.."[1].

7) "ويعني بقوله: {هدى للناس}بيانا للناس من الله، فيما اختلفوا فيه من **توحيد الله** وتصديق رسله"[2].

8) «لمن ألقى إليكم السلم» بمعنى: من استسلم لكم مذعنا لله بالتوحيد مقرّا لكم بملتكم[3].

9) "ويعفو عمّن شاء من أهل التوحيد"[4].

10) "لو آمنوا بالله واليوم الآخر، لو صدقوا بأن الله واحد لا شريك له , **وأخلصوا له التوحيد**، وأيقنوا بالبعث بعد الممات"[5].

11) "المحصنات"وهن الحرائر المؤمنات اللواتي قد **صدقن بتوحيد الله**، وبما جاء رسول الله ﷺ من الحق[6].

12) أنه لا يقبل عملا من عامل إلا مع **إخلاص التوحيد له**، والإقرار بنبوّة أنبيائه، وتصديق ما جاؤوهم[7] به[8].

---

1 جامع البيان (3/ 549)

2 جامع البيان (5/ 181)

3 جامع البيان (7/ 362)

4 جامع البيان (7/ 217)

5 جامع البيان (7/ 28)

6 جامع البيان (6/ 595)

7 كذا كتبت الهمزة على السطر قديما، والكتابة الحديثة جاؤوهم كما بسطناه في موضع آخر.

8 جامع البيان (5/ 707)

13) "إن كنتم مصدّقين حجج الله وآياته، **مقرين بتوحيده** ونبيّه موسى"[1].

14) إنما معناه: ذرية دين بعضها دين بعض، وكلمتهم واحدة، وملّتهم واحدة في **توحيد الله** وطاعته[2].

15) {وإن تولوا} وإن أدبروا معرضين عمّا تدعوهم إليه من الإسلام، وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ[3].

16) وقوله: {فاكتبنا مع الشاهدين} يقول: فأثبتْ أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقرّوا لك بالتوحيد، وصدّقوا رسلك[4].

17) سوف يعطيهم {أجورهم} يعني: جزاءهم، وثوابهم على تصديقهم الرسل في توحيد الله وشرائع دينه وما جاءت به من عند الله5.اهـ **فلاحظ** كيف جعل الإمام الطبريُّ الثوابَ على التوحيد مطلقا، وليس كما يزعم ابن تيمية في نظريته أن الثواب هو على توحيد الألوهية فقط دون توحيد الربوبية!

إلى غير ذلك من النصوص التي تفوق الحصر، وكلها جاء فيها ذِكر التوحيد مطلقا دون تقسيم إلى ربوبية وألوهية أو نحو ذلك، هذا على الرغم من كون الطبري يستخدم كثيرا كلمات مثل الربوبية والخالقية والألوهية والألوهة، ونحو ذلك ما جعل بعضَ السلفية يظنون أن الطبري قائل بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية! فراحوا يستدلون بنصوصه التي ورد فيها هذه الكلمات للقول بأنه سبق ابنَ تيمية إلى تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية!!

---

1 جامع البيان (5/ 430)

2 جامع البيان (5/ 330)

3 جامع البيان ط هجر (5/ 288)

4 جامع البيان ط هجر (5/ 445)

5 جامع البيان ط هجر (7/ 638)

وهذا ظنّ واستدلال فاسدان، إذ لا يلزم من استخدام الطبري لهذه الكلمات أنه يقول بتقسيم التوحيد إليها، ولا أنه يستخدمها بالطريقة التي يستخدمها ابن تيمية وأتباعه في نظريتهم لتقسيم التوحيد، ولا هو النزاع أصلا في مطلق استخدام هذه الكلمات، لأن هذه الكلمات هي في نهاية المطاف كلمات عربية دينية مشتقة من الربّ والخالق والإله التي هي من أسماء الله المذكورة في القرآن والسنة بكثرة وقد سبق أن سردنا بعض المواضع منها[1]، وإنما النزاع في المقدمات الكثيرة التي قامت عليها نظرية تقسيم التوحيد والتي يستخدم فيها هذه الكلمات وقد بسطناها سابقا[2]، فمثلا إحدى مقدمات النظرية أن الربوبية والألوهية، وكذا الربّ والإله: كلمتان متباينتان، وبناء عليه قيل إن توحيد الربوبية مباين لتوحيد الألوهية، وبالتالي فالتوحيد منقسم إلى ربوبية وألوهية، وأنّ ثمة فروقا بين هذين التوحيدين، منها أن توحيد الربوبية مجمع عليه بين البشرية ولم ينكره أحد، بحجة أنه ضروري تقتضيه الفطرة، ولذلك لا ثواب عليه، ولا أتت به الرسل ولا أمروا به لأنه تحصيل حاصل، بخلاف توحيد الألوهية في ذلك كله.

بيد أن **الطبري** لم يكن يرى هذه الفروق بين توحيدي الربوبية والألوهية، بل **الطبري** يرى أن كِلا التوحيدين ـ الربوبية والألوهية ـ مأمور بهما، وكلاهما مختلف فيهما بين البشر، وعلى كليهما الثواب والعقاب والمدح والذم، وأن كليها جاءت بهما الرسل وأمروا بهما وأقاموا البراهين عليهما، ونهوا عن الشرك في كليهما، وهذا كله خلاف نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية! وقد سبق للتو أن نقلنا نصوص للطبري تدل على ذلك، وفيما يلي المزيد من نصوص الطبري التي تؤكد ما ذكرنا:

1) يقول الطبري في قوله {والله سميع عليم}:..والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده، الكافر بالطاغوت عند **إقراره بوحدانية الله**، وتبرئته من الأنداد والأوثان التي تعبد

---

1 انظر: ص (445)

2 انظر: ص (484)

من دون الله، {عليم} بما عزم عليه من **توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبُه**، وما انطوى عليه **من البراءة من الآلهة والأصنام** والطواغيت ضميره[1].اهـ **فتأمل قوله**"{عليم} بما عزم عليه من **توحيد الله ربوبيتِه قلبُه**، وما انطوى عليه **من البراءة من الآلهة**.."كيف جعل كلا التوحيدين الربوبية والألوهية مطلوبين شرعا وأن على كليهما الثناء من الله، خلافا لنظرية ابن تيمية بأنّ توحيد الألوهية وحده المأمور به، وهو الذي عليه الثناء دون توحيد الربوبية بحجة أن هذا الأخير يقرّ بها الخلق كافة منذ ولادتهم بل منذ كانوا في عالم الذّر كما سبق.

2) ونحوه قوله في آية {وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا}: يا قوم إن كنتم **أقررتم بوحدانية الله وصدقتم بربوبيته** {فعليه توكلوا}[2].اهـ فتأمل كيف جَعل توحيدَ الربوبية مأمورا به.

3) ويقول أيضا في {ولا يؤمن بالله واليوم الآخر}: معناه: ولا يصدّق بوحدانية الله **وربوبيته**، ولا بأنه مبعوث بعد مماته فمُجازى على عمله..وهذه صفة المنافق[3].اهـ **فتأمل كيف** جعل توحيدَ الربوبية غيرَ متفقٍ عليه بين البشرية إذ ثمة من أنكره كالمنافق مثلا هنا لقوله هنا "ولا يصدق بوحدانية الله **وربوبيّته**"، أو يكون الطبري قَصَد بالربوبية هنا الألوهية، فهو يستخدم الربوبية بمعنى الألوهية كما ترى وهو خلاف ما قامت عليه نظرية تقسيم التوحيد من تباينهما، **وكذا يقال** في النص التالي.

4) وقال في قوله {يحاسبكم به الله}: فيعرف مؤمنكم تفضّله بعفوه عنه، ومغفرته له، فيغفره له، ويعذّب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في **وحدانية خالقه** ونبوّة أنبيائه[4].اهـ **فهنا** أيضا يجعل الطبريُّ المنافقَ شاكّا في وحدانية الله

---

1 جامع البيان ط هجر (4/ 562)

[2] جامع البيان (12/ 250)

3 جامع البيان ط هجر (4/ 659)

[4] جامع البيان ط هجر (5/ 147)

خالقا، تماما كما يَشكّ في أنبياء الله، إذن قضية توحيد الخالقية كقضية النبوّات، كلاهما من الأمور التي تنازع وشكّك فيهما كثير من البشر كسائر القضايا الإيمانية، فليس توحيد الخالقية أمرا متفقا عليه بين البشر عند الطبري كما ترى، وهذا خلاف نظرية تقسيم التوحيد التي تجعل هذه قضية متفقا عليها بين البشرية جمعاء كما سبق بيانه.

5) وقال في قوله {إن ربكم لرءوف رحيم}: إن ربكم أيها الناس ذو رأفة بكم ورحمة، من رحمته بكم، خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم، وخلق السماوات والأرض أدلة لكم **على وحدانية ربكم ومعرفة إلهكم**، لتشكروه على نعمه عليكم، فيزيدكم من فضله[1].اهـ **فتأمل** قوله "أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة إلهكم"فقد بيّن أن الله أقام الأدلة على كلا التوحيدين الربوبية والألوهية، وليس على توحيد الربوبية وحده كما هي نظرية ابن تيمية.

6) ونحوه قوله في آية {وهم عن آياتها معرضون}: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ويعني بآياتها: شمسها , وقمرها , ونجومها {معرضون} يقول: يعرضون عن التفكر فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلالتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها، ولا تصلح إلا له[2].اهـ فتأمل قوله "ودلالتها على وحدانية خالقها"كيف جعل السماوات والأرض دليلا على وجود الله وأنه الخالق وحده وأن هذا يقتضي ألا يعبدوا غيره، وهذا بخلاف نظرية ابن تيمية القائل بأن الله استدل بإقرار المشركين بتوحيد الربوبية لكي يقروا بتوحيد الألوهية.

7) "فإنه خبر من الله جلّ وعزّ، أخبر عبادَه أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد , وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية , وتوحّده

---

[1] جامع البيان ط هجر (14/ 172)

[2] جامع البيان (16/ 263)

بالألوهية , وأن كل ما دونه فملكه"[1].اهـ فتأمل قوله "لانفراده بالربوبية , وتوحده بالألوهية''إذن فالله أخبر عباده بأنه منفرد بالربوبية وأنه منفرد بالألوهية، وليس كما يزعم ابن تيمية في نظريته أن الله ورسله لم يخبروا قط بأن الله واحد في ربوبيته، بحجة أن هذا مفطور عليه الخلائق كافة، وإنما أخبروا بأنه واحد في ألوهيته، واستدلوا على وحدانيته في الألوهية بوحدانيته في الربوبية لأن "**توحيد الربوبية مستلزم توحيد الإلهية**، فإذا عرفت أن الله ربك ورب كل شيء، وأنه هو الذي بيده الخير والشر، **وجب عليك أن تعبده وحده**"[2]، ولذا فإن القرآن "يستدل لإثبات توحيد الألوهية بإثبات توحيد الربوبية فالربوبية باب لتوحيد الألوهية"3.

ولكن لو كان الطبري يقول بذلك لكان المفروض أن يقول هنا: "وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية''فقط دون قوله "وتوحّده بالألوهية"، وذلك لأن توحيد الألوهية هو نفسه توحيد العبادة، فكيف يقول الطبري ما حاصله: أنه يجب له توحيد العبادة لانفراده بالعبادة؟! فهذا باطل لأنه تعليل للشيء بنفسه!! فلما قال: "وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية، وتوحده بالألوهية''علمنا أنه لا يقصد ولا يريد هذا الذي يريده ابن تيمية من كلمتي الربوبية والألوهية كما هو واضح.

فظهر أن استخدام الطبري لكلمات الربوبية والألوهية ونحوهما لا يعني أنه قائل بتقسيم التوحيد إليهما لأنه يستخدمها بمعنى آخر، ولو فرضنا أنه يقسّم التوحيد إليهما ويستخدمهما بالمعنى نفسه الذي يستخدمه ابن تيمية فالطبري لا يوافق على مقدمات هذا التقسيم بل هو قائل بعكسها كما رأينا!! **ومما يؤكد ذلك أننا نجد الطبريَّ** يذكر "الوحدانية''أو "التوحيد''مطلقا ثم يعطف عليهما الألوهية أو الألوهة أو تفرّده بها أو يعطف عليهما التوحيد

---

1 جامع البيان ط هجر (5/ 170)

2 شرح فتح المجيد للغنيمان (79/ 17، ت.ش)

3 نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف 2/ 88

في العبادة ونحو ذلك، وأحيانا يعطف الربوبية على الوحدانية، وهذا يعني ببساطة أنه لا يقسّم التوحيدَ إلى ألوهية وربوبية وإلا لما عطفهما على التوحيد والوحدانية؛ لأن القسم لا يُعطف على المنقسم منه، فأنت لا تقول مثلا: الكلمة والحرف والاسم، ولا تقول: الكلمة والفعل والاسم، وذلك لأن الفعل والاسم والحرف هي من أقسام الكلمة، وفيما يلي بعض نصوصه في ذلك:

أما عطفه الألوهية ونحوها على التوحيد أو الوحدانية فنورد له هذه النصوص التالية:

1. وفي قوله: {فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن}: وهو **مقرّ بوحدانية الله،** مصدّق بوعده ووعيده، **متبرّئ من الأنداد والآلهة**[1].
2. {لعلهم يتذكرون} يقول: ليتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بربهم، فيُنيبوا إلى الإقرار لله بالوحدانية وإفراده بالعبادة دون كل ما سواه من الآلهة[2].اهـ
3. قال الذين أنكروا وحدانية الله وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه؟[3]
4. وأما الذين جحدوا وحدانية الله، وأبوا إفراده في الدنيا بالألوهة، فيقال لهم: ألم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم[4].اهـ
5. أن الله تعالى ذكره نبه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفرّده بالألوهية دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية[5].

---

[1] جامع البيان (16/ 394)

[2] جامع البيان (18/ 263)

3 جامع البيان (19/ 450)

4 جامع البيان (21/ 106)

5 جامع البيان ط هجر (3/ 8)

6. وقوله: {وتؤمنون بالله} يعني: تصدّقون بالله، فتخلصون له التوحيد والعبادة[1].
7. فالواجب أن يكون كل كتابيّ معنيّا به، لأن إفراد العبادة لله وحده، وإخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منهيّ من خلق الله[2].
8. وأما الذين ابيضّت وجوههم ممّن ثبت على عهد الله وميثاقه، فلم يبدّل دينه، ولم ينقلب على عقبيه بعد الإقرار بالتوحيد، والشهادة لربه بالألوهة، وأنه لا إله غيره {ففي رحمة الله}[3].
9. فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم: اشهدوا علينا بأنا بما توليتم عنه من توحيد الله وإخلاص العبودية له، وأنه الإله الذي لا شريك له مسلمون[4].
10. إن الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته وأن عيسى عبد له واتخذوا المسيح إلها وربا[5].
11. والواجب على جميعهم طاعته، والانقياد لأمره وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة وهجر الأوثان والأصنام، لأن جميع ذلك خلقه وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهية، ولا تنبغي الألوهية إلا له[6].
12. {وله أسلم من في السموات والأرض} يقول: وله خشع من في السموات والأرض، فخضع له بالعبودية وأقر له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية[1].

---

1 جامع البيان ط هجر (5/ 677)

2 جامع البيان ط هجر (5/ 476)

3 جامع البيان ط هجر (5/ 667)

4 جامع البيان ط هجر (5/ 480)

5 جامع البيان ط هجر (5/ 184)

6 جامع البيان ط هجر (2/ 746)

وأما عطفه الربوبية ونحوها على التوحيد أو الوحدانية فسبق أن أوردنا بعض نصوصه في ذلك؛ كقوله "أقررتم بوحدانية الله وصدقتم بربوبيته"[2]، وقوله أيضا "ولا يصدق بوحدانية الله وربوبيته"[3]، وقوله "وأما الذين لم يستجيبوا له حين دعاهم إلى توحيده والإقرار بربوبيته"[4] وقوله "لو دعوتهم إلى توحيدي والإقرار بربوبيتي.."[5].

نعم قد نجد الطبري يعطف الربوبية على الألوهية، والإله على الرب، ولكن ليس بالضرورة أن عطفه هنا يقتضي المغايرة، ولا أنه يستخدم ذلك لبيان الفرق بين الربوبية والألوهية، وبين الربّ والإله على النحو الذي تقضيه نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، بدليل أن الطبري ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام آلهة وأربابا، كما ذكرنا نصوصا كثيرة عنه في ذلك[6] خلافا للنظرية بأنهم اتخذوها آلهة لا أربابا، وبدليل أنه يَذكر أنّ كلّا من التوحيد في الربوبية والألوهية مبيَّن من الله ورسله كما سبقت نصوصه، وكما في قوله: وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ربوبيته نِدّ أو مثل أو أن تجوز الألوهة لغيره[7].اهـ وليس كما تقول نظرية تقسيم التوحيد بأن التوحيد المبيَّن هو توحيد الألوهية وحده، بحجة أن توحيد الربوبية لا حاجة لبيانه لأن الفطرة تقضيه وأنه لم يحدث فيه خلاف بين البشر.

وأيضا يذكر الطبري أن المشركين يعلمون أنه لا رب ولا إله سواه، فهو يقول: وقل يا مُحَمَّد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، والأميّين الذين لا كتاب لهم من مشركي

---

1 جامع البيان ط هجر (5/ 549)

2 جامع البيان (12/ 250)

3 جامع البيان ط هجر (4/ 659)

4 جامع البيان ط هجر (13/ 505)

5 جامع البيان ط هجر (9/ 160)

6 انظر: ص (529)

7 جامع البيان ط هجر (5/ 187)

العرب: أأسلمتم؟ يقول: قل لهم: هل أفردتم التوحيد، وأخلصتم العبادة والألوهة لرب العالمين دون سائر الأنداد والأشراك التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم، وإقراركم بربوبيتهم، وأنتم **تعلمون أنه لا رب غيره، ولا إله سواه.**[1] وهذا خلاف نظرية تقسيم التوحيد أنهم يعلمون أنه لا رب إلا الله، ولا يعلمون لا إله سواه.

وأحيانا يستخدم الطبري الألوهية ومشتقاتها بمعنى الربوبية وصفاتها، وسترِد نصوصه في ذلك[2]، وكثيرا ما يستخدم الألوهية بمعنى العبادة ومن ذلك ما يلي:

1) الألوهية هي العبادة، وأنّ الإله هو المعبود "[3].
2) لأن الألوهية ليست لغيره جل ثناؤه..وذلك أنّا قد بيّنا أن معنى الله هو المعبود، ولا معبود غيره ﷻ[4].
3) قد بيّنا فيما مضى معنى الألوهية وأنها اعتباد الخلق. فمعنى قوله: {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة معبود واحد ورب واحد، فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه سواه فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه هو خلق من خلق إلهكم مثلكم[5].
4) ولا يستوجب على العباد العبادة سواه..وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهية، ولا تنبغي الألوهية إلا له[6].

---

[1] جامع البيان ط هجر (5/ 286)

2 انظر: تنوير الرب الإله ص (105)

3 جامع البيان ت شاكر (1/ 123)

4 جامع البيان ط هجر (1/ 133)

5 جامع البيان ط هجر (2/ 745)

6 جامع البيان ط هجر (2/ 746)

5) أن الله تعالى ذكره نبّه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفرده بالألوهية دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية[1].

6) فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة[2].

النص الثالث: واحتج السلفية[3] لفكرة أن الطبري يقسم التوحيد إلى ربوبية وألوهية **بقول الطبري: وما يُقر أكثر هؤلاء بالله..أنَّه خالقه ورازقه وخالق كل شيء *إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام*** واتخاذهم من دونه أرباباً وزعمهم أنَّ له ولداً.."[4].

والجواب: أين هنا أن المشركين قالوا بأن الله **وحده** الخالق الرازق؟! أين نسب الطبري التوحيد في الربوبية هنا إلى المشركين كما تفعلون وقد سبقت نصوصكم في ذلك[5]؟! ومنها قول ابن عبد الوهاب "فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله **هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو**.."[(6)].اهـ فأين قال الطبري هذا أو نحوه؟!

النص الرابع: واحتج دمشقية بقول الطبري في آية يوسف {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ}: "وإيمانهم بالله هو قولهم: الله خالقنا ورازقنا ومميتنا ومحيينا، وإشراكهم هو جعلهم لله شريكا في عبادته ودعائه، فلا يخلصون له في الطلب منه وحده[7].اهـ

---

1 جامع البيان ط هجر (3/ 8)

2 جامع البيان ط هجر (5/ 177)

3 السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 59)

4 جامع البيان ط هجر (13/ 372)

5 انظر: ولئن سألتهم ص (245)

(6) كشف الشبهات للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ص14، وانظر أيضا معنى لا إله إلا الله، مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 2، ت.ش)، وشرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص: 30).

7 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)، و(ص: 146)

والجواب: إن الذي احتجّ به دمشقية وساقه في موضعين من كتابه: لا وجود له في تفسير الطبري لا في سورة يوسف ولا في كل تفسيره للقرآن، وإنما الذي قاله الطبري في تفسيره يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء..بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء (إلا وهم مشركون)، في عبادتهم الأوثان والأصنام، **واتخاذهم من دونه أربابًا، وزعمهم أنَّ له ولدًا**، تعالى الله عما يقولون[1].اهـ **وهذا النص موجود** في ثلاث طبعات من تفسير الطبري، اثنتان منا حقّقها السلفية وهي طبعة شاكر وطبعة التركي[2].

الفرق واضح بين النص الذي نقله دمشقية عن الطبري وبين النص الذي قاله الطبري فعلا في تفسيره، فسبب شركهم الوحيد هو "جعلهم لله شريكا في عبادته ودعائه"بحسب النص الذي نقله دمشقية، وأما بحسب ما قاله الطبري فعلا فإن سبب شركهم وكفرهم ثلاثة أمور وهي "**عبادتهم الأوثان** والأصنام، **واتخاذهم من دونه أربابًا، وزعمهم أنَّ له ولدًا**"، فهم عنده مشركون في الربوبية كما هم مشركون في الألوهية، فضلا عن نسبتهم الولد إليه تعالى، وهذا عكس نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد القائمة على أن المشركين موحدون في الربوبية، وعلى أن سبب كفرهم الوحيد هو شركهم في العبادة، كلا الأمرين ينص الطبري هنا على خلافهما كما ترى فهو يرى أن المشركين قد اتخذوا الأصنام أربابا وآلهة كما نصّ على ذلك مرارا كما سبق، وبالتالي فهم مشركون في الربوبية مثلما أنهم مشركون في الألوهية، ويرى الطبري أيضا أن سبب شركهم وكفرهم ليس فقط شركهم في العبادة، بل شركهم أيضا في الربوبية ونسبتهم الولد إليه تعالى. وسيأتي بسط هذا الأمر وهو

---

[1] جامع البيان ط هجر، ت عبد الله التركي (13/ 372).

2 جامع البيان ت شاكر (16/ 286)، مؤسسة الرسالة، ط1/ 2000م، جامع البيان، بتحقيق حميد العطار، وتقديم الشيخ خليل الميس، دار الفكر(7/ 112).

سبب شركهم[1]. وهكذا فنصّ الطبري الحقيقي الذي استدل به دمشقية هو ضده ولعله لذلك حرّفه إلى ما سبق!

النص الخامس: واحتج السلفية2 بقول الطبري عند قوله تعالى: {ذلكم الله ربكم} [الأنعام: 102]: "فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، **وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره**"3.

قلنا: فإذن الله يوضح لنا أنه لا تنبغي الألوهة ولا الربوبية إلا له تعالى، وهذا عكس نظرية ابن تيمية من أن توحيد الربوبية أمر مسلّم ومبتوت به من قبل الجميع! وأنه لذلك لم تأت به الرسل ولا نزلت به الكتب! فها هو الطبري يذهب إلى عكس ذلك ـ كما ترى ـ ويرى أن كلا الأمرين ـ أي الربوبية والألوهية ـ جاء بهما الرسل ونزلت بهما الكتب، وبيّنهما الله في القرآن، ولذا قال الطبري هنا في تفسير الآية (الله الذي **لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره)** فنصّ على الألوهية والربوبية! فقول الطبري ضدكم وليس معكم!!

المرصد الثاني: (المقدمات الكثيرة لنظرية تقسيم التوحيد التي يخالفها الطبري)

إن نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية لا تتضمن مقدمة واحدة وهي أن المشركين موحدون في الربوبية مشركون في الألوهية، بل هي مبنية على مقدمات كثيرة سبق ذكرها، وليس في نصوص الطبري الخمسة السابقة التي استدلوا بها: ذِكر لها، بل إن الطبري ينص على خلاف كثير منها ولاسيما هذه المقدمة وهي أن المشركين موحّدون في الربوبية، وسوف نسرد هذه المقدمات لنظرية تقسيم التوحيد مع بيان كيف يخالف الطبريُّ هذه المقدمات.

---

[1] انظر: تنوير الرب الإله ص (487)

2 ابن جرير ودفاعه عن عقيدة السلف، للعوايشة ص322

3 ابن جرير ودفاعه عن عقيدة السلف، للعوايشة ص322

المقدمة الأولى: أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية مشركين في الألوهية، وأنهم يتخذون الأصنام آلهة ولا يتخذونها أربابا، والطبري يخالف ذلك فقد نصّ في مواضع كثيرة جدا أن المشركين اتخذوا الأصنام أربابا وآلهة معا، بل ذَكر أن مِن المشركين وغيرهم من أنكر ربوبيته تعالى أصلا، وإليك بعض هذا المواضع:

1) قال **الطبري**: {فلما نجّاهم إلى البر} يقول: فلما خلّصهم مما كانوا فيه وسلّمهم، فصاروا إلى البر إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا[1].

2) قال **الطبري** عند قوله {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ **وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**} [الأعراف: 53]: وأسلمهم لعذاب الله، وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، **ويزعمون كذبا وافتراء أنهم أربابهم من دون الله**[2].اهـ

3) وقال: هؤلاء الذين **يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا** {يبتغون إلى ربهم الوسيلة} يقول: **يبتغي المدعون أربابا** إلى ربهم القربة والزلفة، لأنهم أهل إيمان به[3].

4) وقال **الطبري**: وعاد للشرك **ودعوى الآلهة والأوثان *أربابا معه***[4].**اهـ**

5) وقال: **والآلهة التي يدعونها المشركون أربابا وآلهة**[5].**اهـ**

6) وقال: {أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون} أنهم لكم آلهة من دون الله افتراء وكذبا، **وتدعونهم من دونه أربابا**، فأتوا بهم إن كنتم صادقين[1].

---

[1] جامع البيان ط هجر (18/ 440)

2 جامع البيان ط هجر (10/ 244)

3 جامع البيان ط هجر (14/ 627)

4 جامع البيان (12/ 133)

5 جامع البيان (13/ 486)

7) وقال: {قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم}..إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصا له الطاعة، ومفرده بالربوبية[2].

8) وقال الطبري عند قوله تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: 31]: {فقل أفلا تتقون} يقول: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربّا غيرَ مَن هذه الصفة صفته، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئا ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا[3].اهـ فتأمل قوله "***وادعائكم ربا غيرَ مَن هذه الصفة صفته***"فهو صريح في أنهم يعدّدون الأرباب.

9) **وقال الطبري**: (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ) يقول تعالى ذكره **مخبرًا عن هؤلاء المشركين** أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، **إنكارًا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم**[4].اهـ **فتأمل هذه الجملة** الأخيرة كيف يقرر الطبري أن المشركين ينكرون الرب أصلا، أو على الأقل ينكرون أن يكون الله مميتهم، وهم أصلا ينكرون أن يحييهم للبعث، وهذا يتعارض مع نظرية تقسيم التوحيد التي تقرر أن المشركين يؤمنون بالله المحيي المميت.

10) **قال في قوله** {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ **عِجْلًا** جَسَدًا..اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} [الأعراف: 148]: "اتخذوه"، أي: **اتخذوا العجل إلهًا وكانوا باتخاذهم إياه ربًّا معبودًا** ظالمين لأنفسهم، لعبادتهم غير من له العبادة، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة[5].

---

[1] جامع البيان (9/ 189)

2 جامع البيان (20/ 180)

3 جامع البيان (12/ 176)

4 جامع البيان (21/ 96)

5 جامع البيان ط هجر (10/ 447)

11) وقال أيضا:..مقيما على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو إنسيّ أو ملك أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته وإلاهتها، **ومتخذه دون مالكه وخالقه إلها وربا** أنه مقيم على ضلالة، ومنعزل عن المحجة[1].

12) قال الطبري في قوله تعالى {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [الصافات: 123 – 125]: أي: ألا تتقون الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته **على عبادتكم ربا غير الله وإلها سواه**[2].

13) قال الطبري في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 36]: يقول عز ذكره: **إن الذين جحدوا ربوبية ربهم** وعبدوا غيره من بني إسرائيل الذين عبدوا العجل **ومن غيرهم الذين عبدوا الأوثان والأصنام** , وهلكوا على ذلك قبل التوبة. لو أن لهم ملك ما في الأرض كلها وضعفه معه ليفتدوا به من عقاب الله إياهم على تركهم أمره وعبادتهم غيره يوم القيامة[3].اهـ وقوله "**إن الذين جحدوا ربوبية ربهم..الذين عبدوا الأوثان** "صريح في أن ثمة من أنكر ربوبية الله حتى من المشركين.

14) وقال الطبري عن إبليس بأنه "استكبر عن السجود له تعظما وتكبرا {وكان من الكافرين} يقول: وكان بتعظمه ذلك، وتكبره على ربه ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، **فجحد ربوبيته**، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة"[4].

---

1 جامع البيان ط هجر (5/ 170)

2 جامع البيان ط هجر (19/ 612)

3 جامع البيان ط هجر (8/ 405)

4 جامع البيان (20/ 144)

15) وقال عند قوله تعالى: {قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم **فيهما من شرك** وما له منهم من ظهير}..: ادعوا أيها القوم الذين **زعمتم أنهم لله شريك من دونه**، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا، بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون، **لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز**[1].

16) وقال:..صنم أو شمس أو قمر أو إنسي أو ملك أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته وإلاهته , ومتخذته دون مالكه وخالقه إلها **وربّا**[2].

المقدمة الثانية: أن المشركين ما كانوا يعتقدون في أصنامهم الضر والنفع الذاتي، وهذا ما نص الطبري على خلافه، وإليك كلامه بحروفه في ذلك:

1) قال الطبري عند قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأعراف: 194]: **فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم**، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم، **فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، *فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر*؛** لأن الضر والنفع إنما يكونان **ممن إذا سئل سمع مسألة سائل وأعطى وأفضل**، ومن إذا شُكي إليه من شيء سمع فضرّ من استحق العقوبة ونفع من لا يستوجب الضر[3].اهـ

---

[1] جامع البيان ط هجر (19/ 272)

2 جامع البيان ط هجر (5/ 171)

3 جامع البيان (10/ 635)

2) قال الطبري في تفسير قوله تعالى {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود: 54]: وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمّها والنهي عن عبادتها **أنه أصابك منها خبل من جنون**[1].اهـ

3) **قال الطبري** في حديث الفاروق''إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ": إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتّباع لفعل رسول الله ﷺ **لا لأن الحجر ينفع ويضرّ بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان**[2].اهـ

المقدمة الثالثة: أن توحيد الربوبية لم يأت به الرسل ولم يَدعُ الناسَ إليه ولم يقيموا الأدلة عليه[3]، بحجة أنه أمر مسلّم فطري ضروري عند الأمم كافة، وهذا ما نصَّ على خلافه الطبري:

1) **قال الطبري:** {اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم}، لتتقوه بطاعته وتوحيده **وإفراده بالربوبية والعبادة**[4].اهـ

2) **قال الطبري** عند قوله {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا..} [النساء: 36]: **وذلوا لله بالطاعة , واخضعوا له بها , وأفرِدوه بالربوبية** , وأخلصوا له الخضوع والذلة , بالانتهاء إلى أمره , والانزجار عن نهيه , **ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا تعظمونه تعظيمكم إياه**[5].اهـ فتأمل قوله ''**وأَفرِدوه بالربوبية** ''كيف صرح بأن الله

---

1 جامع البيان (12/ 446)

[2] فتح الباري (3/ 462)

[3] انظر: ص (67، و188) من هذا الكتاب.

[4] جامع البيان (1/ 387)

[5] جامع البيان (7/ 5)

أمرهم بتوحيد الربوبية ونهاهم عن الشرك في الربوبية وفي العبادة على حد سواء فقال "**ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا**".

3) **قال الطبري**: وهو الذي خلق ـ أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء ـ السمواتِ والأرضَ بالحق، حجة على خلقه، **ليعرفوا بها صانعها وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه**، فيخلصوا له العبادة. {ويوم يقول كن فيكون}[1].اهـ فقوله "**ليعرفوا بها صانعها وليستدلوا بها على عظيم قدرته** "صريح في أن الله نصب الأدلة في القرآن على وجوده وعلى أنه الصانع، هذا عكس نظرية ابن تيمية، والعجيب أن أحد السلفية[2] ساق هذا النص دليلا على نظرية ابن تيمية!!

4) **قال الطبري**: وقوله: {والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به} [الرعد: 18] يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا له **حين دعاهم إلى توحيده والإقرار بربوبيته**، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم[3].اهـ

5) **وقال الطبري**: قوله تعالى: {وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون} [الأنعام: 8] يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المكذبون بآياتي العادلون بي الأنداد والآلهة يا مُحَمَّد لك ـ لو دعوتهم إلى توحيدي والإقرار بربوبيتي..هلا نُزّل عليك ملك من السماء في صورته يصدقك على ما جئتنا به[4].اهـ فدلّ هذا النص والذي قبله على أن الله ـ وكذا رسوله ـ دعا الناسَ ولاسيما المشركين منهم إلى الإقرار

---

[1] جامع البيان (9/ 338)

2 ابن جرير ودفاعه عن عقيدة السلف، لأحمد العوايشة ص322.

3 جامع البيان ط هجر (13/ 505)

4 جامع البيان ط هجر (9/ 160)

بربوبيته، وهذا عكس نظرية ابن تيمية القائلة أن توحيد الربوبية لم يبعث الله رسله للدعوة إليه وإنما جاؤوا للدعوة إلى توحيد الألوهية.

المقدمة الرابعة: أنه لا ثواب على توحيد الربوبية، ولا ثناء على الموحد في الربوبية، وهذا ما خالفه الطبري:

1) **فقد قال الطبري في** تفسيره:... ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه، وإخلاصنا العبادة له، ***وإفرادناه[1] بالربوبية دون ما سواه***.
2) **وقال الطبري** عند آية {الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون}: **وبشّر** يا مُحَمَّد الصابرين، الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني، فيُقِرّون بعبوديتي، **ويوحّدونني بالربوبية**..[2].اهـ
3) وقال قوله: {وأعتزلكم وما تدعون من دون الله} [مريم: 48] يقول: وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام {وأدعو ربي} يقول: وأدعو ربي، بإخلاص العبادة له، **وإفراده بالربوبية**[3].اهـ فقوله "**وإفراده بالربوبية** "يبين فيه الطبريُ أن الله مدح إبراهيمَ الخليل بكونه أفرد الربوبية لله.

المقدمة الخامسة: أن المشركين كانت أصنامهم صورا ورموزا للأنبياء والصالحين، ولكن الطبري يخالف ذلك ويرى أن المشركين كانوا يعتقدون أن أصنامهم بنات الله، وقد سبق نصه "سمَّى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره وتقدَّست أسماؤه، فقالوا من (الله): اللات، ومن

---

1 كذا في طبعتي التراث 267/12 وهجر 29/10 من تفسير الطبري، والمراد به : وإفرادنا إياه بالربوبية.

[2] جامع البيان (2/ 706)

[3] جامع البيان (15/ 556)

(العزيز): العُزَّى، **وزعموا أنَّهن بنات الله**.."[1]. كما ينصّ الطبري مرارا على أن أصنام المشركين هي مجرد حجارة جماد، وهذه بعض نصوصه:

1) **قال الطبري:** إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، **لأنها جماد لا تفهم عنكم** ما تقولون[2].
2) **وقال:** "**ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها** ولا معذرة تعتذرون بها، لأن العبادة إنما هي لمن ضر ونفع..**فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس فإنه لا نفع فيه ولا ضر**.."[3]
3) **وقال:** ‘‘وقيل: من لا يستجيب له، **فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم**، ومن له الاختيار والتمييز، إذ كانت قد مثّلتها عبدتها بالملوك والأمراء.."[4]
4) وقال الطبري: {أرأيت} يا مُحَمَّد {من اتخذ إلهه} شهوته التي يهواها؛ **وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به، وأخذ الآخر يعبده، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه**..[5].اهـ

المقدمة السادسة: أن توحيد الربوبية "لم ينكره أحد من بني آدم"[6]، وهذا ما نص الطبري على خلافه بل ذكر أن ثمة من أنكر أن تكون السموات والأرض وما بينهما مخلوقة، فهو مثلا يقول: فإن قال قائل: وكيف احتج على أهل الكفر بقوله: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار} الآية في توحيد الله، وقد علمت أن أصنافا من أصناف

---

1 جامع البيان ط هجر (22/ 46)

2جامع البيان ط هجر (19/ 350)

3جامع البيان ط هجر (10/ 281)

4جامع البيان ط هجر (21/ 117)

[5] جامع البيان ط هجر (17/ 459)

6 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر في هذه الآية مخلوقة؟ قيل: إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميع ما ذكر تعالى ذكره في هذه الآية دليلا على خالقه وصانعه، وأن له مدبرا لا يشبهه شيء، وبارئا لا مثل له. وذلك وإن كان كذلك، فإن الله إنما حاج بذلك قوما كانوا مقرّين بأن الله خالقهم غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام..إلى أن يقول: فهذا هو معنى الآية والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها هم القوم الذين وصفت صفتهم دون المعطلة، والدهرية[1].

المطلب الخامس: ما عدد أقسام التوحيد عند السلف وما اسم كل قسم وما العلاقة بينها

ما دمتم زعمتم أن السلف قسموا التوحيد إلى ربوبية وألوهية **فنسألكم: كم قسما قسّم السلف** التوحيد؟ إلى اثنين؟ أو إلى ثلاثة كما هو المشهور عندكم؟ أو يُضمّ إليها توحيد الحاكمية فتصبح أربعة؟ أو مع زيادة توحيد الاتباع فتصبح خمسة؟ أو إلى أكثر من ذلك كما سبق بيانه وبسطوه في كتبهم2.

ثم ما اسم كل قسم عند السلف؟ فتوحيد الربوبية ماذا سمَّوه؟ هل سمّوه هكذا؟ أو سموه توحيد الخالقية؟ أو توحيد المالكية؟ أو توحيد الرازقية؟ أو سمّوه غير ذلك؟..**وتوحيد الألوهية هل** سمّوه هكذا؟ أو سمّوه بأسماء أخرى؛ كتوحيد الإلهية، أو بتوحيد العبادة، أو بتوحيد الإرادة، أو بتوحيد القصد أو بتوحيد العمل؟ فهذا كله أنتم مختلفون فيه كما سبق3.

ثم كيف قسّم السلفُ التوحيد؟ أبشكل ثنائي أم بشكل ثلاثي؟ فإذا كان ثنائيا فهل قسموه إلى توحيد قولي وتوحيد عملي كما قسمه ابن تيمية في الصفدية وغيرها؟ أو **قسّموه** إلى توحيد العلم والاعتقاد، وتوحيد القصد والإرادة له. كما فعل ابن القيم وغيره من

---

1 جامع البيان ط هجر (3/ 14)

2 انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص 88

3 انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (1/ 243)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 976)، معارج القبول (2/ 395)

أتباع ابن تيمية؟ أو قسموه إلى: التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الإرادي الطلبي.."؟ أو إلى: "توحيد السيادة وتوحيد العبادة"؟ وقد سبق بيان كل ذلك[1].

وإذا كان التقسيم ثلاثيا فما هي الثلاثة؟ هل هي: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات كما هو المشهور؟ أو هي: توحيد الرُّبوبية وتوحيد الإلهية والتوحيد العلمي الاعتقادي؟كما قال بعض تلامذة ابن تيمية مثل جمال الدين السرمري وابن القيم2.

ثم كيف سوغوا اختلافهم في التقسيم؟ هل لأن "من جعله ثنائياً فقد أجمل ومن جعله ثلاثياً فقد فصل"؟ أو أن من نظر إلى "ما يتعلق بالله يقسمه إلى ثلاثة أقسام، أما من جهة ما يتعلق بالعبد فيقسمه قسمين"؟ أو "أن من قسم التوحيد إلى نوعين فإنه أدخل توحيد الأسماء والصفات في توحيد الربوبية، ومن جعله ثلاثة أقسام فإنه قد أفرد توحيد الأسماء والصفات بقسم خاص، وذلك لوقوع النزاع فيه"3؟

ثم ما هي العلاقة بين تلك الأقسام عند السلف هل هي علاقة تغاير أو تضمّن أو تلازم أو ترادف؟ وهل الناس جميعهم مفطورون على توحيد الربوبية فقط أو مفطورون عليه وعلى توحيد الألوهية؟ وهل قال السلف كان المشركون مقرين بتوحيد الربوبية؟ وإذا قالوا ذلك فهل قالوا: إن إقرار المشركين في توحيد الربوبية كان كاملا أو كان ناقصا؟!

فكل ما سبق أنتم مختلفون فيه فقولوا لنا ما رأي السلف في كل ذلك ما دمتم تزعمون أن السلف كانوا يعرفون تقسيمَ التوحيد إلى ما قسّمه إليه ابن تيمية وتتابعوا عليه.

المطلب السادس: لماذا ابتدعتم هذا التقسيم للتوحيد مع تحذيركم من البدع؟

وأما إذا اعترفتم بأن هذا التقسيم للتوحيد وهذه الاصطلاحات والاختلافات ليست في الكتاب ولا في السنة ولا في عهد السلف؛ فلماذا ابتدعتموها في الوقت الذي تحذّرون فيه

---

1 انظر: مجموع الفتاوى (15/ 164)، اقتضاء الصراط المستقيم، ط7/ (2/ 394)، الصفدية (2/ 228)

2 انظر: زاد المعاد (4/ 200)، منهج الإمام جمال الدين السرمري في تقرير العقيدة (ص: 123)

3 انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، للرحيلي 83/1

من الابتداع وترمون الناسَ به، وتوجبون الالتزام بما كان عليه السلف ولاسيما صحابة رسول الله فإنهم "إذا قالوا قولًا أو بعضهم ثم خالفهم مخالف من غيرهم كان مبتديًا لذلك القول ومبتدعًا له وقد قال النبي ﷺ : عليكم بسُنّتي وسنة الخلفاء الراشدين..وإياكم ومحدثات الأمور..وقول من جاء بعدهم يخالفهم من محدثات الأمور فلا يجوز اتّباعهم"[1]، وملأتم الكتبَ والمجالس بآثار في ذلك، نورد بعضها من كتبكم:

1) قال عبد الله بن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[2].
2) وقال أيضًا: إنَّا نقتدي ولا نبتدي، ونتَّبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر[3].
3) وقوله: فالسّمتَ الأول، فالسمتَ الأول، فإنا اليوم على السُّنة[4].
4) وقوله: اتبع ولا تبتدع، فإنك لن تضلّ ما أخذت بالأثر[5].
5) وقال ابن عباس كان يقال: عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والتبدع[6].
6) وقول شُرَيح: إنما أُقتفي الأثر، فما وجدتُ قد سبقنا إليه غيركم حدثتكم به[7].

---

[1] إعلام الموقعين، ت مشهور (6/ 24)

2 إعلام الموقعين (6/ 24)، موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 219)

3 إعلام الموقعين (6/ 24)، موسوعة أهل السنة، دمشقية (ص: 219)

[4] إعلام الموقعين (6/ 25)

[5] إعلام الموقعين (6/ 25)

6إعلام الموقعين (6/ 27)

[7] إعلام الموقعين (6/ 27)

7) وقال عمر بن عبد العزيز: "إنه لم يبتدع الناس بدعة إلا وقد مضى فيها ما هو دليل وعبرة فيها، والسنة إنما سنَّها مَنْ علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحُمق والتَّعمُّق، فارْضَ لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم[1].

8) وقال عمر بن عبد العزيز أيضا: "قف حيث وقف القوم، وقل كما قالوا، واسكت عمّا سكتوا، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر ناقد كَفُّوا..فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فلقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: حَدَثَ بَعْدهم فما أحدثه إلا من سلك غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، وإنهم لهُم السابقون، ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي[2].

9) وقال ابن سيرين: (كانوا يقولون: إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق"[3].

10) وقال أبو العالية: عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا[4].

11) قال الأوزاعي: اصبر نفسك على السُّنّة، **وقِف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكفَّ عما كفّوا**، واسلك سبيلَ سلفك الصالح **فإنه يسعك ما يسعهم**[5].

---

[1] إعلام الموقعين (6/ 27)

[2] إعلام الموقعين (6/ 28)، وإرشاد العباد إلى معاني لمعة الاعتقاد (ص: 29)، عبد الرحمن البراك، دار التدمرية، ط1/ 2012م.

3قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور (ص: 5)، لابن تيمية، ت عبد الرزاق البدر، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، المملكة العربية السعودية ط2/ 1417هـ، وقال المحقق: رواه ابن بطة في الإبانة (357/1) .

[4] اتباع لا ابتداع – قواعد وأسس في السنة والبدعة (ص: 18)، حسام عفانة، بيت المقدس، ط/2004م.

5 ذم الكلام وأهله (5/ 117)، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص: 383)، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص: 316)، إرشاد العباد إلى معاني لمعة الاعتقاد (ص: 29)، اتباع لا ابتداع لعفانة ص19.

12) وقال مالك: من ابتدع في الإسلام **بدعة يراها حسنة** فقد زعم أن مُحَمَّدا ﷺ خان الرسالة1.

فهذه بعض تلك **الآثار التي تنهى عن البدع**، وتوجب الالتزام بما عليه الصحابة، وتنفّر من مخالفتهم والابتداع من بعدهم، **فأين تطبيقها؟ لماذا لم تلتزموا بها** مع أنكم ترددونها صباح مساء، **حتى صدعتم رؤوس الناس بها من كثرة ترادها؟! فهل قسّم الصحابة التوحيد إلى ثلاثة أقسام في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؟** وهل يعرفون هذه التسميات أصلا؟

وليتكم اكتفيتم بابتداع هذا التقسيم! وإنما أوجبتم على العالمين الالتزام به وضللتم من لم يلتزم به فقلتم "بل الصواب **والحق في هذا التقسيم والتفريق، والزيغ والضلال في الإعراض عنه**"[2]، فآل الأمر من أن "كل بدعة ضلالة"و"اتبع ولا تبتدع، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر"، فآل أمركم من هذا **إلى أن الضلالة في عدم اتباع بدعتكم في تقسيم التوحيد!!** فليس من لم يتبع الأثر هو الضالّ، بل العكس عندكم هو الصحيح!! أي من لم يأخذ بتقسيم التوحيد ومصطلحاته التي اخترعتموها يكون ضالا عندكم!! وهذا من أعجب العجب ممن يدعي اتباع السنة والنهي عن البدع قاطبة!

(اضطراب السلفية في استخدام الألفاظ والمصطلحات المبتدعة)

لا يقال: إنما تلك الآثار في حظر ابتداع العبادات ونحوها لا في مجرد اختراع تسميات ومصطلحات، فهذا لا شيء ما دامت المعاني صحيحة وموجودة في الكتاب والسنة؛ لأننا نقول: **أولا**: جعلتم هذا التقسيم للتوحيد حقيقة شرعية وليس مجرد اصطلاح كما سبق[3]، **ثانيا**: تقولون بعموم حديث "وكل بدعة ضلالة"، فيدخل في هذا حتى

---

1 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 219)

2 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

3 انظر: ص (461)

الاصطلاحات والتسميات المبتدعة في الدين، وبذا لم تلتزموا بألفاظ الكتاب والسنة؛ وكأنّ مصطلحاتكم المبتدعة هي أفضل من ألفاظ الكتاب والسنة التي عُبّر بها عن تلك المعاني التي احتواها تقسيمكم!

ألم تشدّدوا على استخدام الألفاظ الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة، وأنكرتم على المتكلمين والصوفية استخدام مصطلحات جعلتموها بدعية كما سبق1، وقلتم بأن "**التزام الألفاظ الشرعية**..هو منهج السلف، **وهو المذهب الحق**"2. وأن "الطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن **تعرف ألفاظه الصحيحة**..وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات"3، **فهلا التزمتم أنتم أولا بألفاظ الكتاب والسنة قبل أن تُلزموا بها غيركم**.

وإذا كان لديكم عذر في استخدام تلك الألفاظ المبتدعة في تقسيم التوحيد فأنتم وشأنكم، ولكن لا تُلزموا بها غيركم ما دمتم أقررتم بأنها مبتدَعة، ثم إن لغيركم عذرا أيضا في استخدام ما يشاؤون من الألفاظ والتقسيمات، **فكما قسّمتم التوحيد على الوجه الذي شئتم فَدَعُوا غيركم يقسّمه إلى ما يشاء**، بالغا ما بلغ عدد أقسام التوحيد عنده، وأيّا ما كانت الأسماء التي اختارها لتسمية كل قسم ما دام هو يأتي بالدليل على ذلك، ولا تجعلوا تقسيمكم للتوحيد هو المعيار الأوحد في معرفة التوحيد وأقسامه، **بحيث ترون أن من لم يعرف تقسيمكم فهو جاهل ضال مشرك**..ولاسيما أنكم أنتم أنفسكم مختلفون في عدد أقسام التوحيد واسم كل قسم، إلى غير ذلك من اختلافاتكم الكثيرة في هذا الباب على ما سبق بسطه.

---

1 انظر: ص (476)

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1103)

3 بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (159/1) .

المبحث الثاني: أقوال لغير السلف من المتقدمين والمتأخرين

ذكر السلفية أقوالا لبعض العلماء المتقدمين والمتأخرين استشهدوا بها على أن ابن تيمية مسبوق في تقسيم التوحيد، ونسرد فيما يلي أقوال هؤلاء العلماء ونناقشها بالتفصيل، فلدينا مطلبان:

المطلب الأول: أقوال العلماء المتقدمين

أولا: ابن قتيبة ت 276هـ

فقد احتجّوا بأن ابن قتيبة "ذكر الفطرة التي فطر الله الناس عليها ثم قال "**فلست واجداً أحداً إلا وهو مقرّ بأن له صانعا ومدبرا [و][1] إن سمّاه بغير اسمه**، أو عبد شيئا دونه ليقربه منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته أو أضاف إليه ما تعالى عنه علوا كبيرا، قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان: 25] "[2].اهـ

والجواب من وجوه:

الوجه الأول: أين في هذا النصّ لابن قتيبة تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية؟! بل أين فيه ذِكر التوحيد أصلا؟! وأين فيه أن توحيد العبادة هو الذي أرسلت به الرسل وأن به النجاة يوم القيامة؟! وأين في كلامه أن توحيد الربوبية فطري لا حاجة لأن تدعوَ الرسلُ إليه؟ وأين في كلامه أن المشركين موحدون في الربوبية مشركون في الألوهية، وأين سائر المقدمات الكثيرة التي تتضمنها نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية التي سبق ذكرها؟! أين كل هذا ؟! وإذا كان كلامه خاليا عن كل ذلك فكيف تحتجون به؟

الوجه الثاني: أن غاية ما فيه هو قوله أنه لا أحد إلا "**وهو مقرّ بأن له صانعا ومدبرا**"، ولكنه لم يقصد بذلك أن الناس في الدنيا يقرون كلهم بألسنتهم بالله صانعا مدبرا، وذلك لسببين:

---

1 سقطت واو العطف هذه من موسوعة دمشقية، وهي مثبتة في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 70)

السبب الأول: أنه كيف يقصد ذلك وهو نفسه يقول في العبارة نفسها ‘‘وهو مقر بأن له صانعا ومدبرا وإن سماه بغير اسمه’’؟ فكيف يقرّ بالله حين تسأله عن الخالق، وكيف يسميه بغير اسمه؟! أي أنك تسأل النصراني من ربك؟ فيقول: هو المسيح، فهو عنده ربه و"رب الأنبياء، وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة"[1]، فـ "النصارى مع كثرتهم يقولون: إن المسيح هو الله"[2]، فهم أقرّوا بالخالق ولكن أخطؤوا في تعيينه وتسميته بغير اسمه فبدل أن يقولوا هو الله قالوا بأنه المسيح.

وسياق كلام ابن قتيبة يدل على أنه يتكلم على إقرار الناس بربّهم حين كانوا في صلب آدم كما في آية الميثاق التي استدل بها ابن قتيبة وهي قوله تعالى: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى}!! ولنقرأ كلام ابن قتيبة من أوله حيث يقول: ‘‘وأراد بقوله كل مولود يولد على الفطرة أخذ الميثاق الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى **فلست واجدا أحدا إلا وهو مقر بأن له صانعا..إلى أن يقول: فكل مولود في العالم على ذلك العهد والإقرار وهي الحنيفية** التي وقعت في أول الخلق وجرت في فطر العقول"3.

ثم يقول ابن قتيبة بعد أن يسوق حديث "خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين": وليس الإقرار الأول مما يقع به حكم أو عليه ثواب ألا ترى أن الطفل من أطفال المشركين ما كان بين أبويه فهو محكوم عليه بدينهما لا يُصلّى عليه إن مات ثم يخرج عن كنفهما إلى مالكٍ من المسلمين فيحكم عليه بدين مالكه ويصلى عليه إن مات ومن وراء ذلك علم الله تعالى فيه 4.اهـ وهذا دليل آخر على أن ابن قتيبة يتكلم على الإقرار المأخوذ

[1] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (2/ 490)

2 الجواب الصحيح لابن تيمية (3/ 325)

3 تأويل مختلف الحديث (ص: 129)

4 تأويل مختلف الحديث (ص: 129)

على الناس في آية الميثاق، فإن هذا الإقرار لا عبرة به في الدنيا بدليل ما ذكره من أن الطفل يُحكم له بدين أبويه إذا مات فلا يصلى عليه إن كان أبواه كافرين. لا يقال: إنما ذكر أن هذا الإقرار لا عبرة به لأنه لم يقترن بتوحيد الألوهية بل هو إقرار بتوحيد الربوبية فحسب. لأننا نقول: ليس الأمر كذلك، وإنما ذكر ابن قتيبة أنه لا عبرة به لأنه كان في صلب آدم حيث لا تكليف، وإنما التكليف في الدنيا بدليل أن ابن قتيبة يقول "فكل مولود في العالم على ذلك العهد والإقرار وهي الحنيفية"فهو يصرح أن الإنسان مفطور على الحنيفية أي على لا إله إلا الله التي هي دين إبراهيم الخليل كما قال تعالى {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67] تماما كما قال ابن تيمية فيما سبق: فَعُلم أن الحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها والحب لله والخضوع له والإخلاص له هو أصل أعمال الحنيفية"[1].

فلم يقل ابن قتيبة إن ذلك الإقرار الفطري لا عبرة به لأنه مقصور على الإقرار بتوحيد الربوبية بل هو يصرح بأنه إقرار بالحنيفية أي إقرار بلا إله إلا الله وهو ما تسمونه عليه توحيد الألوهية، وإنما لم يعتبر به لأنه كان إقرارا في عالم الذر حيث لا تكليف ولأنه غير مكتسب كما قال البغوي "ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل، ألا ترى أنه يقول: "فأبواه يهودانه"؟ فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين"[2].

السبب الثاني: هو ما صرح به في كتبه الأخرى فمثلا قال في غريب الحديث: أما قوله كل مولود يولد على الفطرة فإنه يريد أنه يولد على الإقرار بالله وهو الميثاق الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم أمثال الدر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا

[1] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (8/ 448)

[2] تفسير البغوي – طيبة (6/ 269)

بلى فالناس جميعا وإن اختلفوا في أديانهم ونحلهم عالمون بأن الله عز وجل خالقهم.[1] وقال في كتابه إصلاح الغلط عند حديث كل مولود يولد على الفطرة بعد أن نقل بعض ما قيل فيه: ولا أرى معنى الحديث إلّا ما ذهب إليه حمّاد بن سلمة، فإنَّه قال فيه: هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم[2].اهـ

فتراه في هذين الكتابين صرّح بأن الفطرة هي نفسها الميثاق الذي أُخذ عليهم، وهي أحد الأقوال في معنى الفطرة كما سبق، وبناء على ذلك صرّح بعدها بأن الناس جميعا عالمون بأن الله خالقهم، أي عالمون بحكم الميثاق الذي أخذه عليهم، ولكن هذا كله كان في عالم الذّر لا في الدنيا، إذ هم يسمّونه بغير اسمه كما صرّح هو بذلك وكما سبق بيانه.

فإن قيل: ولكن ابن قتيبة يستدل بقوله{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} وهذا السؤال في الدنيا لا في عالم الذر كما هو ظاهر. **قلنا:** سياق كلام ابن قتيبة يدل على أنه يحمل هذه الآية على آية الميثاق ويجعلهما من باب واحد، وكذا فعل بعض المفسرين **كالبغوي** حيث قال: قوله: "من يولد يولد على الفطرة"يعني على العهد الذي أخذه الله عليهم بقوله: "ألست، بربكم قالوا بلى"، وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار، **وهو الحنفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره، قال تعالى: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله"**، وقالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"[3].اهـ وكذا قال ابن عادل الحنبلي[4].

وسياق كلام ابن قتيبة يدل على هذا أيضا لأنه قال: "***الميثاق الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم*** وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، **فلست واجدا أحدا إلا**

[1] غريب الحديث لابن قتيبة (1/ 350)

[2] إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث لابن قتيبة (ص: 57)

[3] تفسير البغوي – طيبة (6/ 269)

[4] اللباب في علوم الكتاب (15/ 409)

وهو مقرّ بأن له صانعا..قال تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ.."، فهو يقصد أنك إن سألتهم عن الخالق فسيجيبون بأنه الله بحكم كونهم أقرّوا بهذا في عالم الذر ووُلدوا على الفطرة أي على هذا الميثاق المأخوذ عليهم وهم في صلب آدم كما يرى ابن قتيبة، ولكن ليس هذا معناه عنده أن كل أحد سيجيب بلسانه أو سيُقِرّ طوعا بذلك، بدليل أن كثيرا من الأفراد والأمم لم يُقِرّوا بألسنتهم ـ على الأقل ـ بأن الله خالقهم كما سبق وكما سيأتي.

وبدليل كلام ابن قتيبة نفسه حيث قال "وهو مقرّ بأن له صانعا ومدبرا ***وإن سمّاه بغير اسمه***"أي تسأله عن الخالق فيقول هو المسيح أو غيره كما قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ ***قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ*** ابْنُ مَرْيَمَ } [المائدة: 17]، فكيف يصحّ إذن استدلال ابن قتيبة بآية {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} ما داموا يقولون عن المسيح هو الله؟!

قلت: يصحّ ذلك؛ لأن ابن قتيبة يقصد أن كل إنسان وفيهم النصارى مُقِرّون بالله بحكم الميثاق الأول الذي أخذ عليهم في عالم الذر، وبحكم الفطرة أيضا إذ الفطرة والميثاق عنده من باب واحد كما سبق، ولا يقصد: أن الناس أجمعين مُقِرّون بالضرورة **في الدنيا بألسنتهم** بأن الله خالقهم، كيف وهم يسمونه في الدنيا بغير اسمه؟ بل الأمر في الدنيا محتمل، فيحتمل أن يقروا بألسنتهم بأن الله خالقهم، وبذلك يكونون قد استجابوا لموجب الفطرة ووفَوا بالميثاق الأول الذي أخذه عليهم في عالم الذر.

وقد لا يقرّون في الدنيا بالله فتكون فطرتهم قد انحرفت وأخلفوا اللهَ ما عاهدوه عليه في الميثاق الأول، ولذلك حذّر الله الناسَ في آية الميثاق من النكث به فقال: {**أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**} **أي** (فعلنا ذلك الأخذ والإشهاد كراهة أن يقولوا يوم القيامة "إنا كنا عن هذا غافلين"**أي: عن كون الله ربنا وحده لا شريك له**..)[1].اهـ

[1] فتح القدير للشوكاني (2/ 300)

وقد يكون مقصود ابن قتيبة بقوله "**وهو مقرّ بأن له صانعا**": أي مقرّ بقلبه، بمعنى أنه عالِم بأن الله خلقه بحكم الميثاق أو الفطرة، وهذا صرح به ابن قتيبة في كتابه الآخر فقال ''**فالناس جميعا وإن اختلفوا في أديانهم ونحلهم *عالمون بأن الله عز وجل خالقهم***''، ولكن قد لا تقرّ ألسنتهم بذلك؛ إما لأن فطرتهم قد انحرفت، أو عنادا كما في أهل الكتاب حيث كانوا يعلمون أن سيدنا مُحَمَّدا نبي مرسل كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك فكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم، كما قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 146] وقد سبق بسط هذا أيضا.

وأخيرا يقول ابن قتيبة: وفرق ما بين أهل القدر وأهل الإثبات في هذا الحديث **أن الفطرة عند أهل القدر الإسلام** فتناقض عندهم الحديثان، **والفطرة عند أهل الإثبات العهد الذي أخذه عليهم حين فطروا، فاتفق الحديثان**[1] ولم يختلفا وصار لكل واحد منهما موضع2.

وقول ابن قتيبة هنا: ''إن الفطرة عند أهل القدر الإسلام ''يخالف ما ذهب إليه ابن تيمية وأتباعه من أن تفسير الفطرة بالإسلام هو قول السلف، بل يقول ابن تيمية: "والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول"3، وقد سبق الكلام في هذا كله.

---

1 يقصد بهما ما بدأ به كلامه حيث قال في تأويل مختلف الحديث (ص: 128): قالوا رويتم عن النبي صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ثم رويتم الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وأن النطفة إذا انعقدت بعث الله عز وجل إليها ملكا يكتب أجله ورزقه وشقي أو سعيد وأنه مسح على ظهر آدم فقبض قبضة فقال إلى الجنة برحمتي وقبض أخرى فقال إلى النار ولا أبالي قالوا وهذا تناقض واختلاف فرق بين المسلمين واحتج به أهل القدر وأهل الإثبات.اهـ

2 تأويل مختلف الحديث (ص: 130)

3 درء تعارض العقل والنقل (8/ 410)

ثانيا: أبو جعفر الطحاوي (ت321هـ)

حيث استدل السلفية بقول الطحاوي في عقيدته: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن **الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره** ...". وجه الدلالة أن قوله ((''إن الله واحد''توحيد إجمالي يشمل الأقسام كلها، فهو المقسم الكلي، **وقوله "ولاشيء مثله"توحيد الأسماء والصفات، وقوله: "ولا شيء يعجزه"توحيد الربوبية، وقوله "لا إله غيره"توحيد الألوهية**))1 ويمكن أن يقال أيضا إن قوله (("**إن الله واحد لا شريك له"شامل لأقسام التوحيد الثلاثة**، فهو سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته، وقوله: "ولا شي مثله''هذا من توحيد الأسماء والصفات. وقوله: "ولا شيء يعجزه''هذا من توحيد الربوبية))2.اهـ

والجواب من وجهين:

الأول: هذا مجرد تحكّمٌ يمكن أن **نعارضكم بمثله فنقول بأن كلام الطحاوي هذا يدل على تقسيم التوحيد إلى توحيد الله في ذاته وأفعاله وصفاته** وذلك بأن قوله"إن الله واحد''توحيد إجمالي يشمل الأقسام كلها، وقوله "ولاشيء مثله''توحيد الصفات، وقوله: "ولا شيء يعجزه''توحيد الأفعال، وقوله "لا إله غيره''توحيد الذات.

الثاني: قولكم: ((وقوله: "ولا شيء يعجزه''هذا من توحيد الربوبية)): غير صحيح، بل قوله: "ولا شيء يعجزه''يعني به قدرة الله المطلقة، والقدرة صفة من صفاته، وهذا داخل عندكم فيما تسمونه بتوحيد الأسماء والصفات، وكذا قوله "ولاشيء مثله''هو من توحيد

---

1 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (3/ 180)، وانظر: ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الالهيات 1 / 89.

2 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 42)

الصفات كما قلتم فأين توحيد الربوبية التي هي "**الإقرار بأنه خالق كل شيء**"[1] **كما يقول ابن تيمية؟!!**

إن قلتم: ولكن في قوله "ولا شيء يعجزه"إشارة إلى توحيد الربوبية لأن الخلق والإحياء والإماتة ونحو ذلك يكون بصفة القدرة. **قلنا**: وفيه أيضا إشارة إلى توحيد الأفعال الذي يقول به الأشاعرة، بل إشارته إلى قولهم أولى لأن القدرة عندهم تشمل الرزق والخلق والإحياء والإماتة وكل الأفعال؛ لذلك لا يذكرون الرزق والإحياء والإماتة ضمن صفات المعاني السبع.

إلا أن تقولوا بأن "لا إله غيره"شامل لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، على اعتبار أن الإله والرب إذا جاء أحدهما مفردا بالذكر فهو يشمل معنى الرب والإله كما قلتم[2]، بيد أنه إن سُلّم هذا فكلُّ المسلمين يقسّمون التوحيد إلى ربوبية وألوهية وليس الطحاوي فقط! فما وجه احتجاجكم به؟! لأن المسلمين كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله، والإله هنا جاء مفردا فيشمل الرب أيضا! وعلى التسليم بأن في كلامه هذا تقسيما للتوحيد فأين في كلامه مقدمات تقسيم التوحيد ونتائجه التي سبق الإشارة إليها؟!

ثالثا: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت 354 هـ)

حيث استدلوا بقول ابن حبان في مقدمة كتابه (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء): "**الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية..الذي أنشأ الخلق** حين أراد بلا معين ولا مشير، **وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير**، فمضت فيهم بقدرته مشيئته

[1] مجموع الفتاوى (11/ 50)، وانظر (10/ 331)

2 انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: 35)

ونفذت فيهم بعزته إرادته"**فقالوا**: "**فذكر الأقسام الثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات**"[1]

قلنا: أين فيه تقسيم التوحيد إلى قسمين: الأول: توحيد الربوبية والثاني توحيد الألوهية؟! وأين فيه أن المشركين كانوا مؤمنين بالأول دون الثاني؟! وأن الرسل بُعثت بالقسم الثاني دون الأول؟! وأن الثواب والنجاة بالثاني دون الأول؟! وأين فيه سائر مقدمات نظرية تقسيم التوحيد؟! غاية ما في كلامه ذكر كلمتي: وحدانية الألوهية، وعظمة الربوبية، وهذا ليس فيه تقسيم للتوحيد كما ترى، فإن أبيتم إلا أن كلامه يشير إلى تقسيم التوحيد عند ابن تيمية: نعارضكم بالقول بأن كلام ابن حبان فيه تقسيم للتوحيد عند الأشاعرة وهو توحيد الله في ذاته وأشار إليه ابن حبان بقوله "**بوحدانية الألوهية**"، وتوحيد الله في أفعاله وأشار إليه بقوله: "الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير"وتوحيد الله في صفاته وأشار إليه بقوله "فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته".

رابعا: ابن أبي زيد القيرواني المالكي ت 386 هـ

حيث يقول ابن أبي زيد القيرواني في مقدمة عقيدته: ((من ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان **بأن الله إله واحد لا إله غيره**، ولا شبيه له، ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له **ولا شريك له**..لا يبلغ كُنه صفته الواصفون..**تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد** أو يكون لأحد عنه غنىً، **خالق لكل شيء، ألا هو رب العباد**..))[2].

قلنا: **أولا**: نكرّر سؤالنا السابق وهو: أين في كلامه تقسيم التوحيد إلى قسمين: الأول: توحيد الربوبية والثاني توحيد الألوهية؟! وأين فيه أن المشركين كانوا محققين للأول دون

---

1 انظر: مقال ومشاركات على ملتقى أهل الحديث بعنوان " ما حكم من أنكر وأبطل تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات ؟"، وهذا رابطه:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=74630

2 انظر المقال السابق: بعنوان " ما حكم من أنكر وأبطل تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات ؟"

الثاني؟! وأن الرسل بُعثت بالقسم الثاني دون الأول؟! وأن الثواب والنجاة بالثاني دون الأول؟!! وأين فيه سائر مقدمات نظرية تقسيم التوحيد؟!

ثانيا: ما أنكرتم أن يقال أن **كلام ابن أبي زيد هذا فيه تقسيم للتوحيد إلى أقسامه الثلاثة عند الأشاعرة،** وهو توحيد الله في **ذاته كما قال "الله إله واحد** لا إله غيره"، وتوحيد الله في أفعاله "تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد..**خالق لكل شيء**.."وتوحيد في صفاته كما في قوله "**لا شبيه له،** ولا نظير..لا يبلغ كنه **صفته** الواصفون".

خامسا: ابن بطة العكبري (ت 387هـ)

حيث احتجوا بقوله في الإبانة[1]: أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده..ثلاثة أشياء: **أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته** ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً. **والثاني:** أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع **وأشركوا معه في العبادة غيره. والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها** من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه. إذ قد علمنا أنَّ كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده. ولأنَّا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها. **فأمَّا دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته** فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأنَّ الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما.."اهـ

يقول البدر معلقا على هذا النص: ((فهذا نص في غاية الوضوح **في ذكر أقسام التوحيد الثلاثة. وتأمل قول ابن بطة:** "لأنَّ الجهمي يدّعي **لنفسه الإقرار بهما.."أي الربوبية والألوهية،** وإنما جحد توحيد الأسماء والصفات..**وتأمل قول ابن بطة:** "ولأنَّا نجد الله قد خاطب عباده بدعائهم إلى **اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاثة** والإيمان بها"..**فنصّ**

[1] الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" 172/6

رحمه الله على أنَّ أقسام التوحيد الثلاثة هي أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده مع إثبات الإيمان بالله، ومعنى ذلك أنَّه لا إيمان لمن *لم يأت بهذه الأمور الثلاثة ولا توحيد*..))[1].اهـ

قال وليد: الجواب من وجوه:

الوجه الأول: ليس في نصّ ابن بطة السابق تقسيم للتوحيد إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات، **وإنما كان ابن بطة يتحدث عن أن *الإيمان* لا يتحقق إلا بثلاثة أمور** هي الإيمان بربوبية الله حتى يفارق المعطلين للصانع، والتوحيد حتى يفارق المشركين، والإيمان بصفاته العُلى، وبذلك يفارق الجهميّة الذين لا يُثبتون صفاته تعالى، وهذا واضح في قوله: "الذي يجب على الخلق اعتقاده **في إثبات الإيمان** به ثلاثة أشياء: **أحدها**: أن يعتقد العبد ربانيته..والثاني: أن يعتقد وحدانيته..**والثالث**: أن يعتقده موصوفاً بالصفات ". **فالإيمان عند ابن بطة ثلاثة أشياء أحدها: التوحيد، ولم يقل بأن التوحيد ثلاثة أشياء أو ثلاثة أقسام كما فَهم ذلك الخصمُ ونَسب إليه.**

ومما يؤكد أن ابن بطة لم يُرد تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هو نفس كلامه السابق لأنه يخالف فيه مقدمتين من مقدمات نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وهما كما يلي:

المقدمة الأولى: أن توحيد الربوبية لم يبعث الله به رسله ولا أنزل به كتبه لأنه أمر فطري عند الناس كافة كما سبق بيانه[2]، وقد نصّ ابن بطة على خلاف ذلك فذكر أن الله دعا الناس إلى الأقسام الثلاثة التي منها توحيد الربوبية كما تقولون، فقال "**ولأنَّا نجد الله تعالى قد خاطب عباده *بدعائهم إلى اعتقاد كل* واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها فأمَّا**

---

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 32)

2 انظر: ص (66، و187)

دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هاهنا **لطوله وسعة الكلام** فيه''فالله إذن دعا عباده إلى الإيمان بربوبيته كما قال تعالى {وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ **لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ**} [الحديد: 8] وقد سبق بسطه[1]، وهذا خلاف نظرية تقسيم التوحيد.

المقدمة الثانية: أن توحيد الربوبية ""**لم ينكره أحد من بني آدم**"2، وهذا ما نص ابن بطة على خلافه فقال: "أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك **مبايناً لمذهب *أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً***''

نعم قد يقال إن قول ابن بطة "أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع **وأشركوا معه في العبادة غيره**"**ظاهر في أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية. ولكن** هذا الظاهر يعارضه ظاهر قول ابن بطة نفسه: "**أهل الشرك الذين أقروا بالصانع**"فنسب إليهم الإقرار بالصانع فحسب دون أن ينسب إليهم بأنهم كانوا يقولون: لا خالق سواه تعالى، وأما قوله "**وأشركوا معه في العبادة**''فهذا لا يعني أنهم أشركوا معه بالعبادة ولم يشركوا معه في الربوبية والخالقية، بل هم ما أشركوا به في العبادة وما عبدوا سواه إلا بعد أن اعتقدوا أنهم آلهة وأضفوا عليهم صفات الربوبية من التأثير والضر والنفع ونحو ذلك مما سبق بسطه وهذا أقر به كثير من السلفية أنفسهم[3].

الوجه الثالث: أنه على التسليم بأن في كلام ابن بطة إشارة إلى تقسيم التوحيد إلى أقسام ثلاثة، فما أنكرتم أن يقال إن هذه الأقسام هي ***الأقسام الثلاثة للتوحيد عند الأشاعرة***، وهو توحيد الله في ذاته وإليه أشار ابن بطة بقوله ''أن يعتقد وحدانيته ''أي في الذات، وتوحيد الله في أفعاله "أن يعتقد العبد ربانيته..''أي أنه خالق كل شيء، وتوحيد في

---

[1] انظر: ص (196)

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

3 انظر: كتابنا "البراهين الشرعية على بطلان بدعة توحيد المشركين في الربوبية" ص (473)

صفاته كما في قوله "أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها "، وما هو جوابكم هو جوابنا.

سادسا: ابن منده[1] (ت 395هـ)

حيث زعم عبد الرزاق البدر أن ابن منده قد "اشتمل كتابه على أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى توحيد الربوبية توحيد الألوهية توحيد الأسماء والصفات فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلاً به على توحيد الله في الألوهية، ثم ذكر عنواناً لتوحيد الأسماء ومنه دخل في توحيد الألوهية..[2].اهـ

قال وليد: ليس في كلام ابن منده ولا في كتابه المشار إليه وهو كتاب التوحيد: تقسيم التوحيد لا إلى ألوهية ولا إلى ربوبية ولا إلى أسماء وصفات، لا من قريب ولا بعيد، ولا فيه أن المشركين كانوا موحدين في الربوبية مشركين في الألوهية، ولا أن الرسل بعثوا بتوحيد الألوهية دون توحيد الربوبية، ولا أن النجاة لا تكون بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية، ولا فيه سائر مقدمات تقسيم التوحيد عند ابن تيمية التي سبق ذكره.

وإنما هو تعسف من عبد الرزاق البدر في تحميله كلام ابن منده وتنزيله على مصطلحات تقسيم ابن تيمية المتأخرة بغية القول إن ابن تيمية مسبوق في تقسيم التوحيد، ولم يستطع البدر أن ينقل نصا واحدا عن ابن منده ذَكر فيه توحيد الربوبية أو توحيد الألوهية فضلا عن أن يقسّم التوحيد إلى ذلك، بل إن كلمة "التوحيد"لم ترد في كتاب التوحيد لابن

---

[1] ابن منده، بعضهم يقول "ابن مندة" بالتاء كما هو ظاهر صنيع محقق سير أعلام النبلاء ط الرسالة (14 /188)، والصحيح أنها بالهاء لا بالتاء، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (4/ 289): ومنده: بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة وفي الآخر هاء ساكنة أيضا.اهـ

[2] جاء في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 33)، وانظر: ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1 / 88.

منده المشار إليه إلا أربع مرات مطلقة دون تقييد لا بربوبية أو ألوهية وهذا يؤكد أن التوحيد عنده نوع واحد، وإليك نصوصه الأربعة، وهي:

النص الأول: قول ابن منده "ذِكر ما يستدل به أولو الألباب من الآيات الواضحة التي جعلها الله , عز وجل , دليلا لعباده من خلقه **على معرفة وحدانيته من انتظام صنعته** , وبدائع حكمته , في خلق السموات والأرض , وما أحكم فيها وخلق الإنسان....وقال تعالى: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب} بيان ذلك من الأثر على أن....[1] العقول ودلالة **على توحيد الله تعالى**"[2].

النص الثاني: قوله "ذِكر الآيات المتفقة المنتظمة **الدالة على توحيد الله** , عز وجل في صفة خلق السموات التي ذكرها في كتابه.."[3].

النص الثالث: قوله "ومن أسماء الله عز وجل: الأحد الصمد قال أهل التأويل: معناه الواحد الأحد الموحد **الذي يعبد بتوحيده** ويشهد له بالوحدانية"[4].

النص الرابع: قوله "..ومعنى السلام أن ذات الله عز وجل خلصت بانفراد الوحدانية من كل شيء وبانت عن كل شيء **وأخلصت به القلوب إلى توحيد الله عز وجل** وسلمت.."[5].

نعم وردت كلمة "الوحدانية"أكثر من ثلاثين مرة في كتاب ابن منده، ولكنه لم يقسمها إلى وحدانيته تعالى في الربوبية ووحدانيته في الألوهية، ولا ذَكَر مصطلح توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية كما قلنا، بل لم يذكر أصلا كلمة ألوهية في كتابه، أما الربوبية

---

[1] هذا الفراغ موجود في كتاب التوحيد لابن منده، وقد قال محقق الكتاب عنه: "غير واضح في الأصل".

[2] التوحيد لابن منده (1/ 97)

[3] التوحيد لابن منده (1/ 113)

[4] التوحيد لابن منده (2/ 60)

[5] التوحيد لابن منده (2/ 68)

فذكرها مرة واحدة مفردة ومعطوفة على الوحدانية فقال كما سيأتي''منبها عباده على وحدانيته **وربوبيته** وبديع صنعته "، فمن أين زعمتم أنه قسّم التوحيد إلى هذه التسميات والمصطلحات التي وردت في كتب ابن تيمية، وهل هذا إلا من قبيل حمل كلام المتقدمين على مصطلحات المتأخرين؟! وهو ما حذّر منه ابن تيمية نفسه كما سبق[1].

بل إن المتأمل في كتاب ابن منده يجد أنه ينسف إحدى أهم مقدمات نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد وهي أن الرسل لم يأتوا بتوحيد الربوبية، وأنه ليس في القرآن بيان أن الله خالق لا شريك له في الخلق، وليس فيه البرهان على ذلك لأنه ـ حسب النظرية طبعا ـ أمر فطري والمشركون مسلّمون بذلك، بيد أن صنيع ابن منده في كتابه يدل على خلاف ذلك تماما، حيث أطال في سرد الآيات والأدلة **والبراهين على أن الله هو الخالق وحده**، وهو ما يسميه ابن تيمية بتوحيد الربوبية، ومنه قول ابن منده السابق "دليلا لعباده **من خلقه على معرفة وحدانيته من انتظام صنعته، وبدائع حكمته**".

نصوص ابن منده في أن القرآن قرر توحيد الربوبية خلافا لنظرية تقسيم التوحيد

ثمة نصوص له كثيرة في ذلك، منها ما يلي:

1) **ذكر معرفة بدء الخلق قال الله تعالى مخبرا عن وحدانيته وتفرده بالخلق** من غير ظهير ولا معين {ما أشهدتهم خلق السموات والأرض..}[2].
2) **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى** وبديع صنعته في خلق الشمس والقمر..[3].
3) : **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله** عزّ وجلّ، وعظيم قدرته في خلق النجوم، قال الله تعالى: {والنجوم مسخرات بأمره}[1].

---

[1] انظر: ولئن سألتهم ص (428)

[2] التوحيد لابن منده (1/ 82)

[3] التوحيد لابن منده (1/ 134)

4) **ذكر آية تدل على وحدانية الخالق** من لطيف صنعته وبديع حكمته في تكوير ساعات الليل على النهار..{يولج الليل في النهار..}[2].

5) **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله عزّ وجل، في إمساكه السحاب في جوّ السماء**[3].

6) **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله عز** وجل مما عجز عن وصفه المخلوق وتاهت فيه العقول قوله عز وجل: {أو كصيب من السماء..}[4].

7) **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله**[5] , وأنه مرسل الرياح والريح[6]، قال الله تعالى: {..وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح...}[7].

---

[1] التوحيد لابن منده (1/ 143)

[2] التوحيد لابن منده (1/ 155)

3 التوحيد لابن منده (1/ 163)

4 التوحيد لابن منده (1/ 168)

5 «التوحيد لابن منده» (ص157 ت الوهيبي والغصن).

[6] جاء في «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (4/ 213): قرأت فرقة «الرياح» ، وقرأت فرقة «الريح» على الجنس، فهي بمعنى الرياح وقد نسبنا القراءة في سورة الأعراف وقراءة الجمع أوجه لأن عرف الريح متى وردت في القرآن مفردة فإنما هي للعذاب، **ومتى كانت للمطر والرحمة فإنما هي رياح**، لأن ريح المطر تتشعب وتتداءب وتتفرق وتأتي لينة من هاهنا وهاهنا، وشيئا إثر شيء، **وريح العذاب خرجت لا تتداءب وإنما تأتي جسدا واحدا**، ألا ترى أنها تحطم ما تجد وتهدمه، **قال الرماني**: جمعت رياح الرحمة لأنها ثلاثة لواقح الجنوب والصبا والشمال وأفردت ريح العذاب لأنها واحدة لا تلقح وهي الدبور.اهـ **ونقله أبو حيان** في «البحر المحيط في التفسير» (8/ 115)، وقال في «تفسير الألوسي = روح المعاني» (10/ 30): «وأنت تعلم أن **في كلام ابن عطية غفولا** عن التأويل الذي تتوافق به القراءتان، **وقد ذكر في البحر** أنه لا يسوغ أن يقال في تلك القراءة أنها أوجه من القراءة الأخرى مع أن كلا منهما متواتر، وأل في الريح للجنس فتعم، وما ذكر في التفرقة بين المفرد والمجموع أكثري أو عند عدم القرينة أو في المنكر كما جاء في الحديث».

[7] التوحيد لابن منده (1/ 172)

8) ذكر الآيات التي تدل على **وحدانيته في خلق الأرض** [1].

9) **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله في خلق الجبال**..{والجبال أرساها}[2].

10) **ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله عز وجل , وأنه خالق الخلق** ومنشيها[3]..**قال الله** عز وجل منبها عباده على **وحدانيته وربوبيته** وبديع صنعته لخلقه: {ومن آياته أن **خلقكم من تراب** ثم إذا أنتم بشر تنتشرون..}[4].

11) **ذكر آية تدل على وحدانية الله** عزّ وجلّ من انتقال الخلق من حال إلى حال[5]

12) **ذكر الآيات التي تدل على وحدانية الخالق من تقلب أحوال العبد، وأنه المدبر لذلك** من حال الصحة والمرض والموت والحياة..[6].

13) **ذِكر آية تدل على وحدانية الخالق، وأن الأرواح بيده في حال الموت والحياة والنوم والانتباه**[7].

14) **ذِكر آية تدل على وحدانية الخالق، وأنه الرزاق المغني المفقر**[8].

15) **ذكر آية تدل على وحدانية الخالق، وأنه الممرض** المداوي الشافي لعباده[1].

---

[1] التوحيد لابن منده (1/ 182)

2 التوحيد لابن منده (1/ 191)

3 كذا وقع " ومنشيها" بالياء في «التوحيد لابن منده» (1/ 207 ت الفقيهي)، ووقع بالهمز في «التوحيد لابن منده» (ص186 ت الوهيبي والغصن): «ومنشئها»، طبعا يجوز الوجهان وهما الهمز والتسهيل. والله أعلم

[4] التوحيد لابن منده (1/ 207)

[5] التوحيد لابن منده (1/ 218)

[6] التوحيد لابن منده (1/ 266)

[7] التوحيد لابن منده (1/ 283)

[8] التوحيد لابن منده (1/ 291)

16) **ذكر آية تدل على وحدانية الخالق، وأنه المبدئ خلقه بلا مثال والمعيد لها بعد فنائها**[2].

إلى غير ذلك من المواضع الكثيرة في كتابه، وكما ترى فإن كل هذه المواضع يذكر فيها **الأدلة العقلية والنقلية على وحدانية الله في الخلق والإحياء والإماتة والرزق**، وهذا كله خلاف نظرية تقسيم التوحيد من أن هذه أمور مسلّمة عند الخلق كافة وأنه لا داعي للبرهان عليها بل لا داعي للدعوة إليها أصلا، وأنه لذلك لم تأت الرسل بها وإنما أتت بتوحيد الألوهية فحسب.

عاشرا: الفخر الرازي ت 606هـ

فقد قالوا: والرازي يفرّق بين الألوهية والربوبية: قال في أساس التقديس: (ومن أسماء الله الحسنى عند بني إسرائيل، وهو الاسم الثاني بعد "يهوه"اسم "أدوناي"ويترجم في اللغة العربية بالرب، **ففي يهوه توحيد الألوهية، وفي أدوناي توحيد الربوبية**3.اهـ

قال مقيّده وليد ـ أسبغ الله عليه ستره ـ: هذا ليس كلام الرازي في أساس التقديس، وإنما هو من **كلام محقّق الكتاب وهو د.أحمد حجازي السقا** ذكره ص286 في الملحق الذي ألحقه بالكتاب، وهو ملحق ساق فيه عددا من نصوص العلماء على الآيات المتشابهة في الصفات، ثم تحت عنوان "الحقيقة والمجاز في أخبار صفات الله تعالى في أسفار التوراة"ذكر الكلام السابق حول قضية توحيد الربوبية والألوهية، فاختلط هذا كله على الناقل وظن أن الكل من كلام الرازي، ولو أنه رجع صفحتين إلى الوراء أي ص284 لانتبه؛ لأنه سيرى أن د.السقا يقول: وقد عمل الشيخ رحمت الله الهندي في "إظهار الحق"فصلاً عن

---

[1] التوحيد لابن منده (1/ 296)

[2] التوحيد لابن منده (1/ 299)

[3] انظر: مثلا مقالا بعنوان: " رد شبهات تقسيم التوحيد وابتداع ابن تيمية له / مُحَمَّد بن عبد الوهاب والشرك في نجد"

169486http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=

المحكم والمتشابه.اهـ وحينها سيعلم الناقل أن هذا ليس كلام الرازي؛ لأن الهندي هذا حديث الوفاة فقد توفي بالضبط سنة 1306 هـ، أي جاء بعد الرازي بستة قرون، فكيف يذكره الرازيُّ في كتابه..؟!

المطلب الثاني: أقوال العلماء المتأخرين

فقد استدل بها السلفية على أن فيها تقسيم التوحيد لما قسمه إليه ابن تيمية، وفيما يلي سرد لنصوص لهؤلاء العلماء مع المناقشة :

أولا: ملا علي بن سلطان القاري الحنفي (ت 1014هـ)

حيث قالوا: "وهذا التقسيم لأنواع التوحيد الذي ذكره أهل العلم هو نتيجة لاستقراء النصوص الشرعية، **وقد أشار القاري إلى هذه الأنواع**..بل إنه نص على هذه الأنواع الثلاثة"1، فمن العجيب قول بعض الناس "لا يوجد دليل أن **ابن تيمية رحمه الله هو أول من أحدثها**، لأننا نجد أن بعض كبار أهل السنة والجماعة جاء عنهم تقسيم التوحيد كالملّا علي قاري في شرح الفقه الأكبر"2، **حيث قال فيه**: "فابتداء كلامه سبحانه وتعالى في الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، يشير إلى تقرير **توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضي من الخلق تحقيق العبودية**"إلى أن قال: "والحاصل أنه يلزم من **توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية**"3.

---

1 انظر: ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1/ 87.

2 تقسيم التوحيد في الميزان لعبد الله بن عبد الرحمن المكي ص42

3 منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص47، ت وهبي غاوجي، دار البشائر، وص 8 من طبعة مصطفى البابي الحلبي المطبوع باسم كتاب الفقه الأكبر وشرحه لملا علي القاري، وانظر أيضا: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: 49)، وعقيدة محمَّد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (1/ 306)، وعداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3 / 246، مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم ص280 لخالد بن عثمان السبت. ونسب عبدُ الرحمن دمشقية كلامَ القاري هذا للبيجوري في حاشيته على الجوهرة، وتبعه على ذلك آخرون، ولكنه وهم محض كما سيأتي، انظر: ص (565).

والجواب من وجوه: أولا: أن ملا علي القاري توفي سنة 1014 هـ، أي أنه جاء بعد ابن تيمية بحوالي ثلاثة قرون، فكيف تقولون **"لا يوجد دليل أن ابن تيمية رحمه الله هو أول من أحدثها.."؟!** استدلالكم بملّا علي القاري يكون صحيحا لو كان متقدما على ابن تيمية، فحينها يحق لكم أن تقولوا إن ابن تيمية مسبوق إلى تقسيم التوحيد بملا علي القاري، **أما وأن ملا علي القاري متأخر عنه بقرون فهنا يحتمل أنه هو من أخذ التقسيم عن ابن تيمية وتأثر به في ذلك**، وهذا منطقي لأن المتأخر يمكن أن يأخذ عن المتقدم، وأما العكس فلا يمكن؛ **إذ كيف يأخذ المتقدم من المتأخر عنه بقرون؟!**

ثانيا: إن ملّا علي القاري قد ذكر عدة تقسيمات وتعريفات للتوحيد مختلفة عن هذا التقسيم، نذكر منها ما يلي: قال القاري: أما التوحيد، فهو ظهور فناء الخلق بتشعشع أنوار الحق، وله مراتب كما ذكره ذوو المناقب:

الأولى: التوحيد النظري..هو أن يعتقد أن الله متفرد بوصف الألوهية، متوحد باستحقاق العبودية يحقن الدماء، والأموال، ويتخلص من الشرك الجلي في الأحوال.

الثانية: التوحيد العلمي، وهو أن يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته، وخلاصه من سجن ظلمات ذاته..فيعرف أن الموجد المحقق، والمؤثر المطلق هو الله تعالى.

الثالثة: التوحيد الحالي، وهو أن يحمل التوحيد وصفا لازما لذات الموحد بتلاشي ظلمات رسوم وجود الغير إلا قليلا في غلبة إشراق نور التوحيد..**قال الجنيد: التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم، ويندرج فيه العلوم**، ويكون الله كما لم يزل.

الرابعة: التوحيد الإلهي، وهو أن الله تعالى كان في الأزل موصوفا بالوحدانية في الذات، والأحدية في الصفات، كان ولم يكن معه شيء، والآن كما كان..وفي هذا المعنى أنشد العارف الأنصاري لنفسه شعرا:

ما وحّد الواحدَ من واحد..إذ كل من وحّده جاحدُ1.

وقال ملّا علي القاري في شرح الشفا بأن التوحيد هو: اعتقاد أن لا شريك له في الإلهية والصفات الذاتية والفعلية واستحقاق العبودية بمقتضى النعوت الربوبية 2.

وهكذا نرى أن القاري يذكر عدة تعاريف وتقسيمات للتوحيد تخالف تقسيمَ ابن تيمية للتوحيد الذي ذكره القاري في شرح الفقه الأكبر وهذا قد يدل على أن ما ذكر في شرح الفقه الأكبر هو من باب الاستطراد ليس إلا. والله أعلم

ثالثا: نعم يبدو التقسيم الذي في شرح الفقه الأكبر كتقسيم ابن تيمية أو قريب منه، إلا أن الأمر ليس كذلك لأن ملا القاري يعتبر أن كلمة لا إله إلا الله شاملة لتوحيد الربوبية ولتوحيد الألوهية حيث قال: (لا إله إلا أنت) إقرار بالألوهية واعتراف بالربوبية وهو كمال العبودية3. وقال: (لا إله إلا الله): هو المنفرد بالألوهية، المتوحد بالربوبية4.اهـ فهو جعل توحيدي الربوبية والألوهية مندرجين في لا إله إلا الله، بخلاف تقسيم ابن تيمية حيث جعل توحيد الألوهية المعبر عنه بلا إله إلا الله قسيما لتوحيد الربوبية. **وقال القاري** في حديث «لا إله إلا الله والله أكبر تملآن ما بين السماء والأرض»: **إن الإيمان على حقيقته المنبئة عن نفي الألوهية لغيره تعالى، وإثبات الربوبية والتوحيد الذاتي له سبحانه، وهذا المركب هو معنى الكلمة الطيبة التي عليها مبنى الإيمان.**

رابعا: أن القاري لا يوافق ابن تيمية في كثير من الأمور التي جعلها من توحيد الألوهية وجعل ارتكابها شركا أو ذريعة إليه كمسائل القبور، فمثلا القاري "يرى جواز الذهاب إلى

---

1 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري (1/ 55)

2 مرقاة المفاتيح (1/ 341)

3 مرقاة المفاتيح (4/ 1674)

4 مرقاة المفاتيح (3/ 1111)

قبر النبي والتوسل به ‘‘و"يرى التبرك بالأنبياء والأولياء والصالحين..’’و "يرى أن شد الرحال لزيارة قبر النبي مجمع على استحبابه"1، وكذلك لا يوافق القاريُّ على بعض أصول نظرية تقسيم التوحيد كالزعم بأنه تعالى "لم ينكره أحد من بني آدم"2 بل يرى القاري أنه قد "أنكر وجوده سبحانه وتعالى طائفة من الدهرية والمعطلة"[3].

ثانيا: المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)

قالوا إن تقسيم التوحيد قد "قرره الزبيدي في تاج العروس"4، بدليل قوله: "التوحيد توحيدان. توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية"[5]، (وأقرّ التفريق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية ناقلاً عن صاحب البصائر أن: "الصبر لله متعلق بالإلهية، والصبر به متعلق بربوبيته، وما تعلّق بالإلهية أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته’’فهل تتهمون الزبيدي بموافقة القائلين بالثالوث كما اتهمتم ابنَ تيمية)[1]، حيث قال قائلكم "تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات بأنه مشابهة لعقيدة الثالوث عند النصارى"[2].

---

1 ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 2/ 638.

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 949)

3 شرح الشفا لملا علي القاري (2/ 524)

4 التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير لبكر أبو زيد (ص: 21)، موسوعة أهل السنة لدمشقية (ص: 145)، القواعد في توحيد العبادة (1/ 451)، آراء السمعاني العقدية (ص73 ت.ش)، سبيل المهتدين إلى شرح الأربعين النووية» (ص24).

5 تاج العروس من جواهر القاموس (9/ 276)

[1] موسوعة أهل السنة لدمشقية (ص: 145) نقلا عن إتحاف السادة المتقين 42/9 و 645/9 وكذلك 364/3 ، وانظر أيضا مقالا بعنوان: "رد شبهات تقسيم التوحيد وابتداع ابن تيمية له / مُحَمَّد بن عبد الوهاب والشرك في نجد" على الرابط التالي:

http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=169486

[2] موسوعة أهل السنة لدمشقية (ص: 140)

والجواب: أما قول الزبيدي في شرحه للقاموس "التوحيد توحيدان: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية ..." **فأولا**: إن ما ذكره الزبيدي هو كلام لابن القيم في مدارج السالكين1، فنقله عنه أولا الفيروزآبادي في "بصائر ذوي التمييز" دون عزو إليه2، وهذا أشار إليه الخصم حين قال (ناقلاً عن صاحب البصائر) كما سبق، ثم نقله ثانيا الزبيديُّ في تاج العروس عن الفيروزآبادي دون عزو أيضا ! **وقد سرد** كل من الفيروزآبادي والزبيدي هذا التقسيم عن ابن القيم دون عزو إليه على سبيل الاستطراد ليس إلا، **والدليل على ذلك أمور**:

الأول: أنه سرد بعد هذا التقسيم مباشرة أبياتَ الهروي في منازل السائرين "ما وحد الواحد من واحد.." وهذه الأبيات أنكرها ابن تيمية أشد الإنكار حتى إنه ذكر أنها تشبه قول من قال "إن ما قاله النصارى في المسيح حق وهو موجود لغيره من الأنبياء والأولياء؛ لكن ما يمكن التصريح به لأن صاحب الشرع لم يأذن في ذلك"[1]، "وهؤلاء حقيقة قولهم من جنس قول النصارى في المسيح يدعون أن حقيقة التوحيد أن يكون الموحِّد هو الموحَّد؛ فيكون الحق هو الناطق على لسان العبد والله الموحد لنفسه لا العبد"[2]، وهو ما يسمى بتوحيد خاصة الخاصة الذي "ينتهي إلى الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية، وهو درب

---

1 حيث قال في مدارج السالكين (4/ 537 ط عطاءات العلم): إذا عرفت هذه المقدمات فالجمع الصحيح الذي عليه أهل الاستقامة هو: **جمع توحيد الربوبية وجمع توحيد الإلهية**. فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده. فلا خالق ولا رازق..**وأما جمع توحيد الإلهية**، فهو: أن يجمع قلبه وهمه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته، فتجتمع شؤون إرادته على مراده الديني الشرعي.اهـ

2 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (5/ 172): والتوحيد توحيدان: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، فصاحب توحيد الربوبية يشهد قيومية الرب فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده، ...وأما توحيد الإلهية فهو أن يجمع همه وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته، وأنشد صاحب المنازل أبياتا ثلاثة ختم بها كتابه ولا أدرى هل هى له أو لغيره: ما وحد الواحد من واحد ... إلخ

[1] مجموع الفتاوى (8/ 317)

[2] مجموع الفتاوى (14/ 185) وانظر أيضا: درء تعارض العقل والنقل (5/ 170).

خطر، يفضي إلى الاتحاد..وإن كان قائله ـ أي الهروي ـ رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظا مجملا محتملا جذبه به الاتحادي إليه"[1].

والزبيدي نفسه حاول أن يلتمس لها مخرجا وتأويلا لها حيث قال بعد سردها: "وحاصل كلامه وأحسن ما يحمل عليه أن الفناء في شهود الأزليةِ والحُكمِ يمحو شهود العبدِ لنفسه وصفاته فضلا عن شهود غيره، فلا يشهد موجودا فاعلا على الحقيقة إلا الله وحده، وفي هذا الشهود تفنى الرسوم كلها.."[2].

الثاني: أن الزبيدي قد صرّح بأن ما ذكره هو على سبيل الاستطراد والتبرك! حيث إنه عنون لذلك بقوله:"**تكميل**: التوحيد توحيدان. توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.."، ثم بعد ذكره له وذكر أبيات الهروي السابقة ثم قال: وقد استطردنا هذا الكلام تبركا به لئلا يخلو كتابنا من بركات أسرار آثار التوحيد، والله يقول الحق وهو يهدي سواء السبيل[3].اهـ وأنت خبير أن التبرك هو أصلا ضد نظرية تقسيم التوحيد عند ابن تيمية بل إن تحريم التبرك وكونه شركا ـ إلا بشروط كثيرة ـ هو ثمرة من ثمرات هذه النظرية، وإذا علمتَ أن القوم يحرّمون التبرك بصحيح البخاري ويجعلونه من بدع الصوفية[1]، فكيف بالتبرك بكلام ابن تيمية وتقسيمه للتوحيد؟!

---

[1] شرح الطحاوية لابن أبي العز ت الأرناؤوط (1/ 55).

[2] تاج العروس من جواهر القاموس (9/ 276)

[3] تاج العروس (9/ 277)

1 جاء في كتاب : (التنبيهات الجلية على المخالفات العقدية في كتابي: تحفة الأحوذي وعون المعبود) ص 108: قال المباركفوري: قد **أجاز كثير من أهل العلم في هذا الزمان قراءة "صحيح البخاري" وختمه لشفاء الأمراض** ودفع المصائب .. ثم عقب قائلا: **اعتقاد التوسل بصحيح البخاري** لكشف الكربات، وإزالة النكبات **من بدع الصوفية المحدثة** التي ارتضاها المصنف وأخذ يستدل على جوازها.اهـ وقال الشيخ عبد الله علوان في " تربية الأولاد في الإسلام " في (ص493) بعد أن نقل عن السبكي: **وأمَّا "الجامع الصحيح" وكونه ملجأً للمعضلات، ومجرَّباً لقضاء الحوائج، فأمرٌ مشهورٌ**.."طبقات الشافعية الكبرى" (234/2) قال علوان: وقد ردَّ على هذه **الخرافة أهلُ السُّنَّة الموحدون،**

الثالث: أن الزبيدي لم يعتمد هذا التقسيم في كتبه الأخرى ولا سيما حينما شرح كتاب الإحياء وبالتحديد أوله، وهو "قواعد العقائد"الذي تحدث فيه الإمام الغزالي عن التوحيد، فقال مثلا: "**والتوحيد جوهر نفيس**، وله قشران أحدهما أبعد عن اللب.."، فسرد الزبيدي في شرحه حينها تعاريف كثيرة للتوحيد[1]، ولم يسرد تقسيمَ ابن تيمية للتوحيد، بل إن الزبيدي نفسه قسّم التوحيدَ إلى الأقسام الثلاثة عند الأشاعرة، وهي "**توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الافعال**"[2]، كما أقرّ بذلك الخصم[1].

وأما قولكم بأن الزبيدي في إتحاف السادة المتقين قد "أقرّ التفريق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية ناقلاً عن صاحب البصائر.."[2]. **فنجيب عنه: أولا:** يمكن أن يكون الزبيدي ذكره عن صاحب البصائر على سبيل الاستطراد والتبرك كما فعل في شرحه على القاموس كما رأينا. **ثانيا:** ليس فيه تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، غاية ما فيه ذِكر كلمتي

الذين أكرمهم الله بالبعد عن الخرافات، وننقل للقارئ أقوالهم..اهـ وانظر المزيد في مقال على ملتقى أهل الحديث بعنوان "هل يجوز التبرك بقراءة صحيح البخاري" على الرابط :

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=93309

[1] فذكر الزبيدي تعريف ذي النون المصري للتوحيد وهو "أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج , وصنعه للأشياء بلا علاج , وعلة .. وكل ما تصور في وهمك فالله بخلاف ذلك". وذكر أيضا أنه "سئل الجنيد عن التوحيد فقال: إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد ..بنفي الأضداد والأنداد والأشباه.." وذَكر قولَ رويم: التوحيد محو آثار البشرية وتجرد الألوهية.اهـ وذكر أقوال أخرى في التوحيد نقلا عن الرسالة القشيرية، انظر اتحاف السادة المتقين الزبيدي (1/ 237، 238) الرسالة القشيرية (2/ 466).

2 اتحاف السادة المتقين الزبيدي (3/ 364)

1 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 145). وانظر مثلا مقالا بعنوان: " رد شبهات تقسيم التوحيد وابتداع ابن تيمية له / مُحَمَّد بن عبد الوهاب والشرك في نجد" على الرابط التالي:

http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=169486

2 إتحاف السادة المتقين الزبيدي (9/ 42)

الربوبية والألوهية، وقد ذكرنا سابقا أنه ليس النزاع في استخدام هاتين الكلمتين في اللغة أو في الشرع وإنما فيما وراء ذلك، أي في المقدمات التي قامت عليها نظرية تقسيم التوحيد ونتائجها1 الخطيرة، فضلا عن وجود مشكلة في التقسيم نفسه؛ لأنه يجعل الشيءَ قسما وقسيما لشيء واحد في وقت واحد كما سبق بيانه2.

وأما قول دمشقية: "فهل تتهمون الزبيدي بموافقة القائلين بالثالوث كما اتهمتم ابن تيمية'' فمعاذ الله أن نتهم أيّا من أهل القبلة بهذا أو بشبهه، وإنما هذه مِن مبالغات مَن ردّ على ابن تيمية تقسيمه للتوحيد، تماما كما بالغ وغالى من تحمّس لتقسيمه، وجعل مَن لا يقول به ممن قد بلغ الغاية القصوى من الضلال و''الجهالة والعماية''، وذلك لأنه حَكم "باتحاد التوحيد"، و"لم يفرّق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ فلذا خبط خبط عشواء"3، إلى آخر ما قال مما سبق المزيد منه4.

وإنما نقول هنا ما قلناه سابقا1 من أن كل التقسيمات المختلفة للتوحيد؛ سواء تقسيم ابن تيمية والسلفية الذين تبعوه، أو تقسيم الأشاعرة أو المعتزلة أو الصوفية أو الشيعة أو غيرهم، إنما هي تقسيمات اجتهادية ليس فيها نص صريح من الكتاب والسنة الصحيحة، فمَن اقتنع بأي منها فله أن يلتزم بها دون أن يُلزم بها من سواه ولاسيما ممّن قد يراها مخالفة للكتاب والسنة.

ثالثا: إبراهيم البيجوري ت 1276 هـ

---

1 انظر: ص (568)

2 انظر: ص (315)

3 جهود علماء الحنفية (1/ 204).

4 انظر: ص (460،و 564)

1 انظر: ص (440)

يقول دمشقية: إن **تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية ذكره البيجوري في شرح جوهرة التوحيد،** ففي تفسير {الحمد لله رب العالمين} قال "يشير الى **تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية** المقتضي من الخلق تحقيق العبودية"1.اهـ

والجواب: إن هذا الذي قاله دمشقية وقلّده فيه آخرون كما سنرى: كلُّه أوهام بأوهام، فهذا ليس من كلام البيجوري، وإنما هو من كلام ملّا علي القاري، وقد سبق عزوُه إليه والجواب عنه[2]، وليت شعري هل حاشية البيجوري على الجوهرة كتابُ تفسير حتى يذكر البيجوري ذلك في تفسيره لقوله تعالى: {الحمد لله رب العالمين} كما زعم دمشقية؟!

ومثله اللقاني اقتصر في أرجوزته ـ "جوهرة التوحيد"التي حشّى عليها البيجوري ـ على قوله "الحمد لله"، ولم يقل "الحمد لله رب العالمين"حتى يفسرها البيجوري، ويذكر عندها تقسيم التوحيد كما زعم دمشقية، فاللقاني ابتدأ أرجوزته بقوله:

الحمد لله على صِلاته..ثم سلام الله مع صَلاته

وهنا تكلم البيجوري الكلامَ المعروف عن معنى الحمد لغة وشرعا وعن أقسامه وأركانه وعن الفرق بينه وبين الشكر ونحو ذلك[1]، ولم يأت قط على ذكر التوحيد وأقسامه، ولا ذكر كلمة الربوبية والألوهية أصلا.

بل ذكر البيجوري بعد ذلك تعريف التوحيد وشرحه على أصول الأشاعرة، فقال: التوحيد: **هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفات وأفعالا، فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى،** فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه لا فعلا ولا وهما ولا فرضا مطابقا للواقع، **ولا تشبه صفاته الصفات،** ولا تعدد فيها من جنس واحد بأن يكون له

---

1 انظر: موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 145).

2 انظر: ص (193، 557)

1 انظر تحفة المريد للبيجوري ص2826، ط/دار السلام.

تعالى قدرتان مثلا، **ولا يدخل أفعاله الاشتراك**، إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقا، وإن نسب إلى غيره كسبا[(1)].اهـ

والحاصل أن البيجوري تكلّم على التوحيد وشرَحه على أصول الأشاعرة كما رأينا، وأما ما نسبه دمشقية للبيجوري من أنه يقسّم التوحيدَ إلى ألوهية وربوبية فوهمٌ محض، هذا إن حسّنا الظن بدمشقية وإلا فهو كذب محض، والطريف أن يتابع دمشقيةَ على هذا الوهم آخرون2 دون أن يتأكدوا من صحة هذه النسبة!! وإنما فقط يريدون أن يكثّروا سوادهم بأن البيجوري قسّم التوحيد إلى ربوبية وألوهية ووافق ابنَ تيمية على ذلك!

بل جاء **من زاد في الطنبور نغما فنسب إلى الإمام البيجوري** أيضا أنه قال: يشير إلى **توحيد الربوبية بمعنى الإيمان بكمالات الله جملة، والمترتب عليه توحيد الألوهية..وينبني عليه جملة توحيد العبادة العملية** لله[1].اهـ دون أن يذكروا في أي كتاب قال ذلك! طبعا أنا لم أجد هذا الكلام المنسوب للبيجوري في حاشيته على الجوهرة، ولا هم نسبوه إلى هذا الكتاب أصلا ولا إلى غيره لنستطيع التحقق من تلك النسبة!

ثالثا: *ثلة من العلماء المتأخرين والمعاصرين*

وهم الذين نُسب إليهم تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، وهم العلامة الجلال المحلي(864 هـ)، وميارة المالكي (1072هـ)، والخرشي(1101 هـ)، والبناني(1198هـ)، وعبد المجيد الخاني النقشبندي(1318هـ)، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة (1417 هـ).

---

(1)حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص38.

2 فقد نَقل عن دمشقية قولَه هذا بعضُ المواقع السلفية، انظر مثلا مقالا بعنوان: "رد شبهات تقسيم التوحيد وابتداع ابن تيمية له / مُحَمَّد بن عبد الوهاب والشرك في نجد"، وانظر أيضا مقالا على النت على موقع منتدى التوحيد بعنوان:"مناظرة حوار عن تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية".

1 انظر أيضا مقالا بعنوان:" مناظرة حوار عن تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية".

وفي ذلك يقول بعضُ السلفية وهو يسرد مَن وافق ابنَ تيمية على تقسيم التوحيد: ((وقول الشيخ العلامة سيدي أحمد ميارة في الدر الثمين شرح نظم سيدي ابن عاشر حين قال: "ثم قال عند قوله أن تؤمن بالله أي بأنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله **لا شريك له في الألوهية وهي استحقاق العبادة**، منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها وبقدم ذاته.."، **وكذلك قول البناني** في حاشيته في الأصول، **والجلال** في الشرح حين الكلام على الشهادتين وفسراها بنفس تفسير الشيخ مُحَمَّد: "(**والإله المعبود بحق**) أي المراد بالإله هنا المعبود بحقّ لأن صحة المفهوم في الآية تتوقف على تفسير الإله بذلك، وأما لو أريد به مطلق المعبود فلا لفساد المعنى حينئذ كما هو ظاهر"، **ومثله قول الخرشي** في شرحه لمختصر سيدي خليل الذي ذكر الربوبية ثم الألوهية، فشرحها الخرشي فقال بعد أن تكلم عن توحيد الربوبية وانفراد الواحد بالتصريف والخلق والتدبير: "(قوله **وألوهيته**) **أي كونه إلها أي معبودا بحق**، (قوله ولا معاند)..(**قوله وربوبيته**) **أي كونه ربا أي مالكا للعالم**"، وكذلك قول الشيخ عبد المجيد خاني النقشبندي في الحدائق الوردية، والشيخ أبو غدة و غيرهم كثير))[1].

والجواب: أولا: أين ذُكر في كل هذه النصوص أن التوحيد ثلاثة أقسام: ربوبية وألوهية وتوحيد أسماء وصفات كما قال ابن تيمية؟! على العكس فإن بعض هؤلاء نص على تقسيم التوحيد إلى ما قسّمه إليه الأشاعرة، فقال مثلا سيدي ميارة بأنه "تعالى واحد في ذاته

---

1 انظر:" حوار عن تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية" على الرابط:

.html27355http://www.eltwhed.com/vb/archive/index.php/t-

وصفاته وأفعاله"[1]، ثم شرح ذلك على النحو الذي يقرّره الأشاعرة في العقيدة مما يسميه الخصم تعطيلا[2].

ثم أين في تلك النصوص المقدماتُ الكثيرة لنظرية تقسيم التوحيد المتنازع فيها[3]؟! إنّ معظم ما في هذه النصوص ليس محل النزاع أصلا، بل قد نصّ عليه كثيرٌ من الأشاعرة والماتريدية والصوفية عليه مثل أن الألوهية والعبادة لله وحده، وأن الله هو وحده الإله المعبود بحق، وأن هذا هو مفاد شهادة أن لا إله إلا الله، وقد سبقت نصوصهم في ذلك[4].

ثالثا: إن غاية ما في هذه النصوص هو استخدامهم لكلمة الربوبية بمعنى كونه تعالى ربّا مالكا للعالم، والألوهية بمعنى كونه تعالى إلها معبودا بحق، وأنه وحده المستحق للعبادة، وهذا لا ننازع فيه، وإنما نزاعنا في أن الألوهية والربوبية، وكذا الإله والرب هل يأتي كل منهما بمعنى الآخر؟ وهل يستخدم أحدهما بمعنى الآخر؟ والذي توصلنا إليه أن أحدهما يستخدم بمعنى الآخر، ولذلك وجدنا ـ كما سبق[1] ـ أن الأشاعرة والمتكلمين بصورة عامة يستخدمون "الألوهية" تارة بمعنى استحقاقه للعبادة وحده، وتارة بمعنى الربوبية، وتارة بكلا المعنيين معا، لأنهما ـ أي الرب والإله ـ مترادفان أو متداخلان أو متلازمان، لا لأن المتكلمين "في عباراتهم

---

1 الدر الثمين والمورد المعين (ص: 101)، لسيدي العلامة مُحَمَّد بن أحمد ميارة المالكي، ت: عبد الله المنشاوي دار الحديث القاهرة، 2008م.

2 حيث قال بعد ذلك: "والكل بقضائه وقدره وسمع بلا صماخ وبصر بلا حدقة وكلام بلا حرف ولا صوت منزّه عما يعتري كلامنا النفسي من الخرس الباطن منزه عن قيام حادث به من حركة وسكون أوتحيز ..منزه عن الجهة والجسمية وصفاتهما ولوازمهما وكل سمة نقص"[2]. انظر: الدر الثمين والمورد المعين (ص: 101)، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة 3 /1098.

3 انظر: ص (484)

[4] انظر: ص (368)

1 انظر: تنوير الرب الإله ص (195)

اضطرابا"[1] كما زعم المعلمي اليماني، بل السلفية هم المختلفون المضطربون في ذلك كما سبق بيانه[2].

خامسا: أما الشيخ عبد المجيد خاني النقشبندي فأين قوله في الحدائق الوردية حتى ننظر فيه ونرى هل فيه تقسيم للتوحيد إلى ألوهية وربوبية؟! ولعل هذا الناقل عن الشيخ الخاني تبع عبدَ الرحمن دمشقية حين قال: وأشار صاحب الحدائق الوردية النقشبندي **إلى هذا الفرق بين توحيد الربوبية التي سماها مرتبة الخالقية، والمرتبة الثانية التي أسماها بمرتبة الألوهية**[3].اهـ وأجيب عن هذا النص من وجوه:

الوجه الأول: أين في هذا تقسيم للتوحيد إلى ألوهية وربوبية؟! غاية ما فيه مجرد ذِكر مرتبة الخالقية ومرتبة الألوهية، وهذا بمجرده **لا يفيد تقسيم التوحيد** إلى ذلك، وإنما يفيد استخدام كلا الكلمتين لا على الترادف وإنما على التغاير، **وهذا لا نزاع فيه** إذ قد رأينا صنيعا مماثلا لكثير من المتكلمين حيث **يستخدمون هاتين الكلمتين على التغاير تارة**[4]، وعلى الترادف تارة أخرى كما سبق[5]، والأخير ـ وهو استخدام كلا الكلمتين بمعنى الآخر ـ هو محل النزاع إذ يزعم الخصم **أن "أمّ الطامّات"هو اعتقاد "أن الألوهية بعينها هي الربوبية"1**، وأن تفسير أحدهما بالآخر "تحريف واضح وتخريف فاضح"(2).

1آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (2/ 332)

2 انظر: تنوير الرب الإله ص (558)

[3] موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 145)

4 انظر: تنوير الرب الإله ص (195)

5 انظر: تنوير الرب الإله ص (327)

1 جهود علماء الحنفية (1/ 178)

(2) عداء الماتريدية للعقيدة السلفية لابن قيصر الأفغاني 185/3. باختصار.

الوجه الثاني: بالرجوع إلى نص كلام الخاني في كتابه **نرى أن ما نسبه إليه دمشقية ليس كلامه وإنما نقله الخاني عن الشيخ الفاروقي السرهندي** في ترجمته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى **نرى أن كلامه كان ليس لتقسيم التوحيد** كما أوهمنا دمشقية، وإنما كان السرهندي يتكلم عن مراتب الوجود، حيث يقول: إن لكل مرتبة من مراتب تنزل الوجود سبحانه اسما مختصا بها وأحكاما لا توجد إلا فيها، فالوجوب الذاتي والاستغناء الذاتي مختص **بمرتبة الجمع والألوهية،** والإمكان الذاتي والافتقار الذاتي مختص بمرتبة الكون والفرق. **والمرتبة الأولى مرتبة الربوبية والخالقية، والمرتبة الثانية مرتبة المعبودية والمخلوقية.** فلو أطلق اسم مرتبة على مرتبة أخرى وأجريت أحكام مختصة بمرتبة على مرتبة أخرى لكان زندقة صرفا وكفرا محضا.[1].اهـ وكما ترى **فإن هذا الكلام لا تقسيم فيه للتوحيد وإنما لمراتب الوجود،** ولاسيما إذا علمنا أن **السرهندي يقسم التوحيد إلى توحيد وجودي وشهودي** كما سنرى، نعم استخدم خلال ذلك **كلمتي الخالقية والألوهية،** وقلنا هذا لا شيء فيه.

وهذا مثل ابن سبعين حينما كان يفرق "في الوجود تفرقة اعتبارية بين الهوية والماهية..**والهوية عنده هي الربوبية، والماهية هي العبودية**"[2]، فهل يقال إن **ابن سبعين يقسّم التوحيد إلى ألوهية وربوبية،** مع أنه قائل "بوحدة الوجود وأنه ما ثَمَ غيرُ[1]"[2].

الوجه الثالث: أن الخاني نفسه ذكر في كتابه "الحدائق الوردية"قضية التوحيد الوجودي، ونسبها للشيخ السرهندي النقشبندي كما نقل ذلك بعض السلفية، فقال: (أحمد

---

1 ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص199

2 انظر: تنوير الرب الإله ص (327)

1 كذا وقع "غير" بدون هاء في مجموع الفتاوى، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا» (1/ 178)، وكذا في «مدارج السالكين» (1/ 236 ط عطاءات العلم)، وقال المحقق في حاشية الأخير: (في ع زاد بعضهم بعده الهاء وكتب فوقه حرف الخاء يعني أن في نسخة أخرى: "**غيره**").اهـ

2 مجموع الفتاوى (2/ 472)

الفاروقي السرهندي هو رجل وجودي بشهادته على نفسه وإطرائه على كبير الوجوديين محيي الدين بن عربي إذ يقول ـ كما نقل عنه ذلك عبدُ المجيد الخاني في كتاب الحدائق الوردية ـ: "قد كُشف لي التوحيد الوجودي وأُلقي إليّ علوم كثيرة ومعارف جمة..ولاحت لي معارف مظهر الصفة العلمية للشيخ الأكبر..)[1].

وأيضا نقل دمشقية عن السرهندي هذا أيضا قوله: "وجدتُ الله عين الأشياء كما قاله أربابُ التوحيد الوجودي..ثم وجدت الأشياء: فوجدت الله عينها بل عين نفسي. ثم وجدتُه تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي"[2]، ونحو ذلك قول السرهندي في إحدى رسائله "إن التوحيد الذي يحصل للصوفية في أثناء سلوكهم ينقسم قسمين: **التوحيد الشهودي، والتوحيد الوجودي، والتوحيد الشهودي** عبارة عن رؤية واحد، أي ألا يكون شهود السالك إلا فردا واحدا، والتوحيد الوجودي عبارة عن اعتقاد وجود واحد، وفناء كل ما سواه وعدمه"[3]، و"هكذا يبدو جليا أنه قائل بوحدة الوجود،

---

1 الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، الشيخ فريد الدين آيدن (1/ 262) نقلا عن الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ص/ 181

[2] موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 975) نقلا عن المواهب السرمدية 182 ، الأنوار القدسية 181 البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية 78 .

3 رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، الإمام السرهندي، للندوي ص256 . ولكن وضح الندوي أن الشيخ السرهندي كان له جهود في الرد على وحدة الوجود، فهو يقول ص261: ليست مأثرة الإمام التجديدية في إثباته بالدليل والبرهان أن نظرية وحدة الوجود التي كان لها القبول العام، وكانت كالعملة السائدة، لا تجدر بأن تكون مقياسا صحيحا وغاية أخيرة في طريق السلوك والمعرفة، بل إن ميزته وعبقريته في هذا الباب أنه تناول هذه النظرية بالنقد في ضوء تجاربه الشخصية ومشاهداته الذاتية.اهـ وانظر أيضا مقال على الشبكة بعنوان: مجددون في نظر المجدد: الإمام السرهندي، على الرابط التالي:

https://www.yassine.net/ar/2015/01/مجددون-في-نظر-المجدد-الإمام-السرهندي/

وواقف موقف الإجلال من محيي الدين بن عربي"[1]. وهذا وعامة النقشبندية يرون "أن التوحيد قسمان: توحيد شهودي..توحيد وجودي"[2].

والحاصل أن الكلام الذي نسبه دمشقية للخاني إنما هو للسرهندي، ثم ليس في كلام السرهندي تقسيم للتوحيد إلى ربوبية وألوهية وإنما كان كلامه في مراتب الوجود، بل الشيخ السرهندي نفسه نصّ على خلاف هذا التقسيم حيث قسّم التوحيد إلى توحيد وجودي وتوحيد شهودي، وكذا عامة النقشبندية كما رأينا.

الوجه الرابع: حتى لو سلمنا أن الشيخ الخاني والسرهندي ممّن يرى فرقا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فالمشكلة ليست هنا كما قلنا غير مرة، وإنما المشكلة في مقدمات ونتائج نظرية تقسيم التوحيد، وأن تجعل هذا التقسيم أمرا شرعيا منزّلا ليس اصطلاحيا اجتهاديا، والشيخ الخاني لا يرى كل ذلك، فلا هو قائل بمقدمات ولا بنتائج نظرية تقسيم التوحيد، ومن زعم ذلك فيأتي بكلام الخاني الدالّ على ذلك، ولا هو يرى أن هذا التقسيم ضربة لازب لا يجوز سواه، كيف؟ وطريقة الشيخ الخاني النقشبندية هي تقسيم التوحيد إلى توحيد وجودي وتوحيد شهودي كما نقلتم عنهم كما رأينا توّا!

طبعا هذا كله بغضّ النظر عن موقفنا من تقسيم التوحيد إلى توحيد وجودي وتوحيد شهودي، ومن فكرة وحدة الوجود، وماذا تعني، ومن القائل بها، وما حكمه وحكمها؟ فهذا فيه جدل طويل الذيل جدا ولا يسمح المقام ببسطه، ولعلنا نفرده بالتصنيف إن شاء الله.

---

[1] الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، الشيخ فريد الدين آيدن (1/ 262)

2 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 144) نقلا عن البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية العلية النقشبندية ص80-81 ط : مكتبة الحقيقة – وقف الإخلاص . إسطنبول . وانظر: رفع الغشية عن نقد دمشقية للطريقة النقشبندية. مقال على الشبكة على الرابط:

http://www.aslein.net/showthread.php?t=18628&page=

سادسا: أما الشيخ أبو غدة وتقسيمه للتوحيد، وفي ذلك يقول الأفغاني بأن "أحد كبار من له صلة بالقبورية ألا وهو الشيخ أبو غدة الكوثري الحنفي"ثم نقلوا قوله: "وأما تقسيم التوحيد إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى **إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية – فهذا تقسيم اصطلاحي استقاه العلماء مما جاء في الكتاب والسنة في مواضع لا تحصى**"[1] ثم يعلّق الأفغاني: **فهل يبقى عذر للقبورية** بعد شهادة هذا الكوثري بلسانه واعترافه ببيانه[2]؟! وانظر احتجاج دمشقية بأبي غدة. (**وذكر تلميذ الكوثري الشيخ أبو غدة أن هذا التقسيم مستقى مما جاء به الكتاب والسنة**)[3].

والجواب: أولا: لم يقل شيخ شيوخنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله ـ إن هذا التقسيم قال به الصحابة والتابعون وأتباعهم ﷺ! ولا قال إنه تقسيم شرعي كما زعمتم[4]، وإنما قال هو "تقسيم اصطلاحي"، وهذا مبني على المعنى الضيق للبدعة المذمومة عند جمهور العلماء ـ ومنهم أبو غدة ـ وهي ما خالف كتابا أو سنة أو إجماعا كما قال الإمام الشافعي، ومبني على تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام، وليس مبنيا على المفهوم الواسع للبدعة عند السلفية وهي كل ما لم يفعله النبي ﷺ، فتقسيم التوحيد بدعة حتما على هذا المعنى الواسع للبدعة[1].

---

1 جهود علماء الحنفية (1/ 117)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 117)

3 موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية (ص: 145)

4 انظر: ص (459)

1 جاء في «المدخل إلى السنن الكبرى – البيهقي – ت الأعظمي» (ص206): ... ثنا الربيع بن سليمان، قال: قال **الشافعي** ﷺ: **المحدثات من الأمور ضربان:** أحدهما: ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا ، **فهذه لبدعة الضلالة.** والثانية: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، **فهذه محدثة غير مذمومة،** وقد قال عمر ﷺ في

ثانيا: أن الشيخ أبو غدة لم يقل بسائر مقدمات تقسيم التوحيد عند ابن تيمية، ولا قال بأن من لم يقسم التوحيد إلى ما **قسمه ابن تيمية هو مبتدع ضال مشرك..وأنه قد بلغ فيه من العماية والغواية الحد الأقصى كما زعمتم،** غاية ما هنالك أنه لم ينكر عليه تقسيمه بل التمس له الدليل من الاستقراء على هذا التقسيم تحسينا للظن بقائله كما هو دأب الشيخ أبو غدة وأدبه، ولكن قد رأينا أن الاستدلال بالاستقراء على نظرية تقسيم التوحيد استدلال غير صحيح.

ثالثا: قلنا إنه **ليست المشكلة في الأقسام الثلاثة** التي ذكرها ابن تيمية للتوحيد، وهي أنه لا معبود بحق ولا خالق إلا الله وأن تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فهذه حقائق ثابتة لا ريب فيها كما سبق، **وإنما المشكلة هي الزعم أن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات قسمان مغايران** لقسم توحيد الألوهية المعبَّر عنه بشهادة أن لا إله إلا الله لما سبق بيانه، كما أن المشكلة هي في سائر مقدمات تقسيم التوحيد التي قام الدليل على بطلانها، **والمشكلة الأكبر في النتائج الخطيرة التي رُتّبت عليها،** وكل هذا لا يقول به الشيخ أبو غدة رحمه الله.

وهكذا نكون قد عرضنا كلام العلماء من السلف والخلف الذين قيل بأنهم قائلون . تصريحا أو تلميحا . بنظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد أو ببعض مقدماتها، والذي **انتهينا إليه أن أحدا من هؤلاء العلماء لم يقل بنظرية ابن تيمية** هذه في تقسيم التوحيد، لا ممّن جاء قبله ولا ممن جاء بعده! اللهم إلا أن يكون من تلامذته أو أتباعه أو ممن تأثر به.

ولكن ما يهمنا هنا هو التركيز على من كان قبل ابن تيمية **لنؤكد هنا على أنه لا أحد سبق ابنَ تيمية إلى نظريته هذه،** والسبب بسيط وهو أن هذه النظرية متكاملة ذات مقدمات كثيرة مترابطٌ بعضها ببعض، بل هي مبنية بعضُها على بعض، أي أن تلك النظرية

قيام شهر رمضان: «**نعمت البدعة هذه**» يعني أنها محدثة لم تكن ، وإن كانت فليس فيها رد لما مضى.اهـ وانظر أيضا: حلية الأولياء - (113/9).

لا تقوم إلا بجميع مقدماتها شأن الشيء الذي لا يقوم إلا باكتمال أركانه، **فمن يدعي أن زيدا مثلا سبق ابنَ تيمية إليها فيجب أن يكون زيد هذا قائلا بكلِّ أو بجلِّ مقدمات هذه النظرية التي سبق ذكرها**[1]، بيد أن كلّ من قيل بأنه قائل بنظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد **لم يقل بجميع تلك المقدمات** ولا بأكثرها، بل الذي ثبت لي **أن معظمهم إن لم يكن كلهم يقولون بما يخالف بعض مقدمات** هذه النظرية، وقد سبق بيان ذلك وتفصيله بحمد الله.

سابعا وأخيرا: وأما قولكم "وغيرهم كثير"فقد أحصينا من قسم التوحيد من العلماء واحدا واحدا هنا مما وقعنا عليه في كتبكم، وأما ما سوى ذلك فبيّنوه حتى ننظر في كلامه، وإلا كان مجرد تهويل، حتى لو **سلّمنا تنزّلا بوجود كثير من العلماء قسموا التوحيد** إلى ربوبية وألوهية، فهم ليسوا بأكثر من العلماء الذين لم يقسموا التوحيد إلى هذا التقسيم ولا إلى غيره، بل ذكروا التوحيد ذكرا مطلقا دون تقسيم أو تنويع أو تعديد، وهو ما سنبسطه في المبحث التالي، بحول الله.

المبحث الثالث: نصوص العلماء من السلف والخلف في ذكر "التوحيد"مطلقا دون تقسيم له

في هذا المبحث التالي نسرد أسماء علماء كثيرين جدا من السلف والخلف مع نصوصهم في ذكر التوحيد مطلقا دون تقسيم أو تنويع، **وقبل سردها نقول: حتى لو سلمنا جدلا** بأن ثمة من سبق ابنَ تيمية في نظريته لتقسيم التوحيد وأنه قال بجميع مقدماتها، ولنفترض أن عشرة أو عشرين من العلماء من السلف أو الخلف ممن جاء قبل ابن تيمية وسبقه إلى نظريته بجميع مقدماتها، فإن هذا مُعارَض بما لا يحصى عددا من علماء السلف والخلف ممّن جاء قبل ابن تيمية أو بعده، ولم يتفوّه قط بأن التوحيد ينقسم إلى قسمين أو أكثر! هذا على الرغم من كثرة دوران لفظ "التوحيد"على ألسنتهم وفي كتبهم.

ولقد قمت ببحث واستقصاء واستقراء لآلاف الكتب . مستعينا بالحاسوب . ولاسيما كتب الحديث والتفسير بالمأثور وكتب العقيدة المسندة التي ألّفها السلف وأهل

---

1 انظر: ص (484)

الحديث، فكلهم تراهم إذا ذكروا لفظ "التوحيد"ذكروه مطلقا دون تقسيم أو تقييد أو تنويع، بل في كثير من الأحيان ينصّون على أن التوحيد هو قول "لا إله إلا الله"فحسب كما سبق أن نقلنا نصوصا كثيرة عنهم[1].

وفي المطالب الآتية سرد لنصوص كثير من السلف والخلف وهم يتحدثون عن **التوحيد** مطلقا دون تقسيم أو تفريع أو تنويع.

المطلب الأول: نصوص علماء السلف في ذكرهم للتوحيد مطلقا دون تقسيم:

1) أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن **علي بن أبي طالب** ﷺ في قوله "له دعوة الحق"قال: **التوحيد لا إله إلا الله**[2].
2) **ابن عباس**: فقد أخرج عنه ابن المنذر قال: القدر نظام **التوحيد** فمن كفر بالقدر كان كفره بالقدر نقصا . وفي نسخة "نقضا". **للتوحيد** فإذا وحد الله وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى[3].
3) وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه في قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال: يقول هذا يوم ينفع الموحدين **توحيدهم**[4].
4) وأخرج الطبراني عنه..إن الذين يرمون المحصنات..المؤمنات يريد المصدقات **بتوحيد** الله وبرسله[1].
5) وقال: وأما قوله "اليوم نختم على أفواههم.."فهذا يوم القيامة حيث يرى الكفار ما يعطي الله أهل **التوحيد** من الفضائل والخير[2].

---

[1] انظر: ص (328)

2 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (8/ 412)

3 الدر المنثور للسيوطي، ط/هجر (3/ 202)

4 الدر المنثور (5/ 610)

1 الدر المنثور (10/ 681)

2 الدر المنثور (5/ 590)

6) وأخرج عنه عبد بن حميد وغيره عنه في قوله "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم''قال: أهل لا إله إلا الله أهل **التوحيد** والإخلاص لا أخزيهم يوم القيامة[1].

7) وأخرج أبو داود في ناسخه وابن أبي حاتم عنه أنه قال في قوله {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: 48]: إن الله حرّم المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل **التوحيد** إلى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة[2].

8) **قتادة**: فقد أخرج عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم في قوله: "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه **أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد لله** لا يقبل منهم حتى يقولوه ويقروا به والشرائع تختلف في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، فهذا كله في الإخلاص لله **وتوحيد** الله[3].

9) وأخرج عنه عبد الرزاق وغيره أنه قال في الآية السابقة: سلْ أهلَ التوراة والإنجيل هل جاءت الرسل إلا **بالتوحيد؟**[4]

10) وروى عبد بن حميد[1] والطبري عن قتادة، قوله: {ذرية بعضها من بعض} [آل عمران: 34] يقول: «في النية والعمل والإخلاص **والتوحيد له**»[2].

11) وأخرج عن قتادة ابن المنذر وابن أبي حاتم أنه قال في قوله { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}: لا تشفع الملائكة يوم القيامة إلا لمن ارتضى قال: لأهل **التوحيد**[3].

---

1 الدر المنثور (4/ 185)

2 الدر المنثور (4/ 470)

3 الدر المنثور (10/ 283)

4 الدر المنثور (13/ 214)

1 الدر المنثور (3/ 512)

[2] جامع البيان ط هجر (5/ 330)

3 الدر المنثور (10/ 283)

12) **سعيد بن جبير**: فقد أخرج عنه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في قوله "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله''يعني الذين لا يصدقون **بتوحيد** الله[1].

13) وأخرج ابن أبي حاتم **عنه** في قوله "قد أفلح المؤمنون''يعني: سعد المصدقون **بتوحيد** الله[2].

14) وأخرج عنه ابن أبي حاتم في قوله تعالى ''كتب عليكم القتال وهو كره لكم''قال: إن الله أمر النبي ﷺ والمؤمنين بمكة **بالتوحيد** وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يكفوا أيديهم عن القتال[3].

15) وأخرج ابن أبي حاتم **عنه** في قوله "وأمر بالمعروف''يعني **بالتوحيد** وانه عن المنكر يعني عن الشرك[4].

16) **مجاهد**: **فقد** أخرج **عنه** عبد بن حميد وابن المنذر "وجعلها كلمة باقية في عقبه''قال: الإخلاص **والتوحيد** لا يزال في ذريته من يقولها من بعده[5].

17) **وقال مجاهد**: كلمة التوحيد: لا إله إلا الله[1].

18) **عمر بن عبد العزيز**: عن غيلان، قال: قلت لعمر بن عبد العزيز: لو غيرت هذه الدراهم، فإنها تقع في يد اليهودي والنصراني والجنب والمجوسي، قال: «أردت أن تحتج علينا الأمم»، قال: «تريد أن نغيّر **توحيد** ربنا واسم نبينا»[2]

---

1 الدر المنثور (7/ 311)

2 الدر المنثور (10/ 555)

3 الدر المنثور (2/ 503)

4 الدر المنثور (11/ 650)

5 الدر المنثور (13/ 199)

1 شرح صحيح البخاري لابن بطال (6/ 138)

2 مصنف ابن أبي شيبة تحقيق عوامة (11/ 577)

19) **السدّي: فقد** أخرج عنه أبو الشيخ في قوله "هو الذي أرسل رسوله بالهدى"يعني **بالتوحيد** والقرآن والإسلام[1].

20) روى الطبري بسنده عن **مُحَمَّد بن جعفر بن الزبير**، قال: ثم قال يعني الرب عز وجل إنزاها لنفسه، وتوحيدا لها مما جعلوا معه[2]: {لا إله إلا هو العزيز الحكيم} [آل عمران: 6] قال: «العزيز في نصرته ممن كفر به إذا شاء، والحكيم في عذره وحجته إلى عباده»[3].

21) وروى الطبري بسنده عن **مُحَمَّد بن جعفر بن الزبير أيضا**: {إن الدين عند الله الإسلام} [آل عمران: 19] «أي ما أنت عليه يا مُحَمَّد من التوحيد للرب والتصديق للرسل»[4].

22) **خالد بن معدان: فقد** أخرج عنه ابن جرير وابن أبي حاتم في قوله إلا ما شاء ربك[5] قال: إنها في **التوحيد** من أهل القبلة[1].

23) **ابن زيد**، فقد أخرج عنه ابن جرير أنه قال في قوله: إنّا إلى ربنا منقلبون: إنا إلى ربنا راجعون وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيّانا وثباتنا على **توحيده** والبراءة من الكفر به[2].

---

1 الدر المنثور (7/ 324)

2 جامع البيان ط هجر (5/ 188)

3 جامع البيان ط هجر (5/ 188)

4 جامع البيان ط هجر (5/ 282)

5 المقصود قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: 106، 107].

1 الدر المنثور (8/ 141)

2 الدر المنثور (11/ 245)

24) **شعبة بن الحجاج**: فقد روى حديث "أن رجلا حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذبا فغفر الله له"ثم قال شعبة مِن قِبَل التوحيد[1]. قال السندي: أي من أجل اشتمال حلفه على لا إله إلا هو، ففيه ترغيب في قول: لا إله إلا الله[2].

25) **جعفر الصادق**: جاء في مسند أحمد في حديث جابر الطويل في الحج: حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ثم قرأ {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}، قال أبو عبد الله يعني جعفرا فقرأ فيها **بالتوحيد** و"قل يا أيها الكافرون"[3]. ويقصد بالتوحيد سورة الإخلاص كما وقع في رواية مسلم[4].

1) الطبري ونصوصه كثيرة جدا في إطلاقه لكلمة التوحيد والوحدانية، وقد سردنا كثيرا منها سابقا، ونكتفي هنا بسبعة منها، مثلا قوله: ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم، **وتنبيها لهم عن وحدانية الله**[5].

2) **وقوله: والذين جحدوا وحدانية الله** عن إنذار الله إياهم معرضون[1].

3) وقوله: يا أيها الذين **أقرّوا بوحدانية الله**، وبنبوة نبيه **مُحَمَّد** ﷺ[2]

4) وقوله: ثم لم يرتابوا، **يقول: ثم لم يشكّوا في وحدانية الله**[1].

---

1 مسند أحمد – الرسالة (26/ 26)

2 انظر حاشية مسند أحمد – الرسالة (26/ 26)

3 مسند أحمد – الرسالة (22/ 326)

4 في صحيح مسلم (2/ 887): ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول – ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ –: **كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد** وقل يا أيها الكافرون.

[5] جامع البيان ط هجر (18/ 528)

[1] جامع البيان ط هجر (21/ 111)

[2] جامع البيان ط هجر (21/ 335)

5) وقوله: {كل كفار عنيد} يعني: **كل جاحد وحدانية الله**[2].

6) وقوله: {مريب} يعني: **شاك في وحدانية الله** وقدرته على ما يشاء[3].

7) **وقوله: والذين أقرّوا بوحدانية الله** وإرساله رسله..أولئك هم الصدّيقون[4].

---

[1] جامع البيان ط هجر (21/ 395)

[2] جامع البيان ط هجر (21/ 438)

3 جامع البيان ط هجر (21/ 439)

[4] جامع البيان ط هجر (22/ 412)

المطلب الثاني: نصوص لفقهاء الشافعية والحنابلة في ذكرهم للتوحيد مطلقا دون تقسيم:

أولا: نصوص علماء الشافعية

1) **قال الشافعي**:..الصلاة التي هي أبين ما افترض الله عز وجل عليه بعد **توحيد الله** وشهادة أن مُحَمَّدا رسول الله ﷺ[1].

2) **الجنيد**[2]: حيث قال "**التوحيد** إفراد القدم من الحدث"3

3) **ابن خزيمة**: حيث قال باب ذكر الأخبار المصرّحة عن النبي أنه قال: إنما يخرج من النار من كان في قلبه في الدنيا إيمان دون من لم يكن في قلبه في الدنيا إيمان ممّن كان يقرّ بلسانه **بالتوحيد** خاليا قلبه من الإيمان[4]

4) و**قال الخطابي**..الدين ثلاثة أقسام أحدها **في** إثبات الصانع **ووحدانيته** وإنكار ذلك كفر[5].

5) **قوام السنة الأصفهاني**[6]، **حيث** قال أيضا مفسرا التوحيد: معنى **وحّدته: جعلته منفردا عمّا يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته**..منزها عن المثل في الذات

---

1 الأم للشافعي ت رفعت فوزي (2/ 565)

2 أورده الكثير في طبقات الشافعية، منهم ابن كثير في طبقات الشافعيين (ص: 168) وانظر طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (1/ 76)، طبقات الشافعية الكبرى (2/ 260).

3 كذا في الرسالة القشيرية، دار المعارف (1/ 19)، وأورده ابن تيمية في الاستقامة (1/ 92): وابن القيم في مدارج السالكين (3/ 444). وانظر: الجنيد بن مُحَمَّد وآراؤه الاعتقادية والصوفية ص241.

4 التوحيد لابن خزيمة (2/ 702)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 34/1

5 شرح النووي على مسلم (11/ 92)

6 وهو ممن يرتضيهم ابن تيمية ويحتج به في العقيدة، فمثلا جاء في درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (2/ 94): وقال أبو القاسم إسماعيل بن مُحَمَّد بن الفضل التميمي الأصبهاني الشافعي في كتابه المعروف بالحجة على تارك المحجة : (أجمع المسلمون على أن القرآن كلام الله وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة الله تعالى وأنه موصوف به وهذه الصفة لازمة لذاته..اهـ

والصفات..**والتوحيد: نفي التشبيه عن الله الواحد**..، وقيل: **التوحيد العلم بالموحد واحدا لا نظير له**، فإذا ثبت هذا فكل من لم يعرف الله هكذا فإنه **غير موحّد له**1.

6) **قال عبد القاهر البغدادي**: والصحيح عندنا أن أمة الاسلام تجمع المقرين بحدوث العالم **وتوحيد صانعه** وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه..[2].وقال أيضا: والصحيح عندنا أن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقرّ بحدوث العالم **وتوحيد صانعه** وقدمه، وأنه عادل حكيم مع نفي التشبيه والتعطيل عنه..[3].

7) **اللالكائي**4، فقد ذكر التوحيد في كتابه كثيرا ولكن دون أن يتطرق لتقسيمه! فمثلا **قال**: أما بعد فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين وما كلف الله به عباده **من فهم توحيده** وصفاته وتصديق رسله بالدلائل..[5].اهـ **وقال**:..وتنكّبوا سبيل المكذبين بصفات الله **وتوحيد رب العالمين**[6].

---

1 الحجة في بيان المحجة (306/1)، لقوام السنة إسماعيل بن مُحَمَّد التيمي (535هـ)، ت مُحَمَّد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية بالرياض، 1999م. جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 39/1. **وكما ترى فإن كلام قوام السنة هذا في التوحيد** أقرب إلى منظور الأشاعرة للتوحيد وقد اعتمده الحافظ ابن حجر في فتح الباري 344/13، فلا جرم أن شَعَر المدخلي الذي حقق الإبانة الكبرى لابن بطة أن تعريف قوام السنة أقرب إلى الأشاعرة، فعلق قائلا في الحاشية 5/ 210: "وهذا نوع من أنواع التوحيد الثلاثة وهو توحيد الأسماء والصفات، والثاني توحيد الألوهية، والثالث: توحيد الربوبية" ..!!! **قلنا**: وأين قال قوام السنة هذا التقسيم للتوحيد؟!! إن كلام قوام السنة في التوحيد واضح كالشمس فقد عرفه لغة وشرعا ولم يأت على هذا التقسيم قط.

2 الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (ص: 10)، دار الآفاق ، بيروت.

3 الفرق بين الفرق (ص: 221)

4 قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (17/ 419): اللالكائي الإمام الحافظ المجود، المفتي أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي، مفيد بغداد في وقته.اهـ طبقات الشافعية للإسنوي (2/ 191)

5 اعتقاد أهل السنة (1/ 9)، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، ت أحمد حمدان، دار طيبة – الرياض ، 1402. ونقله السيوطي في «صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام» (ص148)، وهو في «مجمل اعتقاد أئمة السلف» (ص29)، و«موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية» (6/ 61).

[6] اعتقاد أهل السنة (1/ 20) وانظر (1/ 132)

8) **وقال ابن الأنباري** (ت 577هـ): "إنما تواردت الملل والشرائع بمعرفة **التوحيد** لا بمعرفة وجود الصانع "أمرت أن أقاتل الناس حتى **يقولوا لا إله إلا الله**"[1]

9) **الفخر الرازي**: أجمع العقلاء على أن قولنا: «لا إله إلا الله"يوجب **التوحيد** المحض[2].

ثانيا: نصوص علماء الحنابلة في ذكرهم للتوحيد مطلقا دون تقسيم:

1) الإمام أحمد بن حنبل، حيث قال: صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من **يشهد أن لا إله إلا الله** وحده لا شريك له وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء..ولم يكفّر أحدا من **أهل التوحيد** بذنب..[3].

وقد وردت كلمة **التوحيد** ثلاث مرات في الكتاب المنسوب إلى الإمام أحمد وهو "الرد على الجهمية والزنادقة":

أ. **الأولى** قوله: أما قوله: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} وذلك أن هؤلاء المشركين إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل **التوحيد** يقول بعضهم لبعض: إذا سألنا نقول: لم نكن مشركين[4].

ب. **والثانية** قوله: أما قوله:{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ} فإنه يسألهم عند زفرة جهنم، فيقول: ماذا أجبتم في **التوحيد؟**[5].

ت. **والثالثة** قوله:..وإذا أرادوا أن يقولوا: **لا إله إلا الله**..وإلا لم **يصح توحيدهم**[6].

2) **ابن بطة**: فقد وردت كلمة التوحيد في كتابه الإبانة عدة مرات، منها ما يلي:

---

1 الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري ص200، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 40/1

2 مفاتيح الغيب (1/ 163)، جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة 41/1

3 طبقات الحنابلة (1/ 293)، طبقات الحنابلة (1/ 329)

4الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 72)، أحمد بن حنبل، ت صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط1.

[5]الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 75)

6الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 163)

أ. **قوله:** فقد جهلت وغلوت في دين الله غير الحق، وافتريت على الله الكذب والبهتان حين زعمت أن القرآن مخلوق، **وزعمت أن ذلك هو التوحيد، وأنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره**..إلى أن يقول ابن بطة:..فقد بطل الآن ما ادعيته من قولك: **إن التوحيد هو أن يقال: القرآن مخلوق**[1].**اهـ**

ب. ومنها قول ابن بطة: **فدعاهم إلى توحيد الله عز وجل والإقرار له بربوبيته،** واتباع أمره فصبر منهم على الأذى، حتى ظهرت حجة الله على خلقه، وأخلص له **التوحيد**..[2].

ت. وقال ابن بطة: النبي الأمين الزكيّ المرضيّ **فدعا الناسَ إلى الإقرار بتوحيد الله ومعرفته والبراءة من الأضداد والأنداد**[3].اهـ

3) **الحسن بن إسماعيل بن الربعي**[4]: وأن لا نكفر أحداً من أهل **التوحيد** وإن عملوا الكبائر[5].

4) **مسدد بن مسرهد**[6]: ثم ترد في الأجساد في القبور فيسألون عن الإيمان **والتوحيد**[7].

5) **الحسن بن علي البربهاري:** وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم **بالتوحيد** واشرح لي **التوحيد** فاعلم أنه خارجي معتزلي [8].

---

1 الإبانة الكبرى (6/ 150)

[2]الإبانة الكبرى لابن بطة (5/ 206)

[3]الإبانة الكبرى لابن بطة (2/ 625)

4 طبقات الحنابلة (1/ 127)

5 طبقات الحنابلة (1/ 130)

6 طبقات الحنابلة (1/ 340)

7 طبقات الحنابلة (1/ 343)

8 طبقات الحنابلة (2/ 34)

6) **البهوتي**: (لأن الكفار ولو مرتدين، مخاطبون بفروع الإسلام) من الصلاة والزكاة..على الصحيح **كالتوحيد**[1]. **وقال**: (ويلزمهم حكمنا) إن حكم به عليهم لالتزامهم بالعقد ذلك (لا شريعتنا) لإقرارنا لهم بالجزية فلا يلزمهم قضاء الصلوات ولا الزكاة..وإن كانوا يعاقبون على سائر الفروع **كالتوحيد**[2].

7) **أبو يعلى** الفراء: فقد وردت كلمة التوحيد في كتابه العدة عدة مرات، منها ما يلي:

أ. **قوله**: "أنه كذلك فيما يعرف ببدائه العقول وضرورات المعقول، **كالتوحيد**، وشكر المنعم، وقبح الظلم، فأما ما يعرف بثواني العقول استنباطاً واستدلالاً فلا يمنع أن يرِد الشرع بخلافه[3].

ب. وقال: أن **التوحيد** عندنا وما يدل العقل على صحته يجب بالشرع، ولا يجب بالعقل عبادة موجبة.

ت. وقال: لا يجب عليه أداء الزكاة حال كفر لا بمعنى أنه لا يعاقب عليها، لما تقدم أن الكفار يعاقبون على سائر فروع الإسلام، **كالتوحيد**[4]

8) **ابن مفلح**:..وسميت صلاة لاشتمالها على الدعاء، وقيل: لأنها ثانية **لشهادة التوحيد**، كالمصلي في السابق من الخيل[5]. وقال في "حيّ على الفلاح": ومعناه: هلُمّوا إلى سبب ذلك، وختم (**بلا إله إلا الله**) ليختم **بالتوحيد**.

وهكذا نكون قد سردنا نصوصا كثيرة عن علماء السلف والخلف وسردنا عن فقهاء الشافعية والحنابلة، وسابقا سردنا نصوصا كثيرة متفرقة عن **فقهاء المذاهب الأربعة** في أن

---

1 كشاف القناع عن متن الإقناع (1/ 223)

2 كشاف القناع عن متن الإقناع (3/ 140)

3 العدة في أصول الفقه (4/ 1249)، التحبير شرح التحرير (2/ 726): وقال القاضي ، والحلواني ، وغيرهما : (ما يعرف ببدائه العقول وضروراتها : كالتوحيد ، وشكر المنعم ، وقبح الظلم ، لا يجوز أن يرد الشرع بخلافه ، وما يعرف بتوليد العقل استنباطاً واستدلالاً فلا يمتنع أن يرد بخلافه) .

4 كشاف القناع عن متن الإقناع (2/ 168)

5 المبدع في شرح المقنع (1/ 263)

التوحيد والإيمان والإسلام وعصمة الدم في الدنيا والنجاة في الآخرة كل ذلك يكون بلا إله إلا الله، فأغنى عن إعادتها هنا[1].

أترون في كل هذه النقول بما فيها التي سبقت **عن فقهاء المذاهب الأربعة: أن التوحيد أقسام؟! أو أن التوحيد جاء فيها مطلقا دون إضافة أو تنويع أو تقسيم؟!** فما رأيكم في هؤلاء العلماء والفقهاء كلهم من السلف والخلف الذين ورد لفظ التوحيد مطلقا دون تقسيم، فهل ستقولون عنهم كما قلتم عمّن اعترض على تقسيم ابن تيمية للتوحيد، وهو أنهم وقعوا في **طامّات وبلغوا من العماية والضلالة والغواية الحد الأقصى لكونهم لم يعرفوا أقسام التوحيد الثلاثة!** واقتصروا على ذكر التوحيد مطلقا دون تقسيم؟! وقد سبق نقل نصوصكم في ذلك[2].

إذن أنتم لا يفيدكم أن تدّعوا أن زيدا أو عُبيدا أو عشرة أو عشرين أو حتى مئة من العلماء سَبقوا ابنَ تيمية إلى تقسيم التوحيد إلى تلك الأقسام الثلاثة، لأنكم تجعلون هذا التقسيم فرض عين على الناس كافة، بدليل أنكم تنكرون بأشد العبارات على من أنكر تقسيمَ ابن تيمية للتوحيد بل تنكرون على من لا يعرف تقسيمه وعلى من قسّمه تقسيمات مغايرة، ألم تقولوا مثلا عن تقسيم ابن تيمية للتوحيد بأن "الصواب والحق في هذا التقسيم والتفريق، والزيغ والضلال في الإعراض عنه"[3]؟! وقد سبق المزيد من نصوصكم في ذلك[4].

وبالتالي فالمشكلة هنا ليست فيمن سبق ابنَ تيمية إلى تقسيم التوحيد الثلاثي، وإنما المشكلة مع من لم يقسمه هذا التقسيم، فما قولكم فيه؟ أي مثلا ما قولكم في هؤلاء العلماء من السلف والخلف والمذاهب الأربعة الذين ذكروا التوحيد مطلقا دون تقسيم كما سبق أن

---

[1] انظر: ص (327، و410)

[2] انظر: ص (275، و460)

3 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

4 انظر: ص (438)

نقلنا نصوصهم للتو؟ هل هؤلاء عرفوا التوحيد؟!! فمثلا الإمام أحمد بن حنبل رأينا كلامه عن التوحيد فلم نجد فيه "أن التوحيد قسمان توحيد الربوبية و توحيد الألوهية وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا تعتبر معرفته لتوحيد الربوبية"[1]، و"عقيدة الإمام أحمد مدونة في مصنفات أتباعه وفي مناقبه لابن الجوزي وغيره، ليس فيها هذا التقسيم المبتدع"[2]. وما رأيكم بالصحابة حيث إنه **"لم يقل أيٌّ من أصحاب النبي إن التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية**، وإن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون"[3]

إذن أنتم ليست مشكلتكم فقط مع الأشاعرة والصوفية وغيرهم ممن لم يقسّموا التوحيد هذا التقسيم الذي قسّمه ابن تيمية، وإنما مع جماهير الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومع السفيانين والإمام مالك والشافعي وأحمد والدارمي وابن خزيمة وسائر العلماء من السلف وأهل الحديث والحنابلة، ومع كل شخص لم يقسم التوحيدَ تقسيم ابن تيمية، ولم يعرفه!! فكل من لم يقسّم التوحيد إلى ثلاثة إلى ربوبية وألوهية هو على الأقل ليس من أهل السنة والجماعة[4]، أو ليس مسلّما عندكم أصلا.

نعم قد تجد تقسيمات أخرى للتوحيد عند الأشاعرة والصوفية كما سبق، **ولكن هؤلاء لم يزعموا . على حد علمي . أن تلك التقسيمات للتوحيد واجبة ولا سنة**، ولا هي من علامة الإيمان أو الإسلام أو التوحيد ولا من علامات أهل السنة، وإنما هي

---

[1] السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد ص42

2 السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد ص22، وانظر: نقد تقسيم التوحيد للشيخ يوسف الدجوي الازهري.

3 السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد ص22

4 حيث قال سفر الحوالي في منهج الأشاعرة في العقيدة – تعقيب على مقالات الصابوني (ص: 37): **التوحيد عند أهل السنة والجماعة معروف بأقسامه الثلاثة, وهو عندهم أول واجب على المكلف**، أما الأشاعرة قدماؤهم ومعاصروهم, فالتوحيد عندهم هو نفي التثنية أو التعدد ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي حسب تعبيرهم "نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة", ومن هذا المعنى فسروا الإله بأنه: الخالق أو القادر على الاختراع...إلخ.

تقسيمات اصطلاحية اجتهادية، من أخذ بها فبِها ونعمت، ومن لم يأخذ بها فلا حرج عليه.

ولو أنكم قلتم مثل هذا في تقسيم ابن تيمية للتوحيد، أي لو أنكم قلتم: هذا تقسيم اصطلاحي اجتهادي لابن تيمية ليس ملزما لأحد بحيث لو أن أحدا قسّم التوحيدَ تقسيمات أخرى، أو لم يقسّم التوحيدَ أصلا: فلا جناح عليه قط، لو قلتم هذا لنفعكم بعد ذلك أن تذكروا لنا أسماء العلماء الذين سبقوا ابنَ تيمية إلى تقسيمه للتوحيد لتثبتوا أنه تقسيم غير مبتدع، بل حينها لستم بحاجة أصلا إلى أن تبحثوا عمن سبقه إلى هذا التقسيم ما دام أنكم تقولون بأنه تقسيم اجتهادي غير ملزم لأحد.

ولكنكم أنكرتم على الأشاعرة والصوفية لأنهم لم يقسّموا التوحيد إلى ربوبية وألوهية، فقلتم "**فأنكر هؤلاء الخصوم تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ولم يفرقوا بينهما،** وجعلوا توحيد الربوبية هو الغاية والمطلوب من المكلف"[1]. وجعلتم هذا غاية "**الجهالة والعماية**"وذلك لأنه حَكم "باتحاد التوحيد"، و"لم يفرّق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ **فلذا خبط خبط عشواء**"2، "فصار توحيد الألوهية عندهم هو توحيد الربوبية وهذا من أبطل الباطل"3، **"بل الصواب والحق في هذا التقسيم والتفريق، والزيغ والضلال في الإعراض عنه**"[4]، بل جعلتم من أنكر هذا التقسيم للتوحيد قد أصيب "بطامة كبرى، هي أم الطامات"وهي "جهل القبورية بحقيقة توحيد الألوهية **وجعلهم إياه عينًا لتوحيد الربوبية**".

---

[1] دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص:331)

2 جهود علماء الحنفية (1/ 204)

3 ملا علي القاري وآراؤه الاعتقادية في الإلهيات 1 / 92

4 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 328)

ليس هذا فحسب **بل أنكرتم على الأشاعرة والصوفية لكونهم قسموا التوحيد تقسيما مغايرا لتقسيمكم**، وحاكمتم تقسيمهم إلى تقسيمكم أي جعلتم تقسيمكم هو معيار فهم التوحيد وأنه حجة على العالمين، **فمثلا يقول ابن تيمية** عن تقسيم المتكلمين للتوحيد: وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاثة معان وهو: **واحد في ذاته لا قسيم له أو لا جزء له وواحد في صفاته** لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له. وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ **وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول**[1].اهـ وبأنه "تقسيم قاصر"[2] لأنه "**لا يوجد عندهم توحيد الألوهية**"[3]، "مع أنه أهم أنواع التوحيد إذ هو الغاية"[4] فضلا عن أن توحيد الصفات عندهم "**فيه تلحيد وإلحاد وتخريف وتعطيل وتحريف**.."[5].

علاوة عن أنكم أنكرتم على كل من لم يقل بمقدمات نظرية تقسيم التوحيد، مع أنها مقدمات باطلة كما أثبتنا ذلك في طول هذا الكتاب، كما أنكرتم على من لم يقل بنتائج هذه النظرية، بل حتى من خالف مصطلحاتها ومفاهيمها فقد أنكرتم عليه، بل من قال بأن هذا التقسيم اصطلاحي اجتهادي فيا ويله! والنتيجة أن من أنكر هذه النظرية أو خالفها فهو مشرك أو على الأقل مبتدع ضال !!

والطريف أكثر أنكم أنكرتم على كل من خالفهم في نظرية تقسيم التوحيد ومقدماتها ونتائجها وإن كان من المتقدمين على ابن تيمية الذي هو أصلا مخترع هذه النظرية!! فلو كان

---

1 درء تعارض العقل والنقل (1/ 317)

[2] موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 946)، وانظر أيضا شبهات المبتدعة في توحيد العبادة ص231

3 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3/ 177

[4] عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ط (2/ 441)

5 عداء الماتريدية للعقيدة السلفية 3/ 177

ابن تيمية رسولا لما كان مؤاخذا من خالفه ممّن تقدمه، كيف وشرط العذاب هو البلاغ، وهؤلاء المتقدمون على ابن تيمية لم يبلغهم ما قاله الأخير لأنهم ماتوا قبله أصلا.

ولا بأس هنا أن أسوق بعض نصوصهم في ذلك:

أولا: إنكارهم على الأشاعرة لأنهم لم يقولوا بأن مشركي العرب كانوا موحدين في الربوبية، حيث قال بعضهم: "وادعوا أن مشركي العرب الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا **مقرّين بأن الله هو الرب الخالق الرازق المدبر المحيي المميت** "[1]. "بل من نسب إلى العلم من المتأخرين منهم أن شرك المتقدمين كان لاعتقادهم بعض صفات الربوبية في الأصنام والأوثان، **فغفل كثير منهم عن حقيقة الشرك وبعض مظاهره، فوقعوا في الشرك بالله من الاستغاثة بغير الله والذبح لغيره وغير ذلك**"[2].

وكان المفروض لو أن الأشاعرة فعلا قالوا عن المشركين إنهم موحدون في الربوبية أو موحدون في الأفعال أو الخلق أو في أي نوع من أنواع التوحيد بغض النظر عن اسمه، أقول: **كان المفروض أن ينكر السلفية على الأشاعرة قولهم؛ لأن السلفية متشددون في شروط التوحيد!** إذ لا يطلقونه على مجرد من ينطق بكلمة التوحيد إلا بعد تحقق شروطه الثمانية، **فما بالك بمن لم ينطق به أصلا كالمشركين ؟!** فالمشركون لم ينطقوا بالتوحيد في الربوبية، وإنما تبرع السلفية لهم به! ثم أنكروا على من نفى عن المشركين توحيد الربوبية!! وهذا من أعجب العجب!!

ثانيا: وأنكروا على الأشاعرة مفهومهم للعبادة التي هي عندهم "غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد له **الخاضع بعض صفات الربوبية**"[3]، التقصير في معرفة بعض أنواع العبادة لدى

1دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص:331)

[2] منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص157

3 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص:334)

كثير من المتأخرين **كالدعاء ويطلقون عليه أنه عادة وليس عبادة** مما دفعهم لأن يصرفوه لغير الله تعالى[1].

ثالثا: إنكارهم على الأشاعرة لأنهم قالوا بأن سبب كفر المشركين هو نسبتهم الولد إلى الله وليس هو التشفع!! وفي ذلك يقول عبد العزيز اللطيف: "هؤلاء الخصوم يدّعون **أن العلة التي أوجبت كفر المشركين، هي اعتقادهم في الأنبياء، والملائكة أنهم أبناء الله وبناته..وليست علة كفرهم اتخاذهم الأصنام أو الأولياء شفعاء كي تقربهم عند الله زلفى"**2، "وإن قصدهم الملائكة والأنبياء **والأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم**..وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله) (3).

رابعا: أنكروا على الأشاعرة حملهم آيات الإلهية على الربوبية[4]. وتفسيرهم الإله بالقادر على الاختراع، لأن "هذا التفسير الذي ذكره أولئك الأشعرية له مفاسد كثيرة، منها أن هذا التفسير يصيّر توحيد الربوبية هو أول الواجبات، **مما يؤدي إلى عدم الاعتناء بتوحيد الألوهية اعتناء جيدا، بل يؤدي إلى عدم معرفته حق المعرفة**، إذ يتصور كثير من عوامهم بل من نسب إلى العلم من المتأخرين منهم أن شرك المتقدمين كان لاعتقادهم بعض صفات الربوبية في الأصنام والأوثان، فغفل كثير منهم عن حقيقة الشرك وبعض مظاهره، فوقعوا في الشرك بالله من الاستغاثة بغير الله والذبح لغيره وغير ذلك..والحقيقة غير المرضية هي أن كثيرا

---

1 منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص633

2 دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (ص: 286)

(3) كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب ص16

4 منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص161

ممن يقع في الشرك بل ومن يبرر للعوام فعلهم الشركي معدود في علماء الأشعرية"[1]، "لذلك لا يجد الباحث لهم تصنيفا **يوضح منهجهم في هذا التوحيد**"[2].

المطلب الثالث: في بيان دافع ابن تيمية إلى نظرية تقسيم التوحيد

بسطنا الكلام على نظرية ابن تيمية في تقسيم التوحيد وعرضنا لأدلتها العشرة ورأينا أنها أدلة ضعيفة لا تصمد أمام النقد العلمي الموضوعي ولذلك نقضناها بسهولة بحمد الله، ولكن بقي أن نشير إلى أمر تجدر الإشارة إليه وهو أن هذه النظرية لم تكن وليدة أدلة بقدر ما هي وليدة حاجة ابن تيمية لها ليكسب معركته الجدلية العنيفة التي خاضها في عصره مع الصوفية والمتكلمين ولاسيما الأشاعرة حيث خالفهم في كثير من مسائل العقيدة ومن ذلك مفهومهم للتوحيد، فقد كان التوحيد عند الأشاعرة هو الاعتقاد بأن الله واحد في ذاته، واحد في أفعاله، واحد في صفاته، فالتوحيد شامل لهذه الأمور الثلاثة وفيما يلي بيانها:

الأمر الأول: أن يعتقد المكلف أن الله واحد في ذاته ليس له مثيل ولا شريك، وهذا يعبّرون عنه بنفي الكم المنفصل عنه، أي نفي النظير له تعالى؛ وليس هو متبعّضا أو متجزّئا أو متركّبا وهذا ما يعبّرون عنه بالكمّ المتصل، أي نفي الكثرة في ذاته تعالى.

الأمر الثاني: أن الله واحد في أفعاله أي أن الله هو وحده المنفرد بالإيجاد والتدبير العام بلا واسطة ولا معالجة، فهو المتصرف في كل ما سواه من العوالم والمخلوقات والمحدثات، وليس لأحد فعلٌ على جهة الخلق والاستقلال، بل غاية ما يثبت لمخلوقاته السببية العادية.

الأمر الثالث: أن الله واحد في صفاته، فصفاته ليس لها كَمٌّ متصل، أي ليس له صفة متعددة من جنس واحد كقدرتين فأكثر، ولا لها كَمٌّ منفصل، بمعنى أنه ليس لغير الله صفة تشبه صفته تعالى؛ بل إن الله تفرد بصفاته العُلا، فلا يتصف أحد سواه بشيء من صفاته أو بما يشبه أحد صفاته، ولا يتصف الله بصفة من صفات خلقه، فلا يتصف الله بالجهة والتحيز

1 منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص157

2 منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ص159

والجسمية والحركة والانتقال والتغير من حال إلى حال لأن كل هذه صفات للحوادث، والله قديم فيستحيل أن يتصف بصفات الحوادث، لأن من اتصف بالحادث فهو حادث، لكن الله قديم فبطل اتصافه بصفات الحوادث.

هكذا كان مفهوم الأشاعرة للتوحيد[1]**، ولكن هذا المفهوم للتوحيد رفضه ابن تيمية: حيث قال:** وكثير من أهل الكلام يقول: **التوحيد له ثلاث معان** وهو: **واحد في ذاته لا قسيم له أو لا جزء له وواحد في صفاته** لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له. **وهذا المعنى** الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ **وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول**[2].اهـ

ولم يكن ابن تيمية ليوافق عليه لأنه يصطدم مع عقيدته، ولاسيما في قضية صفات الله التي له فيها تصور آخر أقرب في مجمله إلى المعنى الحسي المادي لها، خلافا للأشاعرة الذين ينزهون صفاته تعالى عن المعاني الحسية والمادية، ولذلك نفوا عن الله الجسمية والأبعاض والأعضاء والأجزاء والجهة والحيز والتغير وحلول الحوادث في ذاته تعالى، بيد أن ابن تيمية يرى هذا النفي لم يرد في الشرع ولذلك رأى أن هذه ألفاظ مبتدعة مجملة تحتمل حقا وباطلا كما سبق(3).

---

[1] كإمام الحرمين وابن فورك والقشيري والشهرستاني، ومن المتأخرين السنوسي والبيجوري وغيرهم، انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني ص90، ط/مصورة عن طبعة ليدن، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص131، ط/الفرفور؛ أم البراهين للسنوسي بحاشية الدسوقي ص89، المسامرة بشرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة ص113، للإمام كمال الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن أبي الشريف (906هـ)، تحقيق صلاح الدين الحمصي، ط1/2009م. تحفة المريد للبيجوري ص114، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص117.

2درء تعارض العقل والنقل (1/ 317)

(3) انظر: ص (464)

فلا جرم أن ابن تيمية راح ينقض مفهوم التوحيد وتقسيمه عند الأشاعرة، ويأتي بمفهوم وبتقسيم جديد بديل بحيث يتناسب مع عقيدته ولاسيما مذهبه في الصفات، هذا من جهة ومن جهة أخرى لينال من الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين الذين كان مناوئا لهم ليقول لهم بأنكم لم تفهموا التوحيد، وهكذا يكون ابن تيمية بتقسيمه الجديد للتوحيد قد حقّق هدفين أساسيين أحدهما دفاعي والثاني هجومي:

أما الهدف الأول الدفاعي فهو إيجاد معنى للتوحيد لا يتناقض مع عقائده ليدفع عن نفسه تهمة التجسيم المنافي للتوحيد، فمثلا هو يقول تعقيبا على أقسام التوحيد الثلاثة السابقة عند المتكلمين: وما نفوه من المعنى الذي سموه تجسيما وهو التوحيد الذي لا يتم الدين إلا به وهو أصل الدين عندهم وكل من سمع ما جاءت به الرسل يعلم بالاضطرار أن هذه الأمور ليست مما بعث الله به رسوله ولم يكن الرسول يعلم أمته هذه الأمور ولا كان أصحاب رسول الله ﷺ؛ **فكيف يكون هذا التوحيد الذي هو أصل الدين لم يدع إليه رسول الله** ﷺ والصحابة والتابعون **بل يعلم بالاضطرار أن الذي جاء به الرسول من الكتاب والسنة يخالف هذا المعنى الذي سماه هؤلاء الجهمية توحيدا ولهذا ما زال سلف الأمة وأئمتها ينكرون ذلك**[1].

وأما الهدف الثاني الهجومي: فهو اتهامه للأشاعرة بأنهم وقعوا في الشرك، ولم يعرفوا من التوحيد إلا القسم الذي عرفه المشركون وهو توحيد الربوبية، وفي ذلك يقول: "فتوحيد الربوبية كان المشركون مقرين به، وهو نهاية ما يثبته هؤلاء المتكلمون إذا سلموا من البدع فيه أما التوحيد الذي جاءت به الرسل فلم يعرفوه ولم يبينوه..وهو عبادة الله وحده لا شريك له"[2].اهـ

---

1 الفتاوى الكبرى (6/ 559).

2 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974) وانظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345)

ويقول أيضا إن "من أعظم ما وقع فيه هؤلاء وهؤلاء من الجهل بالتوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب"[1]. ويقول أيضا: فليست الإلهية هي الخلق أو القدرة على الخلق أو القدم كما يفسرها هؤلاء المبتدعون في التوحيد من أهل الكلام إذ المشركون الذين شهد الله ورسوله بأنهم مشركون من العرب وغيرهم لم يكونوا يشكّون في أن الله خالق كل شيء وربه..إلى أن يقول: قد لبّس على طوائف من الناس أصل الإسلام، **حتى صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شركا وأدخلوا في التوحيد والإسلام أمورا باطلة ظنوها من التوحيد وهي تنافيه**، وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمورا عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله، **فأكثر هؤلاء المتكلمين لا يجعلون التوحيد إلا ما يتعلق بالقول** والرأي واعتقاد ذلك دون ما يتعلق بالعمل والإرادة واعتقاد ذلك بل التوحيد الذي لا بد منه لا يكون إلا بتوحيد الإرادة والقصد وهو توحيد العبادة وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله أن يقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه وهذا هو الإسلام2.اهـ

ويقول: وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوّزون عبادة غيره كما يجوّزون عبادته ويقولون: {لو شاء الله ما أشركنا} الآية، وهؤلاء منتهى توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيد الربوبية، فأما توحيد الإلهية المتضمن للأمر والنهي ولكون الله يحبّ ما أمر به ويبغض ما نهى عنه فهم ينكرونه ولهذا هم أكثر اتباعا لأهوائهم وأكثر شركا وتجويزا من المعتزلة، **ومنتهى متكلميهم وعبادهم تجويز عبادة الأصنام، وأن العارف لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما ذكر ذلك صاحب منازل السائرين، وأما عبادة الأصنام فباح بها متأخروهم كالرازي صنّف فيها مصنفا وابن عربي وابن**

---

1 وفي درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (9/ 345)، وانظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 974)

2 الفتاوى الكبرى (566/6)

سبعين وأمثالهما يصرحون بجواز عبادتها وبالإنكار على من أنكر ذلك وهم متناقضون في ذلك1.

فنلاحظ من كل هذه المواضع السابقة أن **تقسيم ابن تيمية للتوحيد جاء في سياق ردّه على المتكلمين والمتصوفة**، والمتتبع للمواضع الأخرى التي تعرّض فيها ابن تيمية لتقسيم التوحيد، سيجد أنها جاءت في هذا السياق وهو **سياق ردّه على الأشاعرة وسائر المتكلمين والشيعة ومتأخري الصوفية وغيرهم**2.

فتقسيمه للتوحيد إذن هو ردة فعل منه ليس إلا، وهذا خير ما نفسّر به لجوءه إلى تقسيم التوحيد هذا التقسيم المستحدث، إذ إننا لم نجد في تقسيمه للتوحيد والأدلة التي استدل بها عليه لم نجد فيها ما يعوَّل عليه، وإنما بنى تقسيمه على مقدمات لغوية وشرعية وعقلية غير مسلّمة، بل كثير منها منقوض بكثير من الآيات والأحاديث كما سبق بيانه مطولا. والله الموفق

وأختم بهذا النص المطول بعض الشيء لبعض الباحثين، وهو يتكلم عن انتقاد ابن تيمية للمتكلمين ولا سيما الأشاعرة لكونهم لم يقسّموا التوحيد إلى ما قسمه هو، يقول الباحث ـ وهو سعد السامرائي ـ بأن ابن تيمية: ينتقد منهج المتكلمين الذين اقتصروا – بحسب ما يرى– مفهوم التوحيد على توحيد الربوبية بقوله: (فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أنّ هذا أخصّ وصف الإله وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله) ثم يقارن بين أصحاب المعنى الأول في التوحيد وبين مشركي العرب حيث يقول: (فإن مشركي العرب كانوا مقرّين بأن الله وحده

---

1 مجموع الفتاوى (13/ 213).

[2] انظر مثلا: مجموع الفتاوى (98/3) (100/3)، بيان تلبيس الجهمية (133/1)، درء تعارض العقل والنقل (224/1) وما بعدها.

خالق كل شيء وكانوا مع ذلك مشركين، قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)}، وقال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ **لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**} فليس كل من أقرّ بأن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون سواه).اهـ

ثم يقول الباحث السامرائي: إنّ تركيز الأشاعرة على توحيد الربوبية وعدم ذكرهم توحيد الألوهية سببه أنهم تكلموا في صفات الإله الواجبة له سبحانه، وهو أمر كلي، وتدخل الجزئيات ضمنه، بمعنى أنّ العبد إذا آمن بربه العظيم منزهاً عن النقائص والشريك، عبده وأحبه ووالاه , فلا يصح عقلا وشرعا أنْ يؤمن الإنسان بربه خالقا ومدبرا ولا يؤمن به مستحقاً للعبادة.

ثم يقول السامرائي: إنّ تشبيه ابن تيمية للأشاعرة بمشركي العرب غير مناسب، ولا يصح أن يصدر من عالم يدعو إلى الكتاب والسنة، فليس من هدي السنة **تشبيه المسلمين بالكفار** فضلاً عن أنْ يكون هؤلاء المسلمون هم أكابر علماء المسلمين، ثم إنّ مشركي العرب آمنوا بوجود إله ونسبوا له البنات، وأثبتوا له الشركاء في إدارة الكون وهم الأصنام وأثبتوا معبوداً مع الله وهم الأصنام، قال الله حاكيا حالهم مع أصنامهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3]، **فمشركو العرب أثبتوا النقص في الله العظيم وأثبتوا الشريك معه في الملك والتدبير, وهذا** خلاف اعتقاد أئمة المسلمين، فالتشبيه لا يصح بوجه من الوجوه..

ثم يختم الباحث السامرائي بالقول: **إذا كان ابن تيمية انتقد الأشاعرة لعدم ذكرهم توحيد الألوهية، فيمكن أن يسجل عليه عدم ذكر توحيد الله في الحكم والتشريع**، فإذا أراد أتباعه التعليل بأن توحيد الحاكمية داخل ضمن توحيد الألوهية، **فعليهم أنْ يلتمسوا**

التعليل نفسه للأشاعرة ومن تبعهم حيث أدخلوا مفهوم توحيد الألوهية ضمن توحيد الربوبية[1].اهـ

[1] الآراء العقدية لأئمة التصوف في كتاب الرسالة القشيرية دراسة موضوعية (7 /10/ ترقيم آلي)، رسالة ماجستير للطالب سعد السامرائي.

خاتمة

انتهى ـ بفضل الله ـ المجلد الخامس والأخير من نظرية تقسيم التوحيد القائمة على عشرة أصول ودعاوى، وقد خصصت هذا المجلد الخامس لنقض الأصول السبعة الأخيرة، وكنا نقضنا الأصول الثلاثة الأولى في المجلدات الأربعة الأولى كما بيّنا ذلك في مقدمة هذا المجلد الذي تكوّن من بابين؛ الباب الأول كان حول الفروق المزعومة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وكان من خمسة فصول، وهنا أذكر خلاصة ما انتهيت إليه فيها:

1. فخلاصة الفصل الأول عدم صحة القول بأن توحيد الربوبية أمر فطري، وتوحيد الألوهية أمر كسبيّ؛ لأن السلفية نصّوا على أن كلاهما مفطور عليه.
2. وخلاصة الفصل الثاني عدم صحة دعوى أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحد بخلاف توحيد الألوهية؛ لأن هذه الدعوى ينقضها الكتاب والسنة وأقوال العلماء سلفا وخلفا، وفيهم ابن تيمية وأتباعه الذين أقرّوا في بعض المواضع بوجود من نازع في توحيد الربوبية بل في أن ثمة من أنكر وجود الصانع أصلا!
3. وخلاصة الفصل الثالث عدم صحة دعوى أن الرسل عليهم السلام إنما جاءت بتوحيد الألوهية لا بتوحيد الربوبية، فهذه دعوى ينقضها أيضا نصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء بمن فيهم السلفية الذي أقرّوا بأن الرسل جاؤوا بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معا.
4. وخلاصة الفصل الرابع عدم صحة دعوى أن توحيد الربوبية هو الحجة على المشركين في إثبات توحيد الألوهية! لأن هذا أولا مصادرة على المطلوب، فضلا عن عدم صحة استدلالهم على ذلك، علاوة عن آيات كثيرة جاءت على خلاف دعواهم.
5. وخلاصة الفصل الخامس عدم صحة دعوى أن التعويل في الدارين على توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية، بل التعويل يكون على كليهما إن سلّمنا بالفرق بينهما أصلا، فضلا عن أننا أتينا بأدلة من الكتاب والسنة فيها الثناء على الذين أتوا بتوحيد الربوبية أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقد رددنا على تأويل الوهابية لها.

وأما الباب الثاني فكان حول مصدر ابن تيمية الذي استقى منه نظريته في تقسيم التوحيد، وكان من فصلين؛ وخلاصة الفصل الأول **عدم صحة دعوى أن استقراء القرآن يدل على أن التوحيد قسمان: ربوبية وألوهية! إذ تبيّن أن هذا محض اختراع وتحكّم من ابن تيمية**، فضلا عن أنه معارَض بتقسيمات أخرى للتوحيد وهي كثيرة! وقد سردنا بعضها مما ذهب إليها بعض الأشاعرة والصوفية والمعتزلة والشيعة وغيرهم، وكلهم قد يدعي أن تقسيمه دل عليه استقراء الكتاب والسنة!

وخلاصة الفصل الثاني أنه لا يصح دعوى عدم تفرد ابن تيمية بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية، لأن كل العلماء الذي قيل بأنهم سبقوا ابنَ تيمية ليست نصوصهم صريحة في ذلك، بل لديهم نصوص تخالف أصول نظرية تقسيم التوحيد، كما رأينا ذلك عند الطبري الذي زعموا أنه سبق ابنَ تيمية إلى تقسيم التوحيد، وسردنا نصوصه التي تخالف أصول هذه النظرية، هذا فضلا عن أن بعض أولئك العلماء هم أصلا ممن تأخر عن ابن تيمية! وذلك كملّا علي القاري والزبيدي وغيرهما، علاوة عن أن بعضهم لا يثبت عنهم ذلك كالبيجوري كما سبق، رحم الله الجميع.

وبعد أن انتهيت ـ بحمد الله ـ من نقض أصول نظرية تقسيم التوحيد العشرة في خمسة مجلدات، سوف أخصص خمسة مجلدات أخرى أنقض فيها ما بُني على هذه النظرية من مسائل خطيرة تسبّبت في تكفير المسلمين وسفك دمائهم عند ابن عبد الوهاب وأتباعه.

وهذه المسائل تعتبر من آثار نظرية تقسيم التوحيد، وذلك مثل **مسألة الاستغاثة والتوسل**، ومسائل القبور مثل **شدّ الرحال لزيارة القبور والذبح والنذر لها والدعاء والصلاة** عندها والطواف بها ونحو ذلك، وقد كنت كتبت فيها وانتهيت من بعض هذه المسائل، وبعضها يحتاج إلى تتمة، وبعضها يحتاج إلى تنقيح وتهذيب، فأسأل الله أن يعينني على إتمام ذلك كله، وإن تم فعلا إن شاء الله فأكون قد نقضت نظرية تقسيم التوحيد أصولا وفروعا في عشرة مجلدات، فنقضت أصولها في خمسة مجلدات، ونقضت فروعها أو آثارها في خمسة مجلدات أخرى. والله المستعان.

وصلى الله على البشير النذير والسراج المنير سيدنا مُحَمَّد سيد الخلق وحبيب الحق وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا، وآخر دعونا أن الحمد لله.

كتبه وراجعه الفقير إلى ربه تعالى: وليد بن صلاح الدين الزير بتاريخ 22 جمادى الأولى 1446 هـ الموافق لـ 23/ 11/ 2024 م. والله ولي التوفيق

(التقريظ الكامل لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور علي مقدادي حفظه الله)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يَهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، قال تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}**[آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}**[النساء: 1]، وقال تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فوزاً عَظِيْمَا}** [الأحزاب:70-71] أمَّا بعد:

فمن المعلوم أنَّ تقسيم العلوم لغاية الإيضاح والتَّسهيل والتَّعليم لا شيء فيه، حيث لا مشاحَّة في الاصطلاح... لكن المحذور أن يترتَّب على التَّقسيم حكم بالكفر أو الإيمان... وهذا هو ما حدث بسبب تقسيم المتسلِّفة للتَّوحيد إلى ثلاثة أقسام...وكلُّ ما يتعلَّق بهذا التَّقسيم المبتدع نُجمله في النِّقاط التَّالية:

(1) تقسيم التَّوحيد بدعة من شرِّ المحدَثات، لم تأتِ في القرآن ولا في السُّنَّة ولا في أقوال التَّابعين ولا في أقوال تابعيهم...ابتدعها ابن تيمية منظِّر المتسلِّفة، فردَّدوها من بعده، ولم يفلح القوم ولن يفلحوا حتَّى قيام السَّاعة في الإتيان بنقل واحد عن أحد من علماء عصور الخيريَّة...

فالتَّوحيد أمرٌ لا يقبل القسمة...ولو كان التَّقسيم عند المتسلِّفة عبارة عن تقسيم لموضوعاته لغايات التَّعليم، لما اختلفنا معهم، كما نقول: الذَّات، والصِّفات، والأفعال... لكن المصيبة أنَّ تثليث التَّوحيد بالصُّورة التي قسَّموه بها وأراده من خلالها ابن تيمية بدعة شنيعة مُنكرة، حيث رتَّب عليه كفر من لم يؤمن به...

(2) لم تنقل لنا السُّنَّة المطهَّرة أنَّ الرَّسول ﷺ كان يقول لمن يريد الإيمان والدُّخول في الإسلام: التَّوحيد على ثلاثة أقسام: توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الألوهيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفات، وأنَّك لا تدخل في الإسلام حتَّى توحِّد الله تعالى توحيد الألوهيَّة وتوحيد الأسماء والصِّفات، ولم يُنقل ذلك لنا عن السَّلف من أهل القرون الثَّلاثة الأولى...

(3) بناء على تثليث المتسلِّفة للتَّوحيد، فقد ترتَّب عليه الحكم بتوحيد الكفرة والمشركين وسائر الأمم توحيد ربوبيَّة، وأنَّهم ليسوا موحِّدين توحيد ألوهيَّة، ولذلك أدخلوا المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين في هذا المدخل، فحكموا بشركهم وكفرهم، وأنَّهم أكبر شركاً من المشركين، والعياذ بالله تعالى...

(4) هل يُعقل أنَّ يكون فرعون القائل كما حكى القرآن عنه: **{أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}**[النازعات:24]، والقائل: **{يا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}**[القصص:38]، والقائل لسيِّدنا موسى عليه السَّلام: **{لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهَاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}**[الشعراء:29] من الموحِّدين لله تعالى توحيد ربوبيَّة؟؟!

(5) هل يعتقد عاقل أنَّ النَّمرود الذي ادَّعى الرُّبوبيَّة وحاجَّ إبراهيم في ربِّه، وزعم أنَّه يُحيي ويُميت،، كما حكى القرآن عنه: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ**

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[البقرة:258]، موحِّد لله تعالى توحيد ربوبيَّة...مع أنَّ القرآن صرَّح بكفره!! ومع ذلك فإنَّ المتسلِّفة يأبون ويقولون: بل هو موحِّد لله توحيد ربوبيَّة...ومعلوم للجميع أنَّ الإحياء والإماتة من خصائص الرُّبوبيَّة لا الألوهيَّة بحسب تقسيمهم للتَّوحيد...

(6) هل يعتقدُ معتقِدٌ أنَّ اليهود والنَّصارى الذين صرَّح القرآن بشركهم وكفرهم في غير ما آية من آيات الكتاب العزيز يوحِّدون الله تعالى توحيد ربوبيَّة...قال الله تعالى: **{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**[آل عمران:85].

وقال: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}**[التوبة:30].

وقال: **{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}**[المائدة:17].

وقال: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ * لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**[المائدة:72-73].

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ (134/1 برقم 153) بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

وَرَوَى أَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ(330/44 برقم 26750) بِسَنَدِهِ عَنْ كُرَيْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ، تَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ يَوْمَ السَّبْتِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ أَكْثَرَ مِمَّا يَصُومُ مِنَ الْأَيَّامِ، وَيَقُولُ: "إِنَّهُمَا يَوْمَا عِيدِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمْ ". قال الأرنؤوط: " إسناده حسن، عبد الله بن محمد بن عمر بن علي: هو ابن أبي طالب، وثقه الدارقطني وابن خلفون، وقال علي ابن المديني: هو وسط، وذكره ابن حبان في "الثقات"، ووالده محمد بن عمر، روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال الحافظ في "التقريب": صدوق، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عتَّاب بن زياد: وهو الخراساني، فقد روى له ابنُ ماجه، وهو ثقة، وقد صحَّح هذا الحديث ابن خزيمه وابنُ حبان، كما سيأتي في التخريج.

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (27761)، وابن حبان (3646) من طريق جبَّان ابن موسى، وابنُ خزيمة (2167)، ابنُ حبان (3616) من طريق سَلَمة بن سليمان.

والطبرانيُّ في "الكبير" 23/ (616) من طريق نُعيم بن حماد. و23/ (964) من طريق معاذ بن أسد. والحاكمُ 436/1، والبيهقي في "السنن" 303/4 من طريق عبد الله بن عثمان عبدان، خمستُهم عن عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد، وفيه قصة.

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (2775)، والطبراني في "الأوسط" (3869)، وابنُ شاهين في "ناسخ الحديث ومنسوخه" (399) من طريق بقيَّة بن الوليد، عن عبد الله بن المبارك، به. وقرن، النسائي وابن شاهين بأمِّ سَلَمة عائشة. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" 198/3، وقال: رواه الطبراني في "الكبير" ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان. قلنا: فاته أن ينسبه إلى أحمد. وفي الباب عن عائشة، وهو عند الترمذي (746) بلفظ: كان رسول اللهﷺ يصوم من الشهر السبتَ والاحدَ والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس. وقال: هذا حديث حسن، وروى عبد الرحمن بن مهدي هذا الحديث عن سفيان، ولم يرفعه...".

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى(392/9 برقم 18861) بِسَنَدِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " لَا تَعَلَّمُوا رَطَانَةَ الْأَعَاجِمِ وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي كَنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ، فَإِنَّ السَّخْطَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ ".

(7) هل يعتقدُ عاقلٌ أنَّ الشُّيوعيين، والدَّهريِّين، والهندوس، والبوذيِّين، والماركسيِّين، والملحدين، والوثنيِّين، وسائر أصحاب الحركات الباطنيَّة... الذين يشكِّلون أغلب سكان الأرض... يوحِّدون

الله تعالى توحيد ربوبيَّة... وعقائدهم تشهد عليهم بالكفر والشِّرك والإلحاد...ومن المعلوم أنَّ الهند لوحدها فيها أكثر من ثلاثة آلاف ديانة...كلّها تدين لأرباب ما أنزل الله بها من سلطان...

(8) الرَّب والإله لفظان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وتوحيد الألوهيَّة داخل في عموم توحيد الرُّبوبيَّة، بدليل أنَّ الله تعالى لمَّا أخذ الميثاق على ذريَّة آدم خاطبهم تعالى بقوله: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُم}، ولم يقل: بإلهكم، فاكتفى منهم بتوحيد الرُّبوبيَّة، فمن أقرَّ لله تعالى بالرُّبوبيَّة فقد أَقرَّ له تعالى بالألوهيَّة، قال الإمام الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(467/5) في تفسير قول الله تعالى: **{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ}**[آل عمران: 63]: وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ **{الْعَزِيزُ}**[البقرة: 129] الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَادَّعَى مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ، أَوْ عَبَدَ رَبًّا سِوَاهُ، **{الْحَكِيمُ}**[البقرة: 32] فِي تَدْبِيرِهِ، لَا يَدْخُلُ مَا دَبَّرَهُ وَهْنٌ وَلَا يَلْحَقُهُ خَلَلٌ".

فالرَّبُّ والإله لفظان متلازمان يقع كلُّ واحد منهما موضع الآخر، قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ}**[البقرة:258]، وبما أنَّ النَّمرود – بزعم المتسلِّفة - يعرف توحيد الرُّبوبيَّة، فالأصل أن يقول: ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيم في إلهه...

وقد استعمل القرآن الكريم كلمتي: الرَّب والإله من غير تفريق بينهما، قال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(389/22) في تفسير قوله تعالى: **{وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**[الحديد: 8] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقَدْ أَتَاكُمْ مِنَ الْحُجَجِ عَلَى حَقِيقَةِ ذَلِكَ مَا قَطَعَ عُذْرَكُمْ، وَأَزَالَ الشَّكَّ مِنْ قُلُوبِكُمْ، وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ، قِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ؛ وَقَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ رَبُّكُمْ مِيثَاقَكُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ، بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ".

(9) حملَ المثلِّثون للتَّوحيد نصوصَ الرُّبوبيَّة على الألوهيَّة، ولم يحملوا نصوصَ الألوهيَّة على الرُّبوبيَّة، بل قصروها على الألوهيَّة فقط، مع أنَّ كلمة التَّوحيدِ تتضمَّنُ التَّوحيدين معاً، ولم يفرِّق أهل العلم بين الألوهيَّة والرُّبوبيَّة؟!!! قال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(385/1-386) في تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**[البقرة:21]: **{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**[البقرة: 21]: "وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: **{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**[البقرة: 21] تُطِيعُونَ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: **{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**[البقرة: 21] قَالَ: لَعَلَّكُمْ تُطِيعُونَ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالَّذِي أَظُنُّ أَنَّ مُجَاهِدًا أَرَادَ بِقَوْلِهِ هَذَا: لَعَلَّكُمْ أَنْ تَتَّقُوا رَبَّكُمْ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ وَإِقْلَاعِكُمْ عَنْ ضَلَالَتِكُمْ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَكَيْفَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: **{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**[البقرة: 21] أَوَلَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ إِذَا هُمْ عَبَدُوهُ وَأَطَاعُوهُ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ: لَعَلَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَنْ تَتَّقُوا، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنْ عَاقِبَةِ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ مَخْرَجَ الشَّكِّ؟ قِيلَ لَهُ: ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّذِي تَوَهَّمْتَ، وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ: **{اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}**[البقرة: 21]، لِتَتَّقُوهُ بِطَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَإِفْرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ... ".

وقال الطَّبريُّ في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(586/2) في تفسير قول الله تعالى: **{قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ}**[البقرة: 133] يَعْنِي بِهِ: قَالَ بَنَوْهُ لَهُ: نَعْبُدُ مَعْبُودَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ، ومَعْبُودُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا، أَيْ نُخْلِصُ لَهُ الْعِبَادَةَ وَنُوَحِّدُ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ فَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا

نَتَّخِذُ دُونَهُ رَبًّا. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: {**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**}[البقرة: 133] وَنَحْنُ لَهُ خَاضِعُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ".

قال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(746/2) في تفسير قوله تعالى: {**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**}[البقرة: 163] فَإِنَّهُ خَبَرٌ مِنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا رَبَّ لِلْعَالَمِينَ غَيْرَهُ، وَلَا يَسْتَوْجِبُ عَلَى الْعِبَادِ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَهُمْ خَلْقُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِهِمْ طَاعَتُهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ وَهَجْرِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ خَلْقُهُ وَعَلَى جَمِيعِهِمُ الدَّيْنُونَةُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ...".

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(171/5-170/5) في تفسير قوله تعالى: {**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**}[البقرة: 163]، فَإِنَّهُ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ خَاصَّةٌ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ وَلَا تَجُوزُ إِلَّا لَهُ لِانْفِرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوَحُّدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَمِلْكُهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَخَلْقُهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ ; احْتِجَاجًا مِنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِذْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزَةٍ لَهُمْ عِبَادَةُ غَيْرِهِ، وَلَا إِشْرَاكُ أَحَدٍ مَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ، إِذْ كَانَ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَمِلْكُهُ، وَكُلُّ مُعَظَّمٍ غَيْرَهُ فَخَلْقُهُ، وَعَلَى الْمَمْلُوكِ إِفْرَادُ الطَّاعَةِ لِمَالِكِهِ، وَصَرْفُ خِدْمَتِهِ إِلَى مَوْلَاهُ وَرَازِقِهِ. وَمُعَرِّفًا مَنْ كَانَ مِنْ خَلْقِهِ يَوْمَ أَنْزَلَ ذَلِكَ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِتَنْزِيلِهِ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَإِرْسَالِهِ بِهِ إِلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، مُقِيمًا عَلَى عِبَادَةِ وَثَنٍ أَوْ صَنَمٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ أَوْ إِنْسِيٍّ أَوْ مَلِكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ بَنُو آدَمَ مُقِيمَةً عَلَى عِبَادَتِهِ وَإِلَاهَتِهِ، وَمُتَّخِذَتَهُ دُونَ مَالِكِهِ وَخَالِقِهِ إِلَهًا وَرَبًّا، أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَمُنْعَزِلٌ عَنِ الْمَحَجَّةِ، وَرَاكِبٌ غَيْرَ السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ بِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا أَحَدَ لَهُ الْأُلُوهِيَّةُ غَيْرُهُ".

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن " (187/5) في تفسير قوله تعالى: {**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}[آل عمران: 6]: "وَهَذَا الْقَوْلُ تَنْزِيهٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ نِدٌّ أَوْ مِثْلٌ أَوْ أَنْ تَجُوزَ الْأُلُوهَةُ لِغَيْرِهِ، وَتَكْذِيبٌ مِنْهُ لِلَّذِينَ قَالُوا فِي عِيسَى مَا قَالُوا مِنْ وَفْدِ نَجْرَانَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَائِرِ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي عِيسَى، وَلِجَمِيعِ مَنِ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا، أَوْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ غَيْرِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثناؤُهُ خَلْقَهُ بِصِفَتِهِ وَعِيدًا مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ أَوْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا سِوَاهُ، فَقَالَ: {**هُوَ الْعَزِيزُ**}[آل عمران: 6] الَّذِي لَا يَنْصُرُ مَنْ أَرَادَ الِانْتِقَامَ مِنْهُ أَحَدٌ، وَلَا يُنَجِّيهِ مِنْهُ وَأَلٌ وَلَا لَجَأٌ، وَذَلِكَ لِعِزَّتِهِ الَّتِي يَذِلُّ لَهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَيَخْضَعُ لَهَا كُلُّ مَوْجُودٍ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ، وَإِعْذَارِهِ إِلَى خَلْقِهِ، وَمُتَابَعَةِ حُجَجِهِ عَلَيْهِمْ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ".

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(447/10) في تفسير قوله تعالى: {**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**}[الأعراف: 148] يَقُولُ: أَلَمْ يَرَ الَّذِينَ عَكَفُوا عَلَى الْعِجْلِ الَّذِي اتَّخَذُوهُ مِنْ حُلِيِّهِمْ يَعْبُدُونَهُ أَنَّ الْعِجْلَ {**لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**}[الأعراف: 148] يَقُولُ: وَلَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى طَرِيقٍ. وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ حَقًّا، بَلْ صِفَتُهُ أَنَّهُ يُكَلِّمُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَيُرْشِدُ خَلْقَهُ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْمَهَالِكِ وَالرَّدَى. يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {**اتَّخَذُوهُ**} [الأعراف: 148] أَيِ: اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَاهًا. {**وَكَانُوا**}[البقرة: 61] بِاتِّخَاذِهِمْ إِيَّاهُ رِبًّا مَعْبُودًا {**ظَالِمِينَ**}[الأعراف: 5] لِأَنْفُسِهِمْ، لِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ مَنْ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَإِضَافَتِهِمُ الْأُلُوهَةَ إِلَى غَيْرِ الَّذِي لَهُ الْأُلُوهَةُ".

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(557/10) في تفسير آية الميثاق: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثني حَجَّاجٌ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: "جَمَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُمْ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ **{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}**[الأعراف: 173] قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ بِهَذَا، اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرِي، وَلَا رَبَّ غَيْرِي، وَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَسَأُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلًا يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَسَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، قَالُوا: شَهِدْنَا أَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا، لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ. فَأَقَرُّوا لَهُ يَوْمَئِذٍ بِالطَّاعَةِ".

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(421/11) في تفسير قوله تعالى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا}**[التوبة: 31]: "فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ: وَمَا أُمِرَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ وَالْمَسِيحَ أَرْبَابًا إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا مَعْبُودًا وَاحِدًا، وَأَنْ يُطِيعُوا إِلَّا رِبًّا وَاحِدًا دُونَ أَرْبَابٍ شَتَّى، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَطَاعَةُ كُلِّ خَلْقٍ، الْمُسْتَحِقُّ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ الدَّيْنُونَةَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهَةُ إِلَّا لِوَاحِدٍ الَّذِي أَمَرَ الْخَلْقَ بِعِبَادَتِهِ، وَلَزِمَتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ طَاعَتُهُ. **{سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}**[التوبة: 31] يَقُولُ: تَنْزِيهًا وَتَطْهِيرًا لِلَّهِ عَمَّا يُشْرَكُ فِي طَاعَتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ الْقَائِلُونَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَالْقَائِلُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، الْمُتَّخِذُونَ أَحْبَارَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ".

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"(140/20) في تفسير قول الله تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ}** [البقرة:80] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: {**قُلْ**}[البقرة: 80] يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ. **{إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ}** لَكُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، أُنْذِرُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ، فَاحْذَرُوهُ وَبَادِرُوا حُلُولَهُ بِكُمْ بِالتَّوْبَةِ **{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}** يَقُولُ: وَمَا مِنْ مَعْبُودٍ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَتَنْبَغِي لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ، إِلَّا اللَّهَ الَّذِي يَدِينُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ، الْوَاحِدُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي مُلْكِهِ شَرِيكٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَهُ صَاحِبَةٌ، الْقَهَّارُ لِكُلِّ مَا دُونَهُ بِقُدْرَتِهِ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَقُولُ: مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ؛ يَقُولُ: فَهَذَا الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ...".

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "(389/22) في تفسير قوله تعالى: **{وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**[الحديد: 8] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُقِرُّونَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقَدْ أَتَاكُمْ مِنَ الْحُجَجِ عَلَى حَقِيقَةِ ذَلِكَ مَا قَطَعَ عُذْرَكُمْ، وَأَزَالَ الشَّكَّ مِنْ قُلُوبِكُمْ، وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ، قِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ؛ وَقَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ رَبُّكُمْ مِيثَاقَكُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ، بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ".

فما عسى المتسلِّفة المثلِّثة للتَّوحيد يقولون بكلام الإمام الطَّبري السَّلفي الذي لم يفرّق بين الألوهيَّة والرُّبوبيَّة؟!!!

(10) أكاد أجزم أنَّ هنالك ثمَّة ارتباط بين تثليث ابن تيمية للتَّوحيد وتقسيمه إلى: أقسامه الثَّلاثة: توحيد ربوبيَّة، وتوحيد ألوهيَّة، وتوحيد أسماء وصفات... وبين اعتقاده بفناء النَّار... لأنَّ الكفرة

والمشركين (على رأيه) يوحِّدون الله توحيد ربوبيَّة...وسيخرج من النار في النِّهاية من كان في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري(17/1 برقم 44)، مسلم (182/1 برقم 193) بسندهما عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ».

(11) يعلم الجميع أنَّ هذا التَّثليث المبتدع المذموم المنكر للتَّوحيد ترتَّب عليه إراقة دماء عشرات الآلاف من أمَّة محمَّد بعد أن حكموا عليهم بالكفر والرِّدَّة عن دين الله تعالى، بحجة أنَّهم لم يوحِّدوا الله توحيد ألوهيَّة...واستباحوا أموالهم وأعراضهم... وكثير من تلك الجرائم مبثوثة ومسجَّلة في كتاب:(عنوان المجد في تاريخ نجد) لمؤرِّخ الوهَّابيَّة عثمان بن عبد الله بن بشر، وكتاب: (أمراء البلد الحرام) للإمام أحمد زيني دحلان...

(12) أكَّدت آياتُ القرآن العظيم على أنَّ العبادات كما تُصرف للإله تصرفُ كذلك للرَّبّ، وبالتَّالي فهي غير مختصَّة بالإله، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**[البقرة:21]، وقال تعالى: **{يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}**[آل عمران:43]، وقال تعالى: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** [الأعراف:55]، وقال تعالى: **{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ}**[الأنفال:9]، وقال تعالى: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**[غافر:60]، وقال تعالى: **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}**[الكوثر:2]...

(14) كيف يزعم ابن تيمية أنَّ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَمَرَ الله بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وأنَّ توحيد الرُّبوبيَّة كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ؟ وكيف يزعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ الرَّسول ﷺ أُرسل إلى قوم يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! مع أنَّ الله تعالى أمر الرَّسول ومعه الصفّ المؤمن بمواجهة الكفرة بأنَّ لكم دينكم ولنا دين، قال سبحانه وتعالى: **{قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنا عابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ * وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}**[الكافرون: ١ – ٦].

فسورة " الكَافِرُوْن " تردُّ على دعوى ابن تيمية الفارغة حين زعم أنَّ " الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهَذَا التَّوْحِيدِ - تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ - وَمَعَ هَذَا يُشْرِكُونَ بِاَللَّهِ، فَيَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ: أَنَّهم شُفَعَاؤُنَا عِنْدَهُ وأنَّهم يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إلَيْهِ، فَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ وَقُرْبَاناً،مَا قَالَ تَعَالَى: **{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}**[يونس:18]، وَقَالَ تَعَالَى: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**[الزمر:3]، وَقَالَ تَعَالَى: **{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ* فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}**[الأحقاف:27-28].

انظر: مجموع الفتاوى (378/14).

هذا ما قاله ابن تيمية، وهو مجازفة كبيرة وخطيرة أدَّت فيما بعد إلى أن يتمسَّك بها الرّعاع الجهلة، ويجعلوها متمسَّكاً ودليلاً على تكفير أُمَّة محمَّد ﷺ التي اعتادت على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين، مع الإيمان المطلق بأنَّ الله تعالى هو مالك الأمر كله، وأنَّ المتوسَّل به إلى الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرَّاً...

فالله تعالى أخبرنا أنَّه سبحانه وتعالى له الأمر من قبل ومن بعد، وكلُّ شيء بيده سبحانه، لكنَّه طالبنا أن نربط الأسباب بمسبَّباتها، فهو سبحانه القائل: **{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}** [الذاريات: ٥٨]، والقائل: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}**[الملك: 15]، وهو سبحانه القائل: **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**[الأنفال: ١٧]، والقائل: **{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ}**[البقرة: ١٩١].

(13) الآية الكريمة التي طالما استدلُّوا بها على تثليث التَّوحيد، وهي قوله تعالى: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}**[الزخرف:87] صرَّحت بأنَّ الإله يخلق، والخلق من خصائص الرَّب تعالى...فليس الخلق من خصائص الرَّب دون الإله كما يعتقد المتسلِّفة، يؤكِّد ذلك –أيضاً- قوله تعالى: {اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[الرعد:16]، وقوله: **{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}**[المؤمنون:91]، وقوله: **{هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}**[فاطر:3].

(14) إن استشهدوا على إيمان الكفرة والمشركين بالرُّبوبيَّة لله تعالى بقول الله تعالى: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}**[العنكبوت: ٦١ – ٦٣]، وبقوله: **{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ}**[المؤمنون: ٨٦ – ٩٠].

قلنا: إنَّ المشركين ما قالوا هذا إلَّا بعد أن غُلبوا بالحُجَّة وأُلزموا بها، فقالوه بألسنتهم وأبته قلوبهم، فنافقوا، والمنافق هو الذي يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان الذي هو تصديق القلب...ثمَّ إنَّ مجرَّد النُّطق باللسان لا يُدخل الإنسان في دائرة الإيمان إن لم يرافقه تصديق الجَنَان، قال تعالى: **{قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**[الحجرات: ١٤].

فالذين كانوا يقولون: ربّنا الله...قالوا ما قالوا بعد أن وُجهوا بالدَّلائل السَّاطعة القاطعة... قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم...فهم ليسوا مؤمنين أصلاً، لأنَّ الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، وبدليل أنَّهم كانوا ينسبون الضّر والنَّفع إلى غيره، كما قال الله تعالى عن قوم هود: **{قالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ}**[هود:53-54]، فكيف يقول ابن تيمية: إنَّهم يعتقدون بأنَّ الأصنام لا تضرُّ ولا تنفع؟؟!!

قال الإمام الآجري في "الشَّريعة"(684/2): "وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ قَدْ عَرَفُوا بِعُقُولِهِمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَلَا يُنَجِّيهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبِرِّ وَالْبَحْرِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا أَصَابَتْهُمُ الشَّدَائِدُ لَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ، فَعَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الْإِيمَانَ الْمَعْرِفَةُ كُلُّ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، عَلَى قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْوَحْشِيَّةِ لَعْنَةُ اللَّهِ بَلْ نَقُولُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَوْلًا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةِ، وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُمْ: إِنَّ الْإِيمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ

تَصْدِيقًا يَقِينًا، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ، لَا يُجْزِئُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ".

ومن المعلوم أنَّ المتسلِّفة شنَّعوا على من فسَّروا الإيمان بالتَّصديق دون العمل... فكيف أدخلوا المشركين عبدة الأصنام والأوثان في دائرة الإيمان؟!!! بل جعلوهم أكثر إيماناً ممَّن يَدْعون الله الواحد الأحد الفرد الصَّمد، ويتوسَّلون إليه بأشرف الخلق وحبيب الحقّ محمَّد ﷺ؟!! مع الإيمان المطلق بأنَّ النَّفع والضرَّ بيد الله تعالى وحده لا شريك له، وأنَّ الأنبياء فضلاً عن الأولياء والصَّالحين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرَّاً، لا في حياتهم ولا بعد وفاتهم، لأنَّ النَّافع والضَّارَّ هو الله تعالى وحده، وقد قال الله تعالى فيما حكاه عن الرَّسول ﷺ: **{قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**[الأعراف: ١٨٨]، وأنَّ مراد المتوسِّل إلى الله تعالى من المتوسَّل به إنَّما هو الطَّلب بأن يدعو الله تعالى له، لأنَّ الموت ليس عدماً أو فناء محضاً، والنُّبوَّة لا تنقطع رتبتها بالموت، الذي هو انتقال من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ، وللأرواح عملٌ وتصرُّفٌ بعد الموت، فهي ترى، وتسمع، وتتكلَّم، فتدعو، وتستغفر ...

وقال الطَّبري في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"(570/18) في تفسير قوله تعالى: {وَلَئِنْ **سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}**[لقمان:25]: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ مِنْ قَوْمَكَ **{مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}** يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ، فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ، فَقُلْ لَهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ، لَا لِمَنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: **{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}**[النحل: 75] يَقُولُ: بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِي لَهُ الْحَمْدُ، وَأَيْنَ مَوْضِعُ الشُّكْرِ".

فالطَّبريُّ نصَّ في تفسيره للآية على أنَّ يقولون هو الخالق...كفرة كانوا يشركون بالله تعالى...

وقال ابن أبي حاتم في " تفسير القرآن العظيم "(3079/9): "حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا الْحَسَنُ بْنُ سَوَّارٍ، ثنا النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيٍّ قَالَ: يُقَالُ لَهُمْ، مَنْ رَبُّكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: اللَّهُ وَمَنْ يُدَبِّرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: اللَّهُ. ثُمَّ هُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مُشْرِكُونَ. يَقُولُونَ: إِنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ".

ومن الآيات القرآنيَّة التي دلَّت دلالة واضحة وصريحة على أنَّ الكفرة والمشركين كانوا يشركون بالله تعالى، ويعتقدون في آلهتهم أنَّهم شركاء لله في بعض أفعاله: قوله تعالى: **{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}**[مريم:81]، والآية نصٌّ واضح وصريح في أنَّهم عبدوا آلهتهم لاعتقادهم بأنَّها قادرة على تحقيق النَّصر لهم... ومن المعلوم أنَّ النَّصر والهزيمة من أفعال الرُّبوبيَّة....

(15) صرَّح الذين تبنَّوا تثليث التَّوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد ألوهيَّة، وتوحيد ربوبيَّة، وتوحيد أسماء وصفات، بأنَّه لا يوجد نصٌّ على التَّقسيم في القرآن ولا في السُّنَّة ولا في أقوال السَّلف الصَّالح، كما صرَّحوا بأنَّهم استدلُّوا على التَّقسيم بالاستقراء!!! فمرْحى بالاستقراء الذي أثبت عقيدة شتَّتت الأمَّة وكفَّر المتسلِّفة بسببها مجموع الأمَّة من أشعريَّة وماتريديَّة ومتكلِّمين وصوفيَّة ومعتزلة... وكلّ من ليس على منهج من يزعمون السَّلفيَّة...

فهل تؤخذ العقيدة بالاستقراء يا من تدَّعون اتِّباع السَّلف؟ وأنتم الذين ملأتم الدُّنيا صياحاً وضجيجاً بأنَّكم متَّبعون للكتاب والسُّنَّة بفهم السَّلف! فمن من السَّلف ثلَّث التَّوحيد بناء على الاستقراء؟؟!! هل من جواب؟ وهل يصلح الاستقراء دليلاً على العقيدة؟؟ وهل من الممكن أن يوضِّح القرآن

ويبيّن كلَّ ما يتَّصل بالفروع، ويترك أمور العقيدة لتؤخذ بالاستقراء الوهَّابي المتسلِّف؟!! نبِّئوني بعلم إن كنتم صادقين...

(16) صرَّح من ثلَّثوا التَّوحيد بأنَّ العبد لا يكون مؤمناً حتَّى يوحِّد الله تعالى توحيد ألوهيَّة...وهذا مخالف لما اكتفى به الله تعالى من العباد حين أخذ منهم العهد وهم في ظهر أبيهم آدم، حيث اكتفى منهم بالإقرار له تعالى بالرُّبوبيَّة، قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}** [الأعراف:172].

(17) في الوقت الذي نصَّ فيه من ثلَّثوا التَّوحيد على توحيد الكفرة والمشركين لله توحيد ربوبيَّة، نصَّ محمَّدُ بن عبد الوهَّاب على أنَّ إنكار الرَّبِّ هو مذهب ابن عربي (638هـ)، وابن الفارض(632هـ)، وفئات من النَّاس لا يحصيهم إلَّا الله. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (113/1).

وكفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب الإمامَ ابن عربي (638هـ)، وصرَّح بأنَّه أكفر من فرعون!!! وحكم بكفر من لم يكفِّره أو شكَّ في كفره!!! انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (25/10).

وصرَّح عبدُ اللطيف بن عبد الرَّحمن بأنَّ ابن عربي(638هـ)، وابن الفارض(632هـ) من أكفر أهل الأرض. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (366/8).

وجاء في الدُّرر السَّنيَّة: "... فابن عربي(638هـ)، وابن سبعين(669هـ)، وابن الفارض(632هـ)، لهم عبادات، وصدقات، ونوع تقشُّف وتزهُّد، وهم أكفر أهل الأرض أو من أكفر أهل الأرض !!! . انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (366/8).

فبناء على ما سبق... فإنَّ هؤلاء العلماء الأساطين الذين تمَّ التَّلاعب في كتبهم بالزِّيادة والنُّقصان والعبث المقصود مع سبق الإصرار... أكفر من المشركين وسائر الكفرة بنظر المتسلِّفة، والعياذ بالله تعالى...

(18) ليس صحيحاً أنَّ الكفرة والمشركين يعرفون ربَّاً واحداً، بل نصَّ القرآنُ على أنَّهم اتَّخذوا أرباباً عديدة لا ربَّاً واحداً، قال تعالى: **{وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً}**[آل عمران:80]، والآية الكريمة تصرِّحُ بأنَّهم اتَّخذوا الملائكة أرباباً من دون الله، وقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السَّلام وهو يحاور صاحبيه في دعوتهما إلى توحيد الله جلَّ جلاله: **{أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ}**[يوسف:39].

ومن المعلوم أنَّ الرَّدَّ على أصحاب البدع قد يتعيَّن على مَنْ مَلكَ سبيل الرَّدِّ عليهم... ولذلك ساورتني الرَّغبة للردِّ على الوهَّابيَّة في هذه المسألة منذ زمن بعيد حتَّى هيَّأ الله تعالى لي بفضله ومنِّه أن أكتب كتابي: "إِرْشَادُ المُرِيْدِ إِلَى الرَّدِّ السَّدِيْدِ عَلَى مَنْ ثَلَّثُوا التَّوْحِيْد" لأكون من ضمن العلماء الرَّادِّين على هذه البدعة المُشينة... وكان من أبرزهم الأخ الفاضل الأستاذ الدُّكتور وَلِيْد بنْ صَلَاحِ الدِّيْن الزَّيْر الذي قرأت له منذ زمن حيث تعرَّفت على كُتُبه عبر وسائل التَّواصل المختلفة، وأحببت من يومها أن أتعرَّف عليه، فالعلم رَحِمٌ بين أهله... ومن يومها تواصلنا بأرواحنا على أمل تواصل الأجساد بإذن الله... وفي آخر تواصل بيننا قدَّم لي الجزء الخامس من كتابه "الصَّوَاعِقُ الصَّلَاحِيَّة فِي الإِجْهَازِ عَلَى النَّظَرِيَّةِ التَّيْمِيَّة"، وهو جزء واقع ضمن (سلسلة نقض الأصول العشرة لنظريَّة تقسيم التَّوحيد عند ابن تيمية)، حيث طلب منِّي مراجعة الكتاب، وأكرمني بطلب كتابة تقديم له... فأجبت طلبه ... فكتبت هذه الورقة ...

نسأل الله تعالى أن يبارك في قلمه وجهده وصحَّته ليبقى القلم سيالاً يجلِّي الحقائق، ويزيل الشُّكوك والعوائق، ويلجم كلَّ متهوِّر مائق... والحمد لله ربِّ العالمين

وكتب:

الأستاذ الدُّكتور علي عايد لافي مقدادي الحاتمي الأشعري. 2025/3/24م

(**ملاحظة**: كان المفروض أن أذكر هذا التقريظ كاملا في أول الكتاب، ولكن بسبب أني تأخرت في طلبه من الشيخ الفاضل د. علي المقدادي ـ حفظه الله ـ فجاءني بعد الانتهاء من وضع الفهرس للكتاب، ولذا وضعته هنا حتى لا يحصل اضطراب في الفهرس، والله الموفق)

الفهرس

تقديم مولانا وأستاذنا الكبير الشيخ الفاضل مهنا حمد المهنا حفظه الله3
اقتباس من تقريظ الأستاذ الدكتور علي مقدادي حفظه الله 4
المقدمة4
خطة الكتاب5
منهج الكتاب5
شكر وتقدير6
الباب الأول: الفروق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية7
الفصل الأول: دعوى أن توحيد الربوبية أمر فطري، وأما توحيد الألوهية فهو كسبيّ8
الفصل الثاني: دعوى أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحد بخلاف توحيد الألوهية14
المبحث الأول: دعوى ابن تيمية أن أحدا لم ينكر توحيد الربوبية16
المطلب الأول: اضطراب ابن تيمية وأتباعه حول إقرار الناس كافة بتوحيد الربوبية16
المطلب الثاني: أن استدلالات ابن تيمية وأتباعه على إجماع البشرية على وجود الله: غير مسلّمة23
المرصد الأول: أدلة ابن تيمية من القرآن على إقرار البشرية كلها بوجود الله24
الآية الأولى: ألست بربكم24
الآية الثانية: أفي الله شك42
المرصد الثاني: أدلة ابن تيمية من السنة على إيمان البشرية كافة بالله44
الحديث الأول: (كل مولود يولد على الفطرة)44

تهافت كلام دمشقية واضطرابه في تفسيره لحديث خلقت عبادي حنفاء65
الحديث الثاني: ‘‘إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين’’73
المرصد الثالث: استدلال ابن تيمية بالإجماع على إيمان البشرية كافة بالله77
)تفصيل الجواب عن قول قتادة: فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم)79
)قول الشهرستاني أما تعطيل العالم عن الصانع فلست أراها مقالة لأحد)81
)قول الفخر الرازي أن الناس جميعا مطبقون على وجود الله)83
المبحث الثاني: الأدلة على وجود من أشرك في الربوبية95
المطلب الأول: الأدلة من الكتاب95
الآية الأولى: أنا ربكم الأعلى95
الآية الثانية: ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه108
الآية الثالثة: إنه كان لا يؤمن بالله العظيم119
الآية الرابعة: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)119
الآية الخامسة: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ121
الآية السادسة: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ124
الآية السابعة: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ126
)الزعم بأن النصارى موحدون في الربوبية رغم قولهم بالتثليث!)127
المرصد الأول: تصريح النصارى بأن الآلهة الثلاثة متساوون128
أولا: طائفة من نصوص النصارى:129
ثانيا: طائفة من نصوص ابن تيمية وأتباعه في إشراك النصارى في الربوبية131

ثالثا: نصوص العلماء حول تخبط النصارى في التثليث134
المرصد الثاني: أن هذا يلزم منه أن تثليث النصارى غير قادح في توحيد الربوبية ولا في توحيد الألوهية/139
الآية الثامنة: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ140
)مفارقة في اتهام الوهابية للصوفية بالشرك في الربوبية وتنزيههم النصارى عن ذلك!)146
المطلب الثاني: الدليل من السنة على وجود من أنكر الله151
المطلب الثالث: نصوص ابن تيمية وأتباعه على وجود من أنكر اللهَ في القديم155
المطلب الرابع: عقيدة أهل الديانات القديمة كلها تتضمن الشرك في الربوبية158
أولا: المصريون القدماء158
ثانيا: الهنود159
ثالثا: اليونان160
رابعا: الصينيون160
خامسا: الرومان161
المطلب الخامس: الدليل من المحسوس المشاهد على وجود من أنكر وجود الله161
المرصد الأول: تفشي ظاهرة الإلحاد في العصر الحديث162
المرصد الثاني: نسبة الإلحاد والملحدين في العالم حاليا164
المرصد الثالث: نماذج من الملحدين المعاصرين وبعض أقوالهم:167
المرصد الرابع: موقف السلفية من ظاهرة الإلحاد والملحدين169
المرصد الخامس: تاريخ الإلحاد في أوربا والغرب بشكل عام172

المطلب السادس: ابن تيمية نفسه ينازع في توحيد الربوبية فكيف يدعي الإجماع عليه؟!183
الفصل الثالث: الدعوى بأن الرسل إنما جاءت بتوحيد الألوهية لا بتوحيد الربوبية186
المبحث الأول: اضطراب السلفية في هذه القضية188
المبحث الثاني: عدم التسليم بالأدلة التي بني عليه هذا الادعاء195
المبحث الثالث تقرير أن الشرع أمر بالإيمان بأن الله هو الخالق وحده195
المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم195
جواب الرازي وابن تيمية عن آية (يدعوكم لتؤمنوا بربكم)196
المطلب الثاني: الأدلة من السنة على الأمر بالإيمان بالله213
المطلب الثالث: الإجماع على وجوب الإيمان بالله ونصوص العلماء في ذلك214
المرصد الأول: نصوص ابن تيمية وأتباعه على أن الإيمان بالله واجب وأنه مأمور به214
المرصد الثاني: توجيه قول الشهرستاني لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع217
الفصل الرابع: دعوى أن توحيد الربوبية هو حجة الله على المشركين في إثبات توحيد الألوهية224
المبحث الأول: تقرير هذه الدعوى مع إبطالها من وجوه224
المطلب الأول: بيان أن هذه الدعوى مبنية على مقدمات غير مسلّمة226
المطلب الثاني: إبطال ذرائع المشركين وشبههم في عبادة الأصنام بعيدا عن توحيد الربوبية230
المرصد الأول: إبطال شبهات المشركين في عبادة الأصنام230

المرصد الثاني: آيات كثيرة تُبطل عبادتهم لغير الله وليس فيها تعرضٌ لتوحيد الربوبية236
المطلب الثالث: تقرير القرآن لأدلة وجود الصانع بعيدا عن قضية توحيد الألوهية238
تقرير ابن تيمية لتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية243
المبحث الثاني: الجواب عن الآيات باب الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية243
المطلب الأول: الجواب عن آية (ولئن سألتهم من خلقهم) وأمثالها243
المطلب الثاني: الجواب عن الآيات الأخرى245
الآية الأولى: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ245
الآية الثانية: إن إلهكم لواحد247
الآية الثالثة: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ250
ثانيا: نصوص المفسرين على أن هذه الآية للدلالة على وحدانية الخالق251
الآية الرابعة: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ257
الآية الخامسة: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ258
الآية السادسة: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ259
الآية السابعة: أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ261
نصوص العلماء والمفسرين في أن هذه الآية هي في توحيد الربوبية262
الآية الثامنة: مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ263
الفصل الخامس: دعوى أن التعويل في الدارين على توحيد الألوهية لا على توحيد الربوبية269

المبحث الأول: إثبات أن الإيمان بتوحيد الربوبية ينجي في الآخرة271
المطلب الأول: الأدلة على أن توحيد الربوبية ينجي في الآخرة271
المطلب الثاني: تأويل السلفية لهذه الأدلة والرد عليهم279
المطلب الثالث: نصوص الفقهاء في دخول الكافر الإسلام بتوحيد الربوبية283
المرصد الأول: نصوص الحنفية والمالكية284
أولا: نصوص الحنفية284
ثانيا: نصوص المالكية285
المرصد الثاني: نصوص الشافعية والحنابلة288
أولا: نصوص الشافعية:288
رابعا: نصوص الحنابلة290
المبحث الثاني: خبط ابن تيمية في النجاة بتوحيد الربوبية292
المطلب الأول: نصوص ابن تيمية وأتباعه على أن الإيمان يحصل بدون الشهادتين292
المطلب الثاني: تأويل ابن تيمية لبعض الآيات التي تكتفي بتوحيد الربوبية298
الباب الثاني: مصدر ابن تيمية الذي استقى منه تقسيم التوحيد302
الفصل الأول: دعوى أن استقراء القرآن يدل على أن التوحيد قسمان: ربوبية وألوهية303
المبحث الأول: اللوازم الباطلة لهذا الاستقراء306
المطلب الأول: لو كان استقراؤكم هذا صحيحا لما كان من أقر بالشهادة موحدا306
المرصد الأول: الآيات الدالة على كفاية توحيد الألوهية في الآخرة دون أقسام التوحيد الأخرى307

)تقسم التوحيد غلط قطعي وليس اجتهاديا)319
المرصد الثاني: نصوص السنة321
المرصد الثالث: إجماع العلماء327
أولا: نصوص العلماء على أن التوحيد والإيمان والإسلام يكون بشهادة لا إله إلا الله328
ثانيا: نصوص العلماء على أن شهادة لا إله إلا الله تعصم دم قائلها، ويكون له أحكام المسلمين:342
ثالثا: نصوص العلماء على أن النجاة يوم القيامة بشهادة "لا إله إلا الله"346
الاعتراض الأول: أن كثيرا من العلماء قسّموا التوحيد قبل ابن تيمية349
نصوص الأشاعرة على أن شهادة لا إله إلا الله جامعة لكل معاني التوحيد350
الاعتراض الثاني: أن ابن تيمية لم يخالف الإجماع على أن التوحيد هو نوع واحد وهو شهادة أن إلا إله إلا الله354
الاعتراض الثالث بأن تقسيم التوحيد لا بد منه لحمايته من الوقوع في الشرك359
أولا: الزعم بأن المتكلمين خلطوا بين مفهوم الرب والإله365
ثانيا: الزعم بأنهم بسبب هذه الخلط أخطؤوا في تفسير كلمة التوحيد366
الأمر الأول: نصوص الأشاعرة على أن عبادة غير الله شرك وكفر371
الأمر الثاني: بيان أن عبادة غير الله شرك بغض النظر عن تفسير شهادة أن لا إله إلا الله383
الأمر الثالث: دعوى أن بعض الأشاعرة والصوفية أجازوا عبادة غير الله391
رابعا: دعوى أن الأشاعرة لم يبحثوا مسائل شرك العبادة في كتب العقيدة404

)إحصاء حول ورود كلمة القبور ومشتقاتها في كتب السلف والسلفية)407
إحصاء لكلمة القبور في كتاب ‘‘جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية"409
خامسا: الدعوى بأن تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية صيانةٌ له من الوقوع في الشرك410
المطلب الثاني: أن هذا الاستقراء لو كان صحيحا لكان الأولى أن يعلمه الصحابة الكرام417
المبحث الثاني: نقض هذا الاستقراء من ستة وجوه421
المطلب الأول: أن الاستقراء دل على نقض نظرية تقسيم التوحيد421
المطلب الثاني: أن استقراءكم منقوض بزعمكم أن توحيد الربوبية ليس في القرآن أصلا423
المطلب الثالث: لم يأت في القرآن ذكرللفظ التوحيد فضلا عن أقسامه424
)آيات فيها وصف الله بأنه بلفظ "واحد" أو "الواحد" أو "وحده" ونحو ذلك)424
إحصاء كلمة "التوحيد’’في كتب الحديث427
المطلب الرابع: أن الاستقراء الذي تدعونه ما هو إلا مجرد اصطلاح لكم يمكن أن يعارَض بمثله432
)تقسيمات الصوفية للتوحيد)433
المطلب الخامس: أن نتيجة استقرائكم هذا يخالف الأصل الذي بُنيت عليه نظرية تقسيم التوحيد441
المطلب السادس: عدم صحة تقسيم التوحيد على تقسيم الكلمة عند النحاة ونحو ذلك455
المرصد الأول: الفروق بين تقسيم التوحيد وبين تقسيم الكلمة ونحوه:455

المرصد الثاني: إنكار السلفية لكثير من المصطلحات والتقسيمات في العلوم الشرعية462
القسم الأول: أمثلة على إنكار السلفية للاصطلاحات والتقسيمات الشرعية463
القسم الثاني: أمثلةٌ على إنكار بعض السلفية تقسيمات اصطلاحية أخرى475
الفصل الثاني: دعوى عدم تفرد ابن تيمية بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية479
المبحث الأول: أقوال السلف480
المطلب الأول: سرد أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم480
(1)أقوال الصحابة480
(2)أقوال التابعين481
أولا: مجاهد481
ثانيا: عكرمة481
ثالثا: عامر الشعبي482
رابعا: قتادة482
خامسا: عطاء482
سادسا: الضحاك483
(3)أقوال أتباع التابعين483
المطلب الثاني: الجواب عن الآثار التي احتجوا بها عن السلف483
المطلب الثالث: هل قسم أبو حنيفة وأبو يوسف التوحيد كما زعم السلفية ؟!487
أولا: أبو حنيفة487
مدى صحة كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة488

ثانيا: الإمام أبي يوسف ت 182هـ491
المطلب الرابع: هل قسّم الطبري التوحيد كما زعم بعض السلفية؟502
المرصد الأول: نصوص الطبري التي استدلوا بها على أنه يقول بتقسيم التوحيد502
النص الأول: قول الطبري (كانت أي العرب تقر بالوحدانية غير أنَّها كانت تشرك في عبادته)502
النص الثاني: (ولا تجعلوا لي شريكا فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني)505
المرصد الثاني: (المقدمات الكثيرة لنظرية تقسيم التوحيد التي يخالفها الطبري)524
المطلب الخامس: ما عدد أقسام التوحيد عند السلف وما اسم كل قسم وما العلاقة بينها533
المطلب السادس: لماذا ابتدعتم هذا التقسيم للتوحيد مع تحذيركم من البدع؟534
)اضطراب السلفية في استخدام الألفاظ والمصطلحات المبتدعة)537
المبحث الثاني: أقوال لغير السلف من المتقدمين والمتأخرين539
المطلب الأول: أقوال العلماء المتقدمين539
أولا: ابن قتيبة ت 276هـ539
ثانيا: أبو جعفر الطحاوي (ت321هـ)545
ثالثا: أبو حاتم مُحَمَّد بن حبان البستي (ت 354 هـ)546
رابعا: ابن أبي زيد القيرواني المالكي ت 386 هـ547
خامسا: ابن بطة العكبري (ت 387هـ)548
سادسا: ابن منده (ت 395هـ)551

نصوص ابن منده في أن القرآن قرر توحيد الربوبية خلافا لنظرية تقسيم التوحيد553
عاشرا: الفخر الرازي ت 606هـ556
المطلب الثاني: أقوال العلماء المتأخرين557
أولا: ملا علي بن سلطان القاري الحنفي (ت 1014هـ)557
ثانيا: المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)560
ثالثا: ثلة من العلماء المتأخرين والمعاصرين566
المطلب الأول: نصوص علماء السلف في ذكرهم للتوحيد مطلقا دون تقسيم:575
المطلب الثاني: نصوص لفقهاء الشافعية والحنابلة في ذكرهم للتوحيد مطلقا دون تقسيم:582
أولا: نصوص علماء الشافعية582
ثانيا: نصوص علماء الحنابلة في ذكرهم للتوحيد مطلقا دون تقسيم:584
المطلب الثالث: في بيان دافع ابن تيمية إلى نظرية تقسيم التوحيد593
خاتمة600
التقريظ الكامل للأستاذ الدكتور علي مقدادي حفظه الله603
الفهرس613